١

على مذبح الشهوات

تأليف

ميشال زيفاكو

مكتبة الفقيه
بيروت

علي مولا

للمزيد من زاد المعرفة وكتب الفكر العالمي

اضغط (انقر) على الرابط التالي

www.alexandra.ahlamontada.com

منتدى مكتبة الإسكندرية

٢/١
٧٥٠
١٥٢٦٦٤

على مذبح الشهوات

جميع الحقوق محفوظة للناشر

طبعة جديدة ٢٠٠٣

مكتبة الفقيه
طباعة - نشر - توزيع

بيروت - شارع معوض - حي ماضي - هاتف: ٠١/٢٧٧١٣٩ فاكس: ٠١/٢٧٧١٢٥
فرع ثان: العاقبية - طريق عام صيدا - صور تلفاكس: ٠٧/٢٦٠٢٤٦

ميشال زيفاكو

على مذبح الشهوات

رواية ادبية تاريخية غرامية
ذات حوادث ومكائد ودسائس هامة ..

ترجمة
أحد الادباء

الجزء الاول

الحداد النبيل

مكتبة الفقيه
بيروت

مقدمة

ابنة الدير

- ١ -

قبل ان يبزغ صباح يوم ١٥ نيسان من سنة ١٥٤٥ وكانت الناس ما تزال تغط في نومها كأنها تود ان لا ينتهي هذا الليل خوفاً من بزوغ النهار وما يجلبه من متاعب في تلك الساعة ، دقت نواقيس الدير قبل ان ينبثق نور الفجر مؤذنة بالصلاة ، فتهافت الرهبان الى المصلى وكلهم من عباد الله الذين نذروا انفسهم لله والانسانية .

وبينما الرهبان يصلون صلاة الفجر ، كان حداد بقرب الدير قد بدأ أعماله وامتزجت أصوات مطرقته بأصوات الرهبان .

إن الحداد داغوبير هذا كان حداداً وبيطاراً في ذلك الدير ولكنه لم يكن من الرهبان ، ولا يتصل بهم بغير الجوار وهو فتى شجاع ومن أهل النبل ، يبلغ الثانية والعشرين من

علي مولا

عمره ، متين البنية ، وافي الذراعين ، قوي العضلات ، تظهر عليه بوادر النبل والشجاعة بين عينيه ولا يخلو وجهه من الجمال .

كان والده وأجداده إلى عهد بعيد يتوارثون هذا الاسم توارثهم مهنة الحدادة والبيطرة في جوار الدير حتى كان نبلاء أورليان يقولون ، لو كان نسب الاسرات بتقادمها لكان نسب الحداد مساوياً لنا في الحسب .

ثم ان رهبان الدير كانوا يموتون ويحل سواهم محلهم فيه كذلك أعضاء عائلة داغوبير فانهم كانوا يتوارثون تلك المطرقة ، وتلك الدكان ، كما تتوارث الملوك التيجان .

ولهذه العائلة حكاية يتناقلها الناس كما يتناقلون أحاديث الخرافات وهي : ان جد هذه العائلة كان بيطاراً يتصل تاريخه بعام ١٣٥٠ .

وكان للكهنة والنبلاء في ذلك العهد مطلق السلطان ، فاتفق يوماً ان حراس غابات الدير جاءوا بهذا الرجل الى الرئيس مكتوف اليدين وأتهموه انه اصطاد ايلا في تلك الغابات ، فأمر رئيس الدير بجلده خمسين سوطاً وبدفع غرامة كانت فوق طاقته وسجنه إذا لم يستطع دفعها .

واتفق في ذلك اليوم إنهم انتخبوا رئيس الأديرة العام والعادة ان الرئيس العام حين ينتخبونه يأتي إلى هذا الدير فيقيم فيه يوماً ثم يذهب مع رئيسه إلى مركز رئاسته العليا .

وكان حصان رئيس الدير قد حفت حوافره ، وليس في

تلك القرية بيطار غير داغوبير السجين فأمر الرئيس باحضاره من سجنه وأمره أن ينعل فرسه ، فأبى الرجل لحقده على الرئيس فقال له : إذا اصررت على الرفض أمرت بشنقك ، فأجابه بملء السكينة اني مستعد للموت .

فغضب الرئيس ولكنه كان مضطراً إلى مرافقة الرئيس الأكبر فكظم غيظه وقال له :

– لماذا لا تريد أن تنعل فرسي ؟

قال : لانك اسأت الي ولم تعوضني شيئاً .

قال : إني أصفح عنك واتخلى عن الغرامة التي فرضتها عليك .

قال : إن هذا التعويض لا يكفيني .

قال : إذن سل ما تشاء فإني أمنحك كل ما تريد .

قال : اني أريد أن تمنحني أرضاً يسير فيها الماشي ثلاث ساعات في أي مكان أريده من املاك الدير .

قال : قد منحتك ذلك .

قال : وأريد أن تأذن لي ببناء منزل ودكان للحدادة .

قال : قد أذنت لك .

قال : وأريد أن تكون هذه الأرض والمنزل والدكان حقاً لاعقابي يتوارثونها من بعدي .

قال : قد منحتك هذا الحق ايضاً .

ثم كتب له صكاً بهذه المنح فأنعل له فرسه وتمكن من

مرافقة الرئيس العام .

وتوالت السنون والقرون فكانت تلك الدكان عند باب الدير لا يشتغل فيها إلا أعقاب داغوبير ، فكانوا مع الرهبان على أتم خير وسلام .

أما داغوبير هذا الذي بقي من تلك العائلة في عهد هذه الرواية ، فكان يدعى جان داغوبير .

وقد كان في مقتبل الشباب كما قدمناه ، ولم يبق من تلك العائلة سواه ، ومع ذلك فإنه كان لا يزال عازباً ، إما لخوفه من الزواج ، وإما لأنه لم يجد بعد من تشاركه في هذا القيد .

ولقد قلنا إن الرهبان كانوا يصلون صلاة الفجر وداغوبير يقرع السندان بمطرقته فيوقظ الأطيار من سباتها لأن الفجر لم يكن قد انبثق بعد .

وفيما هو على ذلك سمع وقع حوافر جواد ، فذهل لقدوم هذا الجواد بمثل هذه الساعة وترك مطرقته وقام إلى الباب ليرى من القادم ، فرأى فارساً ينهب الأرض بجواده وهو قادم من جهة سولي فقال في نفسه ، لا شك إن هذا الفارس من النبلاء وهو ذاهب إلى قرية سانت البير لحضور حفلة العيد.

غير إن هذا الفارس لم يتجاوز الدير ، فإنه حين وصل إلى دكانه أوقف الجواد ونادى داغوبير فقال له : أهنا الدير الذي يدعونه دير أبناء الله ، أيها الصديق ؟

قال : نعم يا سيدي .
قال : ألا يزال الأب جيروم رئيسه .
قال : نعم .

وكان أمام هذا الفارس على الجواد فتاة صغيرة فحملها بين يديه وترجل عن الجواد وهو ينظر إلى الفتاة نظرة حنو وإشفاق ، ثم دخل بها إلى دكان الحداد دون ان يهتم بجواده ووضع الفتاة برفق قرب النار ، فإن البرد كان شديداً قارصاً .

وكانت هذه الفتاة زرقاء العينين بارعة الجمال شقراء الشعر ، فجعل داغوبير ينظر اليها معجباً بهذا الجمال الملائكي .

أما الفارس فقد كانت علائم الاضطراب بادية بين عينيه فالتفت إلى داغوبير وقال له :

– أرجوك أيها الصديق أن تقرع باب الدير إذ يجب أن أقابل الأب جيروم في الحال .

فقال له داغوبير : إني لو قرعت الباب ساعة لما فتحوه

– لماذا ؟

– لأن الرهبان منشغلون الآن بصلاة الفجر ونظام الدير لا يؤذن بفتح الباب قبل انتهائها .

فأجابه بلهجة الجازع : ولكن لا بد لي من مقابلة الرئيس .

– يستحيل ذلك يا سيدي قبل انتهاء الصلاة وهي لا تنتهي إلا حين شروق الشمس فيفتح الباب .

فتنهد الفارس وقال : أنا يستحيل علي الصبر وأسفاه ، إذ يجب أن أكون عند شروق الشمس بعيداً عن هذا المكان.

وكان هذا الفارس في الخمسين من عمره تدل ملابسه على انه من نبلاء الريف ، وهي من المخمل الأصفر مزدانة بشرائط من الفضة ، وكانت الوحول قد اتصلت بها مما يدل على انه اجتاز مسافة عظيمة .

وكانت الفتاة قد جلست على كرسي قرب النار ، فلما دفئت تثاقل جفناها فأطبقتهما ونامت .

فأشفق داغوبير عليها وقال للفارس : أتؤذن لي ايها النبيل أن أصعد بها إلى سريري فتنام مرتاحة ؟

فلم يجبه الفارس بل خرج من الدكان وجعل يقرع باب الدير بعنف شأن القانط ، فلم يجبه أحد ولم يسمع غير أصوات الرهبان يصلون .

واستمر يقرع الباب ربع ساعة دون فائدة فعاد إلى دكان الحداد ، فرأى داغوبير إن دمعة سقطت على خد الفارس .

اما الفتاة فكانت لا تزال نائمة .

— ٢ —

كان حزن الفارس شديداً حتى إن داغوبير لم يجسر ان يقول له شيئاً بشأن قرعه باب الدير .

أما الفارس فإنه دنا من الفتاة وناداها باسم حنة ، ففتحت الفتاة عينيها وقالت : إني متعبة جداً فدعني أنام .

ثم أطبقت عينيها وانحنى رأسها الجميل على كتفها .

فنظر الفارس عند ذلك نظرة غريبة إلى داغوبير وقال له:

— إني أسفك دمي في سبيل فتح باب الدير الآن ؟

فتأثر داغوبير تأثيراً عظيماً ليأس الفارس وقال له :

— أتريد يا سيدي أن أكسر باب الدير ؟

— كلا فاننا نضيع الوقت وقد أغضب بذلك رئيس الدير وأنا في حاجة إلى رضاه .

ثم نظر إلى داغوبير كأنما قد خطر له خاطر وقال :

— ماذا تدعى .

— داغوبير .

— أأنت من أهل هذه البلاد .

— إني ولدت في هذا البيت وسأموت فيه .

فنظر اليه ايضاً نظرة الفاحص وقال :

— إن هيئتك تدل على إنك شريف القلب .

فأجابه داغوبير بلهجة الاعجاب :

— إنك لو سألت جميع أهل هذه المقاطعة لما حكموا على عائلة داغوبير إلا ما حكمت أنت علي .

فتذكر الفارس ذكرى بعيدة وقال له :

— أليست هي عائلتكم التي نالت امتياز الإقامة بجوار

الدير منذ أربعة قرون ؟

– نعم .

– لقد وثقت بك الآن فإن لعائلتكم شهرة بعيدة بالوفاء .

– قل يا سيدي ما تريد فإني ما خدعت احداً ولا ابداً بخداعك .

فنظر الفارس إلى الفتاة وقد جال الدمع في عينيه ثم قال لداغوبير : إن هذه الفتاة التي تراها ليس لها سواي في هذا الوجود يحميها .

– لعلك قريبها ؟

– إني أبوها وعمها وأخوها ، إذ ليس لها سواي ولكني مضطر إلى الافتراق عنها عاماً أو عامين ، وربما فارقتها أكثر من ذلك ويجب علي أن أكون في باريس في هذا المساء وأن أبرح فرنسا بعد يومين إلى اميركا ، فإن شرفي وسعادة هذه الفتاة موقوفان على سفري .

– ألعلك يا سيدي تريد ابقاءها عند الأب جيروم ؟

– نعم وسأعهد اليك بقضاء هذه المهمة .

ثم أخرج خاتماً من أصبعه ومحفظة من جيبه . أما الخاتم فقد كان منقوشاً عليه شعار النبلاء ، وأما المحفظة فقد كانت محشوة بالأوراق المالية .

فدفع الخاتم والمحفظة إلى داغوبير وقال له : عندما يفتح باب الدير إذهب بالفتاة إلى الأب جيروم واعطه الخاتم

والمحفظة فإنه متى رأى الشعار على الخاتم عرف من أنا ومن هي الفتاة .

— سأفعل يا سيدي كل ما أمرتني به .

— بقي أمر وهو أننا في زمن كثر فيه الاضطراب وأخذ الشعب يجاهر باستيائه حتى بتنا نخشى هبوب الثورة ، على ان الشعب إذا ثار فإنما يثور على النبلاء والرهبان وقد ينقض على هذا الدير ويعجز الأب جيروم عن حماية الفتاة فهل تتولى حمايتها إذا اتفق ذلك .

— إني أحميها كما يحمي الأب ابنته في مواقف الشدائد وأزود عنها مكروه الشعب فإني من الشعب .

فالتفت الفارس فرأى صليباً معلقاً في الجدار ، فقال له : اقسم لي بالصليب إنك صادق فيما تقول .

— اقسم به وبكل مقدس في السماء إني أسفك دمي قبل أن تسقط شعرة من رأسها .

— حسناً ، والآن استودعك الله وأرجو أن يقيك ويقي هذه الفتاة .

ثم دنا من الفتاة وهو يضطرب حنواً فقبلها وقال لها : الوداع ايتها الحبيبة وليحرسك الله فانك من ملائكته . وخرج مسرعاً يتبعه داغوبير فصافحه مودعاً وامتطى جواده وسار به ينهب الأرض ، فلبث داغوبير واقفاً يشيعه حتى توارى عن الانظار ، ثم دخل إلى دكانه وكان الفجر

على وشك البزوغ فكانت الفتاة لا تزال نائمة فحملها بين يديه وصعد بها إلى منزله .

وكان داغوبير قد احتفظ بسرير أمه وابقاه على حاله بعد موتها تذكاراً لها فانها ماتت منذ خمسة أعوام وقد وضع فوقه صليباً ، فلما صعد بالفتاة إلى تلك الغرفة شعر بعاطفة احترام وأنكر أن ينومها في سريره ، فرفع الصليب عن سرير أمه واضجع الفتاة عليه ثم عاد إلى دكانه .

وكان الرهبان لم يفرغوا من صلاتهم بعد ، فهمّ أن يعود إلى عمله غير انه خشي أن تستيقظ الفتاة من صوت المطرقة فامتنع عن العمل وجلس عنـد باب الدكان ينظر نظرات ساهية إلى الغابة الفسيحة المنبسطة أمام الدير .

وفيما هو يسرح النظر في تلك الغابة رأى نوراً احمراً من جهة الغرب يتعاظم ويمتد من فوق أشجار السنديان فعجب لهذا النور المتصل بعنان السماء وقال في نفسه ، إنه لا يمكن أن يكون نور الشفق ، ثم رأى كأن السماء قد باتت كتلة من نار فأيقن انها حريقة قد شبت في إحدى القصور أو في إحدى المزارع .

ولم تكن الحرائق نادرة في ذلك العهد فان المجاعـة وقحل المواسم وفداحة الضرائب واستبداد النبلاء أهاجت الفلاحين فتألفت منهم عصابات تطوف في حقول الأغنياء فتحرق المزارع والقصور .

وقد ثبت داغوبير في يقينه من هذه الحريقة لأن أصوات الرهبان انقطعت فجأة وأخذت أجراس الدير تدق دقات خاصة بالاستغاثة فتجيبها اجراس من الاماكن المجاورة بمثل دقاتها اشارة إلى التأهب . ثم رأى ان باب الدير قد فتح وخرج منه جميع الرهبان فساروا إلى جهة النار وفي طليعتهم الأب جيروم وهم يبلغون مائة راهب .

فدبت الحماسة في صدر داغوبير وهمّ أن يسير في اثرهم غير انه تذكر الفتاة واليمين التي اقسمها على الحرص عليها فبقي في مكانه .

أما الفتاة فإنها كانت لا تزال نائمة .

- ٣ -

كان الأب جيروم رئيس هذا الدير طويل القامة عريض المنكبين تنفذ عيناه ذكاء ويضيء فيها بارق الشباب .

وكانت الأديرة في ذلك العهد كفرق الجيش فكان لكل فرقة رئيس فعلي ورئيس اسمي ، وأما كولونيل الاسمي فكان يشتري هذا المنصب بالمال ولا يكون له منه غير شرف الانتماء اليه ، وأما الكولونيل الفعلي فهو الذي كان يتولى قيادة الفرقة ويبلغ هذا المنصب بجده واستحقاقه

وكذلك الاديرة في ذلك العهد فقد كان لكل دير رئيس شرف ممن يميلون إلى مثل هذا الجاه ورئيس عامل يتدرج

فيه من ادنى الدرجات باجتهاده إلى مقام الرئاسة .

أما الأب جيروم فقد كان من الفريق الثاني وهو من أهل الجد والذكاء والهمم العالية فدخل إلى الدير راهباً بسيطاً ورقي فيه حتى بلغ الرئاسة العليا ، واما الرئيس الاسمي فلم تطأ قدماه ذلك الدير .

وان لدخول الأب جيروم إلى الدير حكاية سرية ، فإنه في ليلة من ليالي ديسمبر الباردة ، وذلك منذ خمسة عشرة عاماً ، كان فارسان يسيران في غابة هذا الدير وقد فتحت ميازيب السماء وانهالت الامطار كأفواه القرب حتى وقفا عند باب الدير . وكان احدهما مرتدياً ملابس النبلاء ، وكان الآخر خادماً له كما يظهر ، فانه حين ترجل عن جواده القى عنانه اليه ثم مد اليه يده وقال له : استودعك الله يا فتى إلى الأبد ، ولا انسى اخلاصك في خدمتي ما حييت .

فتلقى الخادم هذا الوداع بالبكاء واكب على يد سيده يقبلها ويغسلها بدموعه وهو يقول : اتدخل يا سيدي إلى الدير وتنقطع عن العالم هذا الانقطاع وانت الغني النبيل الذي اجمع الناس على حبه واحترامه ؟

– ذلك لا بد منه ، الوداع فاذهب بأمن الله .

ثم اشار إلى خادمه بيده إشارة منعته عن العودة الى الحديث فاندفع الخادم في البكاء وقاد جواد سيده بعنانه وسار ماشياً في الغابة وهو كلما خطى خطوة يلتفت إلى

الوراء فيرى سيده واقفاً تحت المطر عند باب الدير هذا الدير وكل من يدخل اليه لا يخرج منه إلا الى ظلمة الأبد .

أما السيد فانه لبث واقفاً حتى توارى الخادم بالجوادين عن الانظار فقرع باب الدير ثم دخله .

وفي اليوم التالي احتفل الرهبان بتدشين هذا الراهب الجديد وبدأت أعماله الشاقة التي لا بد ان يعملها كل منتظم في سلك الرهبنة حين دخوله . وبعد عشرة أعوام أصبح هذا الراهب البسيط رئيساً لذلك الدير ولم يعلم أحد حقيقة اسمه ولا تلك النكبة الهائلة التي دعته إلى اعتزال العالم في مقتبل الشباب والانصراف إلى خدمة الله ، ولكنه نال شهرة واسعة في تلك المقاطعة بالتقوى والاصلاح وحسن الادارة فزالت حين تولى الادارة شكاوى الناس من جور الرهبان وانقطعت المظالم وحسنت سيرة الرهبان فلم تعد تخشى النساء التنزه في الغابات .

وقد تقدم لنا القول ان الحرائق كانت كثيرة في تلك الأيام فاشتهر الأب جيروم في خلالها بالغيرة والجرأة والاقدام فانه كان إذا شبت النار في موضع أسرع اليها في طليعة رهبانه واقتحم النار غير هياب فلا يعود إلا بعد إخماد النار .

ولذلك لم يذهل داغوبير لشبوب النار ولكنه استاء لعدم تمكنه من المساعدة في اطفائها .

ولبث الحداد واقفاً عند باب دكانه إلى ان أشرقت

الشمس وملأت أشعتها الكون ورأى ان أنوار الحريقة قد خمدت وانقطع صوت أجراس الاستغاثة فصعد من دكانه إلى الغرفة النائمة فيها الفتاة ووقف عند السرير يتأمل ذلك الجمال الذي لم ير أطهر منه جمالاً وأبدع مثالاً .

وكانت لا تزال نائمة وهي تبتسم كأنها حالمة بما يدعو إلى الابتسام فشعر داغوبير ان قلبه يضطرب ويخفق حنواً وود لو طال غياب الرهبان كي يبقى معها في هذا الموقف .

وفيما هو يتأمل محاسنها تنهدت ثم فتحت عينيها فنظرت إلى ما حولها نظراً تائهاً وتادت عمها ثم استقر نظرها على داغوبير فعرفته وقالت له :

– انت هو الذي كان يضرب الحديد بالمطرقة ؟

فقال لها بلهجة تشف عن الاحترام ، نعم يا سيدتي .

– إذن انا في منزلك الآن .

– نعم .

– وأين هو عمي ؟

فتلعثم داغوبير ولم يدر كيف يقول لها عن سفره ثم تشجع وقال لها بصوت حنون ، ان عمك سافر ولكنه سيعود وقد أوصاني ان أعتني بك في مدة غيابه .

ولم يظهر عليها شيء من الخوف ولكنها نظرت إلى وجهه المسود من الدخان وقالت له :

– ان وجهك أسود ولكنه يدل على الصلاح .

– إذن انت غير خائفة مني ؟

-- كلا ..

– أتبقين عندي إلى ان يعود عمك .

– دون شك ..

وعند ذلك سمع داغوبير صوت رجل يناديه من الدكان فقال لها :

– أبقي هنا إلى ان أقضي حاجة هذا الرجل فأعود اليك ،

ثم نزل داغوبير الى الدكان فلقي فيها أحد الرهبان المنوط به إرسال البريد وهو يريد نعلا لجواده فقال له :

– إني خشيت ان لا أراك وان تكون بين الذين ذهبوا لاطفاء النار .

– كنت أود ان أكون ولكن حال دون ذهابي بعض الموانع ، فأين شبت هذه النار ؟

– في قصر دي بوربير فالتهمته .

– أهو القصر الجميل الذي بني حديثـــا ولم يسكنه أحد بعد ..

– هو بعينه ولكن أصحابه أقاموا فيه منذ اسبوع قادمين اليه من باريس .

– انهم أغنياء وسعيدون ببنائه .

فهز الراهب رأسه وقال :

– لم يبق من يشيده فقد مات أصحابه ..

– كيف ماتوا أبالنار ؟

– هذا ما يرويه الرواة ..

– كم يبلغ عددهم ؟

– انهم ثلاثة ، رجل عجوز وسيدة وولد صغير لا أعلم إذا كان ذكراً أو انثى . فارتعش داغوبير وقال :

– ألم يجدوا جثثهم ؟

– كلا .. فان الخدم تمكنوا من النجاة وأما أصحاب المنزل فلم يرهم أحد حين شبوب النار .

– ولكن ماذا يدعون ؟

– الكونت والكونتس دي مازير .

– هم قادمون من باريس ؟

– قال نعم ولكن لهم أقرباء في هذه المقاطعة .

وكان داغوبير يحدثه ويشتغل بنعل الفرس فلما أتم عمله ركب الراهب وانطلق . وحاول داغوبير عند ذلك ان يعود إلى الفتاة ولكنه رأى كثيراً من أهل القرية عائدين من محل الحريق فاستوقفهم وقال لهم :

– ألعلكم عائدون من المحل الذي شبت فيه النار ..

وكانوا كلهم يعرفونه فأجابه أحدهم : نعم .

قال : أعرفوا الذي وضع النار ؟

– نعم قد عرفوه .

– ومن هو ؟

– هم أصحاب القصر أنفسهم .

فدهش داغوبير دهشاً عظيماً ولم يعلم كيف يمكن ان يكون ذلك .

- ٤ -

وعاد محدثه إلى الحديث فقال :

- يظهر ان الأب وأم الفتاة كانوا ينوون الانتحار من زمن بعيد .

فارتعش داغوبير وقال : أكان ولدهما بنتاً ؟ نعم .

- ولكن كيف عرف ان أصحاب القصر هم الذين أضرموا النار فيه ؟

- لقد عرف من أمرهم أنهم جاءوا ليلا في مركبة فدخلوا إلى القصر وعادت المركبة إلى باريس وكان يصحبهم ثلاثة خدم فكانوا يبيتون في فسحة كبيرة تطل على الحديقة في الدور الأرضي بحيث أنهم تمكنوا من الفرار حين شبت النار خلافاً لأسيادهم فقد كانوا مسجونين في غرفة بابها من الحديد كما يقال فحاول مخمدو النار فتح هذا الباب وكسره فلم يستطيعوا فكانت النار تلتهم القصر وأصحابه لا يفهون بحرف .

- ولكن جميع هذه الدلائل لا تثبت انهم هم الذين قد اضرموا النار ..

قال : بل ان هناك برهاناً آخر يثبته وهو انهم أرسلوا كتاباً إلى مدير الناحية كتبوا على غلافه هذه العبارة (لا يفتح قبل الساعة السادسة) أي بعد الحريقة فاالنار كانت التهمت كل شيء في تلك الساعة وجعلت القصر وساكنيه رماداً .

— وماذا كان يتضمن هذا الكتاب ؟

— الاعتراف بأنهم هم الذين أضرموا النار بغية الانتحار .

ثم تحدثوا مع داغوبير هنيهة بشأن هذا السر الغريب الذي لم يتمكن أحد من حله وانصرفوا فعاد داغوبير الى الفتـاة فوجدها قد عادت الى النوم فتركها نائمة وذهب إلى الدير لمقابلة الأب جيروم

فلما رآه الأب جيروم نظر اليه نظرة جفاء وقال له بلهجة المؤنب ، لقد كان من عادتك ان تكون في طليعة المقدمين على اطفاء الحرائق ولكني لم أراك اليوم معنا .

قال هو ذاك يا سيدي غير اني لم استطع الذهاب معكم هذه المرة

— ولماذا ؟ وكان في الغرفة راهب آخر فنظر داغوبير الى الرئيس وقال له : التمس منك يا سيدي ان تصغي إلى حديثي وان تأذن لي بمحادثتك على انفراد .

فأشار الرئيس الى الراهب فانصرف وعند ذلك أخبره داغوبير عن ذلك الفارس الذي جاء قبل الفجر واعطاء الخاتم ووضع على الطاولة محفظة الاوراق المالية .

فأخذ الرئيس الخاتم وما لبث ان تمعن فيه حتى اصفر وجهه واضطربت أعضاؤه فقال لداغوبير : اين هو هذا الفارس ؟

— لقد سافر وأودع عندي الفتاة .

— ألم يقل لك متى يرجع ؟

— انه غير عازم على الرجوع يا سيدي ولكنه قال لي انك متى رأيت شعار الخاتم تعلم كل شيء .

فزاد اضطراب رئيس الدير وقال :

– ولكن لماذا ذهب وترك الفتاة.

– لأودعها عندك ! قال : عندي انا ؟ قال : نعم .

فجعل الأب جيروم يقلب الخاتم وينظر فيه متمعناً الى ان عرَفه فقال اللهم عفوك فقد أنرت قلبي بنور السكينة فنسيت كل ما في الوجود ، ثم نظر الى داغوبير وقال له اين هي الفتاة ؟

– عندي وهي نائمة في سرير امي الآن .

– أرآها أحد عندك ؟ قال كلا .

– إذن عد إلى دكانك واحرص كل الحرص على هذه الفتاة ثم عد إلي بعد ساعة فاني في حاجة إلى الانفراد والتفكير .

فانحنى داغوبير وانصرف .

أما الآب جيروم فانه أخذ المحفظة فوضعها في جيبه وذهب إلى هيكل الكنيسة فأنار شمعة في حين ان شعاع الشمس كان يملأ الكنيسة أنواراً وأقفل الباب كي لا يدخل اليه أحد .

ثم أخذ يفحص الخاتم وكان كبيراً ضخماً تبلغ استدارة فصه حجم الدينار وهو ينفتح فينجلي عن مكان يسع الفولة الكبيرة .

ففتحه ووجد في داخله ورقة بيضاء مطوية طيات كثيرة فاضطرب قلبه وانصب العرق من جبينه وقال: رباه اني اعتزلت العالم ولكنه لم يعتزلني وأردت الانقطاع إلى خدمتك ولكن الذين أحبوني من قبل أبوا الا ان يكدروا صفو اعتزالي .

ثم ركع وجعل يصلي حتى إذا تم صلاته فتـــح تلك الورقة المطوية ونظر فيها وإذا هي بيضاء لا كتابة فيها .

غير انه كان يعلم سر الكتابة الخفية التي كانت شائعة في

ذلك العهد فأدنى الورقة البيضاء من نور الشمعة وصبر قليلاً فظهرت كتابة دقيقة بحروف سوداء قرأ فيها ما يلي :

عزيزي موري : أول ما أبدأ به سؤالك المعذرة عما اثقل به عليك بعد انقطاعك عن العالم وانصرافك إلى خدمة الله ، وانما كتبت لك هذه السطور لما كنت أخشاه من استحالة الاجتماع بك .

لقد مضى على افتراقنا أيها الصديق عشرون عاماً ولكن مهما بلغت من العزلة والانقطاع إلى الله فانك لا تنسى ذلك الصديق القديم .

ألم نحب حباً واحداً ونتعذب عذاباً واحداً غير أنك لجأت الى الدير فأمنت الشقاء وبقيت أنا عرضة للعواطف .

وها أنا أتي اخي بالسلاح ، ذلك الصديق القديم الذي اتشح الآن بثوب الرهبان فأقول له : هلم أيها الأخ لمساعدة أخيك ، تعال أيها الصديق لنصرة صديقك .

انك أردت ان تنسى الماضي فهربت منه ولكنه تبعك ، وأنا الآن أسألك أيها الصديق باسم الصداقة القديمة وباسم تلك التي أحببناها سوية أن ترأف بهذه الفتاة التي لا نصير لها سواي في هذه الوجود ، ولكن حين تقرأ هذه السطور أكون قد برحت هذه البلاد فلا يبقى للفتاة سواك .

اني مسافر إلى البلاد الاميركية ولا أعلم إذا كنت أعود منها ، أما هذه الفتاة التي استودعك إياها فان جميع الناس يعتقدون انها ميتة وهذه خير وسيلة لانقاذها من الموت .

إنك سترى بعد ساعة على بعد ثلاث مراحل من الدير الذي تقيم فيه قصراً يحترق لا يدركه أهل النجدة إلا وقد التهمته النار .

وغداً يقول الناس الذين شاهدوا الحريق ان صاحب هذا القصر وامرأته وابنته البالغة من العمر تسعة أعوام قد ماتوا بالنار فدعهم ، أيها الصديق يقولون هذا القول ولا تكذب موت الفتاة فإنها تلك الفتاة التي ائتمنتك عليها وهي (ابنتها) ولا حاجة لي ان أخبرك بشقاء تلك الأسرة التي طالما أخلصنا لهـــا في سبيلها دوماً ، فإنك خبير به مثلي .

والآن فقد أرسلت لك ما بقي معي من المال لتنفقه على تربية الفتاة فإذا بلغت العشرين من عمرها وعدت من البلاد الأميركية أتولى أنا أمرها وتكون مهمتك قد انقضت .

أما إذا لم أعد فلا بد لك عند بلوغها هذا السن ان تذهب إلى ذلك المنزل الذي كنا نقيم فيه معاً في باريس حين كنا من الحراس . وهناك تدخل إلى الغرفة التي كنا نبيت فيها فتبحث وراء المدخنة وتزيل قشر الجدار فتجد رخامة فتزيلها فتنكشف عن خزانة تجد فيها صندوقاً وهذا الصندوق يحتوي على ثروة هذه الفتاة الطائلة وتجد فيه أيضاً كتابة تنبئك عن اسمها .

« هذه هي المهمة التي يعهد اليك بها صديقـــك القديم راوول دي موالبير الذي كان أخاك بالسلاح حـين كنت تدعى أرتو دي نوفوازي » . راورل

فلما أتم الأب جيروم تلاوة هذا الكتاب ضم يديه وقال :

— أيتها التذكارات الماضية المؤلمة لقد حسبت إني نجوت منك وإنك لا تجسرين على العودة إلي من أبواب هذا الدير .

ثم تنهد وقال : إذن قد ماتت تلك الحبيبة وركع فقال : اللهم إني ألتمس لها الرحمة وأسألك العفو عن هذا الالتماس :

ولبث حيناً طويلاً وهو راكع يصلي حتى إذا فرغ من الصلاة نهض وقد أشرق وجهه بنور البشر كأنما الصلاة قد أزالت اضطرابه فأخذ ذلك الكتاب وقد عاد إلى لون البياض وزالت الكتابة عنه بعد ذهاب تأثير النور فطواه وأعاده إلى الخاتم ثم أطفأ الشمعة وخرج من الهيكل إلى باب الدير وهو يبارك الرهبان الذين كانوا ينحنون له بملء الاحترام حين مروره بهم فلما خرج من باب الدير ذهب تواً إلى دكان الحداد.

أما داغوبير فلم يكن يشتغل في ذلك الحين بل كان واقفاً عند باب دكانه ينتظر بفارغ الصبر ان يدعوه الرئيس. فلما رأى الرئيس داخلاً اليه اصفر وجهه ولم يجسر ان يسأله عن شيء .

فقال له الأب جيروم : أين هي الفتاة ؟

فأجابه بصوت مضطرب : انها فوق في الغرفة .

قال : ألا تزال نائمة ؟

قال : نعم .

فصعد الرئيس السلم المؤدي إلى تلك الغرفة وتبعه داغوبير وقلبه يخفق خفوقاً شديداً ، فان قلبه ما حن في حياته على أحد حنوه على هذه الفتاة .

ووصل الرئيس إلى الغرفة فوقف عند بابها كأنه لا يجسر

على الدخول ثم مشى إلى ذلك السرير الذي كانت نائمة عليه وهي لا تزال تبتسم وتحلم خير الأحلام .

فما لبث أن تمعن في وجهها الصبوح حتى تجهم وجهه .

ولعله رأى ان البنت تشبه الأم فاضطرب هذا الاضطراب ولكن عواطف الكاهن انتصرت على عواطف الرجل فأشار إلى داغوبير كي يدنو منه ثم قال له همساً : ألملك تشفق على هذه الفتاة وتريد لها الخير .

– إني أسفك دمي من أجلها .

– إنك رجل طاهر القلب يا داغوبير ورجائي أن تقضي المهمة التي انتدبتك اليها بشأن هذه الفتاة .

فارتمش داغوبير وقال : دون شك يا سيدي فمر بما تشاء .

قال : ان الفارس الذي جاءك بها وقرع باب الدير دون فائدة يجهل بلا شك نظام الدير ، ولكنك تعلم ان النساء لا يدخلن إلى ديرنا ولو كن في عهد الحداثة .

– نعم يا سيدي إني أعرف هذا النظام .

– ومع ذلك فإن هذا الفارس الذي بعد الآن عنا وقد لا يعود ، عهد إلي بالعناية بهذه الفتاة وسافر وله بي ملء الثقة فهل تجد نفسك خليقاً بأن تحبها كما تحب اختك لو كان لك أخت .

دون شك يا سيدي ، بل احبها كما أحب نفسي وأحنو عليها حنان الأمهات على الرضيع .

– أتتعهد بحمايتها وبالدفاع عنها حين الاقتضاء ؟

– لقد قلت لك يا سيدي إني منذ بضع ساعات لم

أكن أعرفها أما الآن فاني أسفك دمي من أجلها .

– إذن فاعلم الآن ان منزلك قد بات منزلها فاني عهدت بها إليك . ثم أعطاه محفظة الأوراق المالية والخاتم فأشار إلى الموضع الذي يفتح فيه الخاتم وقال له : اني أصبحت كهلا عرضة للموت في كل حين فاذا مت فافتح هذا الخاتم تجد فيه ورقة مطوية تبدو لك لأول وهلة انها بيضاء لا كتابة فيها فاذا عرضتها لحرارة شمعة ظهرت الكتابة جلية وقرأت جميع ما تحتويه فتعلم انه لا بد لك من السفر في خدمة الفتاة إذا كنت في ذلك الحين فارقت الحياة .

فأخذ داغوبير المحفظة والخاتم فوضعها في خزانته حيث يضع ما يقتصده من الأموال وعاد إلى الرئيس .

فقال له الرئيس : ليس هذا كل ما أطلبه اليك ، فانه بعد ثلاثة أيام يتفق حلول عيد القديس هيبرت فيحضر كثير من النبلاء لزيارة هذا الدير ويزورك بعضهم لتجديد نعل أفراسهم فيجب ان تخبيء الفتاة لبعد رجوعهم ولا تدع أحد منهم يراها حتى الرهبان.

فأجابه داغوبير بملء البساطة ، ان إخفاءها يا سيدي ثلاثة أو أربعة أيام قد يكون من الممكن ، أما إذا كنت تريد ان أبقيها عندي فلا أستطيع إخفاءها عن عيون الناس لزمن طويل .

انتهت المقدمة

١

الشاب النبيل

بعد ستة أعوام مضت من الحوادث التي بسطناها في مقدمة هذه الرواية كان شاب في مقتبل الشباب يترجل عن جواده في الغابة المجاورة لدير أبناء الله .

وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر والشهر شهر نوفمبر فكان الطقس جميلا والسماء صافية والهواء بارداً عليلا .

وكانت ملابس الشاب تدل على انه من نبلاء القرى فهو يلبس ثوباً مخملياً أخضر ووشاحاً عليه شرائط فضية وحذاء يبلغ إلى ركبته وعلى جنبه بوق وعلى كتفه بندقية مما يدل انه يصطاد.

وكان في التاسعة عشرة من عمره وهو جميل الوجه أشقر الشعر ناعم اليدين أزرق العينين يدل سكونهما على الكآبة .

وكان قد ربط جواده إلى احدى أشجار الغابة غير ان هذا الجواد كان يسمع من حين إلى آخر نباح الكلاب وصوت أبواق الصيد فيصهل ويحفر الأرض برجليه كأنه يريد الافلات من قيده والذهاب إلى مصدر الأصوات .

أما الفتى فانه قد اضطجع فوق العشب فأسند رأسه إلى إحدى يديه وجعل ينظر الى السماء الصافية بعينيه وبقلبه وهو تائه في مهامه الخيال .

وبقي على ذلك نحو نصف ساعة إلى ان سمع صوتاً نبهه وأيقظه من سبات خياله فالتفت إلى مصدر الصوت فلم ير أحداً وقال في نفسه ان هذا الصوت صوت وثوب بين الأدغال فلا بد ان يكون صاحبه « بنوات » . ثم رأى فتى قد وثب وظهر أمام الجواد .

كان هذا الفتى يبلغ السادسة عشرة من العمر وقد وهبته الطبيعة بنية شديدة وجمالاً بديعاً ورشاقة نادرة وعقلاً سليماً ولكنها أبت الا ان تشوه جماله بحدبة في ظهره فنغصت عليه عيشه رغم تلك المواهب .

وكان الناظر إلى هذا الفتى لأول وهلة يستقبح منظره لحدبته ولكنه إذا رآه عن قرب رأى عينين تدلان على السلامة ووجهاً يشير إلى الذكاء .

وكان شديد القوى ضعيف الحركات سريع المدو ، إذا طارد غزالاً جرحه الصياد أدركه وسبق الكلاب اليه .

وقد كانت أمه ولدته في هذه الغابة ، فنشأ فيها يتيما منذ الولادة وألف العيش بين الغابات والأدغال ، فكان لا يطيب له الرقاد إلا في ظلال الأشجار ولا يقتات إلا من نبات الحقول وما يصطاده من الأطيار ، فكان نبلاء تلك الناحية وجميع الذين اذن لهم الرهبان بالصيد في تلك الغابة يعرفونه ويحبونه لسلامة قلبه وشرف مبادئه وشدة ميله إلى الحرية والاستقلال فقد رغب الكثيرون منهم في استخدامه ولكنه كان يأبى

الخدمة على فقره ويؤثر الحرية على القيد .

فلما وثب وصار قرب الجواد ، التفت الفتى المضجع وراءه ، فأجفل الأحدب وقال له : أسألك العفو يا سيدي الكونت فاني أخشى أن أكون قد أيقظتك .

فابتسم له الفتى وقال : كلا يا بنوات فاني لم أكن نائماً .

– إذن كيف ذلك يا سيدي لوسيان ألم تشترك معهم في الصيد

– إذن قم ياسيدي إلى جوادك وانا اهديك إلى الرفاق فاني أعرف مكانهم .

– كلا يا بنوات فاني غير راغب بالصيد مع ابنة عمي وقد تعبت فأثرت الراحة .

– ولكنهم سوف يظفرون بالايل الذي يطاردونه منذ الصباح ألا تريد ان تكون معهم ساعة الفوز .

– كلا فاني سأقيم هنا إلى ان تغيب الشمس فأعود إلى بوربيار .

– اتعود اليها من طريق الغابة ؟

– كلا بل من طريق سيولي .

فابتسم الأحدب ابتساماً معنوياً وقال: أي انك ستمر بالدير.

فارتعش الكونت لوسيان ونظر إلى الأحدب نظرة قلق.

وكأنما الأحدب أدرك معنى قلقه ، فوقف أمامه بملء الاحترام وهو يحمل قبعته بيده وقال له : لقد عرفتني يا سيدي الكونت منذ عهد بعيد فهل سمعت من تكلم عني كلمة سوء ؟

– كلا يا بنوات فانك من أهل السلامة والصلاح .

– بل من أهل الغيرة والكتمان يا سيدي فمن ائتمنني على سره لا يخرج سره من صدري ما حييت .

فنظر اليه الكونت نظرة تائهة وقال له : أحق ما تقول ؟

– حبذا لو اذنت لي يا سيدي الكونت ان اتكلم بحرية فأتكلم .

– أظن ان سيدي يخطىء بالطواف غالباً حول جدران الدير وشراء نعل فرسه من عند داغوبير ؟

فاحمر وجه لوسيان ورأى الأحدب ذلك فقال له :

– انك اذنت لي يا سيدي ان اتكلم بحرية .

– هو ذاك .

– إذن أتأذن لي بمواصلة الحديث ؟

– ثق يا سيدي ان داغوبير طيب القلب نبيل الشعور ولكنه شديد البنية متين الساعد فاذا كدره أحد ..

فقاطعه لوسيان وقال له بعنف : ومن يحاول تكديره .

– بمناسبة المدموازيل حنة فان الناس يقولون انها ابنة عمته ، وآخرون يقولون انها ابنة عمه ولكنه يحرص عليها حرص اللبوة على أشبالها ، ان هذه الفتاة يا سيدي التي يسميها بعضهم ربيبة الدير ويدعوها بعضهم مدموازيل حنة ما خلقت لفلاح مثلي ولا لنبيل مثلك ، أما داغوبير فانه يكلمها بملء الاحترام وهو حاسر الرأس ونحن نعلم يقيناً انه لا يخطر لأحد

من النبلاء عندنا ان يجعلها امرأته والذي أراه انه خير لك ان تكثر التردد على دكان داغوبير .

فلبث لوسيان مطرقاً مفكراً ثم هم ان يجيبه فحال دون ذلك ما سمعاه من نفخ أبواق الصيد ونباح الكلاب ورأيا ذلك الأيل الذي يطارده الصيادون قد مر بهما مرور السهم والكلاب في أثره فأسرع لوسيان إلى جواده فامتطاه وجرى بنوات في أثر الكلاب منقاداً بشخصيته الفطرية .

وعند ذلك أقبل فارسان وفارسة وكان لوسيان ممتطياً صهوة جواده بحيث خيل لأولئك الفرسان انه لم يبرح الصيد بل انه كان في طليعة المطاردين . وكانت الفارسة أول من بدأ الحديث فقالت : هوذا لوسيان .

وقال آخر الفرسان : أين كنت أيها الكونت .

وقال له الآخر : أرأيت الأيل ؟

— انه مر منذ هنيهة .

فقالت الفارسة : انه سيسقط في مستنقعات الدير .

فأجابها لوسيان : اني أرى رأيك يا ابنة عمي الحسناء .

أما الفتاة فقد كانت بارعة الجمال سوداء العينين ، سوداء الشعر فيها دلال الاناث ونشاط الشباب .

فقالت له بلهجة تكاد تكون لهجة سيادة : ولكن من اين انت قادم وكيف افترقت عنا .

— أسألك العفو يا ابنة عمي فقد تهت عنكم ولم أسمع

نفخ الأبواق إلا الآن ولكن خطر لي ان الأيل سيمر بهذه الجهة فأتيت اليها .

فهزت الفتاة كتفيها ولكزت بطن جوادها فانطلق بها في تلك الغابة دون أن تتدانى إلى مجاوبة هذا الفتى الذي كان يدعوها ابنة عمه .

●

كان الجواد ينطلق بها وهي ثابتة فوق ظهره ثبوت الرواسي حتى كانت كأنها ديانا نفسها إلاهة الصيد .

أما لوسيان والفارسان فإنهم لما رأوها دفعت جوادها لم يجدوا بداً من الاقتداء بها والسير في أثرها .

وكان الأيل المنكود قد انهكت قواه وأوشكت الكلاب ان تظفر به فكانت تنهشه كلما أدركته نهش الحيوان المفترس وكان يدافع عن نفسه بقرنيه العظيمين دفاع المستبسل إلى أن يجد مخرجاً من أنيابها فيفر وتعود إلى مطاردته .

وكانت مدموازيل أورور ، أي ابنة عم لوسيان تنهب الأرض بجوادها في أثر الأيل وهي تدنو منه من حين إلى حين .

وكان الأيل قد دنا من المستنقعات ، فلما وصل اليها والصيادون في أثره علم بالسليقة انها ستكون سبب هلاكه ، فعاد عنها ودخل بين الكلاب والصيادين بسرعة البرق وانطلق بين الأدغال .

وقد راعهم الانقلاب الفجائي فعادوا إلى مطاردته بين الأدغال والفتاة أشدهم تحمساً ولكنه كان أسرع عدواً من الجياد. وكان أدلاء الصيد والكلاب يتقدمون الصيادين فلم تمض هنيهة حتى سمعوا نفخ البوق يشير إلى انهم رأوه فانطلقت الجياد إلى جهة مصدر الصوت .

وما مر بضع دقائق حتى سكت البوق فجأة وانقطع نباح الكلاب وسمعو أصوات بشر يتشاتمون فلما وصلت مدموازيل أورور ورفاقها إلى تلك الجهــة الصادرة منها الأصوات رأت ما لم يكن يخطر لها في بال وهو ان الأيل كان جريحاً وقد سقط على الأرض فاحتاطت به الكلاب كالنطاق ، وهناك نحو عشرة من الفلاحين يتهددون ويتوعدون بمناجلهم وفؤوسهم ودليل الصيد واقف لا يجسر على الدنو منهم .

ذلك انه حدث أمراً بسيطاً ومألوفاً لا مأخذ فيه ولكنه في ذلك العهد ، عهد الاستبداد وسلطــة النبلاء ، كان يعد من الجرائم الفظيعة النادرة .

وهو ان الأيل انطلق في الغابة بين الأدغال ودخل إلى حقل مزروع فأسرع أحد الفلاحين ورمى ساق الأيل بمنجله إشفاقاً على زرعه فأصابه بجرح خطير وسقط على الأرض . فلما رأى الفلاحون ما كان من رفيقهم أكبروا عمله إذ كان أجرأ نادرة في ذلك العهد وأيقنوا ان الصيادين النبلاء سينتقمون منه شر انتقام فبادروا إلى نجدته .

أما دليل الصيد فإنه حين رأى ما جرى رفع سوطه وهم ان يضرب ذلك الفلاح ولكنه رأى ان اخوانه قد تكاثروا من حوله فخاف شر العاقبة واستعاض عن السوط باللسان فشتمهم أقبح شتم إلى أن قال لهم ، سوف ترون أيها الأشقياء ما يكون عقابكم .

فأجابه الفلاح الذي رمى الأيل ليعاقبنا أسيادك بما يشاؤون ، وقبل ان تدنو خطوة فلا يكون نصيبك غير الموت.

وكان لدى الدليل سلاح ناري ولكنه خشي ان يطلقه فعاد إلى الشتائم وعادوا إلى ردها .

وعند ذلك وصلت مدموازيل أورور ورفاقها وقد اتقدت عيناها بنار الغضب وجعلت تضطرب اضطراب ذلك الأيل الجريح .

أما الفلاحون فإنهم حين رأوها قدمت يصحبها رفاقها النبلاء وعدد عظيم من الحاشية رعبوا وأركنوا إلى الفرار بحيث لم يبق منهم غير الفلاح الذي رمى الايل .

وكان شاباً يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وهو طويل القامة هزيل ولكن عينيه كانتا تتقدان ببارق الشهامة .

فرفعت مدموازيل أورور سوطها وقالت له : ويحك أيها التعس الشقي كيف جسرت على قتل الايل الذي أصطاده

فضم الفلاح يديه إلى صدره وقابل نظراتها النارية دون اكتراث وقال : اضربي إذ أردت فان الحق للقوة وانتم الأقوياء

الآن ولكننا سننال قريباً هذه القوة وهذا الحق .

فأنزلت الفتاة صوتها دون ان تضربه ، فقال لها أحـد الفرسان الذين يصحبونها :

— أتريدين أن أترجل عن جوادي وأؤدب هذا الوقح ؟

— كلا فإني أحب قبل ذلك أن أعرف السبب الذي دعاه إلى هذه الجرأة فأجابها :

— لم أكن أعرف أصحاب الكلاب التي كانت تطارده ولكني أسفت على هذا الزرع من دوس الأرجل فـإني أعيش منه مع أولادي .

فقال له دليل الصيد وقد تشجع لقدوم الجماعة : لقد كذبت أيها الشقي ، ثم هجم عليه يريد ضربه فأوقفته الفتاة وقالت للغلام :

— أتعلم من أنا ؟

— نعم أعلم إنك مدموازيل أورور دي مازير .

— ألديك شك بعد هذا العرفان أني قادرة على سجنك ؟

— إذا خطر لك هذا الخاطر فليس من يمنعك عن سجني وعملك هذا يزيد نقطه على كأس الشقاء التي أوشكت ان تطفح.

فغضبت الفتاة والتفتت إلى رفاقها فقالت : أسمعتم ما يقول هذا الفلاح الفيلسوف انه يجسر على المجادلة وإبداء الأفكار .

فقال أحد الفرسان : ألا ترين انه يستحق العذاب الأليم ؟

وقال آخر : إني يا سيدتي لو كنا في غير هذا الزمن لرجوتك

ان تصفحي عن هذا الرجل ولكننا أصبحنا في زمن تجاسر فيه الشعب على ان يرفع رأسه المنخفض ويرهبنا في كل حين ولذلك أرى انه يجب ان يؤدب هذا الغلام خير تأديب. يكون به عبرة لسواه من المتمردين .

فنظرت اليه الفتاة وقالت : أهو رأيك ؟

– نعم يا سيدى .

وعند ذلك التفت إلى دليل الصيد وقال له : جرد هذا الفلاح من ملابسه واجلده في البدء عشرين جلدة ثم أربطه بذيل فرسك واركض به إلى الدير وادفعه إلى السجان باتا .

أما الفلاح فانه لم يجد متسعاً من الوقت للدفاع أو للفرار أو التماس العفو لان السماء أرسلت اليه مدافعاً لم يكن يخطر له في بال .

وكان هذا المدافع لوسيان ابن عم أورور كان يناديه الاحدب « سيدى الكونت » فانه قبل ان يصل الدليل إلى ذلك الفلاح سار إلى وسط الحلقة وقال للدليل بلهجة السيادة : إنك أيها الرجل في خدمتي وقد وجبت عليك طاعتي فاحذر ان تمس هذا الرجل بسوء .

فصاحت الفتاة والفارسان صيحة دهش :

أما لوسيان فانه دنا من ابنة عمه دون ان يتدانى إلى الرجلين وقال : أسألك العفو يا ابنة عمي فقد دعتني ثلاثة أمور إلى فعل ما فعلت احدها ، انهم أمروا دليل الصيد

وهو في خدمتي ان يعمل عملا وحشياً لا يحتمل ارتكابه في هذا العصر الذي نحن فيه والثاني ان هذه الكلاب كلابي وبالتالي فإن الايل التي تطارده كلابي ملكي ، فإذا اهين أحد بسببه فأنا الذي اهان دون سواي .

فاتقدت عينا الفتاة ببارق الغضب ولكنهـــا ابتسمت ابتسامة المتهكم وقالت له : قد سمعت السببين يا ابن عمي العزيز فهل لك ان تقول الثالث ؟

فأجابها بملء السكينة : إني متى ذكرت السبب الثالث أصبحت من رأيي وهذا السبب هو ان الفلاح الذي تريدين عقابة إنما قتل الايل في حقله أي في بيته ومن يحق له ان يعارض رجلاً في منزله ؟

فقال هيكتور دي بولبو : وهو أحد الفارسين ، يظهر يا سيدتي الكونتس إنك لم تعرفي ابن عمك بعد .

– لقد عرفته الآن حق العرفان .

– انه فيلسوف من أصدقاء الشعب ومن خير تلامذة جان دارك وروسو وفولتير .

فالتفت لوسيان إلى هذا الرجل وقال له : إني لا أسمح ان أستاء من ممازحتك يا سيدي البارون لانك ضيفي وضيف امي ولكني أقول لك ان هذا الفلاح إذا كان قد أخطأ فإن معاقبته على اقتراح صديقنـــا الشفاليه تعد جريمة ، ومن منا يرضى لنفسه ان يكون من أهل الجرائم ؟

أما الفلاح فإنه حين تداخل لوسيان في أمره ذهبت جرأته وسالت الدموع من عينيه فنظر إلى لوسيان نظرة ملؤها الشكر والامتنان وقال له : أسألك المعذرة يا سيدي على اني لو علمت ان الصيد صيدك لما أقدمت على قتل الايل ولو أفسد كل زرعي .

فقال له لوسيان : لا بأس عليك فاذهب في شأنك وإذا أتلفت كلابي بعد الآن شيئاً من زرعك فاخبرني اعوض عليك ما أتلفته .

أما مدموازيل أورور فإنها التفتت إلى الفارسين بينما كان الفلاح يسير إلى منزله وقد اصفر وجهها من الغضب فقالت لهما : ألا تريان ان ابن عمي قد أهانكما إهانة عظيمة ؟.

فقال لها الشفاليه ببرود : إني أرى رأيك يا سيدتي وسأبرح قصره هذه الليلة .

وقال المسيو بولبو : وأنا أفعل فعلك .

فأجابها لوسيان : افعلا ما يحلو لكما ، ثم قال لدليل الصيد ، وأما انت فعد بالكلاب إلى القصر ، وعند ذلك حيى الجماعة وأطلق لجواده العنان .

فشيعته ابنة عمه بنظرات ساهية وقالت بلهجة شفت عن الكره والاحتقار ، من كان يظن بأنهم يعدونه زوجاً لي ، ولكن هذا لن يكون .

فقال لها الشفاليه : ولكن لوسيان لم يخطر له هذا الخاطر ،

ثم ابتسم ابتسام المتهكم وقال : ان قلبه لا يتسع لحبين .

فارتعشت أورور واصفر وجهها ولكن لم تجب .

أما الشفاليه فإنه همس في اذن رفيقه قائلاً ، ان لوسيان قد عاملنا معاملة الرفيع للوضيع ولكني أقسم اني سأنتقم منه شر انتقام .

وعند ذلك سار الفارسان والفتاة بطريق سولي .

٢

لوسيان

ولنعرف الآن قراء هذه الرواية بلوسيان وابنة عمه .

كان لوسيان يدعى الكونت دى ماربر ، وكانت ابنة عمه تدعى مدموازيل أورور وهي من اعرق الاسر الفرنسية حسباً ، وقد لقبت بكونتس في بافاريا مكافأة لها عن خدمات ابيها الجليلة للاسرة الملكية وبرحت المانيا مع ابيها منذ بضعة أعوام عائدة إلى فرنسا فأقامت فيها .

أما لوسيان فقد جاء مع أمه للإقامة في قصر دي بوربير وهو ذلك القصر الذي نشرنا خبر احتراقه في مقدمة هذه الرواية .

ويذكر القراء ان ذلك القصر قد التهمته النار بجملته منذ ستة أعوام وقيل يومئذ ان أصحابه الكونت دي مازير وامرأته قد التهمتهم النار فيما التهمت . وكان يحيط بهذا القصر

أراض شاسعة ولم يكن لصاحبه غير وارثين ، وهما لوسيان ابن أخيه ، وأخوه والد أورور ، فجاء لوسيان وامه وعاد والد أورور بابنته من المانيا ، فاقتسما الأرث ، فكان حظ لوسيان القصر وما يجاوره وحظ والد أورور الأراضي .

وكانوا كلهم غرباء عن هذه المقاطعة التي أقاموا فيها فإن الكونت الذي التهمته النار وخلف لأخيه وابن أخيه هذا الأرث كان قد اشترى تلك الأراضي قبل احتراق القصر بعام .

وكان إيراد هذا الارث الذي خلفه يبلغ نحو المليون ، غير ان الإشاعات تكاثرت بعد موته بالنار ، ان ثروتــه لم تكن قاصرة على الأراضي بل انه ترك مبلغاً طائلاً مؤلفاً من أوراق مالية وضعت في صندوق صغير ، فبحث الورثاء بحثاً مستفيضاً أثر هذه الاشاعة عن الصندوق دون ان يجدوه ، ثم تعاقبت الايام على هذه الإشاعة فمحتها من الاذهان .

أما الورثاء فقد كانوا يعيشون عيشة بذخ ورخاء ، ولا سيا مدموازيل أورور ، فقد كانت بارعة الجمال مولعة في الصيد وقد طالما تمنى الفتيان الأغنياء خطبتها غير انهم كانوا يشيعون ان ابن عمها لوسيان سيخطبها فيتراجع الخطاب آسفين .

على انه مع هذا النسب وهذا التقارب كان يوجد بين العائلتين شبه انفصال ، فإن لوسيان كان يزور عمه ، وأورور كانت تزور منزل ابن عمها خلافاً لوالدته ووالدها فانهما كانا لا يتزاوران على الاطلاق ، ويبالغ كل في اجتناب الآخر فإذا

التقيا صدفة حيا كل منهما الآخر ببرود كأنهما غريبان .

وما خلا ذلك فقد كانت العائلتان عائشتين بملء الرخاء والهناء فان لوسيان كان يدعو كثيراً من أصحابه إلى حفلات الصيد فكان كثير البشاشة مطلق الوجه تبدو آثار النعم بين عينيه .

وكان الفلاحون يحبونه بقدر ما كانوا يكرهون ابنة عمه فإنه كان كثير البشاشة وكانت هي كثيرة التيه والخيلاء .

غير انه حدث له انقلاب فجائي منذ بضعة أشهر فامحت آثار تلك البشاشة وتمكنت منه السوداء وذهبت رغبته بالصيد فكان يظهر بمظاهر الفتور مع ابنة عمه بعد ان كان لا يطيب له العيش إلا بقربها .

أما أورور فكانت كثيرة الإعجاب بنفسها شديدة التيه بجمالها فكانت تعلل إنقلاب ابن عمها من الطيش إلى الرزانة ، ومن الزهد الى السوداء لانه قد بلغ مبلغ الرجال وأثر حبها على قلبه هذا التأثير فتاه في مهامة التفكير .

وكانت تعبث به منذ الحداثة وقد تعودت السيادة عليه ورضيت ان تكون امرأة له منذ أراد ذووهما هذا الزواج ، ولكنها لم تكن تحترمه بل تعده ضعيفاً بسيطاً وتمني نفسها باستعباده بعد القران .

اما وقد بسطنا اخلاقها واعتمادها على نفسها وتعودها السلطة على ابن عمها فلا بد ان يدرك القارىء عجبها حين

لقيت من ابن عمها ذلك الجفاء وتلك المقاومة في حادثة الصيد فانها كانت تحسبه عبداً لها وقد رأت فجأة ان هذا العبد قد تمرد وخلع عن عاتقه نير العبودية فغضبت غضباً شديداً خلافاً لرفيقيها الفارسين فانهما تلقياً هذه الحادثة بملء الارتياح .

وكان أذكى الفارسين ميشيل دي فالون فلما أطلقت أورور العنان لجوادها تبعها الفارسان فلم يستطيعا إدراكها فالتفت الشفاليه إلى رفيقه وقال له : أرى أيها الصديق ان مدموازيل أورور لا بد لها ان تقف وان من الحذق ان لا يحذو جوادنا حذو جوادها في الركض فقد أعياهما التعب .

– لقد أصبت فان جوادي يكاد يسقط صريعاً .

– إذن لنغتنم فرصة اختلائنا فنسير الهوينا ونتحدث .

– بماذا تريد ان نتحدث وأية فرصة نغتنم ؟

– نتكلم بجلاء أيها الصديق .

– هذا جل ما أبتغيه .

– إنك تعشق الكونتس ؟

– بل اني مفتون بها .

– وأنا كذلك ايها الصديق فان غرامي بها لا يقل عن غرامك .

فنظر البارون الى الشفاليه نظرة منكرة ، غير ان الشفاليه لم يعبأ به وقال له أرجو ان لا تدفعك الغيرة إلى الحقد علي فان اتفاقنا ميسور إذا أردت .

– اصغ الي فانه لو خطر لنا منذ ساعة ان نبسط حبنا للكونتس لما كان حظنا غير الجفاء والاعتراض .

– أتظن ذلك ؟

– بل اؤكده ..

– والآن ؟

– أصغ الي كل الاصغاء فاني وإياك فقيران بالقياس الى الكونتس ولو جمعت ثروتي لما بلغت ربع ثروتها .

– لا أنكر ما تقول ولكن ماذا تريد بهذا القول ؟

– أريد ، اننا نستطيع التفريق بين لوسيان وابنة عمه الى الأبد ونغتنم فرصة هذا التفريق .

– ان هذا قد يكون ، ولكن الكونتس لا يمكن ان تكون زوجة الاثنين .

– هو ذاك فاني توقعت ما تقول ، ولكن لنتفق على إلقاء النفرة بين الخطيبين .

– وبعد ذلك .

– وبعد ذلك يعمل كل لنفسه .

– لقد أصبت ولكن ..

– ولكن ماذا ؟

– كيف نستطيع الوصول الى هذه الغايه ..

– ان لوسيان يعشق . انه يعشق ابنة عمه .

– كلا ..

فاضطرب البارون فوق جواده وقال :
— من يعشق ، إذاً كان لا يعشق ابنة عمه .
— ألم تذهب مرة الى نواحي الدير .
— بل ذهبت ألف مرة .
— إذن ، لقد عرفت داغوبير .
— دون شك فاني أشتري من دكانه نعال جيادي .
— ألم يتفق انك رأيت مرة في دكانه فتاة جميلة يقولون انها قريبة داغوبير ؟
— نعم وهي بارعة الجمال .
— اذن فاعلم ان لوسيان مفتون بها .
فضحك البارون وقال : ألعلك تمزح ايها الصديق ؟
— كلا بل أقول الحق .
— وهل تجهل ابنة عمه هذا الغرام ؟
— كل الجهل فاذا شئت أخبرناها بأمره منذ الليلة فاني أعرف أخلاق الكونتس فهي شديدة الكبرياء ، فاذا علمت ان ابن عمها يهوى فتاة قروية ويؤثرها عليها نفرت منه كل النفور وكان بينهما فراق إلى الأبد .
— ولكن مهما بلغت النفرة بينهما فان اهلهما يوفقون بينهما لانهم راغبون بهذا الزواج .
— انك مخطىء في هذا الظن لانك لا تعلم من أخلاق الكونتس ما أعلم فانها إذا أرادت أمراً لا يثنيها عنه شيء .

فتنهد البارون وقال : حقق الله هذا الرجاء .

وعند بلوغهما من الحديث الى هذا الحد وصلا بجواديهما الى مكان كثير الأدغال فرأيا الكونتس واقفة في انتظارهما .

فلما رأتهما ابتسمت وقالت لهما بلهجة المتهكم : لا بد لكما ان تحكما بأن جوادى اسرع من جواديكما .

فقال لها الشفاليه : نسألك العفو ايتها الكونتس فقد بذلنا جهد الطاقة لادراكك فلم نستطع .

قالت : وانا قد انتظرتكما ، ولكن اتعلمـــان في أى طريق ذهبت الكلاب .

قالا : انها سارت في أقرب طريق يؤدى الى بوربير كما أمر صاحبها .

وقالت : ولوسيان .

فابتسم الشفاليه ابتسامة دلت على ما فطر عليه من المكر وقال : ان لوسيان يسير في غير هذا الطريق .

— ماذا تعني بذلك يا شفاليه ؟

فابتسم البارون وقال : ان صديقي الشفاليـــه يحب النميمة يا سيدتي الكونتس فلا تصدقيه .

فقطبت حاجبيها وقالت :

— اني لا أفهم الالغاز فأرجوك يا شفاليه ان تخبرني بجلاء عن الطريق التي سار فيها لوسيان ؟

— انه سار يا سيدتي في طريق القصر .

فابتسمت الفتاة ابتسامة الاحتقار وقالت له : انه ليس فيلسوفاً فقط بل انه من اهل التزهد والعبادة .

– انه لم يذهب بطريق الدير من أجل هذا .

– اذن ما غايته ؟

– انه يوجد عند باب الدير دكان حداد بيطري .

– العل نعل فرسه سقط ؟

– انه يسقط دائماً قرب دكان هذا البيطري .

– اني لا أفهم ما تقول يا حضرة الشفاليه .

– اذن فاعلمى يا سيدتي ان لهذا البيطري قريبة بارعة في الجمال .

فاصفر وجه الكونتس عند ذلك كأنما عقرب الغيرة قد لسعها ، ونظرت الى الشفاليه بعينين تتقدان من الغضب وقالت : ألعلك تمزح يا سيدى ؟

– معاذ الله يا سيدتي ان أجسر على ممازحتك في هذه الشؤون ولكني أقول لك الحقيقة وهي ان لوسيان ابن عمك وخطيبك قد فتن بفتاة قروية يلقبونها بربيبة الدير .

فهاجت عوامل الكبرياء في صدر الفتاة وتبدل اصفرار وجهها بالاحمرار فنظرت الى الفارسين نظرة شفت عن العظمة وقالت ، أقسم لك يا سيدى انه اذا كان ما يقوله الشفاليه أكيداً فاني لن أكون ابداً دى مازير .

فقال الشفاليه : اني لا أكذب يا سيدتي واذا شئت برهنت لك عن صدق .

— متى ؟ — متى أردت .

— اذن هات برهانك اذا كنت من الصادقين ، وقد ظهرت على وجهها علائم الاحتقار لابن عمها والنفرة منه حتى ان الفارسين وثقا من نجاحهما فيما يبغيان وفرحا فرحا لا يوصف .

٣
بنوات

كان الكونت لوسيان في خلال ذلك سائرا في طريق الدير وقد اتخذ اقرب الطرق المؤدية اليه .

ولكنه لم يبعد نحو مائة خطوة حتى سمع وقع ركض من ورائه بين الادغال فالتفت فرأى ان الذي يركض في اثره كان بنوات الاحدب .

فوقف لوسيان حتى وصل اليه فقال له : من اين انت قادم ؟

قال : من اقفر الطرق فاني خشيت ان اكون عرضة لانتقام اهل سولي .

— لماذا ينتقمون منك ؟

— لانهم يكرهون مدموازيل اورور . فاذا عرفوا اني

كنت معكم ، بعد تلك الحادثة لاسلم من انتقامهم •

ــ ولماذا يكرهون ابنة عمي ؟

ــ لانها شديدة على الفقراء فهم يكرهونها بقدر ما يحبونك ولذلك اريد ان اكون في خدمتك حين تريد الصيد وحدك واما اذا كنت مع ابنة عمك ، فان في خدمتك كل الخطر •

ــ اذن لقد احسنت بانتصاري لهذا الفلاح •

ــ لقد احسنت كل الاحسان يا سيدي بل ربما تكون قد اجتنبت مصابا شديدا •

ــ كيف ذلك ؟

ــ ان هذا الرجل الذي ارادت ابنة عمك معاقبته يحبه قومه ويخضعون له كل الخضوع وهو في كل يوم احد يخطب بهم في الخمارة ويحمل على النبلاء والكهنة والرهبان حملات منكرة فيصغون اليه اصغاء تاما حتى انهم باتوا يعتقدون اعتقاده بالنبلاء وهو انهم بلية الفقراء •

فاطرق لوسيان مفكرا وقال : اهو قال هذا القول •

قال : نعم يا سيدي وقد انضم الجميع الى لوائه فلو جلدته ابنة عمك بسياطها لكان انتقام الفلاحين شديدا •

قال : كيف يكون انتقامهم •

فارتعش الاحدب كأنه خشي الزيادة في التصريح وقال : غير اني لا اعلم اذا كانوا يقولون هذه الاقوال وهم يستطيعون تأييدها بالافعال، والذي اراه انهم لا يجسرون•

فعلم لوسيان انه لا يريد ان يجاهد بكـل ما يعلمه فقال له : انك تعلم يا بنوات اني احبك وانك تستطيع ان تقول لي كل شيء دون ان تصاب بمكروه •

ـ هذا لا ريب فيه عندي يا سيدي •

ـ قل اذن كيف يكون انتقامهم •

ـ سأخبرك يا سيدي ، ثم وضع يده دون كلفة على جواد لوسيان وقال له : لقد بات النبلاء في عيون الفلاحين فريقين فريق يحبونه ويخدمونه وفريق يكرهونه ويضمرون له الحقد فانني اعرف كثيرين يشنون عليك في كـل مجلس ولكني اعرف كثيرين ايضا لو دعوهم الى احراق قصر ابنة عمك لاجابوا الدعوة راضين •

قال : لماذا ؟

ـ لأن ابنة عمك واباها يكرهـان الشعب والشعب يكرههما اشد الكره فان الفلاح في حقلـه اذا رأى طائرا يسبح في الفضاء ما شاء وايلا يجتاز عشر مراحل ثم يأوي الى زرعه انه لا يخطر له في بال ان هذا الطائر وهذا الايل ملك النبلاء والرهبان ، فاذا قال النبيل ان هذا الطائر لي ولا يحق لاحد صيده فاننا نخضع لقوله مكرهين ولكننا لا نفهم ما يقول • وانه يوجد بيننا من النبلاء مـن قدم عهد التصاقهم بنا الى مائة عام ومائتين فهؤلاء النبلاء لا نكرههم بل نكون لهم عونا حين الاقتضاء ولكننا نكره اولئك النبلاء الذين قدموا حديثا الينا •

قال : من كان منهم مثلي ؟

ــ كلا فانهم يحبونك لانك لين العريكة كثير البشاشة ولكنهم يكرهون اولئك الذين يحملهم الصلف على استعبادهم كابنة عمك مثلا فانهم لا يحبونهم •

قال : وعمي ؟

ــ وعمك كذلك فانه سجن منذ عام ستة من الفلاحين بدون سبب حتى ان زعيمهم قال منذ عهد قريب لقد آن اوان الانتقام من هذا البيت •

ــ ولكن كيف ينتقمون ؟

ــ بالنار فانهم يعتقدون انها عقاب الآخرة اي عقاب الله •

فاطرق لوسيان مفكرا وفرغ الاحدب من حديثه ــ وسار الاثنان حتى كادا يدنوان من الغابة فهم بنوات بالإنصراف وقال له : استودعك الله يا سيدي •

ــ كيف ذلك اتتركني ؟

ــ اني راجع الى الغابة •

ــ الا تصحبني الى الدير ؟

ــ لا شأن لي يا سيدي في الدير ، وفرك اذنه دون ان يتم كلامه •

فقال له : ثم ماذا ؟

ــ اني اصطدت بضعة طيور خبأتها في جيوبي واخاف ان يراها الرهبان معي فانهم لا يؤذنون لنا بالصيد

في الغابة •

فاخذ لوسيان ريالا من جيبه ودفعه اليه فرده الاحدب وقال له اني حين ارافقك في الصيد واقود كلابك فانما افعل ذلك لما اجده من السرور في خدمتك واللذة في الصيد فما انت مدين لي بشيء •

فرد لوسيان الريال الى جيبه وقال :

ــ ماذا تصنع بهذه الطيور التي اصطدتها ؟

ــ ابيعها •

ــ اذن اذهب بها في هذا المساء الى منزلي وانا اشتريها منك •

ــ حبا وكرامة يا سيدي •

ــ والآن اترافقني الى قرب باب الدير ام لا تزال خائفا من الرهبان ؟

ــ اصحبك الى حيث شئت ورجائي ان لا تنسى ما نصحتك به بشأن داغوبير •

فحاول لوسيان ان يبتسم فلم يستطع لاضطرابه وقال له : اني لا اريد لاحد شرا ولكن نعل فرسي قد سقط ولا بد لي من الذهاب اليه اذ لا يوجد بيطري سواه •

وسار الاثنان حتى اقتربا من دكان داغوبير فرأى الاحدب عن بعد ان النار خامدةفيها فابتسم وقال للكونت يظهر ان داغوبير غير مقيم في دكانه او انه يشتغل في الدير فاني لا ارى ناره ولا اسمع صوت مطرقته •

ثم وصلا الى بـــاب الدكان فجعل الاحدب ينـــادي داغوبير وهو لايجيب •

وبعد هنيهة شعر لوسيان باضطراب شديد ذلك ان نافذة الغرفة التي هي فوق الدكان فتحت وبرز منهـــا وجه فتاة تفتن الجماد بجمالها فقالت : ان داغوبير ليس هنا •

اما هذه الفتاة فكانت حنة التي يلقبها اهل تلكالناحية بربيبة الدير •

فلما رآها لوسيان رفع قبعته احتراما وقد عبق وجهه احمرارا فقال لها : اين هو داغوبير يا سيدتي ؟

قالت : ألعلك محتاج اليــــه ؟

ـ نعم فان نعل فرسي قد سقط •

فابتسمت الفتاة وقالت : انه يسقط كثيرا يا سيدي •

فاضطرب لوسيان وقال لها الاحدب : اين هو داغوبير يا سيدتي ؟

قالت انه في الدير فان الاب جيروم قد دعاه اليه •

فقال لها لوسيان : اذن سأتنظره الى ان يعود •

فاقفلت الفتاة النافذة ونزلت الى الدكان فقالت له :

ـ تفضل يا سيدي بالدخول فان البرد يؤذيك •

ثم اخذت بيدها البيضاء حبل منفخ الحداد وجعلت تجره بغية ايقاد النار لتدفئته •

اما بنوات فانه ذهب الى باب الدير فقرعه ففتح له احد الرهبان وقال له ماذا تريد ؟

ــ اريد ان ارى داغوبير •

ــ ذلك محــال الآن فانه يتداول مــع الاب جيروم فما تريد منه ؟

ــ نعل فرس •

ــ اذا كنت تريده من اجل هذا يا بني فلا فائدة مــن اخباره لان الرئيس مريض وقد دعاه اليه لمداولته في امور خطيرة •

فعاد الاحدب الــى الدكان وكان لوسيان قد ربط جواده عند بابه وجلس قرب النار يتحدث مع ربيبة الديــر الحسناء اما الاحدب فكــان ينظر اليهما نظرة المعجب بهما ويقول في نفسه ما اخلق هذين الملاكين بالاتحاد فقد خلق كل منهما للآخر •

٤

مدموازيل حنة

ولندخل الآن بالقارىء الى داخل هذا الدير ونبسط السبب الذي دعا الرئيس من اجله داغوبير •

ان الاب جيروم كان قوي البنية متين الاعضاء لا يزال في دور الكهولة غير انــه اصيب فجأة بمرض خفي علــى

الاطباء فكانت قواه تنحط تدريجيا في كل يوم •

وكان هذا حاله منذ شهر حتى بات لهزاله كالخيال فكان يقضي جميع مهامه الرئيسية علـى استفحال مرضه ولكنه لا يفرغ من قضاء هذه المهام حتى يشعر ان التعب قد انهكه وانهك قواه •

وكان في خلال مرضه اذا اعتدلت الحرارة خرج من الدير متنزها الى دكان داغوبير فيجلس عنـده وهو يتأمل محاسن تلك الفتاة فيعود الـى تذكار الماضي وتتقد عيناه ببارق الشباب ثم يطرق برأسهويبتسم ابتسام السويداء •

وفي ذلك اليوم كـان الطقس معتدلا فكان داغوبير يرجو ان يزوره الرئيس ولكنه انتظر عبثـا الـى ان حانت الساعة الرابعة فجاءه احد الرهبان وقال له :

ــ ان المرض قد اشتد بالرئيس وهو يدعوك اليـه لشأن خطير •

فامتثل داغوبير وذهب مع الراهب الى غرفة الرئيس فاشار الرئيس الى الراهب بالانصراف وبقي وحـده مـع داغوبير فبـدأ الاب جيروم الحديث وقال لـه اني اشعر بضعف شديد ولكني اعرف اعراض هذا الداء وما انا في خطر منه غير اني دعوتك الي يا بني لاحدثك بشأن خطير فاجلس بجانبي •

فجلس داغوبير وقال له مر يا سيدي بما تشاء •

فقال له الرئيس : لا بد ان تكون علمت باني اريـد

محادثتك بشأن حنة .

فاطرق داغوبير برأسه وقال : نعم .

ـ ان هذا الداء الذي الم بي حمى بطيئة سرت الي عدواها في زمان الشباب من بلاد بعيدة حين كنت جنديا ثم عاودتني الان بعد اعوام كثيرة . وقد عاودتني مرة منذ خمسة عشر عاما وكنت راهبا في هذا الدير فلزمت الفراش ستة اشهر ولكني كنت راهبا بسيطا في ذلك العهد فلم ينتبه لامري احد . اما الان فان جميع الانظار متجهة الي واري كثيرين من الطامعين في منصبي ينتظرون موتي بفارغ الصبر فان الطمع يدخل في نفوس رجال الدين كما يعلق بسواهم من الناس فان الانسان انسان كيفما كان . على انه اذا قدر لي الموت يا بني فلا اموت بهذا الداء الذي اشكو منه الان ورجائي ان اعيش كثيرا لخدمة الله ونجاح هذ الدير وسعادة تلك الفتاة التي اؤتمنت عليها ومن اجل هذا دعوتك الي فقل الان كم تبلغ الفتاة من العمر ؟

ـ انها بلغت السابعة عشرة .

ـ بقي لدينا ثلاثة اعوام للقيام بما انتدبنا اليه صديقي ولكن الثلاثة اعوام تعادل في بعض الاحوال ثلاثة قرون ومن يعلم ما يحدث في خلال هذه السنين الثلاث ؟ ان هذا الصديق سافر منذ بضعة اعوام ولكنه لم يعد فلا بد ان يكون قد مات وفي كل حال فاية فائدة من الانتظار اذن يجب ان تتأهب للسفر .

فقال له داغوبير : اني مستعد للسفر الى اقصى حدود الارض •

قال : كلا بل الى باريس وانت تعلم يا بني ان رؤساء الاديرة لا يستطيعون مبارحة اديرتهم الا بعــد استئذان الرئيس الاعظم وقــد ارسلت التماسي وسيجيبني الرئيس اليه فيما اظن فاذا كنت غير مخطيء في تشخيص علتي فان قواي تعود الي بعد شهر فاسافر واياك •

قال : اتسافر معنا حنة ؟

ـ دون شك فاننا نبحث عن ثروتها ثم ••

وهنا توقف الاب جيروم فاضطرب داغوبير وقال : ثم ماذا ؟

قال : ان حنة من بيت نبيل وهي وافرة الثروة فلا بد ان يتزاحم عليها الخطاب فلا نعدم بينهم رجلا سليم القلب يخطبها اذ لا بد من تزويجها •

فأجابه داغوبير بصوت مختنق : هذا لا ريب فيه •

قال : والآن قل لي ، اما كنت ترى احدا من الشباب النبلاء يدور حول الدير وحول دكانــك بحجة الصيد او شراء نعل لفرسه •

قال : لقد اصبت فقد رأيت كثيرين منهــم يتذرعون بمثل هذه الحجج للنظر الى الصبية لا سيما واحدا منهم •

قال : اهو شاب ؟

ـ نعم يبلغ العشرين •

ـ اهو جميل ؟
ـ نعم •
ـ انه غني دون شك ونبيل •
ـ انهم يدعونه الكونت دي مازير •

فوقف الاب جيروم منذعرا حين سمع هـذا الاسم وبدت عليه علائم الاحتقار فقال : اي اسم ذكرت لي ؟

فبهت داغوبير وقال : الكونت دي مازير يا سيدي وهو فتى حسن السمعة لا يذكره احد الا بالخير •

قال : ويح لهذا الشقي •

ـ اني اعجب يا سيدي من احتقارك لهذا الفتى بعد اجماع قومنا على حبه واحترامه ولو علمت قبل اليوم ان الفتاة غنية وانه يجب تزويجها من نبيل غني مثلها لما اخترت لها غيره زوجا •

قال : العله يحبها ؟

ـ اظن •

فزاد ظواهر احتقار الرئيس وقال : كيف عرفت ذلك، العله اجتمع بهـا ؟

قال : اني حين اشتغل في دكاني يا سيدي ولا يكون لديها ما تعمله في المنزل تأتي الي فرارا من الوحدة فتحادثني وهي تشتغل بابرتها واحادثها وانا اشتغل بالمطرقة وذلـك منذ سبعة اعوام الى اليوم • وقد اتفق يوما منذ ستة اشهر ان جاءني فتى لاصلاح نعـل جواده وهو لوسيان فرآها

عندي وحادثها وبعد اسبوعين عاد الي ثم جعل يجيئني كل اسبوع بنفس الحجة ، وماذا تريد ان اصنع به يا سيدي ؟ واي لوم علي •

ـ لا لوم عليك ولا تثريب •

ثم ساد السكوت هنيهة بينهما وعاد الرئيس الى الحديث فقال :

اصغ الي الآن يا بني فانك على كونك فلاحا وحدادا فان بين جنبيك قلبا يتسع للنبل اكثر من اتساع قلوب اولئك النبلاء ، ولكن حائلا عظيما يعترض بينك وبين حنة•

فأطرق داغوبير دون ان يجيب •

قال : ولقد كنت أؤثر الف مرة ان اراها امرأتك على ان تكون امرأة الكونت لوسيان فان هذا البيت قد تلطخ بالدماء واعلم يا داغوبير اني اعتزلت العالم واصبحت من رجال الله ومن كان راهبا مثلي فقد وجبت عليه الرأفة والمساهلة والاغضاء غير اني ما سمعتك تذكر هذا الاسم حتى نسيت موقفي وثارت في تلك العواصف القديمة فهاجت من نفسي المكامن •• داغوبير ان هذه الفتاة لا امان لها في منزلك مازال هذا الكونت يجيء اليك فاذا اضطررت في سبيل طرده الى سحق رأسه فافعل ولا حرج عليك •

قال له داغوبير : كفى يا سيدي فقد كفاني ما سمعت وثق ان لا خوف على الصبية •

فرفع الاب جيروم يديه الى السماء وقال : رباه هبني

من لدنك قوة استطيع بها الذهاب الى باريس لانقاذ هذه الفتاة من مخالب الاثمة ولا اسألك بعد هذا غير الموت .

ثم نظر الى داغوبير وقال له : ماذا فعلت بالخاتم ؟

قال انه في اصبعي .

فنظر الرئيس الى الخاتم منذهلا فان هذا الخاتم الذهبي قد اسود واستحال لونه الى لون الحديد .

فقال له داغوبير : لا تعجب يا سيدي فان الخاتم هو نفسه وانا سودت لونه بالدخان كي لا استلفت اليه انظار اهل الفضول فان من كان فقيرا مثلي لا يلبس عادة مثل هذه الخواتم ذوات الشعار .

قال لقد اصبت يا بني والآن قد فهمت قصدي .

ــ نعم .

ــ اذن احرص كل الحرص على حنة الى ان اتمكن من السفر .

ــ اعتمد علي يا سيدي .

وهنا اطلق الرئيس سراحه فانصرف داغوبير حتى اذا وصل الى باب الدير قال له الحاجب انهم محتاجون اليك .

ــ اين ؟

ــ في الدكان .

فخفق قلب داغوبير وخرج من الدير فرأى عند باب دكانه جوادا ورأى رجلا واقفا قربه فعرف ان الرجل كان بنوات الاحدب وان الجواد جواد الكونت لوسيان فهاج

غضبه ودخل فجأة الى الدكان فرأى الكونت لوسيان جالسا قرب حنة وهي محمرة الوجه •

٥
الواشي

ولنعد الآن الى مدموازيل اورور فقد تركناها مصفرة الوجه من الغضب وهي تسال الشفاليه برهانا عما قاله لها من حب لوسيان لحنة فقال لها الشفاليه : اني مستعد لابداء البرهان يا سيدتي الكونتس عندما تريدين •

قالت : اني اريده الآن فقل لي اني مصغية اليك •

ــ ان برهاني يا سيدتي لا يقال بل ينظر •

ــ كيف ذلك ؟

ــ اتقنعين اذا رأيت لوسيان في دكان الحداد ؟

ــ كلا فانه قد يكون دخل اليها لاصلاح نعل فرسه•

ــ واذا رأيته جالسا بجانب الفتاة يحادثها وينظر اليها نظرات غرام ؟

فاتقدت عيناها وقالت : يكفي به برهانا •

قال : هذا الذي اردت ان اظهره لك يا سيدتي •

ــ كيف ؟

ـ ان لوسيان قد ذهب الآن دون شك الى البيطري فاني رأيت جواده يعرج ولا شك ان الفتاة ستكون في الدكان فانها تقيم فيها بعد الظهر فاذا شئت يا سيدتي ذهبنا الى مستنقعات الدير على الجياد فنغادر جيادنا فيها ثم نذهب على الاقدام فنختبىء بين اشجار الغابة المقابلة لدكان داغوبير وهناك ترين ما اخبرتك به فيحقق الخبر •

فثارت العواصف في قلب ورور وقالت لقد رضيت هلموا بنا •

فنظر الشفاليه الى البارون نظرة انتصار وتقدمت الفتاة الفارسين الى المستنقعات فتبعها الفارسان يسيران فوق جواديهما جنبا الى جنب فقال البارون للشفاليه : اواثق انت مما تقول ؟

فقال له الشفاليه اني واثق كل الثقة •

ـ ارأيت حقيقة ان جواده كان يعرج ؟

ـ نعم وسوف ترى حقيقة انه قرب الفتاة •

وبعد عشر دقائق وصلوا الى المستنقعات فربطوا جيادهم فيها وساروا في الغابة حتى وصلوا الى شجرة باسقة كثيرة الفروع محاذية للدكان فاختبأوا وراءها وقال الشفاليه : انظري يا سيدتي الا ترين جواد لوسيان عند باب الدكان ؟

قالت : نعم •

ـ تعالي الى الجهة اليمنى تري داخل هذا الدكان •

وكان داغوبير في ذلك الحين لايزال في الدير فذهبت الكونتس الى الجهة اليمنى فرأت رجلا وامرأة جالسين •

اما الشفاليه فانه قال ان الوقت لا يزال فسيحا لدينا فلنصبر لا سيما وانه غير عازم على الرحيل كما يظهر •

وكانت الشمس قد توارت في حجابها واوقدت حنة مصباحا في الدكان فكانت اورور ترى كل شيء في داخلها، فلما رأت لوسيان جالسا بجانب حنة ينادمها عضت الغيرة قلبها وشدت على قبضة السوط الذي بيدها حتى كادت تسحقها •

ورأى الشفاليه ما ظهر من غيرتها فقال لها ، كيف رأيت يا سيدتي اوثقت الآن مما قلته لك ؟

فاجابته بلهجة القنوط ، نعم لقد برح الخفاء ولكن اطمئن فسوف انتقم افظع انتقام من هذا الخائن الاثيم •

فقال لها البارون ، وقد وثقت يا سيدتي من خيانته فلنعد الى جيادنا فلا فائدة من البقاء هنا •

قالت كلا اني احب ان ارى كل شيء ••• واريد ان اصبر الى النهاية •

وفي ذلك الحين كان داغوبير قد خرج من الدير ورأى جواد لوسيان مربوطا الى باب دكانه فثار ثائره وانقض على الدكان انقضاض الصاعقة •

فلما رأته حنة زاد احمرار وجهها اما لوسيان فانه اصفر ووقف وقال : اني انتظرك منذ ساعة •

فاجابه داغوبير ليس لدي الآن نعـال حاضرة وقـد انقضى النهار فلا وقت لصنع نعل جديدة •

قال : ولكن جوادي يعرج •

ــ يوجد في سولي بيطري فاذهب اليه ثم ارجوك يا سيدي الكونت ان تأذن لي بان اعهد اليك بمهمة خاصة•

قال : لي انا ؟

قال : نعم ثم مشى الى الباب فعلمت حنة انه لا يريد ان يكلمه امامها فصعدت الى المنزل وهي تضطرب •

اما داغوبير فانه لما رآها صعدت عاد الى الدكان فنظر الى الكونت وقال له اني اعهد اليك بمهمة كما قلت لـك ولكني احب ان اسديك نصيحة •

فهاجت عوامل الكبرياء في نفس الكونت وقال له ، انت تسديني نصيحة •

ــ نعم يا سيدي ويجب ان تسمعها ونصيحتي هي ان جوادك غير صالح ويجب استبداله •

ــ لماذا ؟

ــ لانه كثير الحاجة الى النعال •

ــ العلك تريد اني اتردد كثيرا على دكانك ؟•

ــ اني لا اريد ان اوضح كلامي فافهمه كما تريد •

وقد قال داغوبير هذا القول واطرق بعينيه ، فادرك لوسيان قصده وقال له : اصغ الي يا داغوبير فانـي شاب نبيل غني •

ـ اعرف ما تقوله يا حضرة الكونت •

ـ واني احب قريبتك •

ـ واعرف هذا ايضا •

ـ وليس في طباعي شيء من طباع امثالي النبلاء بل اني احتقر صلفهم وكبراءهم ولا اتزوج الا المرأة التي احبها•

فلم يجبه داغوبير بشيء •

وقد قلت لك اني احب قريبتك فهل تريد ان اجعلها الكونتس دي مازير ؟•

وكان الكونت يتوقع ان يستقبل داغوبير هذه المنة بملءالسرور غير انهلم يبد عليهشيء منظواهرالفرحبلقامالى مطرقته الضخمة فتسلح بها وقال له : اصغ الي يا سيدي الكونت ، ان قريبتي لم تخلق لك واعلم اني حداد فقير وانك سيد عظيم ولكني غير خاضع لك ولا سلطان لك علي ولذلك امنعك عن الدخول الى دكاني •

ـ ماذا تقول ؟ انك مخطيء يا داغوبير •

هذه آخر كلمة اقولها فاعلم الآن انه مهما بلغ ارتفاعك وضعتي وغناك وفقري فاني اقتلك اذا عدت الى هذا البيت•

وقد قال هذا القول بصوت منخفض لم تسمعه حنة ثم قال له اخرج من هنا •

فاصفر وجه لوسيان من الغضب والخجل ولم يجب •

فرفع داغوبير المطرقة فوق رأسه وقال له قلت لك اخرج •

وكان لوسيان من رجال الشهامة والنبل فوقع هذا الكلام عليه وقوع الصواعق ووضع يده على قبضة خنجره اذ لم يكن لديه سيفه في تلك الساعة وهم ان يجرده ويطعن به داغوبير •

غير ان داغوبير كان اسرع منه فانه انقض عليه وقد ادرك قصده فحمله بين يديه كما يحمل المطرقة وخرج بـه من الدكان دون ان يفوه بكلمة فوضعه فوق سرج جواده وقال له :

ــ امض في شأنك واحذر ان تعود •

وكان داغوبير مشهورا بين قومه بالقوة حتى كانـوا يضربون به المثل فيقولون فلان قوي كداغوبير فلما وجد الكونت نفسه فوق جواده جمد الدم في عروقه وكبر عليه الامر فلم يثب من ذهوله حتى حاول الرجوع الى الدكان وهو يزبد من الغيظ بالرغم عن نصح الاحدب له بالعودة والاكتفاء بما حدث ولكن داغوبير كان قد اسرع الى الدكان فاقفل بابها وصعد الى المنزل غير مكترث لوعيد الكونت •

اما لوسيان فانه جعل يضرب بـاب الدكان بقبضـة خنجره ويقول افتح ايها الشقي فلا بد لي من قتلك ولو صعدت الى الغمام •

فلم يفتح الباب كما كان يتوقع بـل فتحت النافـذة واطلت منها حنة فقالت له بلهجة دلت على يأسها :

ــ اسألك بالله يا سيدي الكونت ان لا تهيج غضب

قريبي ٠

فقال لها الكونت : ان قريبك قـد اهانني اهانة لا تغتفر جزاء لقولي باني احبك واني اريد ان اجعلك ٠٠

اما حنة فانها اقفلت النافذة قبل ان يتم جملته وفي الوقت نفسه فتحت نافذة اخرى وهي نافذة داغوبير واطل منها الحداد فقال له : يظهر يا سيدي الكونت انك فقدت رشدك واني انصحك بالانصراف ٠

ــ بل اني سأقتلك شر قتل ايها الشقي فقد جسرت على ما لم يجسر عليه احد مـن قبلك وسأحرقك واحرق منزلك بالنار ٠

ــ اما انا فسأخمد تلك النار المتصاعدة الى رأسك ٠

ثم احتجب داغوبير هنيهة وصاح الاحدب بالكونت يقول له احذر! غير ان لوسيان لم يجد سبيلا للحذر فان داغوبير عاد مسرعا الى النافذة يحمل كوز ماء كبير سكب جميع ما فيه من الماء البارد فوق رأس الكونت ٠

فانتفض لوسيان انتفاض العصفور بلله القطر وقـد سكن تأثره لانشغاله بتأثير تلك المياه ثم عاوده الهياج وهم ان يعود الى الباب ويحاول كسره ولكنه تراجع مذعورا اذ سمع صوت ضحك يشبه ضحك الساخر ٠

فغلى الدم في عروقه من الغضب والتفت الى مصدر الصوت وكان من الغابة فرأى فيها اشباحا وسمع ايضاصوت ضحك سخري ، فلكز بطن جواده ودفعه الى تلك الاشباح

وعند ذلك رأى نور مشعل قد بزغ فجأة وهو مـــن تلك المشاعل الخاصة بأهل الصيد فوقف خجلا مبهوتا اذ رأى على نور ذلك المشعل البارون والشفاليه وبينهما ابنة عمه الكونتس وهي لا تزال تضحك ضحك الساخر وبين عينيها علائم الاحتقار والغضب •

اما الكونتس فانها نظرت اليه وقالت له بلهجة المتهكم المنتقم : ــ اراك يا ابن عمي قد احييت العصور السالفة فانك وحدك تحاصر حصنا حصينا لاختطاف فتاة •

ثم ضحكت ضحكا شديدا وقالت : نعم ان الحصن لم يكن الا دكان حداد وان الفتاة لم تكن الا قروية من رعاة الخرفان ولكن ذلك كان سائغا في العصور الوسطى فاهنئك ببسالتك •

وعند ذلك ذهبت مع رفيقيها الى حيث ربطوا الجياد فوقف لوسيان لا يعي ولا يدري ما يصنع لفرط اضطرابه ولبث واقفا وهم يتوغلون في الغابة حتى تواروا عن الانظار •

فثاب من دهشته وتمثل له ضحك الكونتس ونظرات الفارسين كسهام من نار فقال : اني لا استطيع مبارزة امرأة ولكن هذا الشفاليه سيرى مني ما يؤدبه خير تأديب •

وكانت الجماعة قد احتجبت عن نظره غير انه كان لا يزال يرى نور المشعل فدفع جواده الى جهة النور فرأى ابنة عمه تسير الى جانب الشفاليه •

وكان بنوات الاحدب يثب وراء جواد لوسيان ويحاول

ان يخفف وطأةهياجه ولكن الغضب كان متمكنا من نفس الكونت فلم يحفل بكلامه الى ان قال له الاحدب بلهجة المتوسل ، بالله قف يا سيدي واسمع ما أقول •

فاوقف الكونت جواده وقال له : ماذا تريد ؟

ــ اريد ان اسألك اذا كنت تنوي اللحاق بهم •

ــ دون شك ــ اشير عليك يا سيدي ان لاتفعل ــ لماذا

ــ لانك في أشد حالات الهياج فقد يدفعك الغضب الى فعل ما لا تود ان تفعله، وعندي انه خير لك ان تسيرفي هذا الطريق الذي يؤدي الى قصرك بدلا من التعريج بسولي فان جوادك يعرج وطريق سولي شاقة السير •

ــ اتصحبني الى القصر ؟ ــ نعم وهي فرصة اغتنمها لمحادثتك •

فاطرق الكونت هنيهةمفكرا ثم قال: هلم بنا وسر بجانبي

فمشى الاحدب بجانبه وقال له : لقد كان هذا اليوم يوم شقاء يا سيدي الكونت ولو اتبعت نصيحتي منذ البدء لما اصابك شيء من هذا واصغ الي يا سيدي فاني لا اعرف البارون دي بوليو فلا اقول عنه خيرا ولا شرا ولكني اعرف الشفاليه حق العرفان •

ــ وما رأيك فيه ــ انه من رجال الشر والمكر

أتظن ذلك ــ بل اؤكده يا سيدي وازيدك انه مفتون بالكونتس اورور وهو الذي قال لها كل شيء ــ ماذا قال

ــ اخبرها انك تختلف دائما الى دكان الحداد وانك

عاشق لقريبته •
فعاود لوسيان الغضب عند سماع اسم داغوبير وقال : اما هذا فسأعاقبه شر عقاب •
ــ انك مخطىء يا سيدي كل الخطأ اذا اتتقمت منه
كيف أكون مخطئا بعد ما رأيت ما بدر منه •
ــ لان داغوبير قد فعل ما يجب عليه فان الشرف يا سيدي لا ينحصر بأهل الجاه والمال والنبل وقد اردت اغواء قريبته فلم يطق الصبر على العار •
فاهتز لوسيان فوق جواده ، واضطرب حتى أوشك ان يسقط ثم قال له : أتظن يا بنوات اني اريد اغواءها
ــ ان الظواهر يا سيدي تدل على صدق هذا الظن •
ــ ولكنك مخطيء فاني أحب حنه •
ــ أرأيت كيف اني صادق بظنوني •
ــ هو ذاك ولكني اذا كنت من رجال الانساب فلا أتقيد بها وقد أحببت تلك الفتاة ورأيتها من أهل الطهر والفضيلة والعفاف فلم اكترث لما يحول بيني وبينها من تباين المقام واردت ان اتخذها امرأة لي •
فصاح الاحدب صيحة دهش وقال : أحق ما تقول •
ــ كل الحق وقد جاهرت بنيتي لداغوبير فكان جزائي منه ما رأيت ــ أأنت واثق ياسيدي انه سمع اقتراحك •
ــ كل الثقة ــ افهم مرادك •
ــ دون شك فاني كلمته بأتم التصريح والجلاء •

ـ انه أمر عجيب يحار فيه عقلي، ثم اطرق هنيهة وقال:
اذا كان الامر قد اتفق كما رويته ياسيدي فلا شك ان داغوبير قد ارتكب خطأ عظيما ولكني اعرف داغوبير حق العرفان والتمس منك يا سيدي ان تعدني وعدا ـ ما هو

ـ هو ان لا تشكو داغوبير ولا تنتقم منه قبل ان تراني

ـ ماذا تريد ان تصنع ؟

ـ اريد ان أراه. ـ وبعد ذلك ؟

ـ أقف على حقيقة افكاره وأعود اليك صباح غد الى قصرك فاخبرك بما يكون على ان تفي بوعدك ولا تعاقبه بشيء قبل ان اعود.

ـ سأفي فمتى تذهب اليه ؟

ـ الآن. ـ اذن الى اللقاء غدا.

فغادره الاحدب عند ذلك عائدا الى داغوبير وبقي الكونت وحده في الغابة.

٦
المبارزة

وكانت النجوم تسطع في السماء ولكنها لا تكشف اربداد الظلام وقد ساد السكون في تلك الغابة المتسعة فسادت السويداء على الكونت وتلاها حزن عميق اسال الدمع من عينيه ، فان اصوات ضحك ابنة عمه والفارسين كانت لا تزال تدوي في اذنه .

ثم جعل يفكر بحنة فيتمثل له كيف انها اقفلت النافذة بعنف حين جسر على المجاهرة لها بهواه وجعل يسير الهوينا وهو يقول في نفسه لا شك ان هذا اليوم من شر ايام الشقاء فانه اختصم مع ابنة عمه بل اصبح هزءا في عينيها اذ رأت ذلك الحداد يطرده .

وهنا عاودته عاطفة الانتقام ولكنه جعل يسأل نفسه ويقول ترى ممن أنتقم من ابنة عمي اورور ؟ ولكنها مصيبة في هزئها بي ألست خطيبها منذ شببت عن الطرق، ألم أكن خائنا نذلا في عينيها فكيف لا يحق لها ان تهزأ بي، أم تراني انتقم من داغوبير وأي طيش اعظم من هذا الطيش واذا أسأت اليه بالانتقام فكيف اتقرب من قريبته وقد أقمت بيني وبينها مثل هذا السد ؟ بقي هذا الشفاليه الذي قال لي عنه بنوات انه من اهل الشر والدسائس وهو مصيب فيما

علي مولا

قال ولا شك ان هذا الرجل حمل ابنة عمي على التجسس علي فهو خائن نمام وسيلقي ما يستحقه من العقاب فاني سأذهب اليه غدا واسأله الايضاح والترضية فاذا اباهما علي صفعته وادركت من مبارزته والانتقام منه ما اريد .

وكان لوسيان يبحث عمن ينتقم منه شفاء لغله فلما استقر على هذا الخاطر سكن ثائر غضبه وخف جأش هياجه.

ثم ذكر ما لقيه من انذهال الاحدب حين أخبره عن صدق نيته في عزمه على الاقتران بحنة فعلل انذهاله تعليلا معقولا وهو انه في ذلك العهد كان التباعد عظيما بين الاشراف وبين الطبقة العامة فلا يخطر لاحد في بال ان يتدانى النبلاء الى الاتصال بالعوام بصلة القران ولا يجول في بال أحد ان كونتا عظيما يتزوج فتاة قروية ولذلك خف ما عنده وقال في نفسه ان داغوبير معذور فلا شك انه حسبني هازئا به واني احتال عليه بمثل هذه الوعود تذرعا الى اغواء الصبية ولكن الاحدب سيزيل هذا الشك من نفسه ويقوم بالمهمة التي انتدبته بها خير قيام .

وكان لوسيان في مقتبل الشباب وهو جميل غني فلم يخش ان لا يروق في عيني حنة وكان يعلم ان امه تكاد تعبده فلم يخف ان تحول دون هذا الزواج وماذا بقي اذا كانت له حنة!

وعند ذلك شعر فجأة انه بات يكره ابنة عمه كرها شديدا ولم يعد يبالي بما كان منها وما سيكون واما الشفاليه فانه سيدعوه الى المبارزة وينتقم منه لهزئه به شر انتقام .

وكان لوسيان يحدث نفسه بهذه الاحاديث والجواد يسير به حيث يشاء فاجتاز به مسافة بعيدة وهو لا يشعر حتى بات على مسافة نصف مرحلة من قصره ووصل الـى مكان من الغابة تشعبت فيه الطرق فانتبه عند ذلك مـن سبات تصوراته ونظر الى ما حواليه فرأى على اشتداد الظلام شبحا اسود اعترضه فعلم انه فارس •

وعند ذلك اوقف جواده فوضع يده على غدارته وقال من القادم• فاجابه الشبح بصوت الهازيء :

ـ لا تخف يا سيدي الكونت فما انا من اللصوص•

فظهرت على جه الكونت علائم السرور الوحشي اذ علم ان صاحب الصوت كان الشفاليه صاحب النميمة فدنا منه بجواده وقال له بصوت يضطرب من الغضب : أهذا انت يا سيدي الشفاليه ؟

ـ نعم يا حضرة الكونت •

ـ كيف غيرت طريقك فقد رأيتك سائرا بطريق سولي؟

ـ ذلك لاني كنت ارجو ان اراك •

ـ ماذا تريد مني ؟

ـ اريد ان اعطيك رسالة عهد الي بايصالها اليك •

ممن الرسالة ؟ ـ يجب ان تعلم انها من سيدتي الكونتس • فقال له لوسيان بلهجة شفت عن الاحتقار :

ـ هاتها فسأقرأها عند وصولي الى النور •

ـ لا حاجة الى الانتظار يا سيدي الكونت اذ لدي

مشعل فاذا شئت أنرته فقرأت الرسالة على نوره •
ــ لا اجد فائدة في قراءة الرسائل لا سيما واني بحاجة لمحادثتك •
ــ محادثتي أنـا ؟
ــ نعم ياحضرةالشفاليهفانيأود مباحثتكفيامورخطيرة
ــ ما عسى ان تكون هذه الامور الخطيرة ؟
ــ هي يا شفاليه انك رجل سافل •
وكانت الاهانة عظيمة غير ان الشفاليه تجلد وتظاهر بأنه لم يحفل بها فقال ولماذا تدعوني بسافل ؟
ــ بل انك سافل وخائن معا •
فاحتفظ الشفاليه بسكينته وقال له : اذا كنت تريد ان تجعل هذه الشتائم مقدمة للقتال فلا فائدة منها •
ــ لماذا العلك لا تبارزني ؟
ــ ليس هذا الذيأعنيه بل اريد ان اقول انه لا فائدةمن الشتم فاذا كنت تريد قتالي تجدني غدا رهن امرك •
ــ بل اليوم • ــ انك تمزح يا سيدي الكونت •
ــ كلا بل اريد ان يكون قتالنا في هذه الساعة ولا اخالك تمتنع الا اذا سرى الخوف الى قلبك •
ــ انك تعلم يا كونت اني لا أخاف ولكن انقتتل هنا في ظلام الليل من غير شهود ؟ ــ نعم •
ــ ولكن ليس لدينا سيوف •
ــ ان في خنجر الصيد غني عن الحسام •

ـ يظهر انك لا تريد مبارزة بل مجزرة •

ـ اريد قتالا لا يفصل فيه بيننا غير الموت •

ـ ليكن ما تريد أيها الكونت العزيز ولكن بقي هناك امرا اراك لم تفطن اليه ؟ ـ ما هو ؟

ـ هو ان من يقتل رفيقه منا يحسب في عرف الشرع والناس سفاكا مغتالا لا قاتلا في براز • ـ أتظن ذلك ؟

ـ دون شك فقد عرف من رأى ما كان منا في الغابة ان كلانا يكره الآخر وهذا القتل في الغابة دون شهود يوسع مجال الظنون ويحمل على محامل الاغتيال •

ـ انك تعترف اذن بأنه يجب ان اكرهك ؟

ـ واني لست مخطئا في حملك على هذا الكره فقد رأيتك في حالة تدعو الى الهزء فما تمالكت عن الضحك•

ـ وانا رأيت هذا الهزء لا يغسل الا بدمك •

ـ ليكن ما تريد ولكنك اذا قتلتني الان فليس مـا يمنع ابنة عمك عن القول انك قتلتني انتقاما لكتاب قطع علاقتها معك وانك قتلتني لاني كنت أنا حامل هذا الكتاب واما اذا قتلتك انا فان الاقوال تختلف •

ـ ماذا يقولون •

ـ يقولون اني عاشق الكونتس واني قتلتك للتخلص من مزاحمتك •

فرأى لوسيان ان براهينه جلية لا تدحض فاقتنع بها وقال له : اذن الى الغد فاحضر شهودك وانا احضر شهودي•

قال واين تريد ان يكون القتال •

ــ هنا حيث نحن الآن •

ــ ليكن ما تريد ولكنك تعلم اني لا ابيت في هذا المكان لا تنظر الغد فلنعد معا الى المنزل •

فأجابه الكونت بجفاء ، ان الطرق لجميع الناس •

فلم يجبه الشفاليه وسار بجواده الهوينا وتبعه الكونت فكانا يسيران في طريق واحد •

ولنعد الآن الى الاحدب فانه حين غادر لوسيان ذهب توا الى داغوبير فلقيه يشتغل في دكانه فدخل اليه •

اما داغوبير فحين رآه قطب حاجبيه وقال له : ماذا أتيت تعمل ايها الشقي •

فقال له الاحدب: لماذا تشتمني ياداغوبير وانا لم اسيء اليك

ــ هو ذاك ولكنك كنت مع هذا الكونت الذي عاملته بما يستحقه من الطرد •

ــ انك اخطأت يا داغوبير فان الرجل طاهر القلب شريف النفس لا يحتقره العامة خلافا لجميع النبلاء •

ــ لا انكر ما تقول• ــ وهو يحب حنة •

فاتقدت عينا داغوبير ببارق من الغضب وقال : اسكت

ــ لماذا تريد ان اسكت، انه يحبها حبا طاهرا نقيا وهو يريد زواجها لا اغواءها كما توهمت •

وكان الاحدب يتوقع ان يرى من داغوبير ما يدل على الانذهال او الشكك ولكنه لم يظهر شيئا من ذلك بل جعل

يطرق الحديد بمطرقته دون ان يجيب •

فقال له الاحدب وقد راعه سكوته : لقد قلت لك يا داغوبير انه يريد ان يتزوجها • — اعلم ولكني لا اريد •

— انت لا تريد ان يتزوج الكونت دي مازير حنة •

— كلا • — ولكن هذا جنون محض •

فالقى داغوبير مطرقته ودنا من الاحدب فوضع يده الضخمة فوق كتفه وقال ان الكونت لوسيان لا يكون زوجا لحنة ما دمت في قيد الحياة • — ولكن لماذا ؟

— لاني لست وحدي الذي يأبى هذا الزواج بل ان الذي يأباه رجل عظيم أثق به كما أثق بالله •

— من هو هذا العظيم • — الاب جيروم •

فبهت الاحدب واطرق يفكر وقال له داغوبير ، لا ريب عندي ان الكونت قد ارسلك الي •

— ما تقول فلا انكر عليك •

— انك الان عرفت لجوابي الاخير فاحمله اليه كما تلقيته •

فخرج الاحدب من الدكان فقال في نفسه ، ان الكونت لا يزال في الغابة ولا بد لي من ادراكه قبل ان يصل الى المنزل • ثم دخل الى الغابة واطلق ساقيه للريح في الطريق التي سار فيها لوسيان •

٧

قلق لوسيان

بينما كان الكونت والشفاليه يسيران في الغابة احدهما في اثر الآخر دون ان يتحادثا سمع لوسيان صوت ركض من ورائه .

وكان القمر قد بزغ في تلك الساعة يخترق الغيوم ويتهادى متألقا في السماء بين النجوم فالتفت لوسيان فرأى ان هذا الراكض كان بنوات الاحدب فخفق قلبه واوقف جواده في الحال .

والتفت الشفاليه ايضا ولكنه لم يستطع ان يسأل الكونت عن السبب الذي حمله على الوقوف .

غير انه تباطأ في السير وجعل يلتفت الى الوراء من حين الى حين وقد عرف بنوات وانه رسول لوسيان .

اما الاحدب فانه وصل الى لوسيان فقال له وهو يلهث تعبا : ــ اني كنت موقنا من ادراكك في الغابة ولهذا عدت اليك .

ــ ولماذا عدت الي ألم تتفق على ان تزورني غدا ؟

ــ هو ذاك ولكني رأيت داغوبير .

فلم يجبه لوسيان بشيء وصبر وهو يضطرب الى ان

يخبره الاحدب بما جرى فبدأ الاحدب الحديث فقال : لقد رأيت يا سيدي ان داغوبير يفتكر كما كنت افتكر •

ـ ماذا يفتكر ؟

ـ ان زواجك بمدموازيل حنه محال •

ـ تريد القول انه يرفض هذا الزواج ؟

فاحني بنوات رأسه اشارة الى الايجاب •

فارتعد لوسيان وقال أي عذر تجاسر على انتحاله هذا الرجل ؟ ـ عذره ان امر تزويج الفتاة غير منوط به •

ـ بمن ؟ ـ بالاب جيروم •

ـ رئيس الدير ؟ ـ هو بعينه •

فعاد الرجاء الى قلب لوسيان وقال : اذا كان ما يقوله حقا فان الامر سهل ميسور • نعم اني لا اعرف هذا الراهب ولكن يقال ان اصله من النبلاء وانه دخل الى الدير بسبب حادث غرام فسأذهب اليه واخبره بغرامي ورجائي ان يثق من سلامة قصدي ولا يعترض سبيلي •

فهز الاحدب رأسه وقال :

ـ لا تتوسع في مجال الامل فالامل ضعيف يا سيدي الكونت• ـ ولماذا أتظن ان الراهب يرفض طلبي ؟

ـ لا اعلم ما يكون بعد اجتماعك به ولكن الذي اعلمه انه هو الذي يرفض الان• ـ كيف عرفت ذلك ؟

ـ من داغوبير وهو لا يكذب •

فاصفر وجه الكونت وقال ولكن ماذا يحمله على الرفض؟

ـ لا اعلم يا سيدي ولكن الذي رأيته من غضب داغوبير على اشتهاره بالسكينة انهم قد حدثوه عنك وانهم اصدروا اليه الاوامر بشأنك •

ـ من الذي يصدر الاوامر الى داغوبير ؟

ـ الاب جيروم فانك تذكر يا سيدي انه حين وصلنا الى دكان داغوبير كان لا يزال في الدير؟ ـ هو ذاك •

ـ انه كان مختليا مع الاب جيروم فلما خرج من الدير لم يكن على ماعهدته به من الدعة والسلامة بل اني رأيت الشر بين عينيه •

فلم يدعه الكونت يتم حديثه وقال له :

ـ اصغ الي يا بنوات أتريد ان ارسلك بمهمة الى الاب جيروم • ـ بملء الرضى يا سيدي •

ـ انك تذهب اليه في هذه الليلة نفسها وترجوه عني ان يأذن بمقابلتي صباح غد بعد الصلاة •

ـ سأذهب يا سيدي ولكن• ـ ولكن ماذا ؟

ـ يجب ان تعطيني كتابا اليه فان الفقراء امثالنا لا يأذنون لهم بدخول الدير فان الرهبان يعاملوننا بنفس العنف الذي يعاملنا به النبلاء •

فاغتنم لوسيان لهذا الطلب اذ لم يكن لديه في تلك الغابة شيء من ادوات الكتابة • فقال له الاحدب : وفوق ذلك يا سيدي فانه لا يستطيع احد دخول الدير بعد ان تمضي الساعة التاسعة •

فنظر لوسيان في الساعة فوجد انها لم تتجاوز الثامنة ورأى انه لم يبق له غير واحد من امرين وهما اما ان يرجع عن ارسال الرسالة في هذه الليلة او انه يجب ارسالها في الحال لضيق الوقت .

واذا ذهب الى المنزل وكتب الرسالة فيه فات الاوان.

على ان الانفعالات النفسية مهما اختلفت واشتدت فلا تعادل في شدتها تأثير الغرام فان هذا الكونت كان يحاول منذ نصف ساعة قتل الشفاليه اما الآن فقد تذكر ان هذا الشفاليه الذي سيقاتله غدا لديه قلم من الرصاص ودفتر في جيبه ومشعل فندم لاختصامه معه .

غير ان الندم على الخطأ اوجد فيه الرغبة في الاصلاح وقد تمثلت حنة في خاطره فهان عليه ان يكلــم الشفاليه ويسأله قضاء مهمة كما يسأل الصديق الصديق .

وعند ذلك لكز جواده فسار به والاحدب يتبعه حتى وصل الى الشفاليه فقال له اننا سنقتتل غدا أليس كذلك ؟

فقال : هذا ما اردته انت ولا سبيل لمراجعتك .

قال : هو ذاك ولكنك من اهل الظرف والادب فلا أجد ما يمنعني عن ان اسألك قضاء مهمة .

ــ قال ما تريد؟ ــ اريد قلمك الرصاص وورقة من دفترك

ــ هما لك وازيدك اني انير لك المشعل فانك تريد الكتابة دون شك .

ــ لا حاجة الى المشعل فان نور القمر يغنيني عنه .

ـ كما تريد ثم اعطاه الدفتر والقلم فأخذهما لوسيان وكتب الرسالة الآتية :

« ان الكونت لوسيان دي مازير المقيم في قصر دي بوربير يرغب في مقابلة «نيافة الاب جيروم » رئيس الدير في أقرب فرصة ممكنة لمباحثته في شأن خطير .

« وهو يلتمس من نيافة الاب جيروم ان يتفضل ويسمح بمقابلته له صباح غد بعد انتهاء الصلاة» لوسيان دي مازير

ثم انتزع الورقة من الدفتر ودفعها الى الاحدب وقال له: اذهب بهذه الرسالة الى حيث قلت لك وعد الي غدا بالجواب

فأخذها الاحدب وانطلق يعدو بين اشجار الغابة .

اما لوسيان فانه رد الدفتر والقلم وقال للشفاليه ، اشكرك يا سيدي كل الشكر ثم مشى الى جانبه وهما ساكتان

ومر بهما عدة دقائق وهما ساكتان الى ان بدأ الشفاليه الحديث فقال، لقد تشرفت الان فخدمتك خدمة رأيت انها جليلة فهل تريد ان ارشدك الى طريقة تكافئني بها عن هذه الخدمة؟

ـ أكون لك من الشاكرين ولكن بشرط ان لا تدعوني الى مصافحتك .

ـ دون شك فان قتالنا غدا لا بد منه في كل حال .

ـ اذن تكلم .

ـ لا شيء يروعني يا سيدي الكونت مثل السكون والوحدة ولا يزال لدينا نحو نصف مرحلة للوصول الى القصر ، فاذا شئت خففنا مشقة هذا السير بالمحادثة .

ـ بأي امر تريد ان تتحدث ؟

ـ لا فرق عندي في ذلك، ولكن اذا شئت تحدثنا عن الاب جيروم رئيس الدير •

فارتعش لوسيان ارتعاشا لم يخف على الشفاليه فقال في نفسه ، ارى انني قد ظفرت به •

٨
الاعتراف

ومنذ ذلك بدأ الشفاليه الحديث فقال : انك ايها الصديق دعوتني خائنا سافلا فلم يبق سبيل لمنع قتالنا ، غير انه لما كانت العادة ان لا يوضح المتبارزان شيئا في ساعة المبارزة فقد احببت ان اخبرك الآن بما مضى •

ـ اذن تكلم يا سيدي فاني مصغ اليك •

ـ انك عاملتنا معاملة الرفيع للوضيع انا وابنة عمك والبارون بسبب ذلك الفلاح فكبرت علي هذه المعاملة حتى حملني الغضب على القول انك اقتبست حب الفلاحين من ترددك على الحداد •

ـ انت قلت هذا القول ؟

ـ وهذا كل ما قلته ولكن ابنة عمك تحب الاطلاع على كل امر فارادت ان تعلم السبب في ترددك على داغوبير فسألتني وسألت البارون فقال لها البارون انك لا تذهب الى دكان الحداد الا بسبب قريبته الحسناء وقد اشرت له بيدي وعيني اشارات مختلفة ففهم اشاراتي ولكنه لم يمتنع عن التصريح اما لحقده عليك واما لكونه من اهل البلاهة.

فقال له لوسيان : وماذا اجابت ابنة عمي ؟

ـ انها انكرت هذه الوشاية كل الانكار واقسمت ان ذلك لا يمكن ان يكون وكنت اقول لها هذا القول ، ولكن هذا البارون الابله ابى الا الاصرار على قوله حتى اتصل الى مراهنة الكونتس على انك مقيم الآن مع مدموازيل حنة .

فاستاءت الكونتس ورضيت بالرهان وطلبت الي ان اصحبها مع البارون الى دكان الحداد فلم اجد بدا من الامتثال وانت تعرف بقية ما حدث .

ـ احقا ان الامر كذلك فاني اعتذر عما بدر مني وارجوك قبول عذري .

ـ اذا كان للحب شهداء فللصداقة شهداء ايضا ويسوءني انك عاملتني تلك المعاملة الجافية فقد كان بوسعي ان اسديك نصيحة .

فهاجت في صدر لوسيان عاطفة الكرم وقال له : اني قد اعتذرت اليك ايها الصديق عما بدر مني والآن امد يدي

لمصافحتك اذا شئت •

ـ اني شديد الحرص على صداقتك لما اعلمه من سلامة قلبك ، فكيف ارفض اقتراحك ؟ ثم مد اليه يده فصافحه وقال له وهو يبتسم : ان خصامنا لم يشهده احد فلا نحتاج بعد الصلح الى اظهار ما دعانا اليه لاحد •

ـ لقد اصبت •

ـ اذن لقد عدنا الى صداقتنا القديمة ؟

ـ دون شك •

ـ اذن تتكلم بما تقتضيه الصداقة من الجلاء والاخلاص فهل انت حقيقة تعشق هذه الفتاة ؟

ـ انا مفتون بها •

ـ ولكن الا تعلم ايها الصديق ان هذا الحب يحول دون زواجك بالكونتس ؟ ونعم انها كتبت اليك كتابا دفعتها اليه الحدة ولكن غضب النساء سريع الزوال •

ـ سيان عندي الان غضبها ورضاها فاني لا احبها ولن احبها ولن اكون لها زوجا •

ـ ما هذه الاقوال يا كونت ، ابلغ حبك لتلك الفتاة هذا المبلغ فأضاع رشدك ؟

ـ اذا كان في هذا الحب ضياع الرشد فأنا ضائع الرشد لاني سأتزوجها •

ـ لا شك انك مجنون •

ـ بل اني عاقل لا اتقيد بالتقاليد وغاية امري اني

اريد ان اكون سعيدا •

ـ انت الكونت دي مازير اقدم رجال النسب تتزوج قروية خاملة •

ـ ان عرش الغرام لا يرقى اليه على سلم الانساب وكفى بصدق الغرام نسبا •

ـ شأنك وما تريد فانت ولي نفسك غير انه كان يجدر بك ان تنوي هذه النية من قبل •

ـ لماذا ؟

فابتسم الشفاليه وقال :

ـ لانك كنت نجوت من ذلك الماء الذي تدفق عليك من النافذة •

ـ لقد اخطأت ايها الصديق فاني لم اجازي هذا الجزاء الا حين جاهرت بهذه النية •

فدهش الشفاليه وقال ماذا اسمع لا شك اني من الحالمين •

ـ بل هي الحقيقة ارويها لك ايها الصديق كما اتفقت•

ـ اذا كنت صرحت لهذا الحداد بنيتك وعزمك على الزواج بقريبته فاي عذر انتحله للرفض ؟

ـ يقول ان زواج الفتاة غير منوط به بل بالاب جيروم •

ـ اذا كان كذلك فقد فهمت كل شيء •

ـ قل ماذا فهمت ؟

ـ فهمت ان هـذا الراهب سيصر على رفض هـذا الزواج اكثر من اصرار داغوبير • فبهت لوسيان وقال لماذا ؟

كان الشفاليه كثير المكر شديد التفنن باختراع الحيل وتلفيق الاحاديث فاطرق هنيهة ثم قال له : الم تجد ان هذه الفتاة الحسناء التي تحسبها قروية مترفة الكف ناعمة البنان صغيرة القدمين ؟

ـ ماذا تريد بذلك ؟

ـ اريد ان هذه النعومة لا توجد عـادة في النساء القرويات ولذلك فقد تبادر الى ذهني ان هـذه الفتاة قد تكون من اسرة نبيلة •

فصاح لوسيان صيحة فرح وقال :

ـ حبذا لو صح ما تقول فلا جد بينكم معارضا لي في زواجها •

ـ ولكني ارى ان الرهبان قد استولوا على ثروتها •

فتحمس لوسيان وقال :

ـ اذا ثبت ذلك بسطت حمايتي عليها وطالبت الدير بثروتها •

ـ ولكنك لا تستطيع ذلك الا اذا كنت زوجها •

ـ وما يمنعني ان اكون زوجا لها ؟

ـ الاب جيروم فانه يؤثر ان يزوجها فلاحا لا يجسر على المطالبة بحقها فتبقى الثروة لاولئك الرهبان •

ـ ولكني احب حنة ولا اجد بدا من الاقتران بها •

ـ ان هذا محال اذا نهجت النهج الذي رسمته لنفسك •
ـ اذن ماذا يجب ان اصنع ؟
ـ دعني اسألك في البدء ماذا كتبت للاب جيروم ؟
ـ سألته ان يأذن لي بمقابلته
ـ انه سيرفض طلبك •
ـ اتظنه يفعل ؟
ـ بل أؤكده فاصبر الى الغد فاذا كان جوابه الرفض كما اتوقع فانا ارشدك الى طريقة تسهل لك سبيل الزواج بمن تحب •

فمد لوسيان يده الى هذا الصديق الكاذب وشكره ممتنا •

فقال الشفاليه وقد تكلف لهجة الاخلاص : كفى ايها الصديق فقد وصلنا الى القصر ، وكان دليل الصيد قد تقدمهم الى المنزل فروى جميع ما حدث في الغابة وما كان من اختصام لوسيان مع ابنة عمه وتنوقلت هذه الحادثة بين اهل القصر حتى بلغ خبرها الى ام لوسيان غير ان الكونتس لم تحفل بهذا الخصام لاعتقادها انه حادثة عارضة وان الصلح بين الخطيبين سهل ميسور •

فلما دخل لوسيان والشفاليه استقبلتهما الكونتس حسب العادة فاقام لوسيان بينهما مدة وجيزة بعد العشاء ثم اعتذر ودخل مضجعه وهو يود لو محق هذا الليل واشرق الصباح فيعلم ما يكون من جواب رئيس الدير •

ولم يكد يشرق الصباح حتى هب لوسيان من رقاده واقام ينتظر الاحدب بفارغ الصبر فلم يطل انتظاره حتى اقبل الاحدب يحمل رسالة من الاب جيروم فاخذها لوسيان بيد تضطرب وقرأ ما يأتي :

سيدي الكونت

اني مريض لا تسمح لي العلة بمقابلة احد وفوق ذلك فليس بيني وبينك من المهام ما يدعو الى المقابلات الخاصة الا اذا كنت تريد مقابلتي في شأن يتعلق بصالح الدير فاذا كان ذلك أرجو ان تقابل وكيلي فانه ينوب عنـــي في قضاء هذه المهام .

الاب جيروم

فحمل لوسيان الكتاب وذهب به الى الشفاليه وهو يزبد من الغضب فدفعه اليه وقال : لقـــد كنت مصيبا في ما توقعته .

فقرأ الشفاليه الكتاب ثم رده اليه وقال له :

ــ اتريد الآن ان ارشدك الى الطريقة التي وعدتك بها؟

ــ دون شك ولاجل هذا اتيتك .

ــ الا تزال عازما على الاقتران بحنة ؟

ــ كل العزم فلا يحول دون هذا القصد حائل .

ــ اذن فاعلم ان طريقتي بسيطة جدا .

ــ ما هي ؟

ــ هي ان تختطفها .

ففكر لوسيان وقال : ولكـن الاب جيروم حريص عليها •

ــ نغتنم فرصة انشغاله مع الرهبان بصلاة الصبح •

ــ وداغوبير ؟

ــ انا اتعهد به •

ــ كيف ؟

ــ اني ازيله من طريقك •

ــ اترتكب جناية ؟

ــ كلا ولكني استطيع ابعاده عنك ثمانية ايـام وفي خلال هذا الاسبوع تتمكن من الذهاب بالفتاة الى باريس وهناك يعقد زفافكما اول كاهن تراه• ثم ضحك ضحكة الفوز والانتصار وقد ايقن ان الكونت لوسيان بات في قبضة يده يتصرف به كيف شاء •

٩
اورور

ولنعد الآن الى مدموازيل اورور التي تركناها سائرة في طريق سولي يصحبها الشفاليه والبارون فانها كانت تسير دون ان تفوه بكلمة وقد احترم الفارسان سكوتها فلم يكلماها.

ولما وصلت الى سولي التفتت الى الشفاليه وقالت له : اني اريد ان اعهد اليك بايصال رسالة الى ابن عمي الكونت لوسيان .

فانتزع الشفاليه ورقة من دفتره ودفعها الى الكونتس فكتبت الى ابن عمها كتابا مؤلما قطعت به معه كل علاقة واتصال فاخذه الشفاليه وسار الى لوسيان كما تقدم .

اما اورور فانها سارت مع البارون عائدة الى منزلها فكانت ساكنة وعلائم الغضب بادية بين عينيها ولكنها مع ذلك تصغي الى حديث البارون فانه كان يحدثها بحكاية ربيبة الدير تلك القروية التي فتن بها لوسيان وآثرها عليها.

على ان البارون لم يكن يروي لها حكاية حنة الحقيقية بل كان يقص عليها من امرها ما كان يتناقله الناس

والاشاعات المختلفة حتى كان من جملة ما رواه عن هـذه الفتاة انها ابنة رئيس الدير الشرقي ولدت سفاحا وعهـد ابوها الى الاب جيروم بتربيتها •

فكانت اورور تسمع احاديثه دون ان تجيب وكـان البارون صابرا على جفائها ولكن الامـل كان ملء فؤاده فكان يقول في نفسه انه سيصحبها الى منزلهـا وستدعوه الى مناولة العشاء معها دون شك فيغتنم هذه الفرصة للفوز باسترضائها على مزاحمة الشفاليه •

على ان رجاءه قد خاب فانهما حين اجتازا الغابة ودنوا من المنزل وصلا الـى عطفتين احداهما تؤدي الى منـزل الكونتس فاوقفت جيادها ومدت يدها للبارون فصافحته وقالت له : اني اشكرك شكرا جزيلا يا سيدي البارون وها قد بلغت الى منزلي فلا حاجة الى ازعاجك بايصالي اليه •

فاستاء البارون استياء شديدا وحاول ان يلح عليها بايصالها الى المنزل غير انها لم تدع له وقتا للكلام فاطلقت لجوادها العنان •

وقد جرت شوطا بعيدا والبارون واقف في مكـانه وهو حائر مبهوت •

اما اورور فان العواصف كانت هائجـة في صدرها وقد كبر عليها انها لم تستطع ان تستعبد بجمالها لوسيان فباتت تعده من اسفل الرجال لا سيما بعد ان تحول عنها لافتتانه بفتاة قروية لا نسب لها يعرف وقد ربيت في دكان

حداد بين عصبة رهبان •

غير ان اورور على كبريائها كانت عادلة فانها رأت حنة على نور المصباح المضيء في دكان داغوبير فاعترفت بأنها من اجمل الفتيات وقد رسمت الغيرة وجهها في مخيلتها حتى كانت تراها كلما فكرت بها كأنها امامها الى ان وقف جوادها عند باب المنزل فاسرع الخدم اليها وفتحت عند ذلك نافذة وظهر منها رأس شبح •

وكان هذا الشبح والد اورور فقال لها : كيف عدت يا اورور ألا تتعشين في بوربير • فأجابته بجفاء : كلا — قال : لماذا ؟

فلم تجبه بشيء ولكنها القت عنان جوادها لاحد الخدم وصعدت الى المنزل • وكان ابوها مصاب بداء النقرس وقد اشتد عليه الداء في ذلك اليوم حتى ضيق اخلاقه ، فلما صعدت ابنته اليه استقبلها بجفاء وقال لها : انت تعلمين اني أؤثر العزلة حين تشتد علي اعراض هذا الداء فلماذا عدت بعد عزمك على العشاء في بوربير •

قالت : اني لم اعد يا ابي الا لاشتداد هذه الاعراض عليك •

فابتسم ابوها ابتسامة المشكك وقال : انك ما عودتيني يا اورور مثل هذا البر بي فقولي الحقيقة ، فلا بد ان يكون هنا سبب دعاك الى الحضور قبل العشاء • —

— لقد اصبت يا ابي •

ـ اذن اخبريني بما جرى ؟
ـ اني اختصمت مع لوسيان .
ـ انه خصام غرام .

فاتقدت عينا الفتاة ببارق من الحقد ، وجلست امام ابيها فقالت له : العلك متمسك يا ابي بتزويجي من لوسيان؟

قال دون شك يا ابنتي فلم يبق من اسرتنا الا انت وهو ويجب ان نحصر ثروتنا بينكما .

ـ ولكن هذا محال يا ابي فاني لا اريد الزواج بلوسيان .

ـ انك ورثت يا ابنتي من امك بعض تسرعها فاني حين كنت خطيبها وهي من نساء الشرف في بلاط بافاريا كانت تقول مثل قولك اذا استاءت مني اقل اساءة .

قالت : اني غير متسرعة كما تقول ، فاعلم يا ابي ان لوسيان لن يكون زوجي واني اؤثر ان اكون عروسة الموت على ان اكون عروسة له .

فاكبر ابوها الامر وقال لها اجد ما تقولين ؟
قالت كل الجد فاني اكره لوسيان واحتقره .
ـ ولكن ماذا حدث وماذا بدر منه ؟
ـ انه لا يحبني .
ـ أواثقة انت مما تقولين ؟
ـ نعم وقد وثقت بانه يحب سواي .
ـ اذا كان ذلك فان ذنبه لا يغتفر .

ــ هو اذنب هذا الذنب ؟

ــ ان هذا محال فاني اعرف ما ينطوي عليه صدر لوسيان •

ــ ولكني لم اقل لك الا الحقيقة •

ــ فهز كتفيه وقال اني اعرف جميع النبلاء في هذه الضواحي فلم اجد في قصورهم فتاة جديرة بمزاحمتك فيه•

ــ قالت انه لم يعشق في القصور بل عشق فتاة قروية تقيم في دكان حداد • وكانت تقول ذلك بصوت يتهدج من الغضب اما ابوها فانه ضحك ضحكا عاليا وقال : أمن اجل هذا اختصمتما ؟

فتأثرت الفتاة لضحكه وقالت : يظهر انك لم تصدقني يا ابي •

وكان ابوها من مشاهير اهل الدعارة في عهد صباه فقال لها : بل اني واثق من صدقك فيما تقولين ولكن هذا يدل على ان لوسيان ابن ابيه اي ابن اخي ؟

قالت : اني لم افهم ما تريد •

قال : ارى ان لوسيان يحبك حبا مقدسا لا شك فيه ولكنه اراد ان يتلهى بمغازلة تلك الفتاة الى ان يتم قريبها صنع نعل فرسه ثم قهقه ضاحكا وقال : العل تلك الفتاة جميلة ؟

فاصفر وجه اورور من الغضب وبلغت منها الحدة انها مزقت قفازها باسنانها ، اما ابوها فانه لم يكترث لغضبها وقال لها : ماذا عليك من مغازلته لتلك القروية فانه في

مقتبل العمر ولا بد له من الاندفاع في تيار الشباب حتى اذا تم عقد القران بينكما انصرف عن هذه السفاسف ومنح تلك الفتاة هبة تعينها على الزواج •

فانفت اورور من سماع هذه الكلمات البذيئة المعاني السافلة المبدأ وخرجت من غرفة ابيها مغضبة وظواهر الانفة والاشمئزاز بادية بـين عينيها فدخلت الى غرفتهـا فكتبت رسالة الى والـدة لوسيان وارسلتها مـع احد الخدم ثم تعشت وحدها •

ولم تكن اورور تحترم اباها فزادها كلامـه الاخير احتقارا له وكانت تعلم انه جرى شوطا بعيدا ايام صباه في ميادين الدعارة والفساد •

وكانت قد سمعت مرة من امرأة عمها كلاما دعا الـى انقطاع الزيارات بينها وبين ابيها فكانت تقول في نفسهـا لا بد ان يكون ابي قد ارتكب ذنوبا لا تزال تتمثـل في ضميره الى الان •

ثم ذكرت ما بينها وبين ابيها من التباين في الاخلاق والمبادىء حتى اوشكت ان تنكر نفسها اذ لم يخطر لها ان اباها يكلم بنته بمثل ما كلمها به وهنا تـاهت في مهـامه التفكير وعادت بتصورها الى عهد الحداثة فذكرت ان اباها كان يقيم في البلاط الملكي في مونيخ وانها رأت مرة رجلا دخل اليه فكلمه بلهجة تشف عن الغضب والاحتقار وذكرت ان اباها كان يدعو هذا الرجل « يا ابي » ثم ذكرت ان هذا

الرجل خرج من غرفة ابيها وهو يقول : اني اشكرك ولم يعد بيننا ادنى اتصال .

وكانت في ذلك العهد صغيرة تلعب في القاعة فلم يفطن لها المتحدثان وقد تجسمت الان الذكرى في مخيلتها فقالت لا بد ان يكون لابي سر عظيم ولا بد ان يبوح لي بهذا السر .

وعند ذلك خرجت من غرفتها وعادت الى غرفة ابيها فقال لها بلهجة المتهكم : اراك عدت الي فهل سكن ثائر غضبك ؟

فأجابته ببرود قائلة : اني قد بلغت سن الرشد وبات يحق لي الوقوف على اسرارنا العائلية .

ــ اية اسرار يا ابنتي وماذا تريدين ان تعرفي ؟

ــ اريد ان اعرف السبب الذي دعا الى هذا التقاطع بينك وبين امرأة عمي فان كل منكما يحاذر ان يرى الآخر .

فاصفر عند ذلك وجه ابيها وجعل ينظر اليها نظرة الفاحص فقاومت نظراته وقالت له بلهجة السيادة : اني اريد ان اعلم .

• • •

وكانت تقول هذا القول وعلائم صدق العزيمة بادية بين عينيها حتى ان اباها اصفر وجهه واضطرب وقطب حاجبيه .

ولكن اضطرابه لم يطل فانه عاد الى سكينته فابتسم

ابتسام الساخر وقال لها : اتعلمين يا ابنتي انك تسألينني سؤالا يصعب الجواب عليه •

ـ مهما يكن من امرك معها فلا يخلق كتمانه عن ابنتك•

ـ وماذا تظنين ان يكون بيني وبينها فان غاية ما بيننا فتور دعت اليه اخلاقها الغريبة ثم اني اعلم انها لا تحبني ولذلك ترينني منقطعا عن زيارتها •

ـ اني قد اكتفي بهذا السبب الذي ذكرته لو كنت لا ازال في عهد الحداثة ولكنه لا يجوز علي الان وقد بلغت سن الرشد •

ـ اذن ماذا تريدين ان اقول لك ؟

ـ الحقيقة •

ـ ليكن ما تريدين فاعلمي ان امرأة عمك لا تحبني ولا تحترمني •

ـ لماذا لا تحترمك ؟

ـ لاني كنت سيء السلوك في صباي •

ـ اهذا هو كل السبب ؟

ـ نعم •

فهزت كتفيها وقالت :

ـ ارى يا ابي اني لم افصح معك القول فهل تريد ان اصرح ؟

ـ دون شك •

ـ انك ربيتني يا ابي وغرست في نفسي فكرة الزواج

بلوسيان وكذلك الكوتس امرأة عمي فقد عللت ابنها لوسيان بزواجي منذ الحداثة ولكنك مع ذلك تحاول اجتناب الكوتس وهي تحاول اجتنابك •

ـ هو ذاك فماذا تستنتجين من ذلك ؟

ـ لم استنتج شيئا من ذلك بعد ثم ان ما بينكما لا يدل على الفتور فقط بل على الكره الشديد فانها قد تجاهر بكرهك وانت اذا ذكر اسمها امامك يصفر وجهك •

ـ اني لم افهم قصدك بعد •

ـ اتريد ان تفهم كل ما يجول في خاطري ؟

ـ اني مصغ اليك فتكلمي •

ـ ارى يا ابي انه يوجد بينك وبين الكوتس دي مازير سر هائل وربما كان بينكما ايضا ••

وهنا توقفت عن الكلام كانها لم تجسر على اتمام الحديث فقال لها ابوها : ماذا ترين بيننا ايضا ؟

عفوك يا ابي فاني مدينة لك بالاحترام واخشى ان اتجاوز حده اذا قلت هذه الكلمة التي توقفت عن قولها ولكنها تحرق شفتي •

ـ قوليها ولا بأس عليها •

ـ اخاف ان يكون بينكما ما هو فوق السر •

ـ العلك تريدين القول ان بيننا جريمة ؟

فاطرقت اورور برأسها ولم تجب •

وساد السكون هنيهة بينهما الى ان عاد ابوها الى

الحديث فقال : اني لا استطيع يا ابنتي ان اقول لك شيئا، فقد يكون بيننا سرا او فوق السر كما تقولين غير اني لا استطيع ان ابوح لك بشيء الا بعد زواجك •

ــ ولكني قلت لك اني لا اريد ان اتزوج لوسيان •

ــ ولكنك ستتزوجين سواه اذ لا بد لك من الزواج ، وعند ذلك ، اي حين تستبدلين اسم ابيك باسم ذلك الزوج ، نعود الى تتمة هذا الحديث •

فالحت عليه وقالت : ما يمنعك ان تقول اليوم ما تريد ان تقوله غدا ؟

ــ ان المي شديد يا اورور فلا تلحي علي او حسبت الحاحك عصيانا لارادتي • ثم قرع جرسا امامه فدخل خادم غرفته فقال له : انر يا بنيامين طريق ابنتي واوصلها الى غرفتها وعد الي فان اعراض الداء شديدة علي الليلة •

وهكذا خرجت اورور من غرفة ابيها مع ذلك الخادم الشيخ •

اما ذلك الخادم ، فقد كان قديما في خدمة هذا البيت حتى انه نشأ فيه وولدت اورور مدة خدمته فلما رآها تضطرب ورأى عيناها تتقدان ادرك شيئا من حقيقة ما جرى فاوصل الفتاة الى غرفتها وهو ينظر اليها نظرات حزن لم تخف عن الصبية فدخلت وهي متأثرة من ابيها ومن نظرات ذلك الخادم تأثيرا شديدا وقالت في نفسها ، انه اذا كان هناك سر فلا شك ان بنيامين عارف بهذا السر •

وكان بنيامين هذا الماني الاصل يدعى فريتز فلما عاد الى فرنسا مع والد اورور دعاه سيده بنيامين .

وكانت والـدة اورور المانيـة ايضا فاتصل بنيامين بخدمتها قبل ان تلد اورور وقد ماتت الام وابنتها طفلة فلم تكد تذكرها ، ولكن جميع تذكارات الحداثة عادت اليها هذه الليلة فذكرت ان بنيامين كان يبكي بكاء شديدا حين وفاتها بل ذكرت انها سمعت حديثا جرى بين الخادم وبين ابيها ، فذكرت ان الخادم كان يقول له : كلا لا ابرح هذا المنزل فانها قبل وفاتها امرتني ان لا افارق ابنتها لحظتها . وهو حديث غريب بين خادم ومخدوم بـل ذكرت ايضا ان بنيامين كان يعبدها عبادة في زمن حداثتها ثم اخذت ظواهر حنوه تتناقض تدريجا حتى بات كأنه لا يكترث بها فكيف حدث هذا الانقلاب ؟ وقد عزمت اورور في هذه الليلة ان تعلم كل ما اشكل عليها من هذه الحوادث فلم تعد تفكر بلوسيان بل كانت افكارها منصرفة الى امها .

فاقامت في غرفتهـا وصبرت الـى ان سمعت صوت اقفال غرفة ابيها فخرجت من غرفتها ولقيت بنيامين خارجا من عند ابيها فوضعت يدها على كتفه وقالت له : اتبعنـي فسارت به الى غرفتها واقفلت الباب . وقـد لبث بنيامين واقفا في حضرتها تأدبا فقـالت له اجلس يا بنيامين فانـي سأحدثك وان حديثنا سيطول .

فامتثل الخادم وجلس بقربها فقالت له : انك عرفت

امي يا بنيامين اليس كذلك ؟

فقال لها الخادم الشيخ ، نعم يـا سيدتي ، وقـد اضطرب وسالت دمعة على خده فقالت له اورور : لماذا لم تحدثني عنها ولماذا انقلبت هذا الانقلاب وبت تنهـج معي مناهج الاحتراس والتحفظ بعدما عودتني الحب الاكيد في زمن الحداثة ؟

فاطرق بنيامين دون ان يجيب •

فقالت : واخيرا ماذا حدث بين ابي وامرأة عمي وما يدعوهما الى هذا الكره ؟

فارتعش بنيامين لقولها وقال لها :

ـ لماذا تسألينني هذه الاسئلة يا سيدتي ؟

فاجابته بلهجة اثرت عليه تأثيرا عظيما : ذلك لانـي اريد ان اعرف كل شيء فلماذا لـم تذكر لي امي مرة في جميع مدة اتصالك بنا ؟ اجبْ اني اريد ان اعرف كل شيء•

فاتقدت عينا بنيامين ببارق دل علـى تولـد ارادة فجائية في نفسه وقال : اعلمي يا سيدتي ان امك لم يكن لها غير صديق واحد حين فارقت هذه الحياة وهذا الصديق كان انا •

ـ الم تعهد اليك بالعناية بي ؟

ـ نعم •

ـ العل ابي طردك بعد وفاتها من المنزل اليس كذلك ؟

فدهش بنيامين وقال : كيف عرفت هذا ؟

ـ اني سمعت الحديث حين كنت طفلة ولا يزال عالقا بذهني .

ـ اذن فاعلمي ان امك عهدت الي بمهمة فاذا كنت ترين اني لم اقـم بقضائها واذا رأيت مني هـذا التحفظ الشديد بعد ذلك الحب القديم فذلك لاني لم اراك تنهجين مناهج امك في شيء .

ـ ماذا تعني بذلك ؟

ـ ان امك كانت من ملائكـة الله يـا سيدتي وانت اصبحت متكبرة عنيفة شديدة الوقع على الفقراء قليلـة الاكتراث بمصائب البؤساء وشتان بينـك وبينهـا فانت واياها على طرفي نقيض .

ـ واذا ثبت الى رشادي واقتلعت هذه الطباع مـن نفسي وتخلقت باخلاق امي ؟

فجثا بنيامين على ركبتيه واغرورقت عينـاه بالدموع فقـال :

ـ ارى انك بدأت تشبهيها فان صوتك لا يختلف عن صوتهـا .

ـ بل اريد ان يكون لي قلبها وقد قلت لي ان امي عهدت اليك بمهمة فما هي هذه المهمة ؟

ـ سوف ترين فتفضلي بانتظاري يا سيدتي .

ثم تركها وخرج من الغرفة فغاب هنيهة وعاد يحمل صندوقا صغيرا من خشب الارز فوضعه امـام الفتاة وقال

لها : هذا ما امرتني امـك ان اسلمك اياه وهي على فراش الموت حين تبلغين سن الرشاد ثم دفع اليها مفتاح الصندوق فاخذته وفتحت الصندوق بيد ترتجف فوجدت فيه مدالية واوراقا .

وقـد استلفتت المداليـة في البدء نظرهـا فاخذتها ونظرت فيها فاذا هي رسم امرأة ولكنهـا لم تكـد تتبين الرسم حتى صاحت قائلة :

ـ رباه ماذا ارى العلي جننت ؟

ذلك ان هذا الرسم كان يشبه تلك الفتاة التي رأتها عند داغوبير شبها عجيبا حتى كأنه رسمها فالتفتت الـى بنيامين وقالت له :

ـ بربك قل لي من هي صاحبة هذا الرسم ؟

فلم يجبهـا بنيامين بحرف وخرج مـن الغرفة تاركا الصندوق امامها .

١٠
والدة لوسيان

مر بذلك ثلاثة ايام كانت ايام رموز واسرار اذا صدقت تلك الحوادث التـي جرت في قصر بوربير وهو القصر الذي يقيم فيه لوسيان وامه الكونتس دي مازير .

وكانت والدة لوسيان لم تكترث بخصام ابنها وخطيبته وكانت تعتقد انه سيذهب في الصباح اليها فيصافحها .

غير ان لوسيان لم يفعل شيئا من هذا فانه ركب في الصباح جواده يصحبه الشفاليه وقد لبس كلاهما ملابس الصيد فكانت امه تراقبهما من وراء زجــاج النافذة حتى ابتعدوا وهي تحسب ان ابنهــا ذهب توا الــى خطيبتــه ليسترضيها ويذهب بها الى الصيد .

غير ان رجاءها قد خاب فان لوسيان عــاد في المساء وحده لان صديقه الشفاليه عاد الى منزله .

فدخل لوسيان الى غرفته لتغيير ملابسه واغتنمت امه هذه الفرصة فعلمت من دليل الصيد ان ابنها لم يذهب الى منزل اورور خطيبته وانها لم تحضر حفلة الصيد .

فعادت الى غرفتها ودعت ابنها اليها فقالت له ، لا يزال

لدينا ساعة قبـل اوان العشاء فنتحدث في خلالها ، فنظر لوسيان الى امه فرأى ان هيئتها تدل على الجد والخطورة.

وكانت والدة لوسيان بين العمرين ولكنها اقرب الى عهد الشباب منها الى عهد الكهولة كما تدل ظواهر جمالها في حين انها بلغت الخامسة والاربعين .

وكانت ممشوقة القوام شقراء سوداء العينـين اذا ابتسمت دلت ابتسامتها على الترفع واحتقار ما يبدو لانظارها ومعظم هيئتها تدل على العظمة والجلال .

وكانت مثل الكونت دي مازير والد اورور كثـيرة السويداء اذا تاهت في مهامة التفكير ظهر انها متعبة البال وان في حياتها سر من الاسرار التي يؤلم تذكارها .

غير ان لوسيان لم يكن مثل اورور فانه لم يكترث لظواهر امه ولم يكن يحاول ان يكتشف اسرارها ولـم يخطر له ان يبحث عن ماضيها في حال من الاحوال .

فلما نادته امه وجلس قربها يسمع ما تريد قالت له لقد بلغت الان سن الرشد يا بني وقد آن لي ان اكلمك كما اكلم الراشدين .

فذعر لوسيان لملامح جدها وقال لها : ماذا عسى ان تقولي لي يا اماه .

قالت : اني اريد ان احدثـك بشأن مستقبلك فانك اختصمت منذ يومين مـع ابنة عمك الكونتس اورور في حين انك تعلم علم اليقين انها ستغدو امرأتك .

فاطرق لوسيان دون ان يجيب .
فقالت له : ان اورور تحبك يا لوسيان ــ كلا .
ــ كيف ذلك العلها كتبت لك انها تكرهك ــ كلا .
ــ اذن على اي شيء تعتمد في ثقتك انها لا تحبك ؟
ــ هذه الرسالة ثم اعطاها الرسالة التي كتبتها اورور وارسلتها اليه مع الشفاليه يوم حادثة الصيد ، فاخذتها امه وقرأت ما يلي :

يا ابن عمي

« انت بت عالما مثلي دون شك انه لم يبق فائدة من هذه المواربة التي قد تنتهي بيننا الى مـا لا تحمد عقبـاه فارجع عن خطبتي لاني لا استطيع ان احبك ولنعش قريبين لا خطيبين فان زواجنا محال » .

ابنة عمك اورور

فلما اتمت تلاوته قالت له : ان هذا الكتاب يدل على محاولتها نكاتبك .
ــ ربما ، ولكنه يتضمن امر آخر لا شك فيه .
ــ ما هو ؟
ــ هو انها لا تحبني .
ــ انك مخطىء يا بني فان النساء لا يؤخذن باقوالهن
ــ اذا كنت مخطئا في عرفان قلبها ... ت مخطئا في عرفان قلبي .
ــ كيف ذلك ؟

ـ ذلك اني لا احبها •

فاضطربت امه ونظرت اليه نظرة تشف عن الانذهال العظيم ثم قالت له : ما معنى هذه الاقوال يا لوسيان ؟

ـ انها الحقيقة •

ـ ما هذا يا بني ، العلك جننت ؟

ـ اني لا احب اورور ولا اكرهها ، ولكنني لا اريد ان اتزوجها •

ـ لماذا ؟

فاحمر وجه لوسيان ولم يجب •

وكأنما هذا السكوت قد اثر على امه واستشف منه دلائل العزم الاكيد فقالت له : ارى انه لا بد لي من ان اذكر لك امورا كنت اؤثر الاغضاء عنها •

فنظر اليها لوسيان منذهلا وقال : ماذا تعنين يا اماه وما هذه الامور ؟

ـ انك تعجب دون شك حين تراني مصرة على تزويجك باورور في حين انك تراني اكره اباها اشد كره •

ـ هي الحقيقة فقد خطر لي مرارا هذا الخاطر دون ان استطيع تأويله •

ـ لقد آن اوان الاباحة لك بكل شيء •

ـ تكلمي يا اماه فاني مصغ اليك •

ـ لقد كان لابيك يا بني شقيقان احدهما والد اورور والآخر كبير بيت دي مازير •

وكانت اسرة مازير فقيرة ولكنها عريقة بالنسب فتزوج عمك الاكبر اميرة المانية فنال منها ثروة عظيمة فمنذ سبعة اعوام اي بعد وفاة ابيك بزمن طويـل احترق قصر عمك فالتهمته النار مع امرأته وولده وهو هذا القصر الذي نقيم فيه الان وقد اتصل الينا بالارث فاعدنا بناءه .

ـ العلنا ورثنا امواله ؟

ـ نعم ، ولا .

ـ اني لا افهم ما تقولين .

ـ ان رجال الشرع حين جردوا ثروة عمـك صاحب هذا القصر الذي ورثناه منه قالـوا ان ثلاثة ارباع هـذه الثروة مفقودة وان المال المفقود كله اوراق مالية موضوعة في صندوق صغير من الحديد غير ان هذا الصندوق لـم نجده فلم نرث غير الارض فاقتسمناها مع عمك والد اورور .

ـ الم تعلموا من اخذ الصندوق ؟

ـ كلا ولكن اصغ لي فان لعمك المتوفي قصرا فـي باريس في شارع باي كان الصندوق فيـه فلما كان عمك المتوفي هنا دخل لص الى القصر في باريس ومعه شريكان فاوثقوا حارس القصر وكمموا فمه غير ان الحارس عرف اللص بالرغم من تنكره .

ـ العله تمكن من سرقة الصندوق ؟

ـ هذا ما نظنه .

ـ ولكن اية علاقة يا اماه بين هذه السرقة وبين كرهك

عمي والد اورور ؟

ــ ان ذلك اللص الذي عرفه حارس القصر هو عمك والد اورور .

فوقف لوسيان منذعرا وقال : رباه ماذا اسمع ايمكن هذا ؟

ــ لقد كان ذلك فاننا لو افترضنا ان الحارس قد خدع به فكيف اختفى الصندوق ؟

فسكت لوسيان هنيهة ثم قال : ارأيت يا اماه كيف اني لا استطيع الاقتران باورور ؟

ــ لماذا ؟

ــ كيف تسألينني وانت تقولين ان اباها سرق المال فهل تريدين اناتزوج ابنة لص ؟

ــ اني اريد ان تتزوجها كي يعود هذا المال اليك بعد وفاة ابيها وليس ذلك اليوم ببعيد فان مرضه شديد .

فقاطعها لوسيان وقد بدت عليه علائم الكراهة والاشمئزاز وقال : يشهد الله يا اماه اني احبك واحترمك ولا احب حبا يعادل حبي لك في هذا الوجود ورجائي انك ما اردت فيما قلته لي الان غير تجربتي .

ثم حيا امه وحاول الانصراف فادركت امه انها تسرعت في اخباره مثل هذه الامور مرة واحدة وقالت له : اذا كان الامر كذلك فلندع امر هذا الزواج في الوقت الحاضر .

ــ بل وفي كل حين وارجو ان لا تحدثي به نفسك

فانه محال وبعد ذلك فتح البـــاب ودخل خادم يعلـــن ان العشاء قد تهيأ •

فدخل لوسيان مع امه الى قاعة الطعـــام فتعشيا ثم افترقا •

ودخلت امه الى غرفتها فجعلت تقول في نفسها اني قد اخطأت خطأ عظيما بعدم مراقبة لوسيان فان قراءة كتب الفلاسفة قد جعلته يحتقر المال ويميل الى مبادئهم وقــد اخطأت ايضا بما رويته له عن عمه ولكني ارجو ان يصلح اجتماعه باورور ما افسدته بتسرعي •

وفيما هي تنـــاجي نفسها دخلت عليهـــا تنوان وهي وصيفتها فقالت لها الكونتس : ارأيت لوسيان يا تنوان ؟

قالت : نعم فهو يتنزه في الحديقــة ولكن ملامـــح الغضب بادية بين عينيه ولا شك انك بحت له ببعض الاسرار

ــ نعم فلقد اخبرته بشأن عمه •

ــ انك اخطأت يا سيدتي خطأ لا يغتفر لا سيما وانك تتهمين والد اورور نفس التهمة التي يتهمك بها •

ــ لم افهم ما تقولين •

ــ ان الكونت اذا كـــان يريـــد تزويج ابنته اورور بلوسيان فلاعتقاده انك انت سارقة الصندوق •

فذهلت الكونتس وجعلت تنظر الى الوصيفــة نظر الفاحص دون ان تتكلم •

• • •

١١
الوصيفة الخطرة.

ان هذه الوصيفة كانت تبلـغ عمر سيدتها الكونتس وهي ليست على شيء من الجمال ولكن في عينيها سر عجيب ولنظراتها تأثير غريب •

وكانت من احدى قبائل النور قدمت الى باريس في صباها تلتمس الرزق فاقتبست في تلك العاصمة من الدهاء والحيلة ما جعلها في طليعة الماكرات من بنات حواء •

وبعد ان ارتكبت جميع انواع الموبقات سنحت لها فرصة فاتصلت بدهائها بوالدة لوسيان وكانت لها وصيفة دون ان تعرف حقيقة ماضيها فلم يمض بها ردح من الزمن حتى باتت سيدة القصر المطلقة لها الكلمة النافـذة والقول الفصل فيه حتى ان لوسيان نفسه كان يخشاها والكونتس لا تخرج في شيء عن رأيها •

ولم يكن دخولها في خدمة الكونتس الا لمآرب لها فقد وقفت بمكرها علـى اسرار الكونتس وكـانت تعرف مصطلحات فن التنجيم فكانت تتذرع بها الى بلوغ غاياتها •

فلما دخلت الى الكونتس وقالت لهـا ، ان الكونت

يعتقد ايضا انك انت سارقة الصندوق ساد السكون هنيهة بينهما ثم قالت لها الكونتس : لقد تقدم لك انك قلت لي مثل هذا القول فكيف تبرهنين عليه •

فقالت لها النورية ، على ماذا تريدين البرهان أعلى اعتقاد الكونت انك السارقة ؟ ــ نعم •

فجلست تنوان النورية قربها وقالت لها ، اذن فاعلمي ان والد اورور نفسه قال لي هذا القول •

ــ متى وكيف كان ذلك ؟

ــ اني ذهبت برسالة الى مدموازيل اورور فلم تكن ساعتئذ في القصر لانشغالها بالصيد فلقيني ابوها واستقبلني استقبالا حافلا واجلسني بجانبه ثم جعل يسألني الاسئلة العديدة فكان مما قاله لي اتعلمين يا تنوان ان سيدتك الكونتس تعيش عيش اقتصاد لا ينطبق على ثروتها الطائلة؟

فقلت له ، ولكن ثروة سيدتي لا تزيد عن ثروتك فقد اتصلت اليكما من مصدر واحد واقتسمتماها على السواء•

فهز كتفيه وقال : والصندوق ؟ ولكن لا بأس فان ابنتي ستجده اذا انكرت الكونتس وجوده •

فقاطعتها الكونتس وقالت : اهو قال هذا القول ؟

ــ نعم • ــ اكانت لهجته صادقة ؟

ــ اني تبينت صدقه في اعتقاده من لهجته ومن عينيه•

ــ اذا كان ذلك كذلك فلا ابالي بعد الآن بما حدث من المقاطعة بين لوسيان واورور فانه يجد كثيرا من

الفتيات الغنيات يتزاحمن عليه •

ــ وفوق ذلك يا سيدتي فان اخلاق اورور مناقضة لاخلاق لوسيان اتم التناقض فلا يجدان في زواجهما ساعة هناء •

غير ان الكونتس لم تكن تفتكر بولدها واورور بل كانت منصرفة باهتمامها الى الصندوق فقالت للنورية : اذا كان والد اورور لم يسرق هذا الصندوق فمن سرقه واين هــو ؟

فاتقدت عينا النورية لهذا السؤال الصريح وقالت : اني واثقة يا سيدتي من انك تصغين لي الى النهاية • قالت تكلمي •

ــ اخلني واثقة من معرفة السارق ــ من هو ؟

ــ هو الكونت دي مازير نفسه ، بكر هذه العائلــة وبكر الارث •

ــ ما هذا الجنون يا تنوان ، ان الكونت قد التهمته النار مع امرأته وابنته •

فابتسمت النورية وقالت ، أأنت واثقة يا سيدتي ان الابنة قد احترقت ايضا في القصر ؟

فارتعشت الكونتس وقالت : اذا لم تكن قد احترقت فأين هي وماذا جرى لها ؟

ــ انهم وجدوا جثتي الكونت والكونتس ولكنهــم لم يجدوا جثة الفتاة •

ـ من انقذها ؟
ـ لا اعلم الآن .
ـ اتظنين ان لاحتجاب الفتاة علاقة بالصندوق ؟
ـ دون شك فان ما يحتويه هذا الصندوق من المال الجزيل انما جعل مهرا لهذه الفتاة .
فاضطربت الكونتس وقالت : احق ما تقولين ؟
ـ هذا ما بدا لي وفوق ذلك فان صناعة التنجيم لا تدع خفيا الا اظهرته .
ـ اتظنين ان الكونت قد احرق نفسه بالنار ؟
ـ بل اعتقد اعتقادا راسخا .
ـ اذن من انقذ الفتاة ؟ ولكنها لم تكد تقول هذا القول حتى احمر وجهها ومرت في خاطرها ذكرى بعيدة فقالت :
ـ هو هو دون شك .
وقد عرفت النورية هذا الرجل الذي عنته الكونتس دون ان تلفظ اسمه فقالت لها :
ـ العلك تعنين يا سيدتي راؤول دي مورلبير ؟
ـ نعم .
ـ الم يقولوا لك انه قتل في البلاد الاميركية ؟
ـ هو ذاك .
فاضطربت الكونتس وقالت لها :
ـ لا تذكري امامي اسم هذا الرجل فانه مجلبة للشر.

فضحكت النورية وقالت : لا يجلب الشر يا سيدتي غير الخوف وتقريع الضمير واذا كنا قد قتلنا الام فقد يتفق ان الذي كان لا يزال يذكرها انقذ ابنتها •

ولم يكن موقف المرأتين في تلك الساعة موقف خادمة ومخدومة بل موقف اثيمتين اشتركتا في جريمة هائلة فكانت الكونتس ترتعش وتضطرب والنورية تنظر اليها وتبتسم ثم رجعت الكونتس الى سكينتها فقالت : اظن يا تنوان ان خوفنا لا محل له فان راؤول قد مات وفوق ذلك فانه لم يكن في هذه البلاد حين شبت النار في القصر •

— انك مخطئة ايضا يا سيدتي •

— كيف ذلك ؟

— اتذكرين يا سيدتي جاك ذلك الجزار الشيخ الذي كان يقول ان الكونت قد وضع النار بيده في القصر ؟

— نعم وهو قد مات •

— ولكنه اخبرني قبل موته انه رأى فارسا في ليلة الحريق جاء الى دكانه فربط جواده في احدى اشجار الغابة وتعشى عند الجزار فلما اربد الظلام برح دكان الجزار بعد ان سأل عن الطريق المؤدية الى قصر بوربيير •

— على ماذا يدل ذلك ؟

— في اليوم الثاني رأى الجزار هذا الفارس يخترق الغابة وامامه فوق جواده ولد صغير •

فاضطربت الكونتس اضطرابا شديدا وقالت :

ـ رباه ألعل عقاب الله قد دنا ؟

فاجابتها تلك النورية الهائلة :

ـ اني لا اثق بالله ومن عرف كيف يخفي جريمته لا يعاقب •

فارتعدت الكونتس وقالت :

ـ اذهبي عني فما انت الا شيطان رجيم واني بت اخافك •

غير ان النورية بقيت في مكانها وقالت : ارى انه يجدر بسيدتي ان تسمع بقية حديثي وتعلم كل ما اعلمه بدلا من ان تخافني •

ـ تكلمي اذن •

ـ انك اخطأت بما اخبرت به ابنك عن عمه الكونت دي مازير والد اورور •

ـ ان لوسيان لم يعد راغبا في زواج اورور فلا بأس بما قلته •

ـ انك مخطئة يا سيدتي فليس والد اورور هو الذي حال دون هذا الزواج وهو لو كان من الابرار الصالحين لما رضي لوسيان بهذا الزواج •

ـ لماذا ؟

ـ لان الصياد يستطيع ان يطارد ارنبين ولكن الرجل لا يستطيع ان يهوى امرأتين فان ابنك يا سيدتي بات من العشاق •

فدهشت الكونتس وذكرت ان ابنها قد تغيرت اخلاقه منذ شهرين فبات منقبضا مفكرا مهموما بعـــد زهو ، ثم قالت لها : بمن هو مفتون ؟

ــ اني لا استطيع ان اذكر لك اسم التي يهواها فاني لا ابرح القصر كما تعلمين ولا اعلم ما اسمعه غير اني اقول لك ان لوسيان يعود الى القصر متأخرا ساعتين وثلاث عن رجال الصيد •

ــ ماذا تستنتجين من ذلك ؟

ــ استنتج اولا ان لابنك عشيقة يزورها بعد الانتهاء من الصيد ثم ارى ان الشفاليه يعلم من امره اكثر ما اعلم•

ــ كيف عرفت ذلك ؟

ــ سمعت هذا الشفاليه يقول لابنك وهما خارجان الى الصيد اعتمد علي يا لوسيان تجد ان الامور تجري على ما تريد ولا اظنه يسأله الاعتماد عليه الا في هذا الغرام •

فقالت لها الكونتس ، اذهبي ، الآن يا تنوان واحذري ان تروي كلمة من حديثنا لاحد فابتسمت النورية وانصرفت دون ان تجيب •

وفي اليـــوم التالي لم يذهب لوسيان الى الصيـــد فاجتمعت به امه وقالت له : اذا كنت غير راغب في الزواج يا بني بابنة عمك فليكن ما تشاء وثق اني لا احدثك عنها بعد الان •

فعانقها لوسيان فرحا مسرورا وقال لهـــا : لا شك

عندي انك خير الامهات .

وعند ذلك دخل الشفاليه فخفق قلب الكونتس وقالت في نفسها ، لا بد لهذا الشفاليه ان يبوح بكل شيء .

. . .

كان هذا الشفاليه عائدا من قصر بوربير فلما دخل على لوسيان وامه نظر الى لوسيان نظرة معنوية باغتتها الكونتس فقالت في نفسها ، لا شك ان بينهما سرا لا بد لي من الوقوف عليه .

وجلسوا جميعهم حول مائدة العشاء فكان لوسيان باش الوجه منبسط النفس لما رآه من موافقة امه على عدم زواجه بابنة عمه فلما فرغوا من العشاء دعت الكونتس الشفاليه الى ملاعبتها بالشطرنج .

وكانت تقصد بذلك الاختلاء معه فانها كانت تعلم ان ابنها يكره الشطرنج كرها شديدا بحيث لا يجلس في مجالس لاعبيه .

وقد اتفق لها ما ارادت فانه بعد ان احضر الخادم لهما الشطرنج اقام لوسيان معهما هنيهة ونزل الى الحديقة.

وعند ذلك خلت الكونتس بالشفاليه فقالت له : انك صديق ولدي الحميم اليس كذلك يا شفاليه ؟

ـ اتشكين بذلك يا سيدتي ؟

ـ ليس لي اقل ريب ولهذا اردت ان اكلمك بشأنه على انفراد فان ولدي يخبرك بسرائه وضرائه وانت واقف

على جميع اسرار قلقه دون شك •

ـ هو ذاك يا سيدتي فاني اعلم ان العلاقة فاترة بينه وبين ابنة عمه •

ـ انهما متخاصمان ـ ولكنه خصام لا خطورةفيه•

ـ وفوق ذلك فقد علمت انه يعشق سواها واريد ان اعرف منك تلك التي يعشقها •

فنظر اليها الشفاليه متكلفا الانذهال دون ان يجيب فقالت له اني لست من الامهات الظالمات فاذا كان لوسيان يأبى الزواج بابنة عمه فلا اعترضه فيما يريد وليتزوج من يشاء غير اني اريد ان اعرف تلك التي يهواها •

فسر الشفاليه لما رآه من عدم اصرار الكونتس على زواج ابنها بابنة عمه فان ذلك يمهد له سبيل الزواج بها ، وقال للكونتس بعد ان تظاهر بالتردد ، انك تسألينني يا سيدتي ان ابوح لك بسر قد تكون الاباحة به حياته •

ـ لم افهم ما تقول •

ـ افترضي يا سيدتي انني بدلا من ان احدث اما ذكية الفؤاد مثلك اكلم اما ملء قلبها الحنو •

فقاطعته وقالت له بخيلاء : لقد كنت من نساء البلاط يا سيدي الشفاليه •

فانحنى الشفاليه وقال : لولا يقيني يا سيدتي من ذكائك لكنت آثرت الكتمان على خيانة لوسيان ولذلك اعترف لك بما اعلمه من امره وابدأ بالقول انه حقيقة عاشق

مفتون ولكني ارجو ان لا يكون من وراء ذلك ضرر ٠

ــ ولكن من هي التي يهواها ؟

ــ هي فتاة في منزل حداد يلقبونها بربيبة الدير ؟

فضحكت الكونتس وقالت : من هو هذا الحداد ؟

ــ انه يدعى داغوبير ٠ ــ والفتاة ؟

ــ انها تدعى حنة وهي في السادسة عشرة من عمرها ولها ادب جم وجمال عظيم ٠

ــ اشكرك يا سيدي الشفاليه فقد طمأنتني بعد ان كنت شديدة الاضطراب ٠

ــ هذا ما اوده يا سيدتي غير ان هـــذه الفتاة سلبت عقل لوسيان ٠

فضحكت الكونتس وقالت : ان هذا الغرام يكلفه بعض المال وهذا كل ما فيه مـــن الخطر فقص علي حوادثه فاني اجد بها تسلية عظيمة ولنبدأ بالحداد فقل لي اين يقيم هذا الرجل ؟

ــ عند باب الدير ٠ ــ لقد عرفته فهل هذه الفتاة ابنته؟

ــ كلا بل هي قريبته٠ ــ وكيف لقبت بربيبة الدير ؟

ــ اظن انها لقبت بهـــذا اللقب لان الرهبان يتولون حمايتها ٠

ــ فضحكت وقالت : اذن لا يروق في عيونهم هذا الغرام ٠

ــ لا تضحكي يا سيدتي فان الامر اشد خطورة مما

تظنين لا سيما وان نسب هذه الفتاة مجهول لا يعلمه احد •
ـ ألم تقل انها قريبة داغوبير ؟
ـ نعم وانما رويت اشاعة من الاشاعات المتناقلة عنها ومن هذه الاشاعات ان داغوبير كان يريد الزواج منذ ستة او سبعة اعوام ويبحث مع مريديه عن عروسة له ولكنه رجع فجأة عن هذا القصد لانتقال هذه الفتاة الى منزله دون ان يعلم احد كيف اتت حق العلم ولكن الشائع انها بنت الاب جيروم •
ـ من هو الاب جيروم هذا ؟
ـ هو رئيس الدير وحياة هـذا الراهب مكتنفة بالاسرار وقد كثرت الاشاعات فيه •
ـ تقول ان الفتاة جيء بها الى داغوبير ؟ ـ نعم •
ـ اهي التي ولع بها ابني ؟
ـ ان ولوعه بها شديد يا سيدتي حتى انه يريد ان يتزوجها •
فضحكت الكونتس ضحكا عاليا استاء له الشفاليه فحادثها عن سبيل الانتقام بجميع ما جرى لابنها مع داغوبير وانه طلب مقابلة رئيس الدير فابى ان يقابله •
غير ان الكونتس لم يسوءها شيء مما جرى لولدها وقالت له :
ـ اذن هذه الفتاة حسناء؟ ـ انها خلقت كما اشتهت•
ـ ولا يعلمون اصلها ؟

ـ ان في اصلها ثلاثة اقوال الاول انها قريبة داغوبير والثاني انها بنت الاب جيروم ولدت سفاحا في ايام غروره قبل ان يأتي الى الديـر والثالث قول آخر تفرد بروايتـه جزار القرية •

فارتعشت الكونتس وقالت : ماذا يقول هذا الجزار؟

ـ يقول ان فارسا جاء في صباح يـوم الى داغوبير فاودع عنده تلك الفتاة التي يهواها ابنك لوسيان •

ـ وماذا جرى للفارس ؟

ـ انه سافر ولم يعد يعلم احد ما جرى له بعد ذلك •

فاطرقت الكونتس مفكرة ثم قالت : كل ما قلته لي مفكه ما خلا مسألة الزواج فان لوسيان لا فرق عنده بين العامة والنبلاء •

ـ ولكننا بالقرب منه نراقبه فنقيه هذا الخطر •

ـ كيف تقيه ؟

ـ بابعاد داغوبير عند الاقتضاء وبمغافلة الاب جيروم واختطاف الفتاة •

ـ ان ذلك سهل بالقول لا بالعمل وفوق ذلك فانك على طول عشرتك لولدي لم تختبره حق الاختبار فانه اذا اختطفها تزوجها •

فابتسم الشفاليه وقـال : اذا لم اكن قـد احسنت اختباره فقد احسنت صداقته فلا يعقد هـذا الزواج وانا ساهر عليه •

ـ بورك فيــك يا شفاليه وانا سأكون لك عونا في انتزاع هذه الوساوس من صدره فينجو مــن هذا الخطر المحدق به باذن الله •

ـ وعسى ان يحقق الله رجاءنا ويرجع لوسيان الى هداه •

ـ اني واثقة من صداقتك وانك ستلزمه لزوم الظل والان فانك ذكرت لي ان حياة الاب جيروم تكتنفها الاسرار فهل لك ان تذكر لي ما تعلمه من الاشاعات عنه ؟

ـ حبا وكرامة يا سيدتي •

فاتكأت الكونتس على كرسيها وجلست تسمع بملء الاصغاء حكاية الاب جيروم •

١٢
النورية

وقد قص لها جميع ما عرفه القراء من الاشاعات عن الاب جيروم وزاد على ذلك هذه الحكاية وهي ان الاب جيروم قبل دخوله الى الدير قدم مع خادم له فاقام في فندق يومه وفي المساء ذهب الى الدير فعــاد الخــادم الى ذلك الفندق وحده في اليوم التالي وهو يبكي بكاء شديدا فلم يعلم احــد منه شيئا عن مولاه سوى انه لم يدخل الدير الا لنكبة غرام.

فقاطعته الكونتس وقالت : الم تعرف اسمه الحقيقي ؟

ــ لم يعرف منه سوى ان صاحبة الفندق روت انها سمعت خادمه يناديه في بعض الاحيان باسم اموري •

فدهشت الكونتس دهشا عظيما وقالت : اموري ؟

ــ نعم يا سيدتي اتعرفينه ؟

فثابت الكونتس من دهشتها وابتسمت قائلة : ان بيت اموري بيت قديم واذكر اني عرفت رجلا من هذه الاسرة كان حارسا في بلاط الملك السابق •

ــ الا يمكن ان يكون الاب جيروم ؟

ــ كلا فان ذلك الحارس لم يكن على شيء من مبادىء الزهد والنسك وقد سررتني ايها الشفاليه بما رويته لي من هذه الاقاصيص لا سيما فيما تعلــق بغرام ولدي لوسيان ولكني اعترف لك انك لو لم تعهد لي بمراقبة لوسيان لكان خوفي عليه عظيم فانه كثير الاقدام لا يحفل بالتقاليد ولا يكترث بالانساب فهو في ذلك على مذهب فلاسفة اليوم •

ــ كوني مطمئنة يا سيدتي فلا خوف عليه مــن مغبة هذا العار وانا ساهر عليه •

ــ اتتعهد لي بمراقبته الليل والنهار؟ ــ بل اقسم لك•

ــ واني منك عهد آخر وهو ان لا تخبر لوسيان بما جرى بيني وبينك وارى انه يجب ان توافيه الى البستان او الحديقة اذ لا بد انه يتنزه الان فيهما ويناجي نفسه باماني الغرام فلا تولد في نفسه الشك •

ــ لقد اصبت يا سيدتي وها انا ذاهب اليه •

ثم قبل يدها وانصرف للاجتماع بلوسيان فلم يخرج من الغرفة حتى نادت الكونتس وصيفتها فقالت لها : اظن انك غير مخططة يا تنوان ٠ ــ بماذا ؟

ــ باعتقادك ان ابنة الكونت دي مازير لم تمت ٠

ــ اني واثقة كل الوثوق ٠

ــ ولكن اتعلمين اين هي ؟ ــ كلا ٠

ــ اذن فاعلمي انها تقيم على مسافة مرحلتين من هنا في دكان رجل حداد عند باب الدير وهي تلك الفتاة نفسها التي يعشقها لوسيان ثم اتعلمين من هو رئيس الدير ؟

ــ هو الاب جيروم ٠

ــ هو ذاك ولكنه كان يدعى قبل دخوله الدير اموري ٠

ــ اني لا اعرف هذا الرجل ٠

ــ لقد نسيت اني لم اخبرك بهذه الحوادث القديمة ولكن اذا كان هو نفس اموري الذي عرفته من قبل فهو صديق راوول الحميم وقد احبها ٠

ــ احب من ؟ ــ احبها هي ٠

فقطبت النورية حاجبيها وعادت الكونتس الى الحديث فقالت : ولكن اذا كانت ربيبة الدير ابنة الكونت دي مازير كما تبين لي فلا شك ان الاب جيروم هو نفس اموري الذي عرفته ٠

ــ وماذا تستنتجين من ذلك ؟

ــ استنتج ان صندوق الاوراق المالية موجود لدى

الاب جيروم • — هذا لا ريب فيه •

فاتقدت عين الكونتس وقالت : لا بد لي من الاستيلاء على هذا المال • فابتسمت النورية ابتسام الابالسة وقالت ، من اخبرك يا سيدتي بجميع هذه الامور ؟

— الشفاليه دي فولون •

— ايعلم ان ابنة الكونت لم تمت •

— انه لا يعلم شيئا من هذه الاسرار ما خلا ان داغوبير الحداد عهد اليه منذ ستة اعوام بتربية هذه الفتاة وان هذه الفتاة يعشقها ولدي لوسيان •

فاطرقت النورية هنيهة مفكرة ثم قالت : ألا يمكن لسيدتي ان تستغني عن خدمتي يومين ؟

— ماذا تفعلين في خلالها ؟

— اعلم اذا كانت الفتاة هي حقيقة ابنة الكونت دي مازير •

— اتذهبين الى الدير ؟ — بل الى دكان الحداد •

— بأية حجة ؟ — ان الحجج كثيرة •

— ولكن بماذا تستعينين على كشف هذه المخبآت ؟

— بتضلعي في فن التنجيم •

— ولكنها فنون خرافة اذا صدقت الظواهر فيها مرة كذبت الفا •

فابتسمت النورية وقالت : اكذبت فيك مرة يا سيدتي

— هو ذاك ، وقد يكون صدق ما تنبأت لي عنه من

قبيل الاتفاق وما كنت احسبك ممن يتعقدون بهذه الترهات

ــ كيف لا اعتقد بها وقد تركت بما دلتني عليه ولدي .

فدهشت الكونتس وقالت : انت لك ولد وانا لا ادري

ــ نعم وانما كتمت عنك امره اذا لم اجد سبيلا لرواية خبره لا سيما واني عولت على الابتعاد عنه دهرا طويلا .

ــ لقد ادهشتيني بهذا الخبر فأين ولدتيه ، واين تركتيه وكيف عولت على الابتعاد عنه .

ــ اني ولدته سفاحا فوق قمة في قرية بوجيفال وعهدت بتربيته الى امرأة صاحبة حانة تدعى مدام فيبار اما سبب ابتعادي عنه فهو اتصالي بك والتصاقي بخدمتك وهذا التنجيم الذي تعلمته في بلادي منذ الحداثة .

ــ وماذا كشف لك التنجيم ؟

ــ اني نظرت في يد ولدي بعد ولادته فذعرت لتلك الظواهر وأيقنت انه سيكون له في هذا الوجود اعظم شأن وسيجري فيما يمر به من ادوار الحياة شوطين شوطا يكون فيه رسول جهنم على الارض وشوطا يكون فيه من ملائكة الله ولذلك دعوته بطل العالم .

ــ وما معنى هذا الاسم الغريب ؟

ــ انه في لغتنا النورية يراد بـه الملكان وهما ملاك الخير وملاك الشر وقد جمع هذان النقيضان بولدي فانـه في بدء امره ستكون (راؤه رعبا . وواؤه وزرا . وكافه

كفراء والفه اثما ٠ وميمه معرة٠ وباؤه بلية٠ ولامه لؤما)٠ ثم ينقلب بعد تفاقم شره فتصبح : (الراء رحمة ، والواو ورعا ٠ والكاف كمالا ٠ والالف احسانا ٠ والميم مبرة ٠ والباء بركة ٠ واللام لواذا) ٠ فبينما هو حليف الابالسة اذا هو من رسل الله ولذلك اردت الابتعاد عنه حذرا من بطشه الى ان يفرغ من شوطه الاول ويعيش عيش الابرار فانضم اليه اذا فسح في الاجل ٠

ــ اهو الآن في شوطه الاول ؟ ــ انه يتمرن عليه ٠

فابتسمت الكونتس وقالت لها :

ــ لا جرم ان الحية لا تلد الا الحية يا تنوان ٠

فأجابتها تنوان بمثل ابتسامتها وقالت :

ــ والطير لا يقع الا على شكله يا كونتس ٠

فلم تظهر الكونتس استياء من هذا التلميح لما كان يصل بين المرأتين من الاسرار وعادت الى حديثها الاول فقالت :

ــ اذن ستذهبين غدا الى دكان هذا الحداد ؟

ــ بل اذهب الليلة فلا ابقي الى الغد ما اقدر ان افعله الآن ٠

ــ ولكن الا تخافين ان تجتازي الغابة في ظلام الليل؟

فضحكت تنوان ضحك الابالسة وقالت :

ــ ان من لا يخاف الله لا يخاف الانسان ٠

ــ ولكن المسافة لا تزيد عن ساعتين فاذا ذهبت الآن

فاين تبيتين بقية الليل ؟

ـ ولكني سأذهب بعد ساعتين فأصل عند الفجر .

ـ اذن مري السائق يعد لك المركبة .

ـ بل اني اعدها بنفسي وسأركب المركبة المعدة لنقل الخضر واسوقها انا فلا احب ان يعلم احد اين اسير .

ـ افعلي ما بدا لك فقد عودتني ان لا اعترضك فيما تريدين .

ـ وانا ارجو ان لا تندمي لثقتك بي فاني كما اخلصت لنفسي اخلصت لك . ثم تركتها وانصرفت الى الاسطبل فاعدت العلف للجواد وعادت الى غرفتها فتأهبت للرحيل .

. . .

بينما كان الجواد يأكل علفه كانت الكونتس في غرفة نومها نائمة في سريرها وتنوان تتأهب للرحيل وقد تزيت بملابس النور .

وكانت غرفتها ملاصقة لغرفة الكونتيس يفصل بينهما باب داخلي يفتح من الغرفتين فبينما كانت النورية تنظر نفسها في المرآة وقد فرغت من اللبس سمعت الكونتس تصيح صياحا مزعجا ففتحت الباب واسرعت اليها فلما رأتها الكونتس صاحت صيحة اخرى وقالت لها : آه لو عرفت . قالت : ماذا جرى ؟

وكانت علائم الذعر بادية في وجه الكونتس وقد امتقع لونها وغارت عيناها فقالت لها بصوت مختنق : اني

رأيتها وانا لم اكد اغفو وقد صحوت لصوت سمعته ففتحت عيني فرأيت نورا عند الباب • فضحكت تنوان وقالت :

ـ لقد اوشكت هيئتك ان تخيفني فما هذا الجنون ؟

فاصطكت اسنانها من الخوف وقالت : قلت لك اني رأيتها •

ـ من هي التي رأيتها ؟

فاجابتها وهي لا تكاد تفسر اللفظ من الرعب « هي هي » وقد رأيتها مصفرة الوجه فنظرت الي بعينين تتقدان نارا وقالت لي : احذري ان تمدي يدك بسوء الى ابنتي او تموتي افظع موت •

فحاولت تنوان ان تتكلم ولكن الكونتس قاطعتها فقالت لها حين قالت هذا القول كانت كتلة من نور ابيض ثم تحولت الى شعلة من نار بعد ان اتمت وعيدها وتوارت عن الانظار فشعرت عندئذ انهم قبضوا علي وربطوا يدي ورجلي ثم القوني في مركبة وساروا بي فكان الناس يسيرون افواجا في جانبي المركبة وهم ذاهبون بي الى ساحة الموت الرهيب ولكني لم اعلم كيف يكون موتي وعند ذلك صحت صيحة منكرة فاختفى كل شيء •

فضحكت تنوان وقالت : تريدين انك صحوت من الرقاد ؟

ـ اني لم اكن نائمة •

ـ بل كنت نائمة وانت لا تعلمين فاصابك الكابوس•

ـ ليس ما رأيته حلما بل قد رأيتها حقيقة وسمعت صوتها •

ـ ان الاموات لا يرجعون •

ـ بل روحها التي تمثلت لي ولا سبيل الى الجدال معك فانك لا تعتقدين بشيء •

ـ اني لا اعتقـد الا بحقائـق العلم وبذلك القدر المرسوم في اليد •

ـ اذن اعيدي النظر في يدي واخبريني اذا كان قد تغير ما كتب لي في لوح المقدور فانت نفسك تعترفين ان خطوط اليد تتغير •

ثم بسطت يدها للنورية وقد خف ما خامرها من الرعب فتأملت تنوان مليا في خطوط تلك اليد وقالت :

ـ ان خطك لا يزال على ما كان عليه فستكونين من اغنى الناس •

ـ متى ؟ ـ في وقت قريب •

ـ أأجد الصندوق ؟ ـ نعم •

ـ وهذه الفتاة التي نحسبها ابنتها ؟

ـ سأخبرك بذلك غدا ثم غيرت الحديث فجأة كأنما خطر لها خاطر فقالت : انظري الي جيدا يا سيدتي ألا اشبه بملابسي النوريات ؟ ـ هو ذاك •

ـ ألا يحسبني الناظر الي من اللواتي يقرأن الطوالع ويكشفن غوامض المستقبل ـ انك منهن وهذه المهنة مهنتك

ـ اني ذاهبة ورجائي ان لا تسترسلي الى الاوهام وان تنامي نوما هادئا •

ـ اني واثقة بقريحتك الجهنمية فاذهبي واعلمي اني

انتظر عودتك بفارغ الصبر • ثم ودعتها وانصرفت فركبت المركبة ودفعت جوادها فسار بها وحدها في ظلام الليل الى الغابة •

بينما كانت تنوان تجتاز الغابة غير هيابة وقد اوشكت ان تبلغ الى نهايتها كان جرس الدير بدأ يدق داعيا الى صلاة الفجر •

وكان داغوبير قد صحا من رقاده فنزل من منزله الى دكانه وكان يمشي بحذر خوفا من ان تصحو حنة •

وقد كان منزل داغوبير يتألف من غرفة واحدة كبيرة فلما جاءته حنة شطر الغرفة شطرين وجعلها غرفتين فأقام كل منهما في غرفة •

وكان داغوبير قبل ان تجيء حنة الى منزله يبدأ عمله قبل الفجر غير مكترث للرهبان فبات بعد مجيئها يشفق على راحتها اشفاقا شديدا فلا تسمع لمطرقته صوت قبل ان تطلع الشمس فكان يشتغل قبل شروقها اشغالا لا دوي لها •

ففي ذلك اليوم نزل داغوبير في الساعة الخامسة من صباحه فاوقد النار ولكنه لم يعمل عملا بل كان مفكرا مهموما وقد كان هذا دأبه منذ ثلاثة ايام فلم يلف الا على هذه الحالة •

وفيما هو على ذلك سمع دوي مركبة ثم سمع ان المركبة وقفت عند باب دكانه وان هذا الباب قد قرع ففتحه ووجد امامه تنوان •

فدخلت تنوان الى الدكان وقالت له : ان نعل الجواد قد سقط وقد اتيتك لتصنع لي سواه ثم دنت مـن النار تتدفأ فنظرت الى داغوبير نظرات كهربته وقالت له : اراك قد استأت لحضوري بل اراك مترددا في صنع النعل فهل كان ذلك لاني فقيرة اكسب رزقي من استطلاع البخت •

فقال لهـا : لست ممن يحتقرون الفقراء فاني منهـم ولكني منزهل لملابسك فهل انت من النور ؟

ـ ان ملابسي قد دلتك خير دلالة على اصلي •

ـ اتتجولين وحدك في هذه المركبة ؟

ـ لقد كان لي زوج قضي عليه فبت وحيدة كما تراني

ـ الى اين انت ذاهبة ؟ ـ الى بيبتهافر •

ـ العلك مضطرة الى الاسراع بالوصول اليها ؟

ـ لماذا تسألني هذا السؤال ؟

ـ لاني لا استطيع ان اصنع النعل قبل شروق الشمس

ـ لا بأس فسأنتظر وقد علمت انه لا يريد ان يوقظ الفتاة ولبثت امام النار تصطلي وداغوبير ينظر اليها معجبا بامرها الى ان بدأ الحديث معها فقـال : اتحترفين مهنـة استكشاف الطوالع ؟

ـ هو ذاك ـ كيف ذلك ، ابالورق ؟

ـ بالورق وبالنظر الى الايدي •

فمرت غمامة بمخيلة داغوبير وظهرت عليه علائم التردد اما النورية فانها جعلت تنظر اليه نظرات جذبت بها حواسه

١٣
دموع حنة

كان داغوبير واقفا يحدثها وينظر اليها فغض بصره ولم يستطع مقاومة تلك النظرات التي اخترقت نفسه وشعر ان لهذه المرأة سلطانا عليه .

وكانت قد قالت له انها تكشف مخبآت المستقبل فشعر بميل عظيم الى معرفة ما خبأته له الايام لا سيما وانه كان حزين القلب منقبض الصدر منذ ثلاثة ايام .

اما سبب انقباضه فهو انه باغت حنة في غرفتها فرآها تبكي وعلم لفوره السبب في بكائها وهي انها تحب ذلك الفتى النبيل الذي طرده من دكانه اقبح طرد وهو لوسيان امتثالا لواجب مقدس لم تعرفه الفتاة ولم يعرفه داغوبير نفسه فانه كان آلة بيد الاب جيروم .

فكان داغوبير يفكر في جميع هذه الامور بينما كانت النورية تسلب ارادته بتلك النظرات وهو واقف موقف الخائف المتردد .

وانما كان خوفه وتردده لان الدين يحرم استكشاف الطوالع فان المستقبل بيد الله غير انه ظهرت عليه فجأة علائم العزم الاكيد فنظر الى النورية وقال لها : العل استكشاف الطالع كثير النفقة ؟ — اني اقبض ريالا من النبلاء .

ـ ومن كان فقيرا مثلي ؟ ـ لا اقبض منه شيئا .

فاستفزته الانفة وقال : ان ذلك لا يكون فاني لا اقبل شيئا مجانا على فقري فاذا اردت انعلت جوادك فكان ثمن النعل مقابل الاجرة . ـ رضيت فهات يدك .

فبسط لها داغوبير كفه فجعلت تتأمل في باطنه بامعان.

ويذكر القراء ان داغوبير كان قد وضع في اصبعه ذلك الخاتم الذي أئتمنه عليه الاب جيروم وانه قد سوده بالدخان كي يذهب لونه الذهبي ولا يستلفت الانظار اليه. غير ان النورية رأت الخاتم فتمعنت فيه خلسة وادركت لفورها انه ليس من الحديد كما انها رأت آثار الشعار فيه فاتقدت عيناها ببارق الرجاء وقالت في نفسها ، لا شك ان هذا الخاتم يتضمن سرا لا بد لي من الوقوف عليه .

وكانت من الدواهي الماكرات فلم تظهر اكتراثا لهذا الخاتم فانصرفت الى خطوط يد داغوبير وقالت له : اني ابدأ بوصف اخلاقك فانك حاد المزاج .

قال هو كذلك ـ ولكنك طاهر القلب سليم النية.

وكانت تقول هذا القول بلهجة الثقة غير ان داغوبير جعل يضحك لكلامها وقال لها : بنعل جواد تهبينني هذه الهبات انك لا شك كثيرة الكرم .

ثم قال : انني افتخر بهذه الصفات .

ـ وانت كابت للارادة اذا عزمت على امر لا تنثني عنه.

ـ لقد صدقت •

ـ ثم انك الوف حسن الوفاء لمن تحب ولكن مزاجك يتغلب عليك احيانا فتحزن من تحبه دون ان تريد •

وهنـا ارتعش داغوبير وذكر حنة وبكاءها فعـاوده الانقباض •

ـهذه هي اخلاقك اما مستقبلك فهو انك ستغدو سعيدا ولكنك تلقي كثيرا من العثرات •

ـ انا اكون سعيدا وكيف تأتيني هذه السعادة ؟

وكانت النورية لا تزال تنظر في يده فاضطربت فجأة وقالت : ماذا ارى ؟ ـ ماذا ؟ ان هذا محال•

ـ ولكن ماذا رأيت ؟

فظهر على النورية علائم الاضطراب ورأى داغوبير ان اضطرابها اخذ بالازدياد فقال لها ، قولي ماذا رأيت •

ـ ارى انك ستغدو من الاغنياء وتكون من النبلاء •

ـ ما هذا المزاح ؟

ـ لست امزح بل اقول الحقيقة فانك سوف تتقلد سيفا وتلبس الثياب المذهبة •

وهنا ذهب كل تأثيرها عليه دفعة واحدة اذ لا يخطر له في بال ان يغدو في حين واحد غنيا نبيلا من رجال السيف•

غير ان النورية لم تكترث لعدم تصديقه نبوءتها فقد كانت منشغلة البال بهـذا الخاتم الذي في اصبعـه حتى اوشكت ان تنسى المهمة التي جاءت من اجلها •

وكان الفجر قد انبثق وبدأ ثغرالسماء يبتسم استبشارا لطلوع الشمس وانقطعت اصوات الاجراس في الدير اشارة الى انتهاء الرهبان من الصلاة ثم اخـذ الرهبان يخرجون افواجا من الديـر فيذهب بعضهم الى الحقـول للاشتغال بالزراعة وبعضهم الى معامل الصنائع فيشتغل كلهم فيهـا بما تعلمه من المهن •

فنظر عند ذلك داغوبير الى النوريـة وكانت تائهـة الفكر فقال لها : سأنعل جوادك الان فان النهار قد تعالى ثم مشى يريد الخروج الى الجواد فاستوقفته وقالت له : ارى انك لم تثق بما قلته لك •

فاجابها ضاحكا : كلا ولكني سأنعل جوادك على كل حال •

ــ ولكني واثقة كل الثقة وما زلت تنعل الجواد دون اجرة فارني يدك الثانية •

فبسط لها يده اليسرى فارتعشت بعد ان تمعنت فيها وقالت : انها تشبه اليد اليمنى والخطوط الدالة على السعادة واحدة ثم اظهرت دهشة فقال لها : ما هذه الدهشة العلك رأيت شيئا جديدا ؟ ــ نعم فانك ستسافر •

فاصفر وجه داغوبير عند ذلك لان الاب جيروم قال له منذ ثلاثة ايام انه سيسافر الى باريس ثم قطب حاجبيه وقـال لها :

ــ انك قلت الحقيقة هذه المرة فاني سأسافر ولكن

متى ؟ — انك مسافر اليوم •

فعاد ابتسام الشك الى شفتي داغوبير وقال لها : لا اظن • وانما لوثوقه من ان الاب جيروم لا يزال مريضا ولا يسافر الا بعد شفائه •

وعند ذلك تركها وخرج الى الجواد فلم تستوقفه النورية •

وفيما هو آخذ بصنع النعل جاءه احد الرهبان وقال له:

— تعال حالا يا داغوبير • — الى اين ؟

— الى الدير • — العلك محتاج الي ؟

— كلا بل ان الاب جيروم يريد ان يراك •

— ولكني مشتغل الان بصنع نعل لجواد هذه المرأة •

— انها تنتظر • فقالت النورية لا بأس فاني غير مستعجلة • فوقف داغوبير موقف المتردد فان حنة كانت في غرفتها وخشي ان تجتمع مدة غيابه بهذه النورية •

غير ان الراهب كان يلح عليه فلم يجد بدا من الذهاب معه فبقيت النورية وحدها في الدكان فوضعت رأسها بين يديها واسترسلت الى التفكير •

وكانت تنوان تعتقد كما قدمنا بخطوط الايدي فجعلت تقول في نفسها ما هذا الاتفاق الغريب وكيف يغدو هذا البيطري الفقير الحقير غنيا نبيلا ؟ ان ذلك مكتوب في كفه لا ريب فيه •

وفيما هي تفكر في امره سمعت صوتا فوق رأسها

فالتفتت فرأت حنة نازلة على السلم الخشبي الموصل بين الغرفة والدكان وهي تنزل ببطء فلما تبينت النورية وجهها جمد الدم في عروقها وقالت ماذا ارى اني لو كنت اعتقد بعودة الارواح لقلت ان هذه الفتاة (هي) •

ذلك ان حنة كانت تشبه امرأة عرفتها النورية شبها غريبا وعادت الى مخيلتها ذكرى تلك المرأة •

• • •

كان داغوبير قد ذهب الى الدير وهو يعتقد ان حنة لا تزال نائمة غير ان الفتاة لم تكن تعرف الرقاد منذ ثلاثة ايام فانها كانت تظهر في النهار منقبضة النفس وتحتجب في الليل فتسترسل الى البكاء •

ولم تستطع ان تقول كلمة لداغوبير حين طرد لوسيان ذلك الطرد القبيح فانها حين همت بسؤاله قاطعها فقال لها : اني مخلص لك اسفك دمي في سبيلك ولكن لا تسأليني لماذا طردت هذا الفتى •

فسكتت الفتاة ولم تعد تسأله شيئا ولكن انقباضها كان يخترق نفس داغوبير ويقع في قلبه وقع السهام •

فلما ذهب داغوبير الى الدير لم تكن نائمة كما يتوهم وقد سمعت قرع باب دكانه حين جاءت النورية فحسبت حنة ان الطارق الاحدب فوجف قلبها اذ كانت تعلم انه رسول لوسيان فقد رأته حين اوفده لمقابلة داغوبير ولذلك نهضت من سريرها ووضعت اذنها على ثقب الباب المؤدي الى

الدكان فسمعت كل ما دار من الحديث بين داغوبير وبين النورية •

فلما علمت ان داغوبير ذهب الى الدير وان النورية باقية وحدها في الدكان نزلت اليها فوقفت في اسفل السلم وجعلت تنظر اليها نظرات الانذهال لزيها الغريب •

اما النورية فانها وقفت لها احتراما وحيتها بلقب مدموازيل فقالت لها حنة ، لست من السيدات بل انا فتاة فقيرة من طبقة العمال •

فابتسمت النورية وقالت : ان الفلاحات لا يكون لهن هذه الايدي الناعمة المترفة • — العلك تستطلعين البخت؟

— هو ذاك يا سيدتي فاذا اذنت لي ان انظر في يدك انبأتك بامور كثيرة يهمك ان تقفي عليها •

فاحمر وجه حنة وقالت : ولكن اذا عاد داغوبير ورآني معك تكدر • — لماذا يا ابنتي ؟ — لا اعلم •

— ولكني انبأته بمستقبله ولو كان ذلك منكرا لما رضي به لنفسه •

فاطمأنت الفتاة بعض الاطمئنان وغلبها شوق الوقوف على اسرار المستقبل فبسطت لها يدها كما فعل داغوبير من قبل • فنظرت النورية الى باب الدير فلما وثقت انه مقفل اخذت يد الصبية وجعلت تنظر فيها فقالت : ماذا ارى ؟

فاضطربت حنة وقالت لها بصوت يرتجف ، ماذا ترين؟

— ارى انك معشوقة وان الذي يهواك فتى جميل

نبيل يريد ان يتزوج بك ويجعلك من النبيلات فانه كونت.

فصاحت الفتاة صيحة دهش لما رأته من صدق هذه المنجمة .

وعادت النورية الى الكلام فقالت : انك ستكونين كثيرة الغنى يا سيدتي . فابتسمت جنة وقالت : اتهزئين بي ؟

ــ كلا يا ابنتي بل اقول الحقيقة .

ولم تكن جنة تكترث بالغنى فانصرفت الى اميال قلبها وقالت لها : لقد قلت لي اني محبوبة .

ــ هو ذاك والذي احبك قد تدله بهواك .

فارتجفت جنة وقالت : ولكن الا يعترض هذا الحب صعاب ؟

ــ نعم ولكن هذا الفتى النبيل الذي يحبك سيتغلب على جميع الصعاب ثم ان هذه الصعاب لا تكون من جهة اهله .

ــ من اهلك او من الذين يقولون انهم يحبونك .

فافتكرت جنة عند ذلك بداغوبير وقالت لهــا تنوان لا تستائي لذلك يا سيدتي فاني اقرأ مستقبلك في يدك كما تقرأين انت في الكتاب فاعلم منهــا ما سطر لك في لوح المقدور والذي اراه ان من يهواك سيفوز على جميع الصعاب

وعند ذلك سمعنا ان باب الدير قد فتح ورأت جنة ان داغوبير قد خرج منه فافلتت افلات الظبي وقالت للنورية : ارجوك ان لا تقولي لداغوبير انك رأيتيني .

ثم تركتها وصعدت الى غرفتها فبقيت تنوان وحدها.

وبعد هنيهة دخل داغوبير فقال للنورية : انك اذا كنت قد تنبأت لي بامور لا استطيع تصديقها فقد قلت لي ايضا امور اكيدة . قالت : كيف ذلك؟

ــ لقد قلت لي اني قادم علــى سفر ، وقد صدقت نبوءتك ان الاب جيروم رئيس الدير امرني ان اسافر اليوم.

ــ ألعله يرسلك الى محل بعيد؟ ــ الى اورليان.

ــ اذا كنت قد صدقت في نبوءتي فلماذا لا اكــون صادقة في جميعها ؟ ــ اتعنين اني سأكون غنيا نبيلا ؟

ــ هو ذاك فقد قرأت ذلك في يــدك كما قرأت نبأ سفرك . فضحك داغوبير دون ان يجيب واخذ يصنع لها نعل الجواد حتى اذا اتمه قال لها : انك تستطيعين ان تسافري الان .

ــ اشكرك يا سيدي وسوف ترى ان نبوءتي كانت صادقة فلا تذكرني الا بالخير .

فضحك داغوبير وقال لها : وانت سوف ترين ان نعل جوادك كان متينا فلا تذكريني الا بالثناء وواحدة بواحدة.

وسارت تنوان في مركبتها وهي توهم داغوبير انها سائرة في طريق بيتهافر حتى اذا توارت عن انظاره عطفت الى الغابة وسارت فيها حتى وصلت الى قصر بورببير فــي الساعة الثامنة صباحا .

وكانت الكونتس لا تزال نائمة ولكن تنوان كانت

تدخل اليها حين تشاء دون استئذان ففتحت الباب المؤدي من غرفتها الى غرفـة الكوتتس فوجدتها مضطجعـة في سريرها دون نوم واحمرار عينيها يدل على انها لم تنم تلك الليلة فلما رأتها داخلة اليها سرت لقدومها وقالت لها : ما وراءك من الاخبار ؟

فاخذت تنوان كرسيا فوضعته قرب سريرها وجلست عليه ثم قالت لها : لقد صدق ما كنت اتوقعه •

ــ اهي بنت المركيز ؟

ــ هي بعينها وان من يراها يحسب انـه يرى امهـا لشدة الشبه بينهما ولا بـد ان يكـون داغوبير عارفا بسر مولدها فيجب ان لا تتغاضى •• ــ ماذا تقصدين ؟

فاتقدت عينا النورية وقالت :

ــ ان هذا الحداد عثرة في سبيلنا يجب ان نزيلها او تزوج بالفتاة وكان له المال • ــ انك مجنونة يا تنوان •

ــ كلا بل اني واثقة مما اقول بعد ان رأيت ما رأيت •

ــ ماذا رأيت ؟

ــ اني قرأت في عينيه سور الغرام وعلمت من خطوط يده انه سيصبح من الاغنياء وهذه الفتاة مقيمة عنده منذ حداثتها في منزل واحد وهو مفتون بها دون شك واذا لم نحل بينه وبينها تزوجها وكان له الصندوق وما فيه :

ــ أأنت واثقة ان هذه الفتاة هي التي نبحث عنها ؟

ــ لم يبق بعد اجتماعي بها سبيل للريب •

ـ اذن اوافقك على وجوب ابعاده وازالته من طريقنا.

ـ هذا ما اقترحته عليك اذ لا بد منه ولكن كيفه الطريقة .

ـ اني اعهد اليك المهمة والشفاليه سيكون لك خير عون .

فابتسمت النورية ابتسام الابالسة وقالت : لقد احسنت باختيارك الشفاليه فانه لا يقف عند خطر ويستسهل كل صعب في سبيل اغراضه ولا سيما في هذه المهمة فان له منها فائدة .

وعند ذلك خلت المرأتان وكانت الكونتس قد خف ما عندها من الاضطراب الذي لقيته في ذلك الحلم الرهيب فطلبت الى تنوان ان تحدثها بجميع ما اتفق لها في رحلتها.

فحكت لها تنوان كيف اجتمعت بداغوبير وكيفه عرفت من خطوط يديه انه سيغدو غنيا من النبلاء .

فقالت لها الكونتس : اتعتقدين حقيقة بما تقولين ؟

ـ دون شك فلا بد ان يغدو هذا الحداد غنيا نبيلا .

ـ ان هذا محال فلا اصدقه .

ـ ولماذا لا تصدقين يا سيدتي اني حين اتصلت بك كنت نورية اطوف في الشوارع لقراءة البخت فتنبأت لك عن مستقبلك وكشفت لك حوادث ماضيك وكان ذلك سبب اتصالي بك هل كذبت في شيء مما قلته لك ألم يحدث لك كل ما تنبأت به ؟

ـ هو ذاك •

ـ ان مستقبل كل انسان مكتوب في يده ولكن لا يعرف ان يقرأه غير القلائل من الراسخين في هذا الفن •

ـ اذا كان ذلك فلا بد لداغوبير ان يغدو غنيا نبيلا وان يتزوج حنة وينال الصندوق فلا نستطيع ان نحول دون سعادته •

ـ لقد اخطأت يا سيدتي فانك تجهلين اصول المهنة ولا تعرفين غير ما يبدو لك من ظواهرها فان خطوط الكف تدل على المستقبل دلالة لا ريب فيهـا غير ان بـين هـذه الخطوط اخاديد تضيق وتنفرج فتتغير تلك الدلائـل فان المرء قد تكون خطوط كفه تدل على السعادة لان بها اخاديد منفرجة بين الخطوط فاذا ضـاقت يصبـح لهذه الخطوط دلائل اخرى قد تكون دلائل بؤس وشقاء اقول ان مستقبل الانسان قد يتغير بقتل ذلك الانسان او انقاذه •

فاقتنعت الكونتس بتعليلها وقالت لها : اتمي حديثك•

فاخبرتها النورية عند ذلك بامر الخاتم الذي وجدته في اصبع داغوبير وكيف رأت انه قد سوده بالدخان اخفاء للونه الذهبي وشعاره الدال على اسرة صاحبه •

فارتعشت الكونتس وقالت : الهذا الخاتم شعار ؟

ـ نعم • ـ اتذكرين رسم هذا الخاتم وحجمه بالتدقيق ؟

فلم تجبها النورية ولكن اخذت ورقة وقلما فرسمت

على الورقة ذلك الخاتم اصدق رسم وعرضته على الكونتس.

فلم تكد الكونتس تراه حتى صاحت صيحة دهش وقالت : — ان هذا خاتم الكونت دي مازير عرفته من رسمه الغريب .

— اي كونت ؟ — الكونت الذي احترق بهذا القصر .

— اذن لقد احسنت بذهابي الى هذا البيطري اذ لولا هذه الزيارة لما علمنا بامر الخاتم .

— ولا بد لنا من الحصول على هذا الخاتم مهما كلفنا ذلك من الجهد والمشاق اذ لا بد ان يكون في جوفة ورقة مكتوبة . — وماذا تظنين انه يوجد في هذه الورقة ؟

— لا شك انها تتضمن الارشاد الى موضع ذلك الصندوق الذي نبحث عنه فلا نجده وقد اتهمت والد اورور واتهمني بسرقته .

— انك ذكرت لي يا سيدتي الشفاليه دي فولون منذ هنيهة وهو رجل ثابت العزم جدير بالاقدام على كل امر في سبيل غايته .

— اترين ان له غاية ؟ — نعم فهو مفتون بمدموازيل اورور . — اواثقة مما تقولين ؟ — كل الثقة .

— اذن لقد اتضح لي الامر فان اختصام ولدي مع ابنة عمه كان بمكائد هذا الشفاليه ولكن كل ذلك يفيدنا يا تنوان اذا كانت ربيبة الدير هي حقيقة ابنة الكونت

دي مازير •

ــ لقد قلت لك ان من يراها لا يفرق بينها وبين امها كريتشن •

فاضطربت الكونتس وقالت : لا تذكري امامي هــذا الاسم• ــ ليكن ما تريدين ولكن ثقي انها ابنتها •

ــ اذا كانت هي ابنتها وكان الخاتم هو الذي اعرفه وكان الاب جيروم هو الذي كان يدعى اموري من قبل فانا اخبرك بما ينبغي ان يكون قد حدث •

لد عرفت اثنين كانا يحبان والدة هذه الفتاة احدهما اموري وهو رئيس هذا الدير والثاني رجل يدعى راؤول نفس الرجل الذي جاء بالفتاة الى الاب جيروم فاودعها عند داغوبير اما الخاتم فانه يتضمن دون شك سر الصندوق فمن ناله نال ذلك المال ولكن يجب ان نحذر ونتوقــع عودة راؤول • ــ ماذا تريدين ان نصنع ؟

ــ ان ولدي يحب حنة وحنة تحبه اليس كذلك ؟

ــ حبا ليس بعده حب • ــ اذن يجب ان يتزوجا•

ــ وهذا الذي اراه •

ــ وان الشفاليه سيكون لنا خير معين في هذه المهمة ولا يجب ان يعلــم شيئا مــن سرنا ولكني لا اعلم كيف نستطيع استخدامه في اغراضنا دون ان يعلمها •

فابتسمت النورية وقالت : اطمأني يا سيدتي ودعيني اكون الفكر المرشد واليد العاملة •

وعند ذلك نقر باب الغرفة نقرأ خفيفا ودخل لوسيان وهو مصفر الوجه وكل ما به يدل على الاضطراب فذعرت امه لما رأته وقالت له : ماذا حدث ؟ قال : احب ان اكلمك في خلوة يا اماه •

١٤
تنوان

فاشارت الكونتس الى تنوان اشارة فانصرفت وقالت لابنها : اجلس بجانبي واخبرني بماذا حدث •

قال : ان نافذة غرفتي تشرف على البستان كما تعلمين وقد رأيت في صباح اليوم من تلك النافذة تنوان داخلة اليه بمركبة ورأيت على عجلات المركبة وحلا اصفر لا يوجد منه الا في الغابة فاحببت ان اعلم اين كانت فنزلت الى البستان وسمعت البستاني يقول لها : ان نعل الجواد جديد فاين صنعته؟ فقالت له : عند البيطري المقيم عند باب الدير•

ــ اهذا الذي تضطرب من اجله يا بني ؟

ــ نعم • اني احب ان اعلم ما دعا تنوان الى الذهاب الى تلك الجهة • فاخذت الكونتس يد ولدها بين يديها وقالت له بلهجة حنو : اصغ الي يا لوسيان انك لا تحب ابنة عمك وتهوى فتاة فقيرة تريد ان تتزوجها اليس كذلك •

فذعر لوسيان وقال لها : من اخبرك بذلك ؟

فابتسمت الكونتس وقالت له : لقد انبأني به قلبي وانت لا تعرف يا لوسيان قلوب الامهات ، انك ولدي الوحيد وليس لي سواك في هذا الوجود فكيف اعترض سعادتك . تزوجها يا ابني اذا كان في ذلك نعيمك فلا هناء لي الا بهنائك .

فصاح لوسيان صيحة فرح واكب على صدر امه يعانقها ودموع السرور تذرف من عينيه .

بعد ذلك ببضع ساعات ، اي بعد ان حسب لوسيان ان ابواب النعيم قد فتحت له ، كانت امه الكونتس مختلية مع الشفاليه دي فولون . وكانت تقول له :

ـ انك لا تعرف من لوسيان ما اعرفه فانه خلق قبل عصره وهو يحب فتاة الدير حبا يقينا فلو اردت اقناعه ان زواجه بها محال لما بينهما من تباين المقام لما فهم هذا القول اذ هو يحسب ان جميع الناس سواء ولذلك اذنت له بزواجها

فدهش الشفاليه وقال : انت يا سيدتي تأذنين لابنك وهو الكونت دي مازير ان يتزوج فلاحة لا يعرف اصلها ؟

فابتسمت الكونتس وقالت : اننا نجد الف سبب لتأخير هذا الزواج وفي خلال ذلك يثوب الى رشده وتبرد لوعة غرامه اما الان فيجب ان نصنع كل ما يريد .

ـ لقد فهمت مرادك يا سيدتي فليكن ما تريدين .

ـ الم تقل لي ان رئيس الدير والبيطري يحرسانها ؟

ـ نعم • ـ ايوجد طريقة لمغافلتهما واختطاف الفتاة

ـ اني اتعهد بذلك يا سيدتي •

ـ بورك فيك فهذا الذي كنت اتوقعه منك وما زال الامر كذلك فلنسرع بالعمل ولنتداول فيه •

ـ شأنك وما تريدين •

فنادت الكونتس عند ذلك تنوان فلما جاءت قالت لها اجلسي بيننا يا تنوان فاننا في حاجة الى آرائك السديدة •

واقام اولئك الثلاثة يتآمرون على لوسيان بينما كان هذا الفتى الطاهر القلب السليم النية يصطاد العصافير في البستان •

• • •

وبعـد أن فض مجلسهم ذهب الشفاليه الى لوسيان وقال له : ألا تروق لك المحادثة ايها الصديق ؟

فأجابه لوسيان بملء السذاجـة : في أي أمر تريـد الحديث ؟

ـ وأي حديث يشغلنا الآن غير حديث غرامك ، فقل الآن هل لا تزال تحبها ومصرا على الزواج بها •

ـ لن أنثني عن هذا العزم ما حييت •

ـ واذا سألتك ان تطلق يدي في امرك اتمنحني هذه السلطة ؟ ـ دون شك •

ـ اني اسألك ان تطيعني طاعة لا حد لها •

ـ سأطيعك في كل ما اردت •

ـ اذن فاسمع ان امك توافق على زواجك بها اليس كذلك ؟

ـ لقد رضيت بهذا الزواج صباح اليوم •

ـ ولكن يوجد اثنان لا يرضيان به وهما الاب جيروم وداغوبير •

ـ لماذا ؟

ـ لا اعلم فلا بد ان يكون هناك سبب عظيم ولكن ما زال هذا رأيهما فلا بد لنا من الاستغناء عن موافقتهما •

ـ ماذا نصنع ؟

ـان ابواب الدير تقفل في الساعة التاسعة من المساء فلا يخرج الرهبان منه الا في صباح اليوم التالي بحيث لا يبقى من حارس على الفتاة غير داغوبير •

ـ وكفى به حارسا فانه يدافع عنها دفـاع اللبوة عن اشبالها •

ـ لنفترض ان داغوبير غاب عن منزله وانك ذهبت الى هذا المنزل عند منتصف الليل فقرعت بابه وفتحت لك حنة •

فاضطرب لوسيان وقال : وبعد ذلك ؟

ـ يصبح الأمر منوطا بك فان حنة تحبك كما اظن •

ـ ان الحب متبادل بيننا على السواء •

ـ اذن تبسط لها عند الاجتماع حقيقة موقفها وتظهر لها انها اسيرة في ايدي الظالمين وانـك تريد ان تجعلهـا كونتس فاذا احسنت التعبير عن عواطفك وعرفت ان تتكلم

بلغة اهل الغرام فان حنة توافق علـى ان تتبعك فتردفهـا وراءك فوق الجواد فلا يستفيق الرهبان من رقادهم حتى تكون اجتزت الدير بمراحل •

ــ ولكن الى اين اسير بها •

ــ الى هنا اي الى منزل امك فانهـا قد وافقت على زواجك وليس في ذلك معرة ما زلت تأتي بها الى امك اذ يتضح نبل غايتك متى أشتهر الامر •

فسر لوسيان سرورا لا يوصف ثم انقبض فجأة وقال:

ــ ولكنك لم تفطن لامر وهو ان داغوبير لا يفارق دكانه ؟ ــ اني اضمن غيابه عن المنزل •

ــ انت تتعهد بابعاده ؟

ــ نعم انا اتعهد فاطمئن والآن قل لي اترى الاحدب غالبا ؟

ــ اني اراه كل يوم ولا بد ان يكون الآن في المطبخ فقد جاء يسأل اذا كنا عازمين على الصيد غدا •

ــ اذن ادعه الآن ومره ان يطيعني كما يطيعك •

ــ ولكن •• فقاطعه الشفاليه وقال له :

ــ لقد وعدت ان تطيعني وتثق بي فحافظ على وعدك

ــ سأفعل ثم نادى احد الخدم وامره ان يدعـو له الاحدب فلما جاء قال له اريد منك يا بنوات ان تصحب الشفاليه وتطيعه كما تطيعني •

فنظر الاحدب الى لوسيان نظرة انكار كأنه يقول له

اني اؤثر ان تأمرني بالذهاب الى الموت على ان تأمرني بطاعة هذا الرجل .

فأدرك لوسيان قصده اذ كان يعلم كرهه للشفاليه وقال له بلهجة السيادة : اني اريد ان تطيعه .

وعند ذلك قال الشفاليه : اذهب الآن واعد لي الجواد

ــ العلك تريد الذهاب الى الغابة ؟ ــ ربما .

فمشى الاحدب وهو يتمتم قائلا : ان الكونت بات يثق بهذا الشفاليه ولكن اعتقادي راسخ انه من رجال الشر .

وبعد ساعة كان الاثنان يسيران في الغابة وقد امتطى الشفاليه جواده وتبعه الاحدب ماشيا .

حتى اذا توسطا في الغابة ووصلا الى طريق ضيق فيها وقف الشفاليه وقال في نفسه : انه اذا صدقت تنوان فان داغوبير قد سافر الى اورليان ماشيا ولا يوجد غير هذا الطريق فلا بد له من العودة الليلة اذ لا يدع الفتاة تبيت وحدها في المنزل .

ثم التفت الى بنوات وقال له : اتعرف يا بنوات طريقة نصب الفخاخ للثعالب والآيل ؟

ــ لا يوجد خدعة يا سيدي من خدع الصيد لا اعرفها .

ــ اني لم ارى الى الآن هذا النوع من الصيد واحب ان اراه الليلة وقد احضرت معي الفخ .

ــ كما تريد ولكن هذا المكان لا يصلح لنصب الفخاخ اذ هو طريق عام والآيل لا يمر به .

ـ ولكني اريد ان تنصبه هنا •

ـ اهنا في وسط الطريق ؟ ـ نعم •

فنظر اليه الاحدب نظرة انكار وقال أرى ان سيدي الشفاليه يريد ان يصطاد انسانا لا آيلا • ـ ربما •

ـ اذا كان ذلك فاني لا اشترك معك يا سيدي فاني لا احب صيد الناس •

فغضب الشفاليه وقال له : العلك نسيت ايها الوقح ان الكونت امرك بطاعتي •

ـ هو ذاك ولكن الكونت قد لا يكون عارفا بقصدك

ـ بل هو عارف •

فذعر الاحدب وتراجع الى الوراء فاخرج الشفاليه غدارة وصوبها الى الاحدب فقال له : اذا حاولت الفرار فاعلم اني قاتلك دون اشفاق •

فرأى الاحدب ان الموقف حرج وحاول ان يطيل الوقت بالجدال فقال له : ما زال الكونت لوسيان عارفا بقصدك كما تقول فلا اجد بدا من طاعتك ولكن •••

ـ ولكن ماذا العلك تريد ان تعرف الرجل الذي اريد ايقاعه في الشرك ؟ ـ نعم •

ـ هو رجل اساء الي والى الكونت •

ـ اذن ليكن ما تريد ولكنك تعلم يا سيدي ان الرجل لا يؤخذ بالشرك كما يؤخذ الآيل •

ـ تريد القول ان الآيل يسير منخفض الرأس فيعلق الشرك

بعنقه ويخنقه خلافا للرجل فانه يسير مستوي القامة فيعلق الشرك بساقيه ولا يقتله ٠

ــ هو ذاك واري يا سيدي انك تعرف طريقة نصب الفخاخ كما اعرفها فانصب الفخ انت ٠

ــ لا بأس فسانصبه انا فامسك جوادي ٠

ثم ترجل عن جواده ووضع غدارته في جيبه واخذ من حقيبة كانت على الجواد ذلــك الفخ لينصبه بشكل لا يستطيع المار بذلك الطريق الضيق ان يسلم منه ٠

وكان القمر يتألق في السماء ويضيء ضوء النهار فلم يكد يتم نصب الفخ حتى سمع الاحدب يصيح صيحة دهش فاسرع اليه وقال له : ماذا جرى ؟

وكان الاحدب جالسا القرفصاء علىالارض وهو ينظر في آثار قدم عليها فقال له : لقد عرفت صاحب هذا القدم ٠

ــ من هو ؟ ــ هو داغوبير البيطري عبد باب الدير

ــ احق ما تقول ؟

ــ انه هو الذي مر بهذا الطريــق وانك قد نصبت الفخ له دون شك ٠ ــ ربما ٠

ــ ولكني لا اريــد ان يؤخــذ داغوبير كما تؤخذ الثعالب ٠

ــ لماذا لا تريد ؟ ــ لانه صديقي ٠

فشاغله الشفاليه بالحديث ثم هجم عليه فجأة فقبض على عنقه والقاه الى الارض وهو يقول : انك اذا صحت

أقل صياح خنقتك دون رحمة، ثم حمله بين يديه فوضعه فوق جواده ووثب الى ظهر الجواد فاطلق له العنان وسار الجواد ينهب الارض الى قصر بوربيير والاحدب عليه امام الشفاليه وهو ضاغط عليه فلا يستطيع حراكا .

. . .

ولنعد الآن الى الدير حين ذهب اليه داغوبير بدعوة رئيسه فان الاب جيروم كان قد شفي فجأة من هذا المرض الخفي الذي أصابه فلما جاءه داغوبير قال له : ان الوقت قد ازف يا بني فاني اجد من نفسي قوة تعينني على هذا السفر الذي اخبرتك عنه .

ـ اني مستعد يا سيدي للذهاب معك الى حيث تريده .

ـ ولكني لا استطيع مبارحة ديري الا باذن خاص من الرئيس العام المقيم في اورليان ولذلك سأرسلك بهذا الكتاب الى الرئيس .

ثم أعطاه كتابا ضخما مختوما بالشمع بختم الدير فاخذه وقال : ـ ايجب ان اذهب الآن ؟

ـ كلا بل تسافر بعد الظهر وفي خلال ذلك تخبر حنة بعزمنا على السفر كي تتأهب له .

فأخذ داغوبير الكتاب وعاد الى دكانه فوجد تنوان النورية وحدها فان حنة كانت قد اسرعت بالعودة الى غرفتها كما تقدم .

وبعد ان ذهبت تنوان وبقي داغوبير وحده يشتغل

نزلت اليه حنة فحيته وقبل جبينها كمـا عودها منذ الحداثة ثم جلست بجانبه فقال لها : اني مسافر اليوم الى اورليان بامر الاب جيروم •

ــ اهي بعيدة من هنا ؟ ــ سبع مراحل •

ــ متى تسافر ؟ ــ عند غروب الشمس •

ــ متى تعود ؟ ــ بعد انتصاف الليل ولكني سأقفل باب الدكان حين انصرافي فاذا طرقه طارق فاحذري ان تفتحي الا اذا كان الطارق انا اتعدينني بذلك ؟

ــ دون شك •

ــ بقي امر يجب اخبارك به وهو اننا مسافرون كلنا غدا •

فارتعشت حنة وقالت : من كلنا ؟

ــ انا وانت والاب جيروم •

فاصفر وجهها وقالت : الى اين نسافر ؟

ــ الى باريس • ــ ما عسانا نصنع في باريس ؟

ــ نذهب اليها للبحث عن ثروتك ــ انا لي ثروة ؟

ــ نعم فانك غنية وربما وجدنا عائلتك ايضا فقالت له بأسف : الم تقل لي مرات ان اهلي قد ماتوا ؟

ــ هو ذاك ولكن الا تذكرين اليوم الاول الذي اتيت به هنـا ؟

ــ نعم اذكر ذلك فقد كنت صغيرة وجاء بي الى هنا عمي راؤول ولكنك قلت لي ايضا انه مات •

ــ اني كنت احسبه ميتا غير ان الاب جيروم يقول انه حي • فظهرت عليها علائم السرور وقالت : اهذا اكيد ؟

ــ هذا ما يقوله الاب جيروم وربما وجدنا عمك في باريس • فعادت الفتاة الى الانقباض ثم تنهدت وقالت :

ــ ان عمي قد يخطر له ان يبقيني عنده •

ــ ذلك ممكن •

فاضطرب صوتها وقالت : اذن لا اعود الى هنا ؟

فقال لها بلهجة تشف عن الحزن العميق : الم اقل لك انك من النبلاء وانه لا يمكن ان تعيشي كل العمر في منزل حداد فقير مثلي •

فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت : اني سعيدة هنا •

ثم عانقت داغوبير وجعلت تقول له وهي تبكي :

ــ اني احبك ولا احب ان افارقك •

ــ اذن اذا رأيت عمك التمس منه ان يأذن لي بالبقاء في خدمتك •

وكان من حق هذا الجواب ان يخفف دموعها ولكنها بقيت تسيل وصعدت الى غرفتها فجعلت تشغل نفسها باعداد الطعـــام •

وعند الظهر جلست مع داغوبير على المائدة فلم تكن تبكي ولكنها كانت حزينة منقبضة تأكل بدون شهية •

وبعد ذهاب داغوبير عادت فاسترسلت الى البكاء •

اما داغوبير فانه خرج مــن المنزل واليأس ملء قلبه

فكان يقول في نفسه اني اعلم يقينا السبب في بكائها فانها لا تبكي اشفاقا على فراقي بل على فراق هذا الكونت وتوغل في الغابة فجعل يبكي بدوره بكاء اشد من بكائها.

وما زال يسير وهو على هذه الحالة من القنوط حتى وصل الى اورليان فدفع الى الرئيس العام رسالة الاب جيروم واخذ جوابه ثم رجع لفوره وهو يوسع الخطى .

وكان القمر على وشك الزوال وقد حجب نوره تكاثف اشجار الغابة فما زال يسير وهو مشتت البال حتى وصل الى موضع الفخ في ذلك الطريق الضيق فشعر فجأة انه التطم به ثم شعر ان ساقيه قد تقيدا وعلم لفوره انه سقط في فخ الثعالب .

• • •

ولنعد الآن الى الشفاليه دي فولون فان القراء يذكرون انه وضع بنوات الاحدب امامه فوق جواده ودفع الجواد في تلك الغابة الى قصره .

وقد حاول الاحدب ان يصيح ويستغيث ولكنه لقي من وعيد الشفاليه وغدارته ما حمله على الخوف والسكوت.

وما زال سائرا به على هذا الشكل حتى وصل الى قصره فنادى الخدم ودفع الاحدب اليهم فقال لهم : خذوا هذا الفتى واربطوا يديه ورجليه وضعوا كمامة في فمه ثم القوه على هذه الحالة في القبو الى ان افرغ من مهمتي فانه يثقل علي .

فقال له الاحدب لو علم الكونت انك مسيء الي هذه الاسا ة لما رضي ان تكون بينك وبينه معرفة وولاء •

فقال له الشفاليه : ان الذنب ذنبك فقد امرك الكونت ان تطيعني فابيت الامتثال •

ـ ان لوسيان طاهر القلب نبيل الاخلاق فلو علم ما اردت ان تصنعه في الغابة لما امرني ان اطيعك •

ـ قلت لك انه يعلم •

ـ وانا اقول لك انه لا يعلم فانه يترفع عن الاساءة الى الناس فغضب الشفاليه لهذا التكذيب والتقريع واخذ سوطه فجلده به جلدا مؤلما ثم قـال للخدم : احملوا هذا الوقح الى حيث امرتكم وعودوا الي في الحال فاني محتاج اليكم في هذه الليلة •

فقيدوا الاحدب وكممـوه والقـوة في قبو المطبخ وعادوا الى سيدهم فامر اثنين منهم ان يتبعوه فتبعاه وعاد بهما الى حيث وضع الفخ في الغابة فدلهما عليه وقال لهما : اني نصبت هذا الفخ لرجل سيمر بهذا الطريق دون شك ويعلق به فاكمنوا له بين اشجار الغابة حتى اذا رأيتماه علق في الفخ قيدا رجليه ويديه قبل ان تطلقاه من الشرك فانـه شديد وله قوة الثيران •

فقال له احدهما : العلنا نعرف هذا الرجل يا سيدي ؟

ـ نعم فهو داغوبير البيطري •

ـ لقد عرفناه يا سيدي فماذا نصنع به بعد ذلك ؟

ـ تنتظراني الى ان اعـود ثـم تركهما وانصرف واضطجع الرجلان على العشب بين الاشجار •

وبعد ذلك بساعة سمع احد الخادمين وقع اقدام فنبه رفيقه وقال له : اعد الحبل فهذا رجلنا قد وصل •

قال : انه في يدي ثم اقترب القادم فحبس الخادمان نفسيهما •

كان القادم داغوبير فلما وصل الى الفخ وسقط بـه اسرع الشقيان وانقضا عليه فلم يثب من دهشته حتى رأى انه بات مقيد اليدين والرجلين بقيد وثيق •

وكان شديد القوى فبذل جهدا عنيفا كي يقطع قيده فلـم يتمكن فجعل يصيح ولكـن الرجلين كمماه فانقلب صياحه الى انين •

اما الشفاليه فانـه ذهب الى قصر بوربيير فوجـد لوسيان وامـه وتنوان لا يزالـون ينتظرونه فلما وصل وجدهم مجتمعين في غرفة الكونتس •

وكانت الكونتس قد اتفقت مـع ولدها حين غياب الشفاليه اتفاقا تاما فقد قالت له : انك تحب يـا ابني هذه الفتاة ومعاذ الله ان اعترضك في سبيل سعادتك غـير ان البيطري لا يغفل عنها طرفة عين •

فهاج غضب لوسيان اذ تذكر اهانـة داغوبير وصبه الماء على رأسه فقال : اني سأؤدب هذا الشقي فاجعله عبرة لسواه •

قالت : ولكنك اذا ادبت هذا البيطري يبقى اولئك الرهبان وهم يحرصون على الفتاة اشد مما يحرص البيطري عليها واعلم يا ابني اني ما كنت لاوافق علــى هذا الزواج الذي يشيننا لو لم اكن قد رأيت ان هذه الفتاة غير وضيعة كما يدل ظاهرها .

قال : ولكن اية فائدة للرهبان من الحرص عليها .

قالت : نحن يا ابني في زمن ضاعت فيه حقائق الدين وبات رجال الله اشد تمسكا منا في متاع الدنيا فان هؤلاء الرهبان والقسس على ما يبدو من ظواهر نبلهم وزهدهم في الدنيا واشتغالهم للآخرة في خدمة الله اشد منا حرصا على المال وسعيا لاكتسابه حتى ان بعضهم قد يدفع بهم الطمع والشراهة على اكتسابه من غير الوجوه المحللة المشروعة .

ــ ماذا تريدين بذلك يا اماه ؟

ــ ان تكون تلك الفتاة التي تحبها قد لا تكون قريبة داغوبير كما يقولون بل قد تكــون مــن اسرة نبيلة وان الرهبان قد ضبطوا ثروتها .

ــ ايمكن ذلك ان يكون ؟ ــ هذا الذي اعتقده

ــ ولكن اذا كان كما تقولين كــان الرهبان المقيمين عليها فماذا اصنع ؟

فابتسمت الكونتس وقالت : اتكتم عنــي اسرارك يا لوسيان الا تدري اني واقفــة على جميــع امورك فان الشفاليه اخبرني بكل شيء .

فاحمر وجه لوسيان وقال : احق ما تقولين ؟

قالت ان داغوبير سيغيب اليوم عن منزله بحيث تبقى الفتاة وحدها في المنزل •

فأخذ لوسيان يد امه فقبلها وقال لها : انك لا شك من خير الامهات وعلى ذلك فانك تؤذنين له باختطاف حنة •

قالت نعم على ان تأتي بها الى هنا فتبقى تحت حمايتي الى يوم الزواج •

فكاد لوسيان يجن من فرحه وجعل يعانق امه اظهارا لامتنانه • وعند ذلك دخل الشفاليه فقالت لـه الكونتس ولوسيان بصوت واحد : ماذا حدث ؟

ــ لقد جرى كل شيء وفق ما اردناه فهلم ايها الصديق واركب جوادك فقد آن الاوان •

ــ وداغوبير ؟

ــ انه سقط في الفخ •

ــ كيف كان ذلك ؟

ــ ان الوقت لا يتسع الآن لاخبارك بهذه التفاصيل •

فقالت الكونتس ، أأذن لي بكلمة ايها الشفاليه وهي : هل بات داغوبير في قبضتك •

قال : سيكون في قبضتي بعد ساعة ثم التفت الـى لوسيان وقال له : هلم بنـا فامتثل لوسيان وخرج الاثنان حتى اذا ركبا جواديهما قال له الشفاليه ، اني لا اقتصر على ابلاغك مرادك ممن تحب بل اني اريد الانتقـام لك ممن اساء اليك دلالة على اخلاصي في صداقتك فانك لا تزال تذكر دون شك ذلك الماء البارد الذي صبه داغوبير عليك

اما انتقامي منه فاني اصطدته كما يصطادون الثعالب بالفخاخ .

وهنا قص عليه كيف انه نصب الفخ لداغوبير فارتعد لوسيان وقال : لا انكر استيائي من هذا الرجل على انـي لا اريد ان يبلغ انتقامي منه هذا الحد فاني اريـد تأديبه لاقتله وهذا الفخ يخنقه دون شك .

قال كلا فقـد نصبته بشكل اذا سقط فيـه تقيدت رجلاه دون ان يصاب باذى فاطمئن بالا ما زلت من المشفقين .

وسار الاثنـان حتى قربا مـن موضع الفخ فصفر الشفاليه ولم يكد يدوي صفيره في تلك الغابة حتى اجيب بمثله وهي اشارة متفق عليها فايقـن ان داغوبير بات فـي قبضتيهما واطلق لجـواده العنان وهو يقـول للوسيان : اتبعني فقد سقط في الفخ .

فتبعه لوسيان حتى وصلا الى حيث كـان الخادمان فوجدا انهما قيدا داغوبير وكمماه والقياه الى الارض فكان يضرب برأسه ويئن انينا مزعجا كأنه يحاول الانتحار ليأسه فلا يجد الى الموت سبيلا .

فدنا منه الشفاليه وقال له بلهجـة الساخر : ارأيت نتيجة الاعتداء على النبلاء ايها الوقح ؟ فنظر داغوبير الـى محدثه ورأى على نـور القمر وجه لوسيان فهاج ثائـره وتحرك حركة عنيفة فكاد يقطع قيده ثم ادرك عجزه فنظر الى لوسيان نظرات تتقد بنار الغضب وعاد يضرب برأسه الارض . فدنا لوسيان من الشفاليه وهمس باذنه قائلا :

اول ما اشترطه ايها الصديق ان لا يساء الى هـذا المنكود بشيء فقد كفاه ما يلقاه •

ــ لا فائدة لنا من الاساءة اليـه وانما نريد ابعـاده وسأحبسه في القبو مع الاحدب •

فاضطرب لوسيان وقال : احبست بنوات ؟

ــ نعم فانه يخدعك ويخونك • ــ ان هذا محال •

ــ بل هي الحقيقة ارويها لك في غير هذا المكان فهلم بنا الآن الى منزل داغوبير فان الوقت غير فسيح •

وقد سمع داغوبير هذه الكلمات الاخيرة فأن انينا هائلا خرج مـن صدره كزئـير الاسود فارتعش لوسيان وتوجع لمصابه فقال للشفاليه : هلم بنا فاني لا استطيع النظر الى شقاء هذا المنكود •

فامر الشفاليه خادميه ان يذهبا بداغوبير الى حيث سجنوا الاحدب فقطع الخادمان غصنين ضخمـين ووضعا داغوبير عليهما وحملاه فوق الغصنين على كتفيهما وسارا به الى منزل الشفاليه •

وكان جميع الخدم قد عادوا الى النوم فلم يشعروا بقدوم الخادمين بالاسير اما الخادمان فانهما ادخلا داغوبير الى المطبخ وفتح احدهما باب القبو والمصباح بيده فلم يكد ينزل درجتين في سلمه حتى صاح صيحة قنوط اذ لم يجد الاحدب في القبو •

١٥
الفرار

وعند ذلك ترك لخادمان داغوبير ملقيا على الارض وبحثا عن الاحدب في القبو وجميع انحاء القصر فلم يقف اله على اثر فذهلا اذ لم يدع اقل اثر لفراره سيما وانه كان موثقا بحبل لا سبيل الى قطعه .

ولنعد الآن الى الاحدب فنبسط كيفية فراره من سجنه بعد وثوق الشفاليه وخدمه من استحالة الفرار فقد كان هذا الفتى ذكي الفؤاد شديد الصبر على المكارة فلما رأى ان القوة في جانب الشفاليه عمد الى الحيلة فتظاهر بالتسليم والرضوخ لما قدر له لانه كان يعلم ان الشفاليه يقتله اذا كابر .

وقد كانوا قيدوا يديه وجعلوهما وراء ظهره بحيث بات نحو نصف ساعة لا يستطيع حركة لمتانة القيد .

وكان ملقى على ظهره فبينما هو على هذه الحال سمع اصواتا غريبة فوق رأسه .

ثم شعر كأن انفاسا تهب علـــى وجهه ثم صاح صيحة منكرة اذ احس بالجرذان والفيران تصاصي من حوله فذعر ذعرا عظيما حتى ان الرعب ضاعف قوته فتمكن من الجثو على ركبتيه .

غير ان الجرذان بقيت تطوف حـوله وهو يئن انينا مزعجا اذ لم يكن يستطيع الدفاع •

على ان الجرذان اجفلت لانينه فهربت بحيث تمكـن الاحدب ان يبلغ زحفـا الى الجدار ويستند عليـه فيقي ظهره العض •

ولكن الجرذان لم تلبث ان عادت اليه وكأنها ايقنت ووثقت من عجزه فلم تعـد تحفل به وعضه احدهـا عضة مؤلمة هاجت اعصابه وزادت قوته فتمكن من قطع قيد ساقيه فوقف وجعل يركض في هذا القبو المظلم وقد ملء قلبه رعبا فكان يدوس برجليه تلك الجرذان وهي تبلغ المئات •

وظل العراك بينه وبين الجرذان نحو ربع ساعة وهو يركض كالمجانين فيبلغ برجليه من رؤوسها ما تبلـغ انيابها من لحمه فقد صعد بعضها على جسمه حتى بلغ وجهه فكان اذا شعر بدبيبها على خـده القى نفسه الى الارض ومرغ وجهه فيها فتقلب عليها تقلب الملسوع ثم عاد الى الوقوف فكان اذا سحق بقدمه جرذا صاح صيحة ألم فاجابه الاحدب بمثلها فان رفاق الجرذ القتيل كانت تنتقم للفور •

ولبث على ذلك حتى اعياه التعب واوشك ان يسقط فرجع واستند على الجدار كي يستريح هنيهة ثم يعود الى الجهـاد •

غير انه سمع فجأة ان جموع الجرذان اخذت تهرب منذعرة كأن السماء ارسلت نصيرا لهذا المنكود •

وفيما هو منذهل يفكر في اسباب رحيلها رأى نقطتين تتقدان كأنهما نجمان يتألقان في سماء مظلمة فايقن انهما عينا هر وجد منفذا الى القبو فكان السبب في انقاذه من افظع موت •

وكان الهر واقفا فوق سلم فخيل للاحدب ان هذا الهر معلق في القبة اذ لم يكن يرى السلم لازبداد الظلام ولكنه حين امن شر الجرذان عاد اليه رشده فايقن ان الهر فوق سلم وخطر له خاطر سريع ولده في نفسه موقفه الحرج فمشى الى جهة الهر حتى عثر بالسلم فصعد درجاته وهو مكتوف اليدين فلم يعد يرى عيني الهر لانه خاف من الاحدب كما خافت الجرذان منه فهرب اما الاحدب فانه حين بلغ آخر السلم شعر ان رأسه قد التطم بخشب تحرك اثر الالتطام فعلم انه باب يفتح من ارض المطبخ وينزل منه الى القبو فرفعه برأسه فارتفع فصعد درجة وهو يفتح الباب برأسه حتى وصل الى آخر درجة من السلم فوثب منه الى ارض المطبخ •

وكان المطبخ مظلما كالقبو غير ان اشعة القمر كانت تنفذ اليه من إحدى نوافذه فكان يرى ما حواليه وقد رأى في ما رآه المستوقد فقال في نفسه لا بد ان يكون فيه بقية نار خلال الرماد •

وقد خطر له عند ذلك خاطر غريب فان المستوقد كان منخفضا فنبش رماده برجله فانكشف عن بقية نار ورأى

قرب المستوقد اعشابا جافة تستخدم للوقيد فاستعان بفمه على وضع هذه الاعشاب فوق النـار ثم جعل ينفخ فيهـا فالتهبت وتعالى لهيبها فادار ظهره عند ذلك ووضع يديـه المكتوفتين فوق ذلك اللهيب بشكل عرض له فيـه الحبل للنار فاحترق قميصه ثم احترقت يداه وكذلك الحبل احترق معهما وانقطع فالقى نفسه في الحـال الى الارض فتمرغ فوقها بحيث انطفأ لهيب القميص ثم اسرع الى موضع الماء البارد فوضع يديه فيه فخفف ما كان يجده من الالم وجعل يبحث في المطبخ حتى عثر بزجاجة زيت فصبها فوق يديـه المحترقتين فساعد الزيت على تخفيف آلامه .

ولما فرغ من ذلك وبات مطلق اليدين لم يعد يخطر له غير الفرار فخرج من المطبخ الى البستان فاعترضته الكلاب وهمت ان تنبح ولكنها كانت تعرف صوته لاشتراكه فـي جميع حفلات الصيد فجعل يناديهـا باسمائها ويبتعد حتى وصل الى سور البستان فتسلق الجدار ووثب منـه الى الخارج فانطلق يعدو في الغابة حتى وصل الى المكان الذي نصب فيه الفخ فلم يجد له اثرا فقال في نفسه اما ان يكون داغوبير قد سقط في الفخ واما ان يكون الشفاليه قد يئس منه لعدم مروره في ذلك الطريق فرفع الفخ ولذلك رأى ان يذهب في البدء الى دكان داغوبير فيقف على الحقيقة .

• • •

ولنعد الآن الى لوسيان وصديقه الشفاليه فانهما بعد

ان امر الشفاليه خادميه الذهاب بداغوبير الى القبو سار الفارسان في طريق الدير فقال لوسيان لرفيقه : قل لي الآن ماذا فعل بنوات ؟

ـ اراد خيانتنا •

ـ ان هذا محال فقد عرفت هذا الفتى حق العرفان•

فاخبره الشفاليه بجميع ما اتفق الى ان قال له : ان الاحدب عرف من آثار الاقدام في الطريق الذي نصب فيه الفخ انها آثار داغوبير وان الفخ قد نصب له فابى الاذعان لان داغوبير صديقه •

فلما علم لوسيان ان الاحدب صديق داغوبير وهو كان يرسله بمهامه اليه بات يكره الاثنين وقال لصديقه : لقد احسنت •

قال : كل الاحسان فان عوام الشعب باتوا متفقين علينا يتآمرون على التنكيل بنا كل يوم وهذا ما جرته علينا افكار الفلاسفة التي تساهلت الحكومة في امر نشرها فكانت وبالا علينا نحن النبلاء واخذت تنتشر بين هذا الشعب •

غير ان لوسيان لم يكن يرتأي رأي رفيقه فلم يناقشه في هذا الموضوع وسأله عما فعل بالاحدب فاخبره فقال له وماذا تصنع بداغوبير ؟

ـ كما صنعت بالاحدب •   ـ العلك تطيل سجنه ؟

ـ الى ان يتم عقد زواجك بحنة فانه اذا خرج من

السجن قبل الزواج ذهب الـى رئيس الدير واخبره بما اتفق فافسد عليك الامر فان الاب جيروم اذا وقف علـى الحقيقة قبل فوات الاوان ذهب الـى رئيس الدير العـام فاقام الدنيا واقعدها واسترجع منك الفتاة وعلى ذلك يجب ان نحتاط كل الاحتياط فاني واثق من رجالي ولا خوف من افلات داغوبير والاحدب فاذا احسنت السلوك كانت حنة طوع ارادتك بعد ساعة فتذهب بها الى امـك وفي اليوم التالي تسافر بها الى باريس •

ـ اذن ستحتفظ بداغوبير والاحدب ؟ ـ نعم •

ـ ولكنك لا تسيء اليهما • ـ اعدك وعد صادق•

ـ اذن انا ذاهب الى حنة •

فنظر الشفاليه في ساعته وقال : كلا لم يحن الوقت بعد اذ يجب ان ننتظر حتى يبدأ الرهبان بصلاة الفجر •

فتنهد لوسيان وتاه في عالم التصورات فكان يحسب كل ما هو فيه خلما لانه سيختطف حنة وقد اسر داغوبير ووافقت امه على زواجه وكل ذلك لم يكن يخطر له في بال•

ثم بعد مضي ثمانية ايام لم يقف في خلالها على شيء من اخبار ابنة عمه اورور فكان يفكر في جميع هذه الامور وهو ساهي الطرف والشفاليه ناظر اليـه يقرأ افكاره ولا يكلمه الى ان نظر لوسيان اليه فجأة وقال له : اني خائف ايها الصديق • ـ مما الخوف ؟

ـ اخشى ان لا توافقني حنة على الفرار فانها تحترم

داغوبير اشد الاحترام • ــ ولكنها تحبك اشد حب •
ــ هو ذاك ولكنها ربيت تربيـــة دينيـــة وهي تعتبر داغوبير قيما عليها فأخاف ان يغلب دينها على حبها فيمنعهاعن ارتكاب هذه الهفوة •
ــ اذن قل لها الحقيقة وهي انها ضحية الرهبان وان داغوبير آلة في ايديهم • ــ واذا اصرت على الاباء ؟
ــ عند ذلك تعود الي فنختطفها بالقوة ومتى وصلت الى منزلك ورأت امك يخف ما عندها اذ توقن عندئذ مـــن نبالة قصدك •
ــ سأذهب على بركة الله وليفعل الله ما يشاء •
وعند ذلك اوقف الشفاليه جواده فجأة وقال للوسيان بصوت منخفض ، اصمت واصغ •
فاصغى لوسيان هنيهة ثم قـــال لرفيقه ، ماذا سمعت فاني لم اسمع شيئا ؟
ــ لقد خيل لي اني سمعت وقع اقدام بين الادغال •
ــ ربما كان ذلك صوت مسير حيوان •
ــ ربما ولكني قلق البال ــ ما يحملك على القلق ؟
ــ اني لو لم أكن واثقا ان بنوات الاحدب سجين لقلت ان الصوت صوت وثبة •
ــ انك واهم ايها الصديق فربما ت . الذي سمعته صوت حفيف الاوراق •
ــ ربما فلنواصل السير وسار الفارسان فلم يبتعدا

قليلا حتى عاد الشفاليه الى الوقوف وقال : اني غير مخطىء هذه المرة فقد سمعت الصوت نفسه ولا بد لي ان اتحقق ثم دفع جواده الى جهة مصدر الصوت فطاف هنيهة باحثا وعاد فقال : اظن اني مصاب بدوي في اذني فاني لم ارى احدا •

ــ قد يكون ذلك صوت سير حيوان كما قلت لك فلنواصل السير فقد دنونا من الدير •

ــ بل أرى الافضل ان انتظرك هنا • ــ لماذا ؟

ــ لانك اذا كنت وحدك قد تفتح لك حنة الباب واما اذا رأتني فلا يمكن ان تفتحه •

ــ لقد اصبت ايها الصديق •

ــ اذن سر فاذا اصرت على الرفض ورأيت انك محتاج الي فصفر لي احضر اليك في الحال •

فتركه لوسيان وانصرف وبقي الشفاليه وحده ينتظره فما مضت هنيهة حتى ارتعش اذ سمع ذلك الصوت السري للمرة الثالثة ولكن الصوت كان قريبا جدا منه فقال في نفسه لم يبق لدي ريب فان الصوت صوت اقدام لص وعند ذلك اخذ غدارته من جيبه ودفع جواده الى الغابة فلم يكد ينتقل به من مكانه حتى اصيب برصاصة بندقية فصاح صيحة الم وانقلب يهوي عن جواده الى الارض مضرجا بدمائه •

• • •

ولا بد لنا من معرفة هذا القاتل من اتباع الاحدب حين خروجه م ن القبو فقد تركناه ذاهبا الى منزل داغوبير ليعلم اذا كان سقط في الفخ او سلم منه فينذره اذا وجده في منزله بان لوسيان يريد اختطاف حنة .

وكان يعرف جميع طرق الغابة وقد وثق ان لوسيان يبغي اختطاف الفتاة بدليل اتفاقه مع الشفاليه على اسر داغوبير فجعل يسير بسرعة الغزلان في اقصر الطرق المؤدية الى الدير وهو يرجو ان يبلغ اليه قبل وصول الكونت والشفاليه فاما ان يجد داغوبير فيخبره او لا يجده فيحول دون بغية الكونت في الحالين .

وفيما هو يعدو في تلك الغابة وقد احتجب القمر بين الغيوم سمع فجأة صوت رجل يقول له : من انت ؟ فذعر وقال له : انا بنوات .

قال : لقد اخفتني يا بنوات .

فعرفه الاحدب من صوته وقال له : اهذا انت يا جاك؟ وكان هذا الرجل الفلاح الذي اساءت اليه الكونتس اورور في بدء هذه الرواية لقتله الايل الذي كانت تطارده .

فدنا الاحدب من جاك وقال له : لقد بكرت بالصيد يا جاك .

ــ كلا فان الفجر سوف ينبثق وقد حسبتك احد حراس الغابة فخفت منك .

وكان الاحدب قد رأى عن بعد فارسا قبل ان يرى

جاك يسير في طريق الدير فحسبه داغوبير وجعل يثب بغية ادراكه حتى التقى بجاك فحال دون قصده فقال لجاك : اني اراك قادما من جهة الدير أرأيت داغوبير ؟ — كلا •

— ولكن من هو هذا الفارس الذي يسير في طريق الدير؟

— ليس هو فارسا بل فارسين لم اعرفهما لاني لم اتبينهما•

— وا أسفاه اني اخشى ان يكون اصيب داغوبير بمكروه ثم اخبره بجميع ما عرفه عن المكيدة •

فغضب الفلاح وقال : يجب ان نضع حدا لعسف هؤلاء الذين يدعون أنفسهم نبلاء وما هم الا من اسافل الرعاع•

— اذا كان الذين رأيتهما فارسين فلا بد انهما الكونت والشفاليه فهلم تتبعهما فانهما غير بعيدين عنا •

وعند ذلك جعل الاثنان يعدوان غير ان الاحدب رأى ان رفيقه لا يستطيع مجاراته في العدو •

فعاد اليه وقال له : انك لا تستطيع ادراكهما معي ايها الصديق فاعطني بندقيتك •

— أتريد ان تقتل بها لوسيان ؟

— كلا بل الشفاليه الذي دفع لوسيان الى ارتكاب هذا المنكر •

— خذ فاني اود قتل كل نبيل يتذرع بنبله الى الشر•

ولم يكن بنوات هذا ساء الى احد في حياته فقد فطر على الصلاح غير ان الانتقام هاج بصدره وسهل له ارتكاب الجريمة لا سيما وانه كان يشعر بألم شديد في يديه

من الحرق فأخذ البندقية وجعل يثب بين الادغال في اثر الفارسين ويجنب الطريق العام حتى ادركهماعلى قيد عشرين خطوة ورأى لوسيان قد انفصل عن الشفاليه فوضع البندقية على كتفه وصوبها على الشفاليه ثم اطلقها عليه مرتين فأصابه اصابتين احداهما في كتفه والاخرى في صدره فسقط صريعا وانتقم الاحدب منه .

وكان لوسيان قد بعد نحو ثلاثمائة متر عن الشفاليه فسمع دوي البندقية ولكنه لم يسمع صيحة الشفاليه فحدثه قلبه بمصاب غير انه كان قد دنا من منزل داغوبير ورأى عن بعد نورا يضيء فيه فارتجف قلبه وقال في نفسه ان حنة قد تكون في انتظاري فلم يعد يفتكر بذلك الدوي وقال : قد يكون ذلك من احد الصيادين ودفع جواده الى منزل داغوبير فرأى ان النور ينبعث من الدكان لا من المنزل فوجف قلبه ودنا من الدكان فوضع عينه على ثقب الباب فلم يكد ينظر الى الداخل حتى تراجع وقد اصفر وجهه وجمد الدم في عروقه ذلك انه رأى حنة جالسة في وسط الدكان ولكنها لم تكن وحدها بل كان معها امرأة اخذت يدها بين يديها دون كلفة وهي تحدثها وتبتسم لها الطف ابتسام .

اما تلك الفتاة فقد كانت خطيبته السابقة مدموازيل اورور ابنة عمه .

• • •

ولا بد لنا لايضاح السبب في وجود الكونتس اورور

عند ربيبة الدير في هذه الساعة المتأخرة من الليل ان نعود بالقارىء الى منزل هذه الكونتس فقد تركناها وقد فتحت ذلك الصندوقة الذي أعطاها اياه الشيخ بنيامين وانها اخرجت منه مدالية فيها تمثال امرأة وصاحت صيحة دهش حين رأت تلك الصورة لانها كانت تشبه ربيبة الدير شبها عجيبا فنادت عند ذلك بنيامين ولكنه كان قد انصرف حين دفع لها الصندوق •

فلبثت اورور حائرة مترددة لا تعلم أتنادي بنيامين ايضا ام تتم فحص ما حواه الصندوق الى ان اقرت على الرأي الاخير فوجدت في ذلك الصندوق كتابين كتب على احدهما « الى ابنتي تفتحه حين تبلغ الخامسة عشر من عمرها» وعلى الثاني « الى ابنتي تفتحه بعد الكتاب الاول بعامين » •

فقالت اورور في نفسها اني قد بلغت الان الثامنة عشرة من عمري فصار يحق لي فتح الكتابين •

وعند ذلك ذهبت الى باب غرفتها فأقفلته من الداخل وعادت الى الكتابين ففضت الاول منهما وقرأت ما يأتي :

الى ابنتي الحبيبة •

اكتب اليك هذا الكتاب من ميونيخ وانا في شر حال وقد اجتمع الاطباء حول سريري يتشاورون في امري •

ان هؤلاء الاطباء الذين انارهم العلم لم يتفقوا على مرضي ولكنهم اتفقوا على موتي فرأى بعضهم اني اعيش ايضا ثلاثة اشهر وارتأى آخرون اني اموت بعد اسبوعين •

اني كنت مطبقة عيني حين قضوا علي هذا القضاء المبرم فحسبوني مغميا علي ولكني كنت اسمع ما كانوا يقولون فذعرت ياابنتي ذعرا شديدا حين سمعت باذني القضاء علي بالموت غير اني لم اخش الموت حبا بالحياة فقد طالما ناديت رسوله ولكني خشيته لانه سيكون السبب في التفريق بيني وبينك •

انك لا تزالين طفلة حين اكتب هذا الكتاب يا اورور فان قدر لك ان تفتحينه بعد موتي أي بعد ان تفصل بيننا هوة الابد • اني لا اعلم ما يكون مصيرك بعدي فأما ان تكوني ابنة قلبي واحشائي او تكوني ابنة الاحشاء فاني أكون بعيدة عنك ولكن عيني بنيامين الوفي المخلص الامين ستنظران اليك وهو الذي يعلم حقيقة مصيرك •

ان اباك يا ابنتي الحبيبة مذنب عظيم بل اجسر على القول انه من اهل الجرائم فهل تكونين ابنتي او ابنته وهل تمزج طباعه واخلاقه الفاسدة في دمائك ام ترثين من اخلاقي• هذا هو الشك الهائل الذي لا يروعني سواه وانا انزل درجات القبر •

انك حين تفتحين هذا الكتاب تكونين قد بلغت مبلغا من الصبا يعينك على درس اخلاق ابيك فاذا قدر لك ان تفتحيه فارثي لحال امك واعلمي انها ماتت موت الشهداء •

ان بيني وبين ابيك الشفاليه دي مازير سرا هائلا يا ابنتي لا يخلق ان تعلميه وانت لا تزالين في مقتبل الشباب

فاذا بلغت السابعة عشرة من عمرك يدفع اليك بنيامين كتابي الثاني فتقفين على هذا السر وتعلمين ما يجب ان تصنعيه ويعلم بنيامين اي الخلقين ورثت من ابيك وامك .

الوداع يا ابنتي بل الى اللقاء فاني احب ان اموت متزودة بهذا الامل المعزي وهو ان نفوس الصالحين تلتقي في العالم الاخير » .

امك كرتشن

فلما قرأت اورور هذا الكتاب اصيبت بذهول شديد ثم جعلت تناجي امها باكية فتقول : عفوك يا اماه فان اخلاق ابي قد أفسدت نفسي ولكن روحك الطاهرة ستصلح ما افسده.

واخذت ذلك الكتاب فجعلت تقبله ثم اهتزت فجأة وقد ذكرت ما كتبته لها عن ذلك السر فتاقت الى الاطلاع عليه وفضت الكتاب الثاني فقرأت ما يأتي :

« انك اذا قرأت يا ابنتي هذا الكتاب تكونين قد اقتبست حقيقة من اخلاق امك ولذلك استطيع ان اخبرك بكل شيء .. انك تجدين في الصندوق الذي يعطيك اياه بنيامين دفترا وهذا الدفتر يتضمن تاريخ حياتي فقد قلت لك في كتابي الاول اني اموت موت الشهداء ذلك اني مت مسمومة يا ابنتي في منزل ابيك، انهم دسوا لي في الطعام سما ـ هائلا منذ عامين ليقتلني تباعا كي لا تظهر جريمتهم للعيون فافتحي الدفتر واقرئي ما فيه تعلمي كيف ماتت امك التعيسة وتعرفي اسماء قاتليها .

واني اخبرك يا ابنتي قبل ان اودعك الوداع الاخير انه يوجد فتاة تزيدك سنا تتصل بك بأشد اواصر القربى وانت لا تعلمين ان هذه الفتاة اختك وتحسبين انك وحيدة •

فلما وصلت اورور الى هذه الجملة صاحت صيحة دهش وسقط الكتاب من يدها ولما ثابت من دهشتها قامت الى جرس دقته دقا عنيفا ففتح الباب للحال ودخل بنيامين فقدكان واقفا قرب الباب لوثوقه انها ستدعوه اليها لتسأله فوجد الدمع يجول في عيني اورور فقال لها : هو ذا اتيت يا سيدتي فبماذا تأمرين ؟

ـ اريد ان تخبرني بكل شيء •

ـ ماذا تأمرين يا سيدتي ان تعرفي •

ـ اريد ان اعرف لماذا لم يقل لي ابي ولماذا لم تقل لي انت ان لي اختا؟ قال هي الحقيقة فلك اخت •

ـ ولكن اين هي وماذا جرى لها ألعلها ماتت؟ ـ قال لا اعلم • فقالت له بصوت يضطرب : اني قرأت الكتابين يا بنيامين واريد ان اعرف كل شيء •

ـ العلك قرأت الكتاب الثاني الى نهايته ؟

فارتعشت وقالت كلا •   ـ اذن اتمي قراءته•

فأخذت الكتاب من الارض واتمت قرائته فقرأت ما يأتي:

« ان لك اختا وقد حاولوا قتلها كما قتلوني غير ان رجلا مخلصا لنا انقذها وانا لا اعلم اذا كان يستطيع اخفاءها عن أعين اولئك القتلة الاثمين ولكني اسأل الله ان يقيها

من هذه الوحوش الضارة »

فنظرت اورور الى بنيامين وقالت له : اذن لي اخت ولكن لماذا لم يخبرني ابي بها ؟

لانه يحسبها ميتة — أهي ميتة ؟

فأجابها بنيامين بصوت منخفض، لا اعلم ولكن موتها افضل من حياتها. فاضطربت اورور وتوقعت الاباحة بأمر خطير لم تجسر على السؤال عنه فأخذت الدفتر وجعلت تقلبه بين يديها وهو الدفتر المتضمن تاريخ حياة امها وبيان اسماء قاتليها . وكان الدفتر مختوما بالشمع الاسود فكانت تدني يدها من ذلك الختم فتقشعر منه كأنه نار يحرقها ولا تجسر على مسه .

وفيما هي على ذلك اصاب نظرها تلك المدالية المرسومة فيها صورة المرأة فاختلجت وقالت لبنيامين : من يمثل هذا الرسم ؟

فاجابها بصوت يتهدج : انه رسم امك يا سيدتي .

فصاحت الكونتس صحية دهش وقالت : اذن لقد بت واثقة ان اختي لا تزال على قيد الحياة .

وعندما خرج بنيامين قرأت اورور ما يأتي :

١٦
الاميره كريتشن

ان اسرة ولدتر كالور لوتنبورج هي اقرب قرباء الاسرة المالكة في بافاريا ولم يكن باقيا من هذه الاسرة النبيلة غير فتاة وهي الاميرة هيلانة .

ان هيلانة دي كالور تنبورج كانت بين الثامنة والعشرين والثلاثين من العمر وهي بارعة الجمال كثيرة الدلال والادلال فكانت سمر النوادي العالية في حلقات المتحدثين .

وقد كان رغب في زواجها كثير من الامراء غير انها ابت اجابة احد من خطابها احتفاظا باستقلالها .

غير انهم كانوا يتحدثون همسا في الآذان انها متزوجة زواجا سريا منذ بضعة اعوام برجل نبيل يدعى الكونت دي مازير .

وكان هذا الكونت في الثلاثين من عمره تدل ظواهره على الغنى وهو فقير ولكنه نال منصبا كبيرا بفضل المساعدة الخفية فارسله ملك فرنسا سفيرا لمملكته في بلاط ميونيخ .

فبعد ان تولى هذا المنصب بعامين استدعي فجأة الى باريس لسبب موت احد اخويه .

وكان اخوه قد مات عن ارملة وطفل صغير يبلغ بضعة اشهر وهو فقير ايضا مثل اخيه الكونت السفير •

ففي اليوم التالي لسفره لوحظ ان البرنسيس هيلانة لم تكن في البلاط وعلموا بعد يومين انها سافرت الى باريس فلم يبق شك لدى جميع نبلاء ميونيخ انها متزوجة بالكونت دي مازير •

وكانت هذه الاميرة كثيرة الغنى يحبها الملك حبا ابويا شديدا ولا يصبر على فراقها فكانت كثيرة الادلال عليه تنال بنفوذها عليه كل ما تريد •

وهي شديدة الكبرياء ومن احلافها الغيرة وحب الانتقام ولم يكن لديها من المخلصات لها غير فتاة فرنساوية ولدت في المانيا فكانت لهذه الاميرة صديقة ووصيفة وقد وهبتها الطبيعة جمالا باهرا فكان هذا علة شقائها •

ان هذه الفتاة كانت تدعى كريتشن واما اسم عائلتها فقد كانت تجهله •

غير ان الاميرة كانت تعلم اسم عائلة كريتشن ولكنها لم تكن تخبرها به لسبب خفي لم تستطع ادراكه على شدة اتصالها بها •

وكل ما كانت تعرفه كريتشن عن عائلتها ان اباها قدم الى ميونيخ مضطهدا فقيرا فتزوج نبيلة من نساء تلك العاصمة وان اباها مات بعد شهر من موت امها وهي لم تبلغ العام من العمر ولم يعلم احد كيف كان موتهما ما خلا رجلا

كان خادما في منزلهما يدعى فريتز •

فلما بلغت كريتشن الخامسة عشرة من عمرها ورد الى فريتز كتاب مـن فرنسا فسافر الى فرنسا علـى اثر ورود الكتاب تاركا كريتشن لعناية امرأته •

وقد طال غياب فريتز فمرضت امرأته وماتت بعد ستة اشهر لسفره فباتت كريتشن فريدة وحيدة في هذا الوجود•

غير ان عين العناية كانت ترمقها فانه لم يمر بها على انفرادها ثلاثة ايام حتى وقفت عند بابها مركبة تجرها اربعة جياد وعليها شعـار النبلاء وخرجت منهـا سيـدة وهي البرنسيس هيلانة دي كالور تنبورج ان الاميرة كانت قد مرت منذ بضعة اشهر بهذا البيت ورأت كريتشن فأثر بها جمالها وارادت ان تجعلها في حاشيتها •

فلم تجد كريتشن بدا من القبول اذ باتت وحيدة في الوجود •

على ان فريتز لم يكن قد مات كما توهمت كريتشن فلما عاد من فرنسا الى ميونيخ وعلم بأن كريتشن عند الاميرة تجهم وجهه وذهب الى قصر الاميرة فالتمس مقابلتها فوجد ان كريتشن باتت في ارقى منزلة لدى البرنسيس فلم يجسر على ان يسألها الفرار معه ولكن البرنسيس اذنت بمقابلته فخلا بها مليا ولم تعلم كريتشن ما دار بينهما من الحديث في ذلك الاجتماع الا بعد زمن طويل •

غير ان فريتز اقام منذ ذلك اليـوم في قصر الاميرة

خصيصا لخدمة كريتشن فكان يلازمها ملازمة ظلها كأنها كانت مهددة بخطر سري هائل •

ومر بذلك عامان وفي ذلك العهد سافرت الاميرة الى باريس وصحبت معها كريتشن وفريتز •

وكانت كريتشن قد تربت افضل تربية في قصر الاميرة وتعلمت خير تعليم وقد ترعرعت وباتت فتنة الناظرين بجمالها حتى ان الكونت دي مازير الذي كان لا يكاد ينظر اليها في بدء دخولها في خدمة الاميرة بات الآن مدلها مفتونا بها •

وكانت الاميرة قد تزوجت حقيقة بالكونت دي مازير وانما بقي هذا الزواج مكتوما لان ملك بافاريا ابى الموافقة عليه •

اما هذا الكونت فقد كان في مقتبل الشباب وهو جميل الوجه حلو الحديث كثير التفنن خلافا لكريتشن فقد كانت على اتم السلامة فلم يستطع قلبها الصغير مقاومة عيني هذا الكونت فعلقت في شركه وكانت الاميرة لا تعلم شيئا مما جرى بينهما على ان الكونت كان قد اقسم لكريتشن انه عشيق الاميرة وليس زوجها كما يشيعون وانه سيتزوج كريتشن فصدقته الفتاة لسلامة نيتها وسقطت في حبال غرامه •

وكانت مدة اقامة الاميرة في باريس قصيرة لا تتجاوز شهرين غير ان كريتشن كانت تصحب الاميرة الى الاوبرا فكانت تدهش الناس بجمالها وقد اتفق يوما انها كانت في

صحبة البرنسيس فلقيهما اثنان من حراس الملك واظهرا لها ودادا عظيما •

وكان احدهما يدعى الكونت دي بوفوازين والآخر راؤول دي مورلبير •

ففي اليوم التالي ورد الى كريتشن كتابان من هذين الحارسين فعثر فريتز اتفاقا على احد هذين الكتابين وهو كما يأتي :

سيدتي

اني رأيتك ساعة واحدة فاحببتك ولي صديق وفي رآك كما رأيتك واحبك كما احببتك وكلانا يضع نفوذه وثروته رهن خدمتك واقسم كلانا ان يبقى على وفاء صاحبه اذا قدر لاحدنا ان ينال حظ رضاك عنه دون الآخر •

وكان هذا الكتاب موقعا عليه باسم الكونت دي بوفوازين ولم يصل الى كريتشن •

اما كتاب راوول فقد وصلها ولكنها كانت واأسفاه تحب الكونت دي مازير ولم تكن لتقابل راوول لو لم يكن قد ورد اليها منه كتاب آخر في منتهى الخطورة •

وهنا توقفت اورور عن القراءة وقالت :

ــ رباه ان كريتشن هذه كانت امي •

ثم عادت بعد استرسالها الى التفكير الى تلاوة كتاب راوول الثاني فقرأت ما يأتي :

الى مدموازيل كريتشن دي فلارس

لقد عرفنا يا سيدتي باتفاق غريب حقيقة اسمك واسم عائلتك فانت من بقايا اسرة اقسمت مع رفيقي على ان نسفك في سبيل الاخلاص لها دماءنا •

وان كلينا يا سيدتي يحبك اصدق حب وكلانا يرجو تحقيق رجائه بزواجك ولكننا لا نخدمك من اجل الحب وحده بل ان الذي يدفعنا الى هذه الخدمة واجب مقدس يجب علينا قضاؤه •

انك يا سيدتي على جمالك وطهارة قلبك وكونك من ملائكة الله يحبط بك اعداء اشداء لا بد لنا ان ننقذك من قبضتهم •

وكلانا شريف وفي فاعتمدي على وفائنا وشرفنا واعلمي انه يجب ان نراك في هذه الليلة نفسها كي تعلمي ما يحدق بك من الاحطار •

وان مقابلتك في قصر الاميرة محال ولكن يوجد منزل مقابل لذلك القصر يدخل اليه من رواق ضيق فاذا كنت لا تشكين بولائنا فاحضري اليه في الساعة الثامنة من مساء اليوم تجديني في انتظارك مع صديقي الكونت دي بوفوازين فاننا نقيم سواء في هذا المنزل •

المخلص الوفي : راوول دي موليير

فامعنت كريتشن في التفكير على اثر ورود هذا الكتاب وكانت تود مقابلة الحارسين غير انه حال دون

قصدها عزم الاميرة على الرجـوع الى مونيخ في اليـوم نفسه .

وكان الفارسان قد رشوا احد خـدم القصر فاوصل الى كريتشن هذه الرسالة واضطرت كريتشن ان تبقى مع الاميرة كل ذلك اليوم لاعـداد معدات السفر فلم تفارقها لحظة .

حتى اذا خرجت الاميرة مع حاشيتها الى المركبات دنا الخادم من كريتشن واعطاها ذلك الكتاب .

وقد ركبت الاميرة والكونت دي مازير في المركبـة الاولى وركبت كريتشن وسيدة لابسة ملابس الحداد فقد كانت ارملة اخي الكونت دي مازير الذي مات حديثا وقد رضيت بالسفر الى المانيا والعيش مع اخي زوجي في منزل الاميرة .

واما كريتشن فانها لم تستطع فتح هذا الكتاب الا في المحطة الاولى .

ولما اقبل المساء وصلـوا الى سانوتياري فنزلوا في احد فنادقها وهناك اطلعت كريتشن فريتز على كتاب راوول فقرأه فريتز واصفر وجهه وقال لها ، لم يعد لي بد يا سيدتي من ان اقول لك الحقيقة فان هـذا الاسم الذي ذكر في الكتاب هو اسمك الحقيقي .

قالت : ولكن كاتب هذا الكتاب يقول ان لي اعداء اشداء فكيف يكون لي اعداء ؟

فاضطرب فريتز وقال : ان اعداءك يا سيدتي هم اعداء ابيك وجميع اسرتك . قالت : العلك عرفت ابي ؟

قال انه مات بين يدي وعنـد ذلك اخذ فريتز يقص عليها تاريخ اسرتها فقال لها : ان اسرتك فرنساوية وقـد كانت شهيرة في القرن الماضي وقـد اسر جدك في حصار بحدبورج وسقط فـي قبضـة البارون ولدتر وهو جد البرنسيس هيلانة .

وكان لهذا البارون امرأة صبية حسناء في حين انه كان شخيا قبيحا شريرا وكان جدك المركيز دي فلارس جميلا وهو في الخامسة والعشرين من عمره فاحبته البارونة ولما عقد الصلح بانتهاء الحصار جاء جدك المركيز الـى فرنسا وقد انثنى عن حب البارونة وحسب ان سر غرامها لم يعلم به احد غير انه كان منخدعا في ظنونه .

وبعد ان عاد الى فرنسا تزوج فلم يمر بزواجه ثلاثـة اشهر حتى ماتت امرأته بعد ان لقيت آلاما لا تطاق ولـم يدر احد من الاطباء حقيقة مرضها .

وبعد ذلك بشهرين هاجم المركيز جدك عصابة متنكرة فاثخنوه جراحا وتركوه صريعا وهم يعتقدون انه لقي حتفه .

ولكنه لم يمت بل شفي من جراحه وتزوج ثانية بعد هذه الحادثة بعام فولدت له امرأته ثلاثة بنين .

ومضى على زواجه عشرون عاما فبينما هو نائم ذات ليلة في منزله دخل بعض الاشرار الى غرفة رقاده وقتلوه

بالخناجر فافرغت الحكومة مجهودها في البحث عن القاتل فلم تقف له عن اثر .

وكان ابناء المركيز قد شبوا فمات اثنان منهم بذلك المرض الخفي الذي ماتت به امرأة جدك الاولى اما الولد الثالث فقد وردت اليه رسالة خالية من التوقيع هذا نصها :

« احذر لنفسك فان اباك المركيز قد اغوى امرأة البارون ولدتر كارلوتنبرج وهذا هو السبب في ما تلقاه عائلتك من النكبات المتتابعة » .

اما الولد الثالث فهو ابوك يا سيدتي وقد كان له صديقان اصغرمنه سنا وهما ذلك الحارسين اللذين كتبا لك.

وكان يوجد في باريس في تلك الايام ابن البارون ولدتر الاكبر وهو شقيق البرنسيس فخاصمه ابوك وقتله في مبارزة وكان شاهده في هذه المبارزة صديقاه دي بوفوازين وراوول .

فلما قتل هذا البرنس وكان قد جعله الملك برنسا قبيل قتله حسب ابوك ان جذوة الاحقاد العائلية قد خمدت ولم يكن له من العمر غير ثلاثين عاما فاراد الزواج استبقاء لاسم عائلته اذ لم يبق منها سواه .

ولكنه اخطأ في حسابه فانه في اليوم التالي لزواجه وجد امرأته مخنوقة في سريرها فملء الرعب قلبه وبرح باريس متنكرا وقد غير اسمه فاقام في مونيخ متنكرا باسم شارل ريتربرج وهناك تزوج امك وبعد عامين ولدتك وذلك

منذ ستة عشر عاما ولكنها ماتت بعد موتك مـوتا فجائيا وبعد بضعةايام مات ابوك ولكنه تمكن قبل مفارقة الروح من ان يقص علي هذا التاريخ العائلي المحزن •

فلما فرغ فريتز من حكايته قالت له كريتشن : اذن ان هذه الاميرة التي اعيش في ظلها هي ابنة قاتلي اسرتي ؟

ـ نعم •

ـ اذا كنت تعرف ذلك فكيف تركتني اقيم في منزلها؟

ـ ان الاقدار ارادت ان تكوني في منزلها يا سيدتي فان اباك حين برح فرنسا باع جميع موجوداته فيهـا وقد امرني وهو على فراش الموت ان انتظر الى ان تبلغي الرابعة عشرة من عمرك فاذهب الى باريس لاسترجاع ثروتك •

فلما بلغت هذا العمر سافرت الى باريس امتثالا لامر ابيك فبحثت بحثا مستفيضا عن تلك الثروة فلم اظفر بها لان جدتك كانت قد ادركها الوفاة ولم يكن يعرف مكان هذه الثروة غير صديقي ابيك وهما دي بوفوازين وراوول، ولكنني لم اعرفهما في ذلك الحين •

فلما عدت بالخيبة الى مونيخ وعلمت انك في قصر الاميرة جمد الدم في عروقي من الاشفاق عليك واسرعت الى قصر الاميرة فالتمست مقابلتها وكنت عازما على قتلها اذا لم تأذن لك بالخروج معي من قصرها •

غير اني لقيت منها ما اثناني عن هذا العزم فانها اظهرت لي حنوها عليك وحبها ايـاك والدموع تذرف منعينيهـا

ودلال الصدق بادية في لهجتها ثم قالت لي : انـي لست سفاكة ولا انا من اهل الانتقام واني اصلح ما افسده آبائي بذلك الحقد القديم ويكون ذلك الاصلاح باحساني الى هذه الصبية •

ثم تنهدت وقالت : والآن خذها اذا شئت ولكني اقسم لك بالله العلي اني لا انتقم منها قياسا على ما جرت عليه اسرتي مع اسرتها بل اني احبها كما تحب الاخت اختها •

وهنا عادت الى البكاء فلم يبق لدي شك بصدق نيتها وسلامة طويتها • هذا ما اعلمه من سر عائلتك وانت تعرفين البقية فانظري الآن في امرك فاذا كنت خائفة فارجعي الى باريس واقيمي فيها بحماية ذينك الحارسين واذا كنت واثقة من ولاء الاميرة فابقي في قصرها •

فخطر لكريتشن في تلك الساعة الكونت دي مازير وقالت لفريتز : بل ابقى مع الاميرة فان ثقتي بها شديدة •

وانما ارادت البقاء مع الاميرة لهيامها بالكونت دي مازير •

ــ اذن عولت على الرجوع الى المانيا ؟ ــ نعم •

ــ ليحرسك الله ويقيك شر الاعداء •

وفي اليوم التالي سافرت الاميرة مع كريتشن الى المانيا فوصلت الى مونيخ بعد ثمانية ايام وكان الكونت قد زاد هياما بها وهي بلغت في هواه حد الجنون •

فلما وصلت اورور في قراءة الدفتر الى هذا الحد

وضعت رأسها بين يديها وقـالت بصوت منخفض تكلـم نفسها : ترى من هو فريتز هذا الوارد ذكره في هذا الدفتر لعله بنيامين ؟

فاجابها بنيامين ذلك الخادم الشيخ الامين وهو واقف وراء كرسيها : نعم يا سيدتي انا هو فريتز وسأخبرك ببقية الحكاية المؤثرة .

فوضعت اورور الدفتر علـى الطاولة واصغت الـى حديث بنيامين .

. . .

كان بنيامين شيخا قوي البنية طويل القامة وقد ابيض شعره واتقدت عيناه فكان له عمر الشيخ وهمة الفتيان .

فلما جلست اورور تصغي الى حديثه وجلس امامها قال : نعم اني مخبرك بسر عائلتك فقد آن لك ان تقفـي على كل مكنون من امورها ثم قص عليها ما يأتـي فقال : اني كنت واثقا ثقة تامة من اخـلاص الاميرة هيلانة لامك كريتشن ولحنوها عليها بحيث لـم اعـد اراقبها مراقبتي الاولى لاعتمادي في ذلك على الاميرة .

ثم اني كنت لم ابلغ بعد حد الكهولـة فما عركنـي الدهر وما خبرت قلوب البشر ولذلك فلم ادقق في البحث عما طرأ على امك من التغيير فانها استحالت من حال الى حال فبعد ان كانت باسمة الثغر طلقة المحيا اصبحت مفكرة مهمومة تبدو عليها آثار الكآبة في كل حين فكنت اقول في

نفسي ان هذا الانقباض قد طرأ بعد ان وقفت على مصائب عائلتها ولا بد ان يمحو مرور الايـام هذه الذكرى مـن مخيلتها فتعود الى فطرتها •

غير اني كنت مخطىء في تعليل انقباضها فان السبب فيه كان حبها للكونت وعبث الكونت بها •

وقد ساعد الكونت وامك على هذا الحب حالة البرنسيس في مونيخ فانها كانت متزوجة الكونت حقيقـة غير ان الكونت لم يكن يحبها وانما كان يستخدم حبهـا لاغراضه فكان يحضر الى قصرها في كل يوم ولكنه كان يقيم في دار السفارة بحيثوثقت امكلسلامة نيتها انهما غير زوجين وان الكونت سيتزوجها كما وعدها بعد هذا العبث•

ولم تكن الاميرة عارفة بشيء من اسرار هذا الغرام غير ان امرأة اوقفتها على خفي وكانت هذه المرأة تلك الارملة التي جاء بها الكونت دي مازير الى مونيخ واقامها في قصر الاميرة اي امرأة اخيه الذي مات في باريس عنها وعن طفل صغير •

فقاطعته اورور وقالت : الم يكن هذا الطفل ابن عمي لوسيان ؟

قال : نعم يا سيدتي فان الكونت دي مازير كان يحب عائلته وكان ملك بافاريا راضيا عنه يريد له الخير فاغتنم هذا الرضى الملكي فجاء بامرأة اخيه وابنها فامهما في قصر الاميرة هيلانة وجاء باخيه الثالث فجعله من رجال التشريفات

في بلاط الملك .

ـ أليس أبي من أخوه الثالث ؟

ـ نعم هو ابوك الشفاليه دي مازير وقد رأى امك كريتشن فأحبها وهو يعلم ان اخاه المحسن اليه يحبها حبا لا يوصف ولكنه لم يبال باخيه .

واما امرأة عمك ، اي والدة لوسيان ، فانها حين رأت امك هذه المرة نفرت منها وكرهتها كرها شديدا لحسد منها.

غير ان الكونت دي مازير لم يكن يحب حبا اكيدا من جميع من كان حوله غير كريتشن . وجعلت الايام تتوالى وامك تبالغ في اخفاء غلطتها حتى دنت الايام التي لا يمكن بها للنساء ان يسترن هذه الزلات وقد كانت في كل حين تتوسل الى الكونت ان يرحمها ويفي بوعده بزواجها فكان يعللها بالرجاء ولا يفي بما وعد .

الى ان دنا موعد ولادتها ولم يعد للكونت حيلة في التسويف فكتب الى باريس وطلب ان يستدعوه فأجابه وزير الخارجية الى ما طلب .

فلما ورده الاذن بالسفر وعلمت الاميرة بسفره ارادت ان تسافر معة غير ان ملك بافاريا حال دون بغيتها ومنعها عن السفر فسافر الكونت وحده وقد وعدها انه لن يغيب غير بضعة اسابيع .

ولم يكن احد في القصر قد وقف على زلة امك غير امرأة عمك والدة لوسيان وهي امرأة شريرة كثيرة المطامع

لا تقف في سبيل اغراضها لا تقف عند حد من الجرائم في حين ان الناظر اليها يحسبها من ملائكة الله لجمالها .

اما مطامع والدة لوسيان فهي انها رأت ان الاميرة كثيرة الضعف وان الاطباء قد رأوا انها في الدرجة الاولى من السل وان هذا الداء الوبيل لم يبلغ منها مبلغه بعد لكثرة العناية بها فقالت في نفسها ، انها اذا اصيبت بتأثر شديد قتلها التأثير ولم تفدها عناية .

وقد كانت تعلم انها تزوجت الكونت وانها لم ترزق منه بنين فاذا ماتت فان الكونت يرث مالا كثيرا من ثروتها الطائلة .

وكانت والدة لوسيان لا تزال في ريعان الشباب والجمال فكان رجاؤها ان تتزوج الكونت بعد موت زوجته الاميرة .

وما زالت تعلل نفسها بهذا الرجاء حتى وقفت على غرامه بكريتشن فكان غرام الكونت بامك ضربة قاضية على آمالها فوضعت عند ذلك خطة هائلة ولدتها لها قريحتها الجهنمية ووصيفة نورية هي شيطان رجيم بصورة انسان فجعلت منذ ذلك الحين تتودد الى كريتشن حتى باتت صديقتها الحميمة باتت امك لسلامة قلبها لا تكتم عنها شيئا من اسرار قلبها لاعتقادها بصدق اخلاصها .

فلما اوشكت كريتشن ان تصبح اما باحت بسرها لوالدة لوسيان فقالت لها : لا تخافي فانا انقذك من هذا

الخطر •

فوثقت كريتشن بها واختلقت والدة لوسيان اسبابا تدعوها الى السفر ثـم احتالت علـى الاميرة حتى اذنت لكريتشن بمرافقتها فسافرتا •

وكان الكونت دي مازير لا يزال في باريس وقد كان ينكر امام جميع الناس ما اشيع عن زواجه بالاميرة فذهبت والدة لوسيان اليه فتظاهرت انها تجهل امر زواجه وقالت له : اني جئت التمس منك اصـلاح غلط ارتكبته اشفاقا على اسم عائلتك النبيل •

فارتعش الكونت وقال لها : ماذا تقصدين بذلك ؟

قالت : انك اغويت كريتشن ويجب ان تتزوجها •

وكان لوالدة لوسيان نفوذ علـى الكونت بل كـان يحترمها احتراما شديدا لانها كانت طامعة بزواجه فكانت تظهر امامه بخير المظاهر مما يدعو الى الاحترام فاعترف لها الكونت عند ذلك بجميع امره واخبرها انه متزوج زواجا شرعيا بالاميرة •

فقالت له : اذا كان ذلـك كما تقـول فان زواجك من كريتشن محال ولكن يجب أن تنقذ هذه المنكودة مما هي فيه فان اليأس سوف يقتلها •

ثم اخبرته انها جاءت بكريتشن الى باريس وانها مقيمة معها في منزل الاميرة في شارع اباي وانها باتت قريبة من الولادة فهي في حاجة قصوى الى العناية الشديدة •

فكاد الكونت يذوب حنوا على كريتشن لانه كان يحبها حبا أكيدا وسار مع امرأة أخيه الى ذلك المنزل الذي كانت تقيم فيه . وهناك اقسم لها الكونت انه يحبها حبا أكيدا وانه لا بد له من الزواج بها ولكنه اقسم للاميرة هيلانة انه لا يتزوج الا بعد الاربعين من عمرها وهي بلغت الان السادسة والثلاثين من العمر فلا بد اذن من الصبر اربعة اعوام .

ثم جعل يعرب لها عن عواطف قلبه ويظهر لها مكنونات غرامه بلغة وجدت سبيلا الى قلبها الضعيف فصدقت وعوده وغفرت له .

أما الكونت فانه لم يكن كاذبا في هذا الوعد فانه كان يرى ان حياة الاميرة قصيرة فان اخاه الشفاليه كان يرسل اليه التقارير عن صحتها في كل يوم وقد اثر بها فراق الكونت تأثيرا عظيما فزادت صحتها اعتلالا .

وكان ملك بافاريا لا يزال مصرا على عدم الاذن لها بالسفر فكانت تكتب كل يوم الى الكونت تسأله الاسراع بالعودة فيعللها الكونت بقرب رجوعه ويقول انه لا يستطيع تعيين موعد الرجوع لانه مضطر الى البقاء في باريس لاشغال خطيرة جدا فكانت والدة لوسيان تكيد المكائد في خلال ذلك دون ان يدري احد بمقاصدها وذلك ان امرأة نورية تدعى تنوان كانت متصلة بها فكانت لها شر معين وقد جاءت في ذلك اليوم من بافاريا .

فقاطعته اورور وقالت : أهي تلك المرأة نفسها التي

لا تزال في قصر امرأة عمي ؟ — هي نفسها •

فقالت له بصوت يضطرب :

— أتم حديثك يا بنيامين فاني اراه عجيبا •

— ان تنوان هذه كانت تستكشف الطوالع وكانت الاميرة هيلانة من اهل الطهر والاعتقـاد بالاوهام الباطلة فكانت تنوان تستكشف طالع الاميرة وتخبرها بما يوافق اغراضها بالاتفاق مع والدة لوسيان ثم تكتب اليها كل يوم عما تحدثه مكائدها في نفس تلك الاميرة •

وما زالت بها حتى غرست في نفسها بذور الغيرة فأيقنت ان الكونت لا يحبها وان قلبه منشغل في باريس فكادت تجن لغيرتها وكل ذلك بحسن دهاء هذه النورية •

ولم تكن تستطيع السفر الى باريس لان الملك لم يأذن لها فافضت بها الغيرة الى ارسال تنوان الى باريس للاستطلاع وموافاتها بالخبر اليقين •

وقد وصلت النورية تلك الليلة الى القصر المقيمة فيه كريتشن ووالدة لوسيان وكان وصولها اليه حين خروج الكونت دي مازير منه •

ولا شك ان والدة لوسيان كانت تنتظر قدومها فانها نزلت لاستقبالها الى آخر السلم وعانقتها معانقة الاخوات ثم قالت لها : — الى اين وصلت بنا الحوادث ؟

— الى حيث اردنا فان الاميرة تكادتجن من الغيرة •

وكيف صحتها ؟ — على ما يشتهيه اعداؤها •

ـ والشفاليه دي مازير ؟

ـ انه مدله بغرام كريتشن فانه يأتي كل يوم الى قصر الاميرة يسأل عن زمن عودتها •

ـ اتظنين انه لا يعرف شيئا من امرها ؟ ـ بل اؤكد•

فاتقدت عينا والدة لوسيان ببارق من الرجاء وقالت:

ـ لقد دنت الساعة •

ثم ذهبت بالنورية الى حجرة معتزلة في القصر كي لا تعلم كريتشن بقدومها الى باريس •

١٧
ليلة الولادة

لم يدر احد ما جرى بين تلك النورية الداهية وبين والدة لوسيان الطامعة غير انه في الليلة التالية دعيت الى القصر ولادة مشهورة في باريس ففحصت كريتشن وقررت انها ستلد بعد ثمانية ايام او اقل •

فلما انصرفت الداية اختلت تنوان بوالدة لوسيان خلوة طويلة وفي فجر اليوم التالي سافرت النورية عائدة الى الاميرة• وقد استأجرت مركبة بريد خاصة وكانت تنثر الذهب وتقتل الجياد جريا فسارت بها المركبة سيرا متصلا اربعة ايام

وثلاث ليال وفي الليلةالرابعة وصلت الى قصر كارلو تنبورج فوجدت الاميرة قد زادت اعتلالا وقد تمكنت منها الحمى •

فلما رأتها الاميرة برقت عيناها وقالت لها :

ـ ماذا فعلت ارأيت الكونت ؟

فتكلفت تنوان هيئة الكآبة وقالت : انه يا سيدتي من الخائنين •

فتطاير الشرر من عينيها وقالت : أهو خانني ومن هي التي أحبها ؟

ـ سيدتي اني اقسمت يمينا مغلظة ان لا ابوح لك باسم تلك الفتاة السافلة التي اغتصبت منك قلب الكونت •

فهاج غضب الاميرة وقالت : ولكني اريد ان اعلم •

ـ اني اقسمت ياسيدتي ان لا ابوح باسمها ولكني لم اقسم بأني لا اذهب بك الى باريس واثبت لك هذه الخيانة بالبرهان •

ـ أهي في باريس ؟

ـ نعم وان الخائنة ستغدو أما بعد اربعة ايام فتعالي معي الى باريس تحضري ولادتها وتمتعي النفس بسرور الكونت بهذا المولود •

فانقض عليها هذا الكلام انقضاض الصواعق وبلغت منها الغيرة حد الجنون فلم تعد تكترث لاوامر الملك وأمرت باعداد المركبة وسافرت خفية مع تنوان •

فكانت الحمى وتأثير هذا الخبر قد اثرا بها تأثيرا بليغا فلم يمر بها اليوم الاول من السفر حتى انتهكت قواها ولكنها

أبت الوقوف والراحة واستمرت على السير فكانت تصاب في الطريق باغماء شديد كان يطول عدة ساعات فاذا عادت الى رشدها أخذت تنوان تشجعها وتهيج مكامن غيرتها فتأمر بمواصلة السير .

وسارت المركبة حتى وقفت عند فندق النسر الاسود لاستبدال الجياد وكانت الاميرة مغميا عليها في ذلك الحين .

اما تنوان فانها اطلت من المركبة فرأت فارساوقف ايضا عند باب الفندق وثيابه ملوثة بالوحول وجواده يلهث تعبا فرأى النورية واشار اليها اشارة فالتفتت النورية الى الاميرة فرأت انها لا تزال مغميا عليها فأشارت مثل اشارته فدنا منها واعطاها رسالة . ففتحت تنوان الرسالة وقرأت ما يأتي :

تقول الداية انه لا يبدأ مخاضها الا بين الساعة الثامنة والتاسعة من المساء فاجتهدي ان تؤخري قدومك كي تصلي حين الاوان .

فقالت تنوان للفارس : حسنا قل لها سيكون ما تريدين فودعها الفارس وانطلق بجواده .

اما تنوان فانها امرت السائق ان لا يستبدل الجياد لان الاميرة مضطرة الى الراحة ثم أمرت بنقل الاميرة وهي لا تزال مغميا عليها الى الفندق .

ثم انها لم تبذل شيئا من الوسائل في سبيل ايقاظها من اغمائها بل تركتها على حالها حتى تعالى النهار واستفاقت من نفسها فوجدت انها مضطجعة في سرير وان تنوان جالسة

على كرسي عند سريرها فذهلت وقالت لها : ما هذا الذي انا فيه واين نحن الان ؟

ـ اننا يا سيدتي في شاتوياري وانما اضطررت الى اراحتك في هذا الفندق لما رأيت عليك من دلائل التعب فما جسرت على مواصلة السير في الحال •

فأمرت تنوان عند ذلك باعداد المركبة وبعد نصف ساعة عادت بها الى السير في طريق باريس والاميرة مضطجعة في المركبة وهي مطبقة العينين كأنها تحاول الرقاد واين لها النوم وهي كأنها نائمة فوق جمر ؟

حتى اذا اقتربت من باريس فتحت عينيها فجأة وقد اتقدتا بشهاب من نار فشدت على يد تنوان وقالت لها : لقد علمت • ـ ما علمت يا سيدتي ؟

ـ اسم مزاحمتي في الكونت

فأجابتها بلهجة المتهكم : أحق ما تقولين ؟

قالت : انها كريتشن وقد كان يجب أفطن لغرامها قبل الان • فقالت لها النورية : لك يا سيدتي ان تظني ما تشائين اما انا فاني لا انكر ولا اثبت ما تقولين •

فارتعدت الاميرة وقالت : نعم نعم هي بعينها ولكني سأعذبها اشد عذاب وانكل بها افظع تنكيل • ويح لهذا الانسان ما اكفره بالنعمة اني احسنت الى هذه الفتاة وعفوت عنها في حين ان اباها قتل ابي وحنوت عليها حنو الامهات فكان جزائي منها انها سلبتني قلب من احب وعاملتني

بالجحود والكفران • نعم لقد صدق القائل حين قال : اتق شر من احسنت اليه ، غير ان خيانتها اذا كـانت شديدة فسيكون انتقامي أشد •

فقالت لها تنوان : انك يا سيدتي سيدة عظيمة وما انا الا نورية حقيرة ولكن اهل بلادي يعرفون اساليب الانتقام اكثر مما يعرفها جميع الناس • قالت كيف ينتقمون في بلادك؟

ــ اني لو كنت يا سيدتي في مكانك لما انتقمت من خصيمتي بالقتل فإن عذاب القتل لحظة بل انتقمت بما هو اشد من القتل فقتلتها كل يوم مرارا • ــ ماذا كنت تصنعين؟

ــ اني ابدأ اسلبها ولدها الذي ستلده •

ــ اكرهها على الزواج برجل لا تحبه ويكون هذا الرجل من اهل الشر والفساد فاجعله آلة بيدي لتعذيبها •

فقالت لها الاميرة لقد اصبت يا تنوان فان حقدي عليها لا يموت بموتها ولا يبرد غليلي غير الانتقام منها في كل يوم•

ــ أتجرين اذن على طريقتي ؟ ــ دون شك •

ــ ولكن الانتقام يا سيدتي على ما اعرفه انا مادة لطيفة منحصرة في زجاجة رقيقة بحيث ان اقل ارتجاج يصيبها يكسرها ويسيل تلك المادة التي هي فيها • ــ ماذا تقصدين

ــ اعني اذا استحسنت خطتي وجب ان تجري عليها الى النهاية• ــ سأفعل فما هي خطتك •

ــ هي ان تبتسمي لخصيمتك وتتظاهري بالصفح عنها فتخفي ما في قلبك من الحقد •

فابتسمت الاميرة ثم استحالت هيئتها للفور من اليأس الى الزهو وقالت لها ، اني وريثة البارون ولدتر ذاك الذي اباد عائلة بأسرها ومثلي يعرف ا نيخفي غضبه تحت ظواهر الرضى والابتسام •

ففرحت تنوان فرحا شديدا وقالت لها : اذن لم يبق لدي شك انك ستنهجين النهج الذي أضعه لك فتدركين به ما تتمنين •

وعند ذلك رسمت لها تنوان خطتها الهائلة وظلت المركبة سائرة حتى بلغت القصر قرب انتصاف الليل فنزلت الاميرة منها وهي نشيطة بعد ان كانت تشبه الاموات كأنما محادثة تنوان قد أعادت اليها القوى •

وكانت ظواهر هذا القصر تدل على اضطراب ساكنيه فلما صعدت الى الدور الاول سمعت صراخا شديدا فقالت لها تنوان انها تتألم آلام الولادة فهل تسمعين ؟

ـ نعم ولكن اين هو الكونت •

ـ لا بد ان يكون عندها اذ لا يفارقها في مثل هـذه الساعة

ـ اني سأعاقبه ايضا أشر عقاب •

فقالت النورية بصوت منخفض : اذكري يا سيدتي ما أوصيتك به •

ـ لقد اصبت فاذا خانني الجلد لاول وهلة فلا يخونني بعد الان •

ـ اذن هلمي معي فسأوصلك الى غرفتها اي الى غرفتك يا سيدتي فان الكونت اقام خليلته في غرفتك في نفس قصرك •

فذكرت الاميرة عندذلك والدة لوسيان وقالت :

ـ وهذه ايضا ستنال حظها من عقابي .

ـ انك اذن تكونين مخطئة مسيئة اليها فانها هي التي اخبرتني بخيانة الكونت وهي مخلصة لك منتهى الاخلاص .

وكانت الاميرة تسير متوكئة على كتف النورية وكلما مشت خطوة زاد ارتفاع الصراخ حتى بلغت الى الغرفة التي كان يخرج منها الصوت فدفعت بابها ففتح ورأت الاميرة كريتشن تعض يديها من الالم ورأت الكونت دي مازير قربها يبكي لتوجعها بكاء الاطفال .

. . .

على انه كانت لكريتشن ثلاثة يحمونها وهم فريتز والكونت دي بوفوازين وراوول .

ويذكر القراء ان راوول كتب الى كريتشن يوم سفرها مع الاميرة الى ميونيخ فلم تتمكن من فتح كتابه الا بعد السفر مما دعا فريتز الى الاباحة لها بجميع ما بسطناه عن نكبات عائلتها .

غير ان فريتز كان واثقا من اخلاص الاميرة فلما وصلوا الى ميونيخ حمل كريتشن على ان تكتب كتاب الشكر لراوول وان تخبره انها آمنة من كل خطر .

فلما عادت كريتشن مع والدة لوسيان الى باريس كي تستر زلتها كان فريتز مسافر فلما وافاها الى باريس لم يعلم شيئا في البدء مما جرى ولكنه عرف الحقيقة بعد بضعة ايام

فقال في نفسه ان ابنة سيدي قد أهينت ولا بد للكونت ان يغسل عارها بالزواج ذلك انه لم يكن عالما ان الكونت دي مازير متزوج زواج شرعي بالاميرة هيلانة •

فلما وقف على حقيقة حالة كريتشن خطر في باله ان يستعين بالكونت دي بوفوازين وراوول فذهب اليهما واخبرهما بجميع ما اتفق فاقسم له الحارسان ان ينتقما لشرف الفتاة •

وكان كلاهما يعشقها ويتألم دون ان يبوح بهواه وهما يودان سفك دمائهما من اجلها فاتفقا على قتل الكونت اذا أبى ان يتزوجها •

ففي اليوم التالي لقدوم الاميرة الى باريس اسرع فريتز الى الحارسين وهو يكاد يجن من يأسه فأخبرهما ان كريتشن قد وضعت بنتا بحضور الاميرة وان كريتشن قد رعبت لقدومها فاغمي عليها واصيبت بعد الاغماء بحمى شديدة وانهم يخشون الان على صوابها •

فقال راوول : بل اننا ايضا نخشى على حياتها فان الاميرة لا بد ان تنتقم منها لاغتصابها قلب من تهواه •

فأخبرهما فريتز ان الاميرة احتقرت الكونت واهانته غير انها صفحت عن كريتشن وتجاوزت عن ذنبها •

فهز راوول رأسه شأن المشكك وقال : ان بيت هذه الاميرة لايعرف التجاوز عن الذلات فانهم كتموا احقادهم ثلاثة اجيال كان الاعقاب في خلالها يتوارثون الانتقام •

وعند ذلك اتفق الحارسان على ان يذهب احدهما وهو

الكونت دي بوفوازين الى حيث تقيم كريتشن فيحميها من الاميرة وان يذهب راوول الى دي مازير فأما ان يكرهه على الزواج بكريتشن او يقتله ٠

اما الاميرة فانها جرت على الخطة التي رسمتها لها تلك النورية الجهنمية فتظاهرت بالعفو عن كريتشن والاشفاق عليها وتوددت لها توددا عظيما انساها ما هي فيه ٠

اما الكونت فانه حين رأى الاميرة دخلت الى غرفة كريتشن اسرع بالفرار من وجهها اتقاء لبوادر غضبها وهاجر باريس فذهب الى قرية في الضواحي تدعى ماريس ٠

وهناك لقيه راؤول فبادره بالحديث قائلا : ان سبب زيارتي يا سيدي الكونت لا يخطر لك في بال ولكني اقول لك اني صديق المركيز دي فلارس ٠

ولم يكن الكونت يعرف شيئا من تاريخ كريتشن فقال: اني لا اعرف هذا المركيز ٠

قال : ان المركيز يا سيدي والد كريتشن تلك الفتاة المنكودة التي اغريتها٠ فاصفر وجه الكونت وقال: كريتشن!

قال : نعم ولا بد لك الان ان تكون علمت سبب زيارتي

قال : ولكن يا سيدي ٠٠٠

فقاطعه راوول وقال : لا سبيل الى الاعتراض فيما لا يفيد اذ يجب عليك ان تتزوج هذه الصبية وترد لها شرفها ٠

قال يسؤني جدا ياسيدي ان ارفض هذا الطلب فانه محال ولكني ٠

على ان راوول لم يدعه يتم حديثه بل صفعه على وجهه فانقطع سيل المحادثة والمخابرة ولم يعد بد من المبارزة بعد الصفعة

وكان المنزل الذي اختبأ فيه الكونت من غضب الاميرة محاطا بحديقة متسعة فقام الاثنان اليها وكلاهما يتقلد سيفه فجرى بينهما براز عنيف فتقارعا بالسيفين مدة طويلة دون ان يفوها بكلمة الى ان وجد سيف راوول سبيلا الى صدر الكونت فاخترقه وسقط الكونت مجندلا والدم يتدفق من فمه

غير ان الكونت لم يمت فحمله راوول الى سريره ولما ذهب الخادم لاحضار الطبيب اشار الكونت الى راوول كي يدنو منه وقال له بصوت متقطع، ارجوك ياسيدي ان تصفح عني فقد أبيت الزواج بكريتشن لاني متزوج •

ــ نعم وامرأتي البرنسيس هيلانة دي ولدتر غير اني احببت كريتشن حبا صادقا واني الآن علــى فراش الموت فغاية ما التمسه منك يا سيدي في هذه الساعة ان تتولى حماية كريتشن فان الاميرة من اهل الحقد والانتقام ثــم اغمي على الجريح •

وفي الوقت نفسه الذي جرت فيه هذه المبارزة كان الكونت دي بوفوازين مختليا مع الاميرة هيلانة في المنزل الذي وضعت فيه كريتشن مولودها فاقسمت انها ستتولى حمايتها وتحافظ علــى حبها وحب ابنتهــا فوثق الكونت بصدق كلام الاميرة •

وهنا توقف بنيامين عن مواصلة الحديث للاستراحة

بعد ان قال : واأسفاه فلو انقذنا امك في ذلك اليوم من مخالب هذه الاميرة لبقيت عائشة الى الان •

فذرفت الدموع من عيني اورور وقالت له : اتم حديثك يا بنيان •

• • •

وعاد بنيامين الى تتمة الحديث فقال : ان الكونت دي بوفوازين خدع باقوال البرنسيس كما خدعت انا •

اما هؤلاء النسوة الثلاث اي الاميرة ووالدة لوسيان وتنوان النورية فقد اتفقن حتى بتن شخصا واحدا لا يعمل الا للانتقام •

وكانت النورية تدير اعمالهن وقد بدأت بتنفيذ خطتها الجهنمية في اليوم التالي لولادة كريتشن •

واما الاميرة فقد مرضت على اثر ما اصابها من الاضطراب ورأت والدة لوسيان ان حياة هذه الاميرة باتت قصيرة فرأت ان الزمن قد حان لتنفيذ مأربها بواسطة تنوان

وقد كان لهذه النورية نفوذ شديد على الاميرة لا سيما بعد صدقها باكتشاف خيانة الكونت فلم تكن الاميرة تخالفها في امر وكذلك والدة لوسيان فقد رأت ان لهذه النورية فضلا عظيما عليها بما بلغت اليه من المنزلة لدى الاميرة وبما كانت تعد لها من اسباب الوصول الى غايتها فكانت تمتثل لها في كل ما تريد فباتت تلك النورية الآمرة الناهية في الحقيقة وهي في الظاهر من الوصيفات •

واما الكونت دي مازير فقد لبث شهرين وهو بين الموت والحياة غير ان شبابه وقوة بنيته تغلبا على الموت فشفي من جرحه وزال عنه الخطر .

وكانت الاميرة قد غفرت له ذنبه بالظاهر وذهبت الى منزله فاقامت مدة الى ان زال الخطر فاخبرته بعزمها على الرجوع الى المانيا .

وكان ملك بافاريا الشيخ قد توفي في خلال هذين الشهرين وخلفه احد اعضاء العائلة فأذن للاميرة باعلان زواجها السري بالكونت دي مازير .

ومع ذلك فان الاميرة طلبت الى زوجها الكونت ان لا يعود الى ميونيخ وان يتم معالجته في باريس .

وكان ذلك بايعاز من النورية لاغراض لها تظهر فيما بعد .

اما راوول فانه بعد ان جرح الكونت جعل يزوره في كل يوم حتى تمكنت الالفة بينهما وباح له الكونت باسرار قلبه فأخبره انه يحب كريتشن حبا صادقا وان امرأته مصابة بمرض قاتل فهو لا بد له من الزواج بكريتشن متى قضي على زوجته وبات مطلق السراح .

وكانت والدة لوسيان قد ادركت هذا القصد بفضل هذه النورية فرأت انه لم يبق بد من وضع حاجز شديد بين كريتشن وبين الكونت فانها كانت تطمع بزواجه بعد موت الاميرة والتمتع بما يرثه من اموالها الطائلة .

اما هذا الحاجز بينهما فقد كان الشفاليه دي مازير شقيق الكونت وهو من حجاب ملك بافاريا فان هذا الشفاليه وهو ابوك يا اورور كان يشبه والــدة لوسيان في الدهاء والمكر ونكران الجميل فان اخاه الكونت جاء به من باريس وعينه في منصب رفيع في بلاط الملك ودر عليه الارزاق بفضل الاميرة فكان جزاؤه منه انه كان يكرهه ويضمر له السوء في حين ان اخاه لم يكن يريد له الا الخير فاعتمدت والدة لوسيان على هذا البغض وجعلت الشفاليه حليفهـا على تنفيذ اغراضها •

اما كريتشن فانها عادت بعد شهرين مع الاميرة الى المانيا فكفلت الاميرة بنتها وتعهدت بتربيتها فسرت كريتشن بهذه العناية الطاهرة وباتت تحتقر الكونت بعد ان تبين لها كذبه وعلمت انه زوج الاميرة فانصرفت بجميع آمال قلبها الى بنتها ولم تعد تكترث بشيء في الوجود ولولا هــذه الطفلة لاسترسلت الى اليأس وانتحرت بعد ما ثبت لها خيانة الكونت •

غير ان هؤلاء النسوة الثلاث اللواتي تعاهدن علــى الانتقام من هذه المنكودة كان الفوز مضمون لهن عليهـا بفضل الشفاليه اخ الكونت •

فقد تقدم لنا القول ان هــذا الشفاليه كان يهــوى كريتشن فلما ذاع خبر ولادتها وعلم ان اخــاه قد اغواها زاد حقده عليه بقدر ما اشتد حقده علــى كريتشن وهــذا

اقصى ما كانت تتمناه والدة لوسيان •

وقد ادركت النورية منه ذلك الحقد والحنق فخلت به يوما وقالت له : ارى انك بت تكره كريتشن اليس كذلك ؟

ــ اني بت اكرهها بقدر ما كنت اهواها •

ــ واخوك الكونت ؟

ــ اني اكرهه ايضا فقد خدع الفتاة التـي احببتها واغواها وهو من المتزوجين •

ــ اذا كنت تريد الانتقام فقد اعددت لك وسائله فان اخاك الكونت لا يـزال يعشق كريتشن وهو يتوقع موت زوجته الاميرة ليتزوج بها •

فاتقدت عينا الشفاليه ببارق من الامل وقال :

ــ لا احب الي الآن من الانتقام •

ــ أتريد ان تعذب كريتشن وتلقي اليأس في قلب اخيك ؟ ــ ماذا يجب ان اصنع ؟

ــ انك على علو منصبك في بـلاط الملك لا تزال محتاجا الى المال لفقرك وانت تعرف مقدار ثروة الامـيرة فهي عازمة على ان تمنح كريتشن مهرا يبلغ مقدار دخله مائة الف فرنك في العام •

ــ أتشترط في ذلك ان أتزوجها ؟

ــ هو ذاك وحسنا تفعل يا سيدي فانك اذ تزوجتها على هذا الشرط تمتعت بمالها وانتقمت من اخيك الكونت الذي يسلبك من تحب ومن كريتشن التي تحتقرك وتجدك

غير اهل لها فمتى ملكت زمامها انتقمت منها كما تشاء .

ــ اني راض بهذا الاقتراح على ما فيه من الحيف فان الانتقام مسرة الآلهة .

ثم افترقا فذهب الشفاليه وهو موطد على الاقتران بكريتشن وعادت النورية الى الاميرة ووالدة لوسيان فاخبرتهما بما كان .

وفي المساء جاء الشفاليه الى قصر الاميرة فاجتمع فيه بكريتشن وقال لها : ان الاخوان متكافلون متضامنون وقد اساء اليك اخي اساءة لا يستطيع اصلاحها فانا اتولى اصلاحها عنه كي لا ينال شرف بيت دي مازير بسوء . انك يا سيدتي لا نصير لك ولا معين لابنتك ولا اسم لها فهل تريدين ان اكون لك زوجا ولابنتك ابا ونصيرا ؟

وقد تلبس بلباس الخداع واندفع يظهر من المروءة والاخلاص ضروبا خدعت بها كريتشن وحسبته صادقا في ما يظهره من المروءة والاخلاص فنظرت اليه وهي تبكي واجابته بمثل اخلاصه فقالت : هيهات يا سيدي ان تجد في قلبي غراما فقد مات غرامه ولم يبق متسع فيه لغير الهم والحسرات .

قال : انك مسترسلة الى اليأس ايتها الحبيبة وانت لا تزالين في نضارة الحياة ومثلك لا تيأس وقد احبها مثلي فسأجلك اجلال العبادة واكون لابنتك خير والد فلا تجدين في عشرتي غير الهناء الدائم وانا لا اسألك غير ان ترضي

بي زوجا كي اقيك واقي ابنتك غدر الزمن .

فخدعت كريتشن بظواهر اخلاصه واخذت يـده بين يديها فقالت : انك شريف يا سيدي طيب السريرة فاني اذا كنت لا استطيع ان احبك فاني احترمك واجعلك من اسعد الازواج .

وقد رضيت تلك المنكودة به بعلا فبدأت خطة النورية الهائلة تنفذ منذ ذلك الحين .

وتزوجت كريتشن به فلما اعلن هذا الزواج وباتت كريتشن في منزل الشفاليه جاهرت الاميرة بانها لا تريـد التخلي عن الطفلة وطلبت الـى الزوجين ان يقيما في القصر فرضي الاثنان وانتقلا الى القصر .

وفي ذلك اليوم خرج من ميونيخ فارسان وسافرا الى باريس وكان هذان الفارسان راوول والكونت دي بوفوازين فانهما كانا مختبئين في ميونيخ للمحافظة على كريتشن حتى اذا علما بزواجها بالشفاليه قالا انها باتت زوجة لرجل نبيل فهو يتولى حمايتها عنا ولم يبق لنا شأن في هذه العاصمة .

وكان الكونت دي بوفوازين يحب كريتشن حبا عظيما فلم يره احد بعد ذلك في باريس .

وقد تكاثرت الاشاعات عنه في ذلك العهد واختلفت الروايات غير ان الاكثرين كانوا مجمعين على انه قنط لغرامه من الحياة فالتجأ الى احد الاديرة وانقطع لخدمة الله وهي الرواية الصادقة فان هذا الكونت هو الآن رئيس هذا الدير

الذي يدعى الاب جيروم ولا يدري بسره احد .

اما الكونت دي مازير فانه شفي في هذه المدة من جرحه فعاد الى مونيخ وعلم هناك ان كريتشن باتت زوجة لاخيه فاسترسل في البدء الى اليأس ولكنه لم يمر به عهد قريب حتى تناسى غرامه القديم .

وقد كان مثلنا جميعا واثقا بصدق الاميرة وعفوها عن كريتشن كما انه كان واثقا مثلنا ايضا ان اخاه الشفاليه يحبها وسيجعلها من النساء السعيدات .

واما الاميرة فكانت لا تزال تقاوم ذلك الداء الذي كاد يؤدي بها فأشار عليها الاطباء بالسفر الى ايطاليا فسافرت اليها مع زوجها الكونت وبقيت كريتشن في القصر مع زوجها الشفاليه فولدت منه بنتا وهي انت يا اورور .

وهنا توقف بنيامين هنيهة فمسح دمعة قطرت فوق خده وعاد الى الحديث فقال : ان الاميرة قد سافرت ولكنها تركت انتقامها في القصر .

وذلك انها لم تكد تسافر حتى بدأ الشفاليه عذابها وبدأت النورية تسميمها ورفعت والدة لوسيان نقاب الرياء والتدليس فجاهرت بعدائها .

اما انا فلم اكن استطيع انقاذها من اولئك الظالمين وقد ذعرت ذعرا شديدا حين رأيت امك قد أخذ الضعف والوهن فان تلك النورية الهائلة كانت قد سقتها سما هائلا يقتل بعد نزع طويل شديد .

وكانت قد ولدتك في ذلك الحين فكانت اذا ابتسمت لك نسيت آلامها وعذابها واذا افتكرت باختك انقبضت نفسها فان الاميرة كانت قد أخذتها معها الى ايطاليا مبالغة في الانتقام •

ومضى على ذلك عامان كانت امك تزيد في خلالهما اصفرارا ونحولا ويأسا فان السم كان يفسد دمها والشفاليه يعذبها ويؤلمها كل يوم بذكر زلتها مع اخيه ووالدة لوسيان لا تنفك عن نكايتها الى ان استفحل يأسها فدعتني اليها وقالت لي : اني يا فريتز مشرفة على الموت •

فصحت صيحة ذعر لما رأيت من دلائل ضعفها واشرافها حقيقة على الموت وقلت : ماذا اصابك يا سيدتي ؟

ـ انهم دسوا لي السم يا فريتز وباتت ايامي معدودة فاقسم لي انك تسهر على بنتي من بعدي •

فقاطعته اورور وقالت له : اذن انت واثق ان امي ماتت مسمومة ؟

ـ كل الثقة يا سيدتي فان نزعها دام خمسة اعوام ثم اراحها الله من عذابها فاطفئت كما ينطفىء المصباح اذا فرغ الزيت منه •

ـ ومن الذي دس لها السم ؟

ـ تنوان النورية •

قالت : اكان ذلك بموافقة الاميرة ؟

ـ بل بأمر والدة لوسيان امرأة عمك• ـ قالت وابي ؟

ــ انه كان يعلم بهذه المؤامرة وقد وافق على التسليم.

فصاحت اورور عند ذلك صيحة هائلة واتقدت عيناها نارا فقالت : انك مت يا امي ميتة الشهداء ولكـن ابنتك ستنتقم لك افظع انتقام .

١٨
الانتقام

وساد السكوت هنيهة بـين بنيامين واورور فكانت علائم الرعب والاشمئزاز بادية في وجه الفتاة .

وكانت عيناها في البدء قـد اتقدت ببارق الانتقام فانذرت وتوعدت بالانتقام لامها .

غير ان البارق انطفأ فجأة واصفر وجه اورور حتى باتت كالموتى ثم احنت رأسها واطرقت بعينيها الى الارض وقالت كأنها تخاطب نفسها « ولكنه ابي » .

فقال لها بنيامين : يجب علي الآن يا سيدتي ان اقص عليك هذه الفاجعة المؤلمة . ــ قل فاني مصغية اليك .

ان امك يـا سيدتي ادركتهـا الوفاة وكان الكونت دي مازير لا يزال في ايطاليا مع زوجته الاميرة .

ولما حضرت ساعة وفاة امـك وكنت وحدي عنـد سريرها اعطتني هذين الكتابين مع الصندوق واقسمت لها ان اراقبك الليل والنهار وان احميك من كيد المعتدين .

اما الارملة امرأة عمك التي تسكن الآن هنا في قصر بوربيير مع ولدها لوسيان فكان لا يأتيها كتاب من ايطاليا حتى تختلج بعد تلاوته وتنقبض نفسها .

ذلك انها كانت تتوقع في كل يوم ان ترد اليها اخبار السوء عن الاميرة لطمعها بزواج الكونت فان تلك الاميرة كانت قد سافرت وهي في حالة مـن الاعتلال تدعو الى القنوط .

غير ان الله ابى ان تنفذ مآرب اهل الشر فقضى على مطامع تلك الارملة وذهبت آمالها السافلة ادراج الرياح فان الاميرة بدلا من ان يفتك بها الداء كما كانت تتوقع لها امرأة عمك افادها هواء البلاد وسماءها الصافية فردت اليها الحياة وباتت كانها في اتم صحة وعافية .

وبعد ثلاثة اعوام من سفرها عادت الى بلاط ميونيخ فدهش اهل البلاط حين رأوا تلك الاميرة المكلولة عادت اليها نضارة الشباب فزادتها جمالا .

وكان الكونت قد علم بموت كريتشن فبكاها بالسر اذ كان لا يزال في قلبه بقية من ذلك الحب القديم الـذي هاجه الموت .

وقد اعادت الاميرة معها ابنة كريتشن الاولى اي اختك

وكان الكونت غير عالم بحقيقة السبب في موت امك فلم يخطر له في بال انها ماتت مسمومة وان اخاه الشفاليه وامرأة اخيه الميت والاميرة والنورية قد اتفقوا جميعهم على قتل هذه المنكودة اذ لم يكن عارفا بهذا السر غير رجل وقد باح له به •

ــ من هو هذا الرجل يا بنيامين ؟ ــ هو انا •

ــ وماذا فعل الكونت بعد ذلك ؟

ــ ان الجناية حفرت هوة عميقة بينه وبين امرأة اخيه فلم تعد تكترث لصحة الاميرة اذا لقيت ان الكونت لا يتزوج بها بعد ان غمست يدها في ذلك الدم الطاهر المسفوك • ولم يكن يستطيع ان يعاقب احدا او ينتقم من احد فان الجميع كانوا بحماية الاميرة شريكتهم بالجريمة •

ولم اعد اعلم شيئا مما جرى لهذه العصابة ، عصابة اللؤم والشر والفساد ، سوى ان الاميرة باعت كثيرا من املاكها ووهبت جانبا مما بقي لاسرتها وسافرت مع الكونت الى باريس تصحبها ابنة كريتشن الاولى اي اختك ابنة الكونت دي مازير •

وقد اقامت مع زوجها عاما كاملا في باريس الى ان بنى الكونت قصر بوربيير الذي يقيم فيه الآن الكونت لوسيان وامه فاقامت فيه مع زوجها والفتاة •

ولم اعلم بعد اقامتهما فيه غير ما يعلمه جميع سكان هذه النواحي •

قالت : اتعني بذلك احتراق القصر بساكنيه ؟

ـ نعم اعلم اني اخالف الناس فيما يزعمون من احتراق الفتاة ايضا واسباب هذا الحرق• ـ ما هي اسبابه ؟

ـ لقد ارتأى كثيرون ان النار قد شبت في القصر قضاء وقدرا وعندي انه لم يكن للقدر يد في هذا الشأن بل ان الكونت قد احرق القصر عمدا بعد ان سجن نفسه مع الاميرة في غرفة بابها من الحديد كي لا يستطيعا كسره والهرب من النار •

ـ اذن فقد مات منتحرا ؟

ـ ومنتقما ايضا فا نالاميرة لم تنس اساءته اليها حين عشق كريتشن وهو لم ينس فظاعـة انتقامها من كريتشن لسلبها بنتها وقتلها بالسم فكانت تحاول الانتقام منه بكل ما تفننه الحياة لامثالها من نساء الشر حتى يئس منها ومن الحياة وهاجت في نفسه كوامن الانتقـام للشر فأحرقهـا واحرق نفسه بالنار •

ـ والفتاة ؟ ـ انقذها راوول •

ـ اتظن ذلك اكيدا ؟

ـ بل أؤكد فان راوول قد زار الكونت في القصر قبل احتراقه والآن فاعلمـي يا سيدتي ان ابـاك الشفاليه ووالدة لوسيان امرأة عمك كانا لا يزالان في مونيخ حـين مات الكونت فلم يجدا بعد البحث والتنقيب شيئا من المال النقد ولم يقتسما غير القصر والارض •

على انه اشيع انه يوجد صندوق يحتوي على ثروة عظيمة من الاوراق المالية فبحثا عنه بحثا مدققا فلم يعثرا به .

وعند ذلك وقع الخلاف واشتد النفار بين ابيك وامرأة عمك فكان ابوك يتهم امرأة عمك انها سرقت الصندوق كي تبقي الثروة كلها لابنها لوسيان وهي تقسم الايمان المغلظة ان اباك السارق والحقيقة ضائعة بين الاثنين فان كليهما بريء من السرقة .

ــ ولكنك تقول ان الصندوق موجود ؟

ــ نعم وقد جعل ما فيه من المال مهرا لاختك ولكني لا اعلم اين هو الصندوق واين هي اختك .

ــ ولكني اعلم اين هي اختي .

فدهش بنيامين وقال لها بصوت يضطرب حنوا :

ــ أواثقة يا سيدتي ان اختك لا تزال على قيد الحياة؟

ــ كل الثقة فقد رأيتها . ــ ولكن اين ؟

ــ على بعد مرحلتين من هنا في دكان البيطري المقيم عند باب الدير .

فارتعش بنيامين وذكر ما كان يتحدث به الناس في شأن هذه الفتاة المقيمة عند البيطري وشدة تباين الاقوال فيها ولكنه لم يكن رآها فانه لم يكن يخرج من المنزل الا للتنزه في الحديقة ولا يعرف احدا من سكان الضواحي .

اما اورور فقد باتت واثقة ان حنة اختها فقالت لبنيامين :

ــ يجب ان تتخذ اليوم حجة تمهد لك مبارحة القصر .

ــ سأجد هذه الحجة .

ــ فتذهب توا الى الدير وتدخل الى دكان ذلك البيطري . ــ وبعد ذلك ؟

ــ ترى تلك الفتاة التي يربيها داغوبير فترى انها امي بعينها لا تختلف عنها في شيء .

ــ كيف تعرفين ذلك وانت لا تعرفين امك ؟

ــ انها تشبه هذه الصورة المرسومة في هذه المدالية اما هي صورة امي .

ــ دون شك ولكن هل انت واثقة من وجود هذا الشبه ؟

ــ لا سبيل الى الريب فاني قد رأيت الفتاة ولا تزال صورتها مطبوعة في ضميري . ــ متى رأيتها ؟

ــ امس مساء فلما فتحت هذا الصندوق الذي اعطيتني اياه ورأيت هذه الصورة في المدالية دهشت للشبه بينهما حتى حسبت في البدء ان هذا الرسم رسم ربيبة الدير .

قال : رباه ايمكن ذلك ان يكون ؟

فنهضت عند ذلك اورور وذهبت الى النافذة تستنشق الهواء العليل فان النجوم كانت قد اصفرت في الافق لاشعة الفجر المتألقة .

وكانت السكينة سائدة فانصرفت اورور الى التأمل وتاهت في مهامة التفكير وبنيامين واقف وراءها يحترم

تأملها ولا يكلمها بحرف •

وبعد هنيهة عادت من النافذة فجأة الى بنيامين فاخذت يده بين يديها وقالت له : ان الطبيعة ساكنة والسكوت سائد ولكن قلبي تثور فيه العواصف ان البنت لا تنتقم من ابيها يا بنيامين ولو كان قاتل امها ولكنها تنتقم من الذين اشتركوا في هذه الجريمة الهائلة •

ــ ماذا تقصدين يا سيدتي ؟

ــ الم يكن لابي شركاء في هذه الجريمة ؟

ــ هو ذاك بل قد كان ذنبه اخف من ذنبهم فان الذي كاد هذا الكيد والدة لوسيان •

ــ ستنال حظها من العقاب •

ــ والتي دبرتها تنوان النورية •

ــ وهذه سأسحقها سحق الزجاج ولكن يجب قبل كل شيء ان انقذ اختي •

ــ العلها في خطر ؟

ــ في خطر عظيم فان ابن عمي لوسيان يحبها واخاف ان يقضي هذا الحب الى ما لا تحمد عقباه •

فارتعد بنيامين وقال : كلا كلا ان هذا لا يكون ان ابن قاتل الام لا يمكن ان يهوى بنتها •

ــ هو ذاك فسأتولى اختي بحمايتي فلا يمسها طامع بأذى ولا تنالها يد الاشرار •

وعلى ذلك فقد اصبح للوسيان اربعة اعداء يحولون دون زواجه بحنة وهم الاب جيروم وداغوبير وبنيامين

واورور •

وعند ذلك قال لها بنيامين :

اواثقة انت من الشبه بين ربيبة الدير وبين امك ؟

ـ انك ستراها بعينك وترى ما رأيت •

وهنا قطع حديثهما صوت جرس خرج من غرفة الشفاليه او والد اورور وكان الدق عنيفا فاسرع بنيامين ليرى ما جرى له واخذت اورور صورة امها حين كانت في العشرين من عمرها فجعلت تقبلها وتذرف الدموع •

١٩

الكنز الدفين

تركنا الاب جيروم ينتظر عودة داغوبير بالاذن من الرئيس العام بالسفر الى باريس للبحث عن صندوق المال وتركنا داغوبير اسيرا في ايدي خدم الشفاليه •

ذلك الصديق الكاذب ، بعد ان نصب له ذلك الفخ في طريق الغابة واصطاده صيد الثعالب وتركنا لوسيان وقد اقبل الى منزل داغوبير يريد اختطاف حنة فذعر حين رأى ربيبة الدير جالسة في دكان الحداد مع ابنة عمه الكونتس اورور يتحدثان دون كلفة • وتركنا والدة لوسيان تعلل

النفس بالحصول على الكنز الدفين بموافقتها علـى زواج ولدها بربيبة الدير بعد ان وقفت على حقيقة امرها والنورية تدبر هذه الحوادث بقريحتها الجهنمية واخيرا تركنا بنيامين يسرع مهرولا الى غرفـة والد اورور وقـد قطع صوت الجرس العنيف حديثه مع الفتاة •

كان الشفاليه دي مازير مصابـا بداء النقرس وكان يلقي آلاما شديدة من هذا الداء تغلبت على ادب نفسه فلم يقرعه ضميره منذ عشريـن عاما ، اي منـذ ارتكاب تلك الجريمة وقتله امرأته بالسم •

وكان يرى ابنته اورور تشب وتنمو فيها اميال القسوة والكبرياء والفتـك بالضعيف فينشرح صدره ويقول انها بنت ابيها •

غير انه رأى ان اورور قد انقلبت فجأة من حال الى حال وكلمته بلهجة تدل على الجرأة عليـه وعـدم المبالاة الابوي ، بل انها ارادت ان تعرف اسباب تلك النفرة بينه وبين امرأة عمها فكان يفتكر بجرأتها فتنقبض نفسه وتشغل باله ويقول : ان هذا الانقلاب الفجائي لم يحدث في نفسها عبثا •

وكان يتألم تلك الليلة آلاما شديدة وينادي بنيامين فلا يجيب فيزيد اضطرابه اذ كان يعلم ان بنيامين يقيم في الغرفة المجاورة لغرفته ولم يتأخر مرة عن تلبيته حتى كان يناديه فاشتدت ريبته وقال في نفسه : اين هو وما باله لا

يجيب ألعله يحادث اورور .

وعند ذلك حاول النهوض من فراشه بغية الاستكشاف ولكنه لم يمش خطوتين حتى غلبه الضعف والالم فعاد الى السرير واقام فيه بليلة الملسوع الى ان بزغ الفجر فخف ما عنده وتمكن بعد الجهد من الوصول الى حبل الجرس فقرعه ذلك القرع العنيف .

اما بنيامين ، ذلك الخادم الشيخ الامين ، فانه حين سمع صوت الجرس بادر مسرعا الى غرفة سيده الشفاليه فبادره باللوم العنيف ثم قال له ، من اين انت قادم .

ــ كنت في هذه الليلة متوعك المزاج فخرجت الى البستان وقضيت ليلتي فيه . ــ واين ابنتي اورور ؟

ــ انها نائمة دون شك فان الساعة لم تبلغ السادسة بعد .

وكان جواب الخادم قد اقنعه وأزال ما كان عنده من الشك فقال له : اريد يا بنيامين ان تذهب في الحال الى قرية الغرام فقد انه يوجد فيها طبيب ماهر بمعالجات النقرس فأتني به .

ــ سأذهب يا سيدي لفوري وارجو ان تنال بطبه ما ارجوه لك من الشفاء .

ــ ان هذا الطبيب يدعى الاب جاكوب وهو شيخ قد يستصعب الانتقال فادفع له من المال قدر ما يشاء بشرط ان يأتي في الحال .

ــ اني ذاهب الان . ثم خرج من عنده فعاد الى غرفة اورور فوجدها لا تزال تنظر الى صورة امها وتبكي فقال لها : لم اعد محتاجا الى اختلاق الاعذار للخروج من القصر فان اباك امرني بالذهاب الى قرية الغرام وانا ذاهب الان .

قالت اذن ستعرج على الدير وتمر بدكان داغوبير فترى ربيبة الدير فيها وتوقن من صدق ما قلته لك .

ــ هو ذاك يا سيدتي بل سأذهب توا لاراها ثم تركها فامتطى جوادا وخرج من القصر الى الغابة وبعد ساعة كان عند باب الدير فنظر الى دكان داغوبير فرأى انها مفتوحة ورأى على بابها فتاة يدهش جمالها الابصار .

فدنا منها وافتتح معها الحديث بحجة سؤالها عن الطريق الى قرية الغرام ولكنه لم يكد يتبين وجهها حتى جعل يضطرب لما رأى من الشبه العجيب بينها وبين كريتشن .

وعند ذلك أخذ يتدرج معها بالحديث وقد سره ارتياحها الى حديثه وعدم نفورها منه .

وكأنما حنة قد تذكرت ذكرى بعيدة حين رأته بملابس الفرسان فقالت له بصوت يضطرب : اراك يا سيدي تسأل عن طريق القرية فهل هذه المرة الاولى التي تمر بها من هذا الطريق ؟ ــ نعم . ــ احق ما تقول ؟

ــ دون شك فلماذا تشكين بقولي ؟

ــ اسألك العفو يا سيدي فقد خيل لي حين رأيتك في البدء اني رأيتك من قبل ثم انحنت امامه وحاولت الدخول

الى الدكان •

فاستوقفها بنيامين وقال لها : من هو الذي اشبهه ايتها الحسناء ؟

ــ انك تشبه رجلا عرفته منذ عهد بعيــد اي ثمانية اعوام فلما رأيتك قادما على جوادك خفق قلبي وخيل لي اني ارى ذلك الرجل الذي كنت ادعــوه عمي وقد رأيته هنا آخر مرة •

فارتعش بنيامين ونظر الى ما حواليه فرأى الطريــق مقفرة وباب الدير مقفلا فقال لها : اهنا رأيته آخر مرة ؟

ــ نعم •　　　　ــ وكيف تركك هنا ؟

ــ لا اعلم فقد كنت صغيرة جدا في ذلك العهد فلا اذكر الا ان هذا الذي كنت ادعوه عمي قد سار بي علــى جواده ليلة وكنت ارى السماء حمراء •

فقال لها بنيامين : اتذكرين انك رأيت احمرار السماء ؟

ــ نعم وكنت اسمع ايضا دق الاجراس مــن مكان بعيد ثم اشتد البرد فلفني عمي بوشاحه فلم اعد ارى شيئا حتى وصلنا الى هذه الدكان فانزلنــي عمي عــن الجواد ووضعني قرب النار للاستدفاء ولم اعد اذكر شيئا بعد ذلك فاني نمت فلما استيقظت وجدت داغوبير ينظر الي نظرات ملؤها الرفق والحنان •

ــ من هو داغوبير هذا ؟

ــ هو صاحب هذا الدكان وهو ولي امري واني احبه

كما يحب الولد اباه .

ــ يسوءني يا سيدتي اني لست عمك واني لست انا الذي جاء بك الى هذا المكان ثم ودعها فجأة وانصرف وهو يقول في نفسه لا شك انها هي بعينها ابنة كريتشن واخت اورور فان ذلك الاحمرار الذي رأته في السماء انما كان لهيب النار المتصاعد من قصر بوربيير وذلك الرجل الذي جاء بها الى داغوبير انما كان راوول .

وواصل سيره حتى وصل الى قرية الغرام فدعا الطبيب الى عيادة الشفاليه دي مازير وعاد الى القصر .

وكانت اورور واقفة في النافذة كأنها تنتظر عودته فلما رأته اسرعت اليه وقالت له : ماذا رأيت ؟

فاجابها بلهجة شفت عما كان بداخل قلبه من السرور :

ــ انها هي وقد وجدنا ضالتنا المنشودة .

. . .

وقد خطر لاورور ان تذهب لفورها الى اختها غير ان بنيامين منعها وقال لها : ان اختك لم تودع عند هذا الحداد دون سبب خطير اتعلمين هذا السبب ؟

فاطرقت بعينيها الى الارض وقالت :

ــ انهم خافوا دون شك ان يصنع بها ابي وامرأة عمي ما صنعاه بامي .

ــ هو ذاك ولا بد ان تكوني عرفت الان ايــن هو الصندوق المحتوي على ثروة اختك فانه كما ارى لدى الذين

اخفوا عندهم اختك وهم سيردون اليها ثروتها دون شك •

ـ اتظن انه عند داغوبير ؟

ـ كلا بل ارى انه عند رئيس الدير الم اقل لك اني حين رويت لك تاريخ امك انه في اليوم التالي لزواجها بابيك غادر الكونت دي بوفوازين وراوول ميونيخ؟ ـ نعم•

ـ الم اقل لك ايضا ان الكونت دي بوفوازين لم يعد الى باريس بل قنط لغرامه بامك وذهب الى الدير ؟

ـ نعم وماذا يفيد ذلك ؟

ـ ان الكونت هو الذي يدعى الان الاب جيروم اي رئيس هذا الدير ولا شك ان راوول اودع عنده اختك فاودعها هو عند داغوبير لان قوانين الدير لا تؤذن بدخول النساء اليه ولا شك انه اودع عنده الثروة ايضا •

ـ اذا كان ذلك فلا خوف عليها ؟

ـ اصغي الي يا اورور اني رأيت دموعك تتساقط حين كنت تقرأين كتاب امك وانا موقن الان ان اخلاقك قد تغيرت وان روح امك الطاهرة قد حلت فيك ولذلك بت واثقا من انك ستعاملين اختك بمنتهى الرفق والحنان •

ـ بل اسفك دمي في سبيل حمايتها وضمان هنائها •

ـ اذن لا تذهبي الان الى الدير واصبري الى الغد كي تتمعن في الامر اما انا فاني داخل الان الى غرفة ابيك كي اخبره بقدوم الطبيب •

ثم تركها وانصرف وبعد هنيهة اقبل الطبيب فادخله

بنيامين الى الشفاليه ففحصه وقال له : اني طالما شفيت كثيرين من هذا الداء وانا موقن من شفائك اذا رضيت ان اسقيك مخدرا تنام بعد شربه يوما وليلة •

ـ كيف لا ارضى فاني منذ ثلاثة ايام لا اعرف طعم الرقاد •

ـ اذن سأبدأ بتركيب المخدر ثم فتح حقيبة فاخرج منها زجاجة تحتوي على سائل اخضر اللون فصب منه بضع نقط في كأس ومزجها بالماء ثم دفع الكأس اليه فشربه الشفاليه ولم يبق فيه بقية •

وقد احدث له هذا الشراب تأثيرا عجيبا فانه لم يكد يستقر في جوفه حتى سكنت آلامه وانقطع صياحه وحاول ان يتكلم فعقد لسانه ثم اطبق جفنيه ولم يعد يشعر بشيء•

فذعر بنيامين لما رآه من تأثير هذا الشراب وقال له :

ـ اخشى ان يكون قد قضي عليه •

فقال له الطبيب : كلا فانه مخدر لا يشعر شاربه بشي وانما خدرته كي استطيع ان اضغط على اعصابه بعنف تقتضيه المعالجة فلا يشعر بألم •

ـ وماذا تنتظر ان تكون نتيجة هذا الضغط ؟

ـ الشفاء •

وكانت لهجة الطبيب تدل على الثقة فلم يعترضه بنيامين في شيء •

اما اورور فانها بعد ان قرأت كتاب امها وعلمت

بجريمة ابيها ملأ فؤادها ذعرا وانفت من ذلك الأب حتى انها لم تستطع الدخول الى غرفته حين كان يعالجه الطبيب .

فلما اتم الطبيب معالجته انصرف على ان يعـود في اليوم التالي وغادر الشفاليه وهو نائم بفعل ذلك المخدر نوم الاموات ودخلت اورور بعد انصرافه الى غرفة ابيها فوجدته نائما على فراشه لا حراك فيه فنظرت اليـه نظرة احتقـار وقالت بصوت ابح :

ــ ايكون هذا قاتل امي ثم يكون ابي !

فقال لها بنيامين : انه اذا لم يكن قد قتلها بيده فقد اذن للقتلة ان يقتلوها .

فقالت بلهجة اليأس : رباه ايمكن ان اكون ابنة هذا الرجل ثم نظرت الى بنيامين وقالت له : انك حين ذهبت في صباح اليوم الى القرية لدعوة الطبيب جثوت على ركبتي وسألت الله ان يغفر لي ما ارتكبته من العنف مع الفلاحين المنكودين وتوسلت الى روح امي الشهيدة ان توحي الى الخطة التي يجب ان انهجها فاجابتني روحها بصوت خفي اخترق اعماق نفسي .

ــ ماذا اجابتك يا سيدتي ؟

ــ ان الفتاة لا تستطيع معاقبة ابيها ولكن يحق لها ان تفترق عنه .

فقلق بنيامين لكلامها وقال : ماذا عزمت ان تصنعي ؟

ــ ان اعد معدات الرحيل ونسافر معا في مساء غد .

ـ الى اين تزمعين السفر ؟

ـ نذهب في البدء الى دكان داغوبير فارى فيها اختي واخبرها بحكاية امنا واقنعها علي السفر معنا .

ـ ولكن الي اين ؟

ـ الي باريس فان هـذه العاصمة متسعة نستطيع الاختفاء فيها عن ابي وامرأة عمي وفوق ذلك فان ابي لا يحاول البحث عني .

ـ لماذا ؟

ـ سأكتب كتابا اخبره فيه اني علمت كل شيء فان الاب مهما فسدت اخلاقه لا يطيق احتقار ابنته اياه .

وقد انتهى حديثهما عند هذا الحد فافترقا وذهب كل في شأنه .

وفي صباح اليوم التالـي دخل بنيامين الى غرفـة الشفاليه فوجده لا يزال نائما وهو لا يتحرك كأنـه ميت فخشي ان يكون قد قضي عليه فوضع اذنه فوق قلبه فشعر بنبض خفيف وعلم انه لا يزال نائما نوم تخدير .

ثم جاء الطبيب فعالجه وانبأهم انه سيبقى الى الصباح وبعد ذهابه اجتمعت اورور بينيامين فقال لهـا ، انك اذا كنت لا تزالين عازمة على السفر فخير لنا ان نسافر اليوم .

ـ وهذا الذي خطر لي ولكن اتظن ان حنة توافق على السفر معنا في الحال ؟

ـ لا اعلم .

ـ اذن سأذهب اليها فأرى ما يكون منها واذا لقيت داغوبير اخبرته بما يتهددها من الخطر .

ـ انك تحسنين صنعا فان امرأة عمك لا بد ان تكون مهتمة بها بعد ان علمت ان ابنها لوسيان يحبها وهي لا بد لها ان تراها فاذا رأت تلك المشابهة العجيبة بينها وبين امها هاجت فيها عوامل الشر وبلغت منها ما بلغته من امها •

ـ لقد اصبت يا بنيامين وها انا ذاهبة في الحال وليفعل ما اراد •

ثم امرته ان يذهب فيعد لهـا جوادا فانصرف ممتثلا وبقيت وحدها عند سرير ابيها •

• • •

يوجد امر لم يطلع الطبيب عليه بنيامين بل ربما كان هو نفسه لا يعرفه وهو ان هذا المخدر الذي جرعه الشفاليه وانامه به لم ينم كل حواسه كما كان يظن بنيامين •

فان الجسم قد تخدر تخدرا تاما فلم يعد يشعر بشيء وعيناه اطبقتا فلم يعد يستطيـع فتحهما وعقد لسانه فلـم يستطع الكلام ولكن حاسة السمع بقيت متنبهة منه فكان يعقل كل ما يسمعه •

فليتصور القارىء مقدار ما اصاب الشفاليه حين كان بنيامين واورور يتكلمان بحرية عند سريره وهو يسمع فلا تفوته كلمة من الحديث •

وقد كان في الصباح مشككا بعض الشك اما الان فقد بات واثقا كل الثقة ولم يعد لديه ريب ان بنيامين اخبر اورور ان امها ماتت مسمومة وان اورور باتت بعد ذلك

تحتقره وتخافه •

وقد بقي نحو ثماني ساعات في اشد المواقف بعد ان علم هذه الحقيقة الهائلة فانه كان يحب ابنتــه حبا شديدا فكاد يجن من يأسه حين سمع ما دار مــن الحديث بينها وبين بنيامين •

ثم ان ابنته قد اتفقت مع بنيامين علــى الفرار وانها ستذهب الى دكان داغوبير لاقناع اختها على السفر معها فعلم من هذا الحديث امرا لم يكن يخطر له في بال وهو ان حنة لا تزال في قيد الحياة فقال في نفسه : ما زالت هذه الفتاة حية فلا شك ان اباها الكونت مازير قد اهتم بها ولا شك ان هذه الثروة الطائلة التــي اتهمت والــدة لوسيان واتهمتني باختلاسها موجودة عند الذيــن يتولون تربيتها بالخفاء وانها مهر لها •

وهنا تغلب حب المال فيه على ما كان لديه من الذعر فنسي ما كان يخشاه من فرار ابنته واحتقارها وجعل يفكر في امره ويعد مناهج هائلة كان منها قتل بنيامين اذ كــان يعتقد انه اعظم حائل بينه وبــين رضى ابنته فقد قــال في نفسه ان ابنتي لا تزال في مقتبل الشباب وهي رقيقة الفؤاد سليمة الطوية فاذا قصصت حكاية امها والقيت جميع التبعة في قتلها على والدة لوسيان وبالغت في اظهار الحنو عليها رق قلبها وعادت الى احترامي فأجيء باختهــا الى منزلي واظفر بمالها قبل ان يخطر لوالدة لوسيان البحث عنه •

وكان يعلل نفسه بهذه الامـاني وهو شاعر ان ابنته لا تزال عند سريره •

وبعد هنيهة عاد بنيامين فقال لها : انـي اعددت لك الجواد • ـ حسنا وها انا ذاهبة •

ـ ولكن يجب يا سيدتي ان تعودي قبل الصباح •

ـ لماذا ؟

ـ لان الطبيب اخبرني انه سيستفيق قبل الفجر فيجد نفسه معافى • ـ وماذا تريد بذلك ؟

ـ اريد انه يستطيع عند ذلك ان ينهض من فراشه فيذهب ويجيء ويتجول في القصر حسب عادته فاذا خطر له ان يراك فماذا اقول له ؟ ـ قل له اني لا ازال نائمة •

ـ واذا ذهب الى غرفتك ؟

ـ لقد اصبت فانه يدخل الي في بعض الاحيان ثـم فكرت هنيهة وقالت : اذن قل له اني خرجت للنزهة في البستان •

ثم تركته وانصرفت فبذل الشفاليه جهـدا عنيفا كي يستفيق فلم يستطع فذعر ذعرا شديدا وبات مثله مثل مـن يدفن حيا وهو مغمى عليه فيستفيق فيجد نفسه في ظلمـة القبر لا يستطيع الخروج منه فان جسمه الميت كـان يضم روحا حيا فكان هذا بمثابة سجن لتلك الروح •

وكان بنيامين واقفا عند سريره فكان الشفاليه يشعر به ولا يستطيع ان يفتح عينيه ليراه فيزيد حقده عليه فان

هذا الخادم الشيخ اقام في منزله خمسة عشر عاما كان يخافه في خلالها اشد الخوف فانه لم يكن عنده بصفة خادم بل كان منفذا لوصية كريتشن فكان شبه قيم على ابنته اورور وعند ذلك عزم عزما اكيدا على قتله اذ لا يتم له فوز وهو في قيد الحياة وقد ولدت له فكرته الجهنمية للفوز طريقة مضمونة لقتله •

ثم دنا موعد استفاقته فشعر ان الحرارة قد دبت في جسمه فتبدل اصفرار وجهه بالاحمرار وتنهد •

وقد سمع بنيامين تنهده فارتعش لان اورور كانت قد ذهبت منذ ساعة فقط وهي لم تكد تصل الى الدير •

اما الشفاليه فانه فتح عينيه فجأة بعد تنهده واجال في الغرفة نظرا حائرا حتى استقر على بنيامين فقال له اين انا ؟

ــ انك في سريرك يا سيدي فكيف انت الان ؟

فتكلف الشفاليه هيئة الانذهال وقال له :

ــ اهذا انت يا بنيامين قل لي هل كنت نائما ؟

ــ انك نمت يا سيدي عدة ساعات وارجو ان تكون قد شفيت • فتوجع الشفاليه وقال : ارى ان آلامي قد زادت وهي لا تطاق ثم تظاهر انه يريد الجلوس في سريره فلم يكد ينهض حتى سقط وعاد الى الشكوى والانين •

فقال له بنيامين : اراك باقيا على ما كنت عليه في حين ان الطبيب يدعي انه شفاك •

فقال له بلهجة الغضب : انه ليس طبيب افا •• ايـن

اورور .. اواه انها لو كانت هنا لافادتني افادة جليلة ولكنها نائمة دون شك .

فقال له : نعم انها نائمة وقد قال له ذلك لما رآه من ظواهر المه وانه لا يستطيع النهوض .

ثم قال الى اي شيء يحتاج سيدي وما تستطيع خدمتك به اورور ولا استطيعه انا ؟

ـ اعلم .. ان اورور تعرف موضع الزجاجة .. اما انت . ـ اية زجاجة ؟

وكان الشفاليه معلقا في عنقه مفتاحا فاعطاه اياه وقال له افتح بهذا المفتاح هذه الخزانة تجد داخلها زجاجات كثيرة اذهب وافتحها فاني ادلك .

فامتثل بنيامين وفتح هذه الخزانة فرأى الزجاجات التي اشار اليها وقال له : ايها تريد ؟

ـ يوجد في الصف الاول زجاجة صغيرة فيها سائل ازرق اذا شربت منه جرعتين او ثلاثا سكنت آلامي فابحث عنها .

فوضع بنيامين يده على الزجاجة الموصوفة وقال له هذه هي ؟ ـ لا اعلم اني لا ارى فافتحها .

فاخذ بنيامين الزجاجة وادناها من نظره على نور المصباح فقال انها تحتوي على سائل ازرق كما وصفت .

ـ ذقها فاذا كان طعمها مرا فهي زجاجة الدواء .

ففتحها بنيامين ووضعها على فمه فجرع منها جرعة دون

حذر فاتقدت عينا الشفاليه ولم يكد بنيامين يجرع جرعة من هذه الزجاجة حتى صرخ وسقط على الارض صريعا •

فضحك الشفاليه ضحك الساخر وقال : لا يخطيء من يكون عنده حامض البريسيك فانه اسرع السموم الى القتل •

وعند ذلك انتفض وقد ذهبت آلامه فوثب من سريره الى الارض وثبة الغلمان فرفس جثة هـذا الشيخ الامين وقال : لقد قتلته الان وبقي علي ان اخفي اثره قبل عودة اورور •

٢٠

بنيامين

قضي على بنيامين ولم يعد الشفاليه يخافه ولكن بقي عليه ان يهتم بجثته فانه لو تمكن من اخفائها فلا بد لخدام القصر والناس ان يتساءلوا عن سبب اخفائه •

وقد كان اول ما صنعه انه قفل باب الغرفة من الداخل كي لا يباغته احد ثم انه كان في حاجة الى التأمل كي يجد طريقة للتخلص منه •

وكان يعلم ان ابنته اورور قد ذهبت الى دكان داغوبير منذ ساعة فأمن مباغتتها وكـان سقوط بنيامين قد احدث دويا فصبر هنيهة بعد ان اقفل الباب كي يعلم اذا كان قد

سمع الخدم هذا السقوط فلم يحضر احد فبدأ يفحص زجاجة السم فوجد انها لم تنكسر حين سقطت من يد بنيامين فانها سقطت فوق سجادة كثيفة وسال منها بعض النقط فوق السجادة .

فاخذ كبريتا فاشعله واحرق موضع تلك النقط اخفاء لآثارها وترك النار تشتعل فيها لوثوقه انها لكثافتها ولان خيوطها من الصوف لا تكون سريعة الاشتعال كغيرها من المواد بل انها تعس عسا وقد يمضي بها ست ساعات قبل ان تتصل نارها الى ما يجاورها من الاثاث .

ولم يكن ذلك القصر الذي يقيم فيه من القصور القديمة اي انه لم يكن فيه اقبية سرية وآبار عميقة يمكن اخفاء الجثة فيها وفوق ذلك فانه اذا تمكن من حملها واخفائها فانه يعرض نفسه لخطر شديد اذ قد يتفق ان يراه احد الخدم فيفضح امره .

ولذلك رأى بعد الإمعان والتفكير ان خير طريقة لاخفاء الجريمة ان يوهم اهل القصر انه مات فجأة لان هذا النوع من السم الذي قتله به لا يترك اثرا بعد الموت من انتفاخ او تورم او سواد في البشرة الى غير ذلك مما يظهر من اعراض التسمم بحيث لا يستطيع ان يعلم بانه مات مسموما غير الاطباء ولا يوجد اطباء في الناحية التي كان يقيم فيها الشفاليه فانها كانت شبه عزبة .

ولما اقر على هذا الرأي حمل جثة هذا الشيخ المنكود

فأجلسه على كرسي جلوسا طبيعيا واحنى رأسه الى الوراء وابعده عن سريره كي لا يخطر في بال احد ان يد الشفاليه قد وصلت اليه •

وبعد ان اتم جميع ذلك ذهب الى الباب ففتح قفله من الداخل واغلقه اغلاقا بسيطا ثم عاد الى سريره فاضطجع على الشكل الذي كان مضطجعا فيه حين كان نائما نوم تخدير •

كانت الساعة العاشرة ونصف والسجادة تحترق دون ان يخشى من اتصال نيرانها بالاثاث الا بعد احتراقها بجملتها ••

وقد كان ما يتوقعه الشفاليه ان بنيامين ينزل عادة كل ليلة الى المطبخ عند انتصاف الليل للاكل فان لم يره الخدام تساءلوا عن غيابه وبحثوا عنه الى ان يجدوه واذا اتفق انهم لم يكترثوا له فانهم سيرون الدخان المنبعث من احتراق السجادة فيسرعون الى مكان الدخان فيجدون بنيامين ميتا والشفاليه نائما نوم تخدير فتزول عنه الشبهة •

وقد صح ما توقعه فانه بعد انتصاف الليل قلق الخدم على بنيامين لعدم حضوره حسب عادته فظنوه مريضا فصعد واحد منهم الى غرفته فما وجده فيها فعاد الى رفاقه فاتفقت آراءهم على انه لا يزال عند الشفاليه وانه لم يتمكن من ايقاظه •

وفي الساعة الاولى بعد انتصاف الليل بدأت علائم

القلق تبدو على وجه الشفاليه لان الدخان ملأ الغرفة ولـم يحضر احد من الخدم فخاف سوء المصير •

ولكنه لم يلبث ان سمع وقع اقدام قرب باب غرفته ثم سمع صوت قرع الباب فاطبق عينيه وعاد الى التظاهر بالنوم •

وكان طارق الباب خادم الصيد فلما رأى انه لم يجبه احد خاف ان يفتح الباب وعاد الى الخدام فاخبرهم بما اتفق فصعدوا جميعهم ورأى احدهم الدخان يخرج من نافـذة الغرفة فارشد رفاقه الى الخطر فلم يجدوا بدا من فتح الباب،

وعند ذلك فتحه احدهم ودخل الآخرون في اثره •

وقد ذعروا لما رأوه من تكاثف الدخان فاسرعوا الى النوافذ ففتحوها وجعلوا يصيحون النار : النار فما مضت هنيهة حتى غصت تلك الغرفة بجميع سكان القصر فعلموا جميعهم ان بنيامين ميت ورأوا الشفاليه لا يزال في الغيبوبة•

وقد بدأوا باطفاء النار حتى اذا انتهوا مـن اخمادها فحصوا بنيامين فلم يشك احد منهم انه مات موتا فجائيا •

اما الشفاليه فانه تجلد تجلدا عجيبا فلم يفتح عينيه في جميع تلك المدة حتى خشي الخدم ان يكون قد مات •

وعند ذلك دنا واحد منهم من سريره فوضع يده فوق قلبه فشعر انه ينبض فاطمأن وطمأن رفاقه غير انهـم كانوا جميعهم متأثريـن اشد التأثر لوفاة بنيامين فانهـم كانـوا مجمعين على حبه واحترامه واعتباره بمثابة والد لهم •

ولما تابوا الى رشدهم عادوا الى الاضطراب والقلق على الكونتس اورور فانها لم تكن قد عادت بعد في حين ان الفجر اوشك ان ينبثق .

ثم نقلوا بنيامين الى غرفته فوضعوه على سريره وعادوا الى الشفاليه فجعلوا يدعكون صدغيه بالخل وينشقونه الروائح المنعشة الى ان رأى انه لم يبق فائدة من المظاهرة بالنوم ففتح عينيه واظهر انذهالا عظيما لاجتماع الخدم من حواليه ولما اخبروه بموت بنيامين تظاهر بالذعر واليأس حتى ان اولئك الخدم خافوا ان يذهب الحزن بعقله لشدة مبالغته فيه .

وعند ذلك اطمأن الشفاليه فقد نال بغيته من قتل بنيامين وقضى على ذلك الشيخ الامين فلم يعد يخشى تأثيره على ابنته اورور .

غير ان اورور لم تكن قد عادت بعد وقد انقضى الليل واشرق الصباح دون ان تعود فاشتد قلق الخدم عليها ولم يكن احد عارفا الى اين ذهبت غير بنيامين ولكن بنيامين لا يتكلم فقد اسكته الموت .

. . .

ولنعد الان الى الماضي فقد تركنا اورور راكبة جوادها وسائرة الى دكان داغوبير لمقابلة اختها ربيبة الدير بعد انقرأت كتاب امها ووقفت من بنيامين علىحقيقة امرها .

وفي الوقت نفسه الذي كانت تسير فيه اورور على

جوادها كان داغوبير قد علق بالفخ الذي نصبه له الشفاليه دي فولون وكان بنوات الاحدب قد نجا من سجنه واتفق لوسيان مع صديقه الشفاليه علـى اختطاف حنة كما تقدم تفصيله •

اما اورور فانها كانت قد انقلبت انقلابا عظيما بعد ان قرأت كتاب امهـا فان جميـع اخلاقها السيئة انما كـانت اكتسبته من ابيها فعادت بعد تلاوتها الكتاب الى الاخلاق الفطرية التي ورثتها من امها •

وكانت تدفع جوادها في الغابة فينطلق بهـا انطلاق السهم لشدة شوقها الى الاجتماع باختها وضمها الى صدرها فكان شرر النار يتطاير من حوافر جوادها لشدة انطلاقه •

وكانت تلك الليلة باردة والبدر يتألق في السماء فينير طريقها فاجتازت المسافة الى الدير في ساعـة وهي لا تقل عن ثلاث ساعات •

وكانت قد امعنت الفكرة في الطريق واعدت الحديث الذي عزمت على مخاطبة داغوبير به اذا خطر لـه ان يحول بينها وبين اختها •

فلما وصلت الـى دكـان داغوبير رأت نورا ضعيفا ينبعث من المنزل الكائن فوق الدكان فاضطربت وقالت في نفسها ما عسى ان يكون هذا النور ومن ايـن ينبعث أمن غرفة حنة ام من غرفة داغوبير ؟

وكان داغوبير عالقا بالفخ في تلك الساعة فلم يجب

نداءها غير انها رأت ان النافذة قد فتحت وسمعت صوتا رخيما يقول لها : من هذا ؟

فاختلج قلب اورور وقالت : حنة !

فاطلت حنة من النافذة منذهلة فقالت :

ــ نعم انا هي فماذا تريدين مني يا سيدتي ؟

فاجابتها بصوت يضطرب من التأثر :

ــ اليس داغوبير في المنزل ؟ ــ كلا .

فتشجعت اورور لهذا الجواب وقالت لها: العلك نمت؟

كلا يا سيدتي فاني انتظر عودة داغوبير ولقد آن ان يرجع .

ــ اذن ارجوك ان تفتحي لي كي استريح فقد اضنكني السير والبرد .

وكانت تتكلم بصوت رخيم حنون فلم يداخل قلبها شيء من الريب لا سيما وان داغوبير لم يمنعها عن ان تفتح باب الدكان للنساء بل ان هذا المنع كان قاصرا على الرجال ولا سيما لوسيان فاسرعت عند ذلك بالنزول الى الدكان وفتحت الباب .

وكانت اورور في خلال تلك المدة قد ضبطت نفسها فلم تعانق حنة حين قابلتها ولم تباغتها بالقول انها اختها بل اقتصرت على شكرها ونزلت عن جوادها فربطته في حلقة الباب وهمت بالدخول فقالت لها حنة : ان البرد شديد يا سيدتي ولدينا اصطبل الا تؤذنين لي بايواء جوادك فيه

حرصا عليه من البرد ؟

ـ انـي اشكرك اجزل شكر وسارت معهـا الـى الاصطبل فوضعت الجواد فيه وعادتا الى الدكان فاقفلت حنة الباب مـن الداخل وجلستا قرب النـار فدار بينهما الحديث الآتي :

قالت اورور : العلك وحدك هنا ايتها الحسناء أ

ـ نعم • ـ كيف ذلك الا تخافين ان تبيتي وحدك ؟

لا سبيل الى الخوف فان الرهبان قريبون مني وفوق ذلك فان داغوبير لا يفارقني ابدا في الليل •

فوضعت اورور يدها فوق النـار وجعلت تنظر الى حنة نظرات ملؤها الحنو والاشفاق ثم قالت لها : اني قد كذبت عليك الان فاني لم اطلب الدخول للاستدفاء والراحة كما قلت •

فنظرت اليها حنة منذهلة وقالت : اذن لماذا يا سيدتي؟

ـ لاني اريد ان اراك الم تعرفيني من قبل ؟

ـ اظن ان هذه اول مرة رأيتك فيها •• كلا كلا فقد خيل لي الان اني رأيتك قبل زمن بعيد الم تمري منذ عام بهذا الدير مع جماعة من رجال الصيد ؟

ـ هو ذاك ايتها الحبيبة فاني ما مررت بهذه الدكان غير مرة واحدة ولكني اعرفك • ـ كيف ذلك يا سيدتي ؟

ـ بل اعرف عنك امورا كثـيرة لا تعرفينها انت ولا تخطر لك في بال •

فازداد اندهاش حنة وسرت اورور لانها رأت انهـا ستتمكن من ايقافها على الحقيقة بالتدريج فقالت لها : نعم ايتها الحبيبة اني اعلم بان رجلا نبيلا قد جاء بك الى هنا في ليلة شتاء باردة فاودعك عند داغوبير ولم يعد بعد ذلك العهد .

فصاحت صيحة دهش وقالت :

ـ انه عمي العلك تعرفين عنه شيئا يا سيدتي ؟

ـ نعم بل اعرف ايضا اشياء كثيرة عن امك .

ـ اني اذكر امي ذكرى بعيدة فاذكر انها كانت متكبرة لا تحن علي خلافا لابي فقد كان يقبلني كلما رآني وطالما رأيته يبكي حين يقبلني .

فقالت اورور بلهجة دلت على الخطورة :

ـ ان تلك المرأة يا حنة لم تكن امك .

فدهشت حنة وقالت : ماذا تقولين يا سيدتي ؟

ـ اني اقول الحقيقة فان هذه المرأة التي كانت تسيء اليك انما كانت زوجة ابيـك واما امـك .. وهنا توقفت مترددة وجعلت تنظر الى حنة فترى علائـم القلق والحزن بادية بين عينيها فقالت لها حنة: اذن فقد عرفت امي كما يظهر؟

ـ نعم ايتها الحبيبـة وما اتيت في ظـلام الليل الا لاباحثك عن امك فقد كانت من ملائكة الله طهرا وفضيلة وكانت كذلك من الشهيدات .

فاطرقت حنة برأسها الى الارض وقالت: اذن لقد ماتت؟

ـ نعم ولكنها تقمصت فيك فانك تشبهينها كل الشبه

حين كانت بعمرك الان •

فارتعشت حنة وقالت : العلك رأيتها ؟

ـ كلا بل رأيت صورتها •

ـ صورة امي •• اين هي يا سيدتي تلك الصورة ؟

فنظرت اورور الى ما حولها فرأت مرآة صغيرة معلقة بمسمار في الجدار فقامت اليها فانتزعتها من الجدار ودفعتها الى حنة فقالت لها : انظري وجهك ايتها الحبيبة في هذه المرآة •

فأخذت حنة المرأة من يدها ونظرت فيها دون اكتراث•

وعند ذلك اخذت اورور من جيبها تلك المدالية المرسومة فيها صورة امها فدفعتها الى حنة وقالت : والان انظري الى هذه الصورة فانها صورة امك •

فلم تكد حنة تنظر الى الصورة حتى خفق قلبها وجعلت تضطرب اضطرابا شديدا اما اورور فكانت مصفرة الوجه تنظر الى اختها ودموع الحنو تذرف من عينيها •

• • •

وقالت حنة لاورور : ولكن من انت ايتها السيدة التي عرفت امي ونالت رسمها ؟

فشعرت اورور باضطراب شديد لهذا القول واخذت يد اختها بين يديها فقالت لها : ألم يكلموك منذ الحداثة عن امك الحقيقية ؟

كنت احسب ان امي الحقيقية تلك السيدة المتعجرفة

التي كانت تعاملني بالقسوة والعنف وطالما اسالت الدموع من عيني ابي فاذا لم تكن هذه السيدة امي فاني ارجو ان يكون ذلك الرجل ابي .

ــ هو ابوك ايتها الحبيبة وهو من النبلاء وانما امتنعا عن ذكر امك امامك لاسباب سأبسطها لك متى رويت لك حكايتها ولكن ألم يقولوا امامك ان لامك بنتا ثانية ؟

لامي بنت ثانية اي لي اخت ؟ ــ نعم فان لك اختا.

فبدت علائم السرور على وجه حنة وقالت : انا لي اخت وهل هي حية يا سيدتي اواه ويا حبذا لو كان ما تقولينه اكيدا .

ــ ما كنت تصنعين لو كنت صادقة في حديثي ؟

ــ انه لو كان كما تقولين لي وكانت مقيمة في اقصى الارض لذهبت اليها ولو اضطررت ان اتسول في الطريق وامشي حافية القدمين . ــ

هنا لم تعد اورور تستطيع ضبط نفسها فاخذت حنة بين ذراعيها فضمتها ضما عنيفا وقبلتها قبلات حارة ثم قالت ان هذه الاخت التي تتكلمين عنها والتي ستحبينها كما تحبك هي انـا .

فانذهلت حنة وقالت : انت السيدة النبيلة الحسناء اختي ؟

فعادت اورور الى عناقها بحنو لا يوصف وقالت نعم انا هي اختك .

فلم يعد لدى ربيبة الدير شيء من الشك اذ ثبت لها صدق كلامها من حنوها وفوق ذلك فلو لم تكن اختها فكيف وجد معها هذا الرسم فجعلت تعانقها بلهف وشوق حتى اذا سكنت عوامل التأثير منهما عادتا الى الحديث فقالت لها اورور: اني عشت بقربك زمنا طويلا وانا لا اعلم انك اختي •

ــ العل ابي لا يزال حيا ؟

ــ كلا لان اباك قد مات وابي لا يزال حيا فان امنا تزوجت اثنين فنحن اختان من ام واحدة •

ــ ومن منا اكبر من الاخرى ؟

ــ انت فقد ولدت قبلي بعام او عامين •

وفيما هما يتحادثان وقد انستهما حلاوة الحديث والوجود سمعتا دويا ارتج له الفضاء في ذلك السكون •

وكان ذلك الدوي دوي بندقية الاحدب حين اطلقها في الغابة قرب الدير على الشفاليه فصرعه كما تقدم في رواية حنة ربيبة الدير حين غادره الكونت لوسيان وجاء الى دكان داغوبير كي يختطف حنة وهو يعلم انها وحدها في المنزل •

فلما دوي صوت البندقية في الفضاء نظرت كل من الاختين الى اختها نظرة قلق ثم قالت اورور : لا شك ان ذلك دوي بندقية صياد •

فاطمأنت حنة وعادتا الى الحديث فلم تمر هنيهة حتى سمعتا صوتا ولكن الصوت لم يكن هذه المرة دوي بندقية

بل كان وقع حوافر جواد •

فارتعشت حنة وضغطت على ذراع اختها وقالت اسمعي !

اما اورور فانها قامت الى الباب ففتحته ووقفت تنظر من القادم •

وكان القمر قد توارى في الافق وساد الظلام فلم تر احدا ولكنها سمعت وقع اقدام فقالت لا شك ان القادم صياد ثم اقفلت الباب وعادت الى اختها فاخذتها بين يديها وجعلتا تتحادثان •

اما هذا القادم فقد كان الكونت لوسيان قادم لاختطاف حنة •

ويذكر القراء ان الكونت لوسيان كان قد سمع دوي البندقية فحسب انه دوي بندقية صياد وواصل سيره الى دكان داغوبير •

حتى اذا اقترب منها ربط جواده في احدى اشجار الغابة وسار ماشيا فانه لم يكن يخشى داغوبير لوثوقه انه سقط في الفخ وبات اسيرا ولكنه كان يخشى ان ينتبه له الرهبان فيسرعون لنجدة الفتاة •

وجعل يسير سيرا خفيفا حتى وصل الى الدكان دون ان تسمع حنة واورور صوت وقع قدميه ثم نظر من ثقب الباب فتراجع الى الوراء منذعرا اذ رأي الكونتس اورور ابنة عمه وخطيبته بالامس تحادث الفتاة التي يحبها دون

كلفة وهي عندها بعد منتصف الليل •

فاضطرب اضطرابا شديدا وسال العرق البارد من جبينه وخطر له لاول وهلة ان يركن الى الفرار •

غير ان المرء مفطور على حب الذات فخطر له فجأة ان اورور لا تزال تهواه وانها جاءت تلتمس من حنة الرجوع عن حب الكونت كي يخلو لها الجو من المزاحمة •

وعند ذلك وقف وقفة المتردد فلم يجسر على التقدم ولم يستطع الرجوع •

الى ان حدث حادث لم يكن يتوقعه فضح امره وهو ان جواد اورور كان في الاصطبل قرب دكان داغوبير وكان جواد لوسيان مربوطا في شجرة تجاه الاصطبل فلما تعارف الجوادان وطالما سارا جنبا الى جنب في الصيد جعلا يصهلان صهلا شديدا وصل الى مسمع الفتاتين فعادت اورور الى الباب ففتحته وصاحت صيحة دهش اذ رأت لوسيان فقالت له :

ــ انت هنا ايها التعس •• ارجع الى الوراء •

فهاج لوسيان لكلامها ودخل الى الدكان بدلا من ان يرجع فاصفر وجه حنة حين رأته حتى باتت كالاموات •

اما لوسيان فانه حاول ان يكلم اورور فقال لها اعلمي يا ابنة عمي •

غير ان اورور قطعت حديثه وقالت له باحتقار :

ــ اخرج من هنا فما انا ابنة عمك •

ثم اخذت بيد حنة وقالت لها :

ـ ارأيت هذا الرجل ؟ ان امه قتلت امنا •

فصاحت حنة صيحة قنوط ودنت اورور من لوسيان فقالت له :

ـ ان هذه اختي ولدت واياها من ام واحدة فماتت امنا مسمومة وامك دست لها السم •• اعلمت الان الحقيقة فامض الان في شأنك وعد الى امك الشقية •

فلم يجبها لوسيان بحرف واحد ووقف جامدا كأنما الصاعقة قد انقضت عليه •

٢١

بنوات

ولقـد خيل للوسيان ان الارض قد فتحت وانه علـى شفار هوة لا حد لعمقها •

اما حنة فانها حين سمعت ما قالته اختها صاحت صيحة عظيمة وسقطت مغميا عليها •

واما اورور فانها نظرت الى اختهـا وقد اغمي عليها والى لوسيان وهو واقف لا يتحرك فاسرعت الـى اختهـا فحملتها على كتفها وذهبت الى السلم فرآها لوسيان تصعد باختها السلم الى غرفتها فذهب جموده فجأة ومشى يريد

اللحاق بالاثنين .

وكانت اورور قد وضعت اختها على سريرها وفكت ازرار ثوبها كي يسهل تنفسها وقد كانت شبيهة بالموتى .

فارتاعت اورور وجعلت تبكي فحال شهيقها دون سماع رفع خطوات لوسيان على السلم .

وكانت الغرفة مظلمة لا نور فيها فلما رأى لوسيان ذلك انار شمعته وصعد الى الغرفة .

وعند ذلك انتبهت له اورور فلم تنذره ولم تأمره بالخروج فانها كانت تبكي بكاء شديدا وتغسل بدموعها وجه اختها وهي لا تستفيق .

واما لوسيان فان كوامن الحب قد هاجت في فؤاده حين رأى حنة مغميا عليها فلم يعد يحفل بغضب ابنة عمه ووعيدها واسرع الى آنية ماء فجعل يرش وجهها به فلم تستفق .

ولما رأى ان الماء لم يفدها ذهب الى المطبخ كي يبحث فيه عن مادة تعينه على ردها الى الصواب فلقي فيه زجاجة خل .

غير انه حين عاد بها يريد الدخول الى الغرفة وقفت اورور في الباب فحالت دون دخوله وقالت له : انك لن تدخل الى هذا المكان فانها اختي امنعك عن الدخول اليها.

فعاد الجمود الى لوسيان فوقف حائرا وقال : اختك ؟

قالت : نعم هي اختي وسأصرح لك بكل ما تريد ان

تعلمه مما اشكل عليك ولكن في غير هـذا المكان وليس امامها •

ثم اخذت الزجاجة منه فنزل لوسيان طائعا وهو حائر مبهوت فكاد يتعثر ويسقط لاضطرابه حتى خرج من الدكان وكلمات اورور لا تزال تدوي في اذنه وهي « الى الوراء فانك ابن المرأة التي قتلت امنا بالسم » •

وعند ذلك وضع رأسه بين يديه وقال : لا شك ان كل ذلك لا صحة له ولكني اوشك ان اجن •

وفيما هو واقف سمع صهيل جواده فنبهه الصهيل من غفلته وذكر صديقه الشفاليه دي فولون الذي تركه على مسافة ربع مرحلة من الدكان فقال في نفسه : لا يحل هذه الالغاز غير الشفاليه ثم اسرع الى جواده فامتطاه وسار به مسرعا الى حيث ترك ذلك الصديق الكاذب •

ولكنه لم يسر هنيهة حتى رأى ان جواده قد وقف بغتة وجعل ينفخ من انفه فلكز لوسيان بطنه بالمهماز فلم يسر فوجف قلب لوسيان وجعل ينظر امامه باحثا عن السبب في رعب فلم يرى شيئا لاشتداد الظلام •

غير انه رأى بعد التحديق شبه جسم اسود ممدد في قارعة الطريق ثم رأى جوادا واقفا امام هذا الجسم •

فترجل عن جواده وذهب الى ذلك الجسم الممدود فلم يكد يراه حتى جمد الدم في عروقه وصاح صيحة ذعر ذلك انه رأى صديقه الشفاليه صريعا مضرجا بدمه وجواده يدور

حوله ويشمه كأنه يحاول ان يعلم اذا كان فارسه لا يزال على قيد الحياة .

وقد حار لوسيان في امره الى ان ذكر دوي البندقية الذي سمعه حين غادر رفيقه الشفاليه وحسب انه دوي بندقية صياد فأيقن ان صاحبه قد اغتيل فوضع يده على قلبه فشعر انه ينبض نبضا خفيفا اشارة الى انه لا يزال في قيد الحياة .

وعند ذلك جعل يناديه ويحاول ايقاظه كما كانت تفعل اورور باختها ولكنه لم يستفق ولم يجب النداء .

وكان الظلام حالكا والطريق مقفرا فحار لوسيان في امره ولم يعلم كيف يستطيع ايقاظه ايذهب الى الدير فيقرع بابه ويلتمس نجدة الرهبان ام يعود الى اورور وقد غادرها منشغلة بايقاظ اختها من اغمائها .

وقد اضطرب حتى اوشك ان يمتطي جواده ويفر ولكنه كان من اهل الرفق والاخلاص فلم يطق ان يدع صديقه غارقا في دمائه ويتخلى عنه في مثل هذا الموقف الشديد .

وعند ذلك خطر له انه يوجد مزرعة قريبة من المكان الذي كان فيه وهو يعرف اهلها فحمل الشفاليه على جواده وامتطاه ثم سار به برفق الى تلك المزرعة .

وفي الوقت نفسه كان بنوات الاحدب سائرا الى دكان داغوبير بعد ان انتقم من ذلك الشفاليه الذي حبسه

في القبو وكاد يذهب ضحية جرذانه •

وبعد ان اطلق عليه البندقية وايقن من اصابته عاد الى القروي فاعطاه بندقيته واقفل راجعا الى دكان داغوبير فدخل وسمع ضجيجا فتردد هنيهة ثم صعد السلم المؤدي اليها فلما وصل الى الغرفة وقف حائرا مبهوتا وجعل يفرك عينيه كأنه خشي ان يكون في حلم •

ذلك انه رأى اورور جالسة قرب ربيبة الدير تنظر اليها مبتسمة وقد تمكنت من اعادة الرشد اليها •

اما اورور وحنة فانهما رأتا بنوات الاحدب واقفا في الباب وقفة الحائر المبهوت وكلتاهما تعرفانه فقالت له حنة : اين داغوبير ؟

قال : لا اعلم وكنت ارجو ان اراه هنا •

فاطرقت حنة برأسها اطراق الحزينة، فقال لها الاحدب:

ــ كيف ذلك الم يعد بعد ؟ ــ كلا •

ــ رباه اني اخشى ان يكون الشفاليه دي فولون قد اصابه بسو فصاحت البنتان صيحة رعب وقال الاحدب :

ــ ولكنها ستكون آخر جرائمه فقد جازيته بما يستحق •

فنظرت الفتاتان الى الاحدب نظرة السائل اذ لم يفهما كل قوله •

وعند ذلك قص عليهما الاحدب جميع ما عرفه القراء عن لوسيان وعن اختطاف حنة وعن سجنه وعن اصطياد

داغوبير بالفخ حتى اذا اتم حكايته بكت حنة بكاء شديدا وقالت : — ويلاه اني اخاف ان يكون قد مات •

فقالت اورور : انه اذا كان حيا انقذته واذا كان ميتا سوف انتقم له شر انتقام •

ولكن هذا الكلام لم يطيب خاطر حنة فانها اندفعت في البكاء على داغوبير لانها كانت تحبه اشرف حب •

ومضى الليل ودقت نواقيس الدير وفرغ الرهبان من صلاة الفجر فقالت اورور للاحدب اريد منك يا بنوات ان تذهب الى الدير وتطلب مقابلة رئيسه •

— الاب جيروم ؟

— نعم فاذا لقيته قل له تفضل يا سيدي واتبعني الى دكان داغوبير فان ابنة كريتشن محتاجة اليك •

فاسرع الاحدب الى الدير وعانقت اورور اختها فقالت لها : — اطمئني فاني لا اريد ان تقيمي وحدك •

ان الاب جيروم سيتولى حمايتك الان فاننا محاطون بالاعداء واما انا فاني ذاهبة للبحث عن داغوبير ولا بد لي ان اعود اليك •

• • •

كان الاب جيروم في غرفته حين طرق بنوات باب الدير ولم يكن قد نام ليلته اذ كان ينتظر عودة داغوبير بالاذن له بالسفر من الرئيس العام وقد قلق قلقا شديدا لطول غيابه• ولبث جازعا قلقا حتى دنت ساعة صلاة الفجر فذهب

في طليعة الرهبان الى المصلي حتى اذا فرغ من الصلاة سأل عن داغوبير فقيل له : لم يعد بعد ٠

وقد عاد اليه قلقه ولكنه كان واثقا من عودته بالاذن فقام الى غرفته الخاصة يتأهب للسفر ففتح خزانة في غرفته واخرج منها ملابسه التي دخل فيها اول مرة الى الدير وهي الملابس التي كان يلبسها حين كان من حراس الملك ٠

وفيما هو ينظفها ويذكر ايامه السابقة في عهدها سمع ان احد الرهبان يناديه فظهرت عليه علائم السرور واسرع الى ذلك الراهب لاعتقاده ان داغوبير قد عاد دون شك وان الراهب انما يدعوه لمقابلته ولكن القادم لم يكن داغوبير كما توهم فقد اخبره الراهب ان بنوات الاحدب يلتمس مقابلته بشأن خطير ٠

فقطب الاب جيروم حاجبيه ولكنه عاد الى الاطمئنان فقال في نفسه لا شك ان بنوات قادم من قبل داغوبير فامر الراهب ان يدخله اليه في الحال ٠

وبعد هنيهة دخل الاحدب وهيئته تدل على الاضطراب فايقن الاب جيروم ان هناك مصابا فبادره بالسؤال اين داغوبير ؟

فقال له الاحدب : لا اعلم وربما يكون قد مات ٠

فاجفل الاب جيروم وقال : كيف تقول انه مات وماذا اصابه ؟

ــ ان اولئك الاشرار نصبوا له فخا وصادوه صيد

الثعالب فما علمت ماذا جرى له بعد ذلك ولهذا اتيت اليك •
ــ ولكن من هم اولئك الاشرار ؟
ــ الشفاليه دي فولون صديق الكونت مازير •
فذعر الاب جيروم لذكر الكونت دي مازير وتراجع الى الوراء كأنه قد رأى افعى فقال له الاحدب :
ــ وان مدموازيل اورور قد ارسلتني اليك •
ــ من هي هذه السيدة ؟
ــ هي سيدة قصر بيليياردنر وقد قالت لي (اسرع الى الدير فتوسل الى الاب جيروم ان يحضر وقل له ان ابنة كريتشن محتاجة اليك) •
فاضطرب لاسم كريتشن وقال له : اهي قالت لك هذا؟
قال : نعم • ــ اين هي ؟ ــ في دكان داغوبير
فكف الاب جيروم عن السؤال واسرع يتقدم الاحدب الى دكان داغوبير فلما دخل اليها وجد حنة واورور متعانقين فكانت حنة تبكي داغوبير واورور تمسح دموع اختها بقبلاتها •
فلما رأته اورور قادما وقفت اجلالا له وقالت : اني يا ابتاه ابنة كريتشن الثانية واخت حنة •
ولم تكن اورور تشبه امها بوجهها ولكنها كانت تشبهها بصوتها فاخترق صوتها اعماق نفس الاب جيروم وقال لها : لا شك انك ابنتها فان صوتك صوتها •
قالت : ان اختي لم يكن لها محاميا امس غير داغوبير

وهي كانت معرضة لخطـر عظيم فانهم حاولوا اختطافها في هذه الليلة ولكني انقذتها وسأحرص عليها كل الحرص فلا تنالها يد شريرة بأذية غير ان داغوبير في قبضة اعدائنا الان اذ لا بد لي من انقـاذه ولهذا رجوتك ان تحضر الي فاني اذا تركت اختي وحدها فان هؤلاء الاشرار قد يعودون اليها .

قال لا تخافي يا ابنتي فسأتولى حراستها ثم اشار الى الاحدب ان يدنو منه فقـال له : عد الـى الدير وائتني براهبين منه .

وبعد هنيهة اقبل الرهبان فاقامهما حارسين على باب الدكان ثم امتطت اورور جوادها وسارت يتقدمها الاحدب الى حيث كان داغوبير .

ولنعد الان الى داغوبير فقد تركناه بعد ان سقط في

* * *

الفخ بايدي خادمي الشفاليه دي فولون فان الشفاليه ذهب مع لوسيان لاختطاف حنة وامر خادميه ان يذهبا بداغوبير الى حيث كان الاحدب فامتثلا وذهبا به الى ذلك القبو الذي تقدم لنا وصفه في الجزء السابق .

وكان داغوبير مقيد اليدين والرجلين مكمـوم الفم فجعلا يضربانه ضربا موجعا وهو لا يستطيع دفاعا ولا صراخا غير ان عينيه كانتا تتكلمـان بافصح لسان وتنذر هذيـن الشقيين شر انذار .

ثم القياه في ذلك القبو عرضة للجراذين التي القت الرعب في قلب الاحدب من قبله وكانت السبب في نجاته من ذلك السجن •

وكـــان الخادمان قـــد غضبا غضبا شديدا حين رأيا الاحدب قد خرج من القبو فانتقما مـــن داغوبير بالضرب والتحقير ثم جعلا يتباحثان في شأنه فقـــال احدهما : ارى انه يجب ان نبالغ في الحرص على هذا الاسير كي لا يهرب كما هرب الاحدب •

قال هو ذاك ويكفينا ما سنلقاه من تعنيف الشفاليه بشأن فرار الاحدب فاية طريقة تجدها افضل في الحرص •

قال : ارى انه لم يبق من الليـــل غير ساعتين وعندي انه يجب ان نسهر الى ان يعود الشفاليه •

ـ وانا ارى ما تراه ولكن كيف نضيع هذا الوقت •

ـ بمعاقرة الشراب • ـ اذن فاذهب الى القبو المسجون فيه داغوبير فوجد ذلك المنكوب يئن انينا مزعجا وقد كاد يختنق من الكمامة فلم يشفق عليه بل جعل يضحك حين رأى الجرذان تهرب لما رأت النور وقـــد كانت تسير فوق جسم داغوبير وتنهشه نهشا وعضا وهو لا يستطيع ان يقف على شدة قوته لمتانة القيد •

وقد حسب داغوبير لاول وهلة ان هذا الخادم قادم لاطلاق سراحه ولكن ساء فأله فانه حين فرغ من ضحكه اخذ اربع زجاجات من الخمر المعتقة وبرح ذلك القبو وهو

يقول لداغوبير متهكما ، اتمنى لك ليلة سعيدة مع رفاقك الجرذان •

فلما صعد الى رفيقه بالخمر قال له : هل أغمي عليه ؟

قال : كلا فان الجرذان شغلته عن الاغماء •

فضحك الاثنان وقال احدهما : اني على وثوقي من متانة قيده ارى انه يجب ان تتفقده من حين الى حين فان غضب الشفاليه سيكون عظيما حين يعلم بفرار الاحدب •

قال : اليوم خمر وغدا امر فليغضب قدر ما يشاء ولتبلغ به الحدة ما شاءت فانه لا يستطيع ان يمسنا بسوء وهو مدين لنا باجورنا •

ـ ولكني ارى العيش معه لا يحتمل لحدة اخلاقه •

ـ لا بأس في ذلك فما يدعوه الى الحدة غير الافلاس ولكن متى تزوج الكونتس اورور تعتدل تلك الاخلاق •

ـ اتظن انه يظفر بزواجها ؟

ـ اني لو لم اكن واثقا من فوزه لما خدمته ساعة فانه اهل لكل شيء ما عدا الخير •

ثم اخذا يشربان ويتحدثان بسيدهما الى ان خطر لاحدهما ان يتفقد داغوبير فقال انه لا يزال يئن انين المتوجع وقد خرج الزبد من فمه •

وقد قال هذا القول وهو مصفر الوجه فقال له رفيقه :

ـ ما هذا الاصفرار وماذا اصابك ؟

ـ اني خائف • ـ من اي شيء تخاف ؟

ـ من داغوبير فقد رأيت في عينيه ما يدل على انه اذا قدرت له النجاة سينتقم منا افظع انتقام. ـ اذن لنقتله.

ـ اما انا فاني نادم لتنفيذ اوامر الشفاليه . ـ لماذا ؟

ـ الم تتفق منذ ساعة ان سيدنا الشفاليه لا خير فيه ؟

ـ اني لا انكر ذلك .

ـ وهذا رأي جميع اهل القرية فانهم يحتقرونه ويخافونه ولا بد يوما ان ينتقموا منه باحراق قصره وعند ذلك ينتقمون منا ايضا لانهم يحسبون اننا له من المخلصين.

ـ ولكنهم لم يحرقوا القصر بعد ؟

ـ من يعلم فقد يحرقونه الليلة الم يهرب الاحدب منا؟

ـ وماذا تخشاه من الاحدب ؟

ـ اخشى ان يكون قد طاف جميع هذه الجهات وملأ الارض صراخا علينا واخبر جميع الناس ان داغوبير في قبضتنا فهم سيقدمون دون شك لانقاذه .

فقطب الخادم حاجبيه واستولى عليه الرعب كما استولى على رفيقه فقال له : ارى ان الاجدر بنا ان نتخلص من داغوبير . ـ كيف ذلك ؟

ـ بطريقة سهلة . ـ ما هي ؟

ـ هي ان انزل اليه فاضع المصباح عند رأسه ثم اعود فآخذ بندقية واصوبها الى رأسه على نور المصباح فاقتله .

ـ ولكن ما يقول الشفاليه حين عودته ؟

ـ ليقل ما يشاء ولكن ثق انه لا يأسف عليه فان

النبلاء لايعدون الفلاحين بشرا فلا يبالون اذا نقصوا واحدا .

ــ هو ذاك ولكنك لم تفطن لامر وهو انه ليس الشفاليه وحده الذي سيعلم اننا قتلنا داغوبير بل ان الكونت لوسيان سيعلم ايضا وليس الرجلان على اتفاق في المبدأ ولذلك فان قتل داغوبير قد يكون وبالا علينا .

ــ اذن ماذا تريد ان نفعل ؟

ــ لا اعلم ولكن اؤثر ان نجد طريقة يموت بها داغوبير موتا طبيعيا . ــ وكيف ذلك ؟

ــ ذلك ان نذهب به الى الغابة فنشنقه في احدى اشجارها .

ــ اهذا هو الموت الطبيعي الذي ترجوه له ؟

ــ نعم فاننا نوهم الناس انه مات منتحرا وذلك بعد ان نستوثق من موته نطلق قيد رجليه ويديه فلا يبقى أثر للجريمة ويظن الناس انه شنق نفسه من :

ــ اليأس .

ــ أي يأس هذا اني لا افهم شيئا مما تقول .

ــ ولكن الامر بسيط لا اشكال فيه ألا تعلم الى اين ذهب الشفاليه والكونت لوسيان حين تركانا .

ــ الى دكان داغوبير .

ــ لماذا ؟ أليس لاختطاف ربيبة الدير ــ دون شك .

ــ اذن فان داغوبير مصيب في يأسه فانه حين عاد الى منزله وجد ان اعدائه قد اختطفوا الفتاة التي يربيها فيأس

وانتحر •

ــ لقد اصبت ايها الرفيق غاية الصواب ولكني لا ازال خائفا •

ــ ومما الخوف فان جريمتنا لا يدري بها احد فاننا نبالغ في كتمانها حتى عن الشفاليه وتوهمه انه فر من القبو كما فر الاحدب •

ــ لقد ذهب خوفي وبت على رأيك فان قتلك الذئب خير م ن ان تعرض نفسك لافتراسه •

وهنا اصغى الخادم وقال لرفيقه : اصغ معي ألا تسمع وقع حوافر جواد ؟ ــ هو ذاك ولعله الشفاليه •

ــ اذا كان هو القادم فستخبره بما رأيناه ويقيني انه يوافق على اقتراحنا •

ــ ذلك ممكن • ــ هلم بنا لنفتح الباب الخارجي

٢٢
القتيل

وكان الظلام لا يزال مخيما على ان نور الفجر كان في بدأ بزوغه فكشف تلك الغياهب وبدأت الكلاب تنبح مما يدل على ان القادم هو غير الشفاليه •

غير ان الجواد كان جواد الشفاليه نفسه ولكن فارسه قرويا من اهل تلك النواحي •

فلما رآه الخادمان دنوا منه وسألاه عما يريد فقال لهما : الستما من خدم الشفاليه دي فولون •

فأجابه احدهما : نعم اهو الذي ارسلك الينا •

ـ كلا بل ارسلني الكونت لوسيان فقد حدث مصاب جلل • فارتعش الخادمان وقالا : ماذا حدث ؟

ـ لقد قتلوا الشفاليه •

فصاح الاثنان صيحة ذعر واسف فان هذين الخادمين كانا يكرهان سيدهما كما يكرهه جميع الناس ولكنه كان مديونا لهما باجورهما فكان اسفهما على تلك الاجور •

وعند ذلك اخبرهما القروي ان الكونت لوسيان جاء الى قريته بالشفاليه جريحا محمولا على جواده •

فقال له احد الخادمين : العله مات •

ـ انه لم يمت بعد ولكن لا رجاء فيه وقد كان مغميا عليه حين جئت اليكما •

ـ اتظن ان جرحه ذو خطر ؟

هذا لا ريب فيه •

ـ من الذي قتله وكيف قتل ؟

ـ لا يزال قاتله مجهولا وقد اصابه برصاصة في صدره •

ـ وماذا تريد منا ؟

ـ ان الكونت لوسيان يريد ان تتبعاني الى القرية كي تعودا بالشفاليه الى المنزل على مركبة •

ـ اذن عد اليه بالجواد وقل له : ا[illegible] ادمان بالمركبة في الحال •

فعاد القروي وعاد الخادمان الى المطبخ وعلائم اليأس

بادية في وجهيهما فقال احدهما : ماذا نصنع ؟

قال : لا اعلم فلنشرب كأسا فان الخمر خير مستشار .

فشرب وقال : اذا كان سيدنا قد قتل فالسلام على الزواج وعلى اجورنا ايضا فقد خابت الآمال .

ــ بل ارى ان نقبضها بانفسنا .

ــ كيف نقبضها ومن اين ؟

قال : من هذا المنزل فاذا لم يكن فيه مال فان فيه من المجوهرات ما يعادل المال .

ــ بورك فيك فقد بلغت لب الصواب .

ــ اذن هلم بنا الى الخزائن .

فقام الشقيان فكسرا جميع الخزائن ونهبا كل ما خف وغلا فاقتسماه على السواء واتفقا على ان يهربا بما سرقاه الى باريس .

وعندما فرغا من القسمة وعزما على الرحيل خطر لهما داغوبيرفقال احدهما : ماذا نصنع بهذا الرجل اندعه في قيد الحياة ؟

ــ كلا ليس من الحكمة ان نبقيه حيا فانه قد يتفق ان يرانا بعد خروجه من سجنه فلا نأمن شره .

ــ ولكننا لا نستطيع شنقه فان النهار قد طلع فاذا سرنا به الى الغابة يرانا الصيادون .

ــ اذن نقتله بالرصاص كما خطر لنا في البدء .

ــ لقد اصبت فان اول رأي يخطر للذهن يكون اصح

الآراء .

ـ اذن هات البندقية فانك تفضلني بالرماية وانا احمل المصباح فانير لك القبو .

فامتثل وذهب لاحضار البندقية واشعل رفيقه المصباح ثم نزل الى القبو فوجد داغوبير لا يزال ملقيا على ظهره في القبو وقد بذل جهدا عجيبا كي يقطع قيده فلم يستطع غير ان الهرة كانت قد اقبلت لنجدته كما انجدت الاحدب من قبله فوقته شر الجرذان .

اما الخادم فانه دنا منه بمصباحه وقال له بلهجة المتهكم : اننا خير مما تدل عليه ظواهرنا ايها الصديق فلا نحب ان نعذبك عذابا لا فائدة فيه كما سترى .

ثم وضع المصباح عند رأسه فابتعد عنه ونظر الى باب القبو في السقف فرأى الخادم الآخر واقفا مصوبا بندقيته الى داغوبير فقال له :

ـ اترى جيدا ؟ ـ بغاية الوضوح .

ـ اذن اسرع فان الوقت ثمين .

ـ اني سأطلق عليه الرصاص فيقع بين عينيه .

فابتعد الخادم الذي في القبو عن داغوبير وصوب الواقف في الباب بندقيته عليه .

وعند ذلك خرج دوي النار وكان شديدا فانقلب الخادم صاحب البندقية صريعا على الارض وقد صاح صيحة الم منكرة .

فالتفت الخادم الذي كان في القبو منذعرا فرأى امرأة واقفة في الباب وفي يدها مسدس لا يزال الدخان يخرج منه .

اما هذه المرأة فقد كانت الكونتس اورور التي لم يفطن الخادمان لدخولها لانشغالهما بالسرقة وقد صاحت بعد ان قتلت الخادم الي يا بنوات فاسرع الاحدب اليها وبيده بندقيته فصوبها على الخادم الذي في القبو واطلقها عليه فانقلب صريعا واصابه ما اصاب رفيقه .

. . .

وبينما كان الكونت لوسيان ينتظر عبثا قدوم الخادمين

وبينما كان الكونت لوسيان ينتظر عبثا قدوم الخدامين لارجاع الشفاليه الى منزله كانت والدة لوسيان تنتظر في قصرها مع تنوان النورية عودة ولدها بفارغ الصبر .

ويذكر القراء ان الشفاليه دي فولون ذهب بلوسيان من قصره عند انتصاف الليل فقال له : ان داغوبير بات في قبضتنا ولم يبق لدينا غير اختطاف حنة .

وكانت والدة لوسيان قد عرفت خطة الشفاليه ووافقت عليها فلما دنا موعد رجوع ولدها دون ان يعود جزعت واشتد قلقها فظلت تنوان ساهرة الى ان اشرق الصباح .

وكانت تقوم من حين الى حين الى النافذة المطلة على الطريق متفقدة ولدها فلا تجده حتى خشيت ان يكون قد اصيب بمكروه .

فقالت الام الى تنوان وقد اصفر وجهها لخوفها :

ــ ماذا ترين قد حدث وما سبب هذا التأخر ؟
ــ لا اعلم ولكني اظن ان الشفاليه لم يفلح بمهمته .
ــ كيف ذلك ؟
ــ اني اخشى ان يكون لم يتمكن من داغوبير اي اخشى ان لا يكون قد سقط في الفخ الذي نصبه له فعاد الى دكانه ورجع الشفاليه بلوسيان الى منزله اذ لم يبق له رجاء باختطاف الفتاة .
ــ ولماذا يعود به الى منزله ؟ ــ لاعداد خطة اخرى.
ــ اذن ترين انهما لم يظفرا باختطافها ؟
ــ هذا الذي اراه ولا بد لنا من الصبر الى ان تنجلي الحقيقة .
فاتقدت عينا والدة لوسيان ببارق من الغضب وقالت :
ــانفشل في هذه المهمة وما تعودنا الخيبة في جسام الامور ؟
ــ هوني عليك الامر ايتها الحبيبة فاننا ربما ظفرنا غدا وفوق ذلك فاني ارى انك اخطأت بثقتك بهذا الشفاليه فاني اراه من اهل البلاهة .
ــ ربما ولكن لا بد لنا من اختطاف الصبية .
ــ ذلك لا يكون الا حين اتولاه بنفسي .
ــ ولكن اين ولدي لوسيان ؟
ــ سأعلم ذلك بعد ساعة .
ــ كيف تعلمين ؟ ــ اني ذاهبة الى منزل الشفاليه.

ـ واذا لم تجدني لوسيان فيه ؟

ـ اذن اذهب الى داغوبير • ثم قامت فذهبت الى الاصطبل واختارت خير جواد فيه فامتطته وسارت باحثة عن لوسيان فشيعتها الكونتس بالنظر حتى توارت في الغابة •

واقامت والدة لوسيان تنتظر ولدها وهي على احر من نار الجمر لخوفها عليه فبزغ الفجر ثم سطعت الشمس ثم تعالى النهار ولم يعد فقلقت قلقا شديدا ولو كان سار في غير المهمة التي فيها ، لكانت ارسلت جميع الخدم للاستطلاع عنه وانما كانت خائفة عليه الان لان افكار الفلاسفة وعشاق الحرية كانت قد نفذت في ذلك العهد الى نفوس الفلاحين فلم يعودوا يخضعون للنبلاء ذلك الخضوع القديم بل آثار الحقد والميل للانتقام كانت تبدو في عيونهم حتى ان النبلاء باتوا يتوقعون ثورتهم عليهم في كل يوم ولذلك خطر لوالدة لوسيان ان داغوبير قد اثار على ولدها جميع اهل القرية ففتكوا به فكادت تجن من يأسها •

وعند ذلك سمعت وقع حوافر جواد من مكان بعيد فصبرت الى ان دنا من القصر فتبينته فاذا هو جواد لوسيان واذا بلوسيان قادم وحده على عجل فصاحت صيحة غضب وايقنت انه عاد بالخيبة والفشل •

وكانت لا تزال واقفة في النافذة فرأت ان ثياب ولدها ملوثة بالوحول وان وجهه شديد الاصفرار مما يدل على انه مضطرب اشد الاضطراب حتى اذا وصل الى الاسطبل

اسرع اليه الخدم فقال اسرعوا باعداد مركبة واتبعوني •

وقد سمعته امه يقول هذا فذعرت لما رأت من دلائل اضطرابه ونادته فقالت له : لماذا تريد ان يعدوا المركبة ؟

فقال لها : اني صاعد اليك ثم ترجل عن جواده وصعد اليها فقال لها : لقد حدث مصاب عظيم يا اماه فان الشفاليه دي فولون في حالة النزع فقد اصابته رصاصة في صدره ولا رجاء في حياته •

فذعرت وقالت له : من القاتل وكيف قتل ؟

فاخبرها لوسيان بما جرى وكيف انـه حين عاد من الدكان وجد صديقه صريعا في الغابة دون ان يعلم قاتلـه وانه نقله الى قرية وارسل رسولا الى منزله في طلب خدامه فلم يحضر احد منهم فارتأى نقله الى قصره •

ولما قال لها ما قال رجع يحاول الانصراف فاستوقفته امه وقالت له : اهذا كل ما تريد ان تقوله لي ؟

ــ وماذا تريدين ان تعلمي فوق ما علمت ؟

ــ الم تقل لي انك ذهبت الى دكان داغوبير ؟

ــ نعم •   ــ اما رأيت حنة ؟

ــ نعم رأيتها ولكنها لم تكن وحدها •

ــ انها كانت مع الشقي داغوبير دون شك ؟

ــ كلا بل كانت مع سواهاتريدين ان تعرفي يا اماه ؟

فقالت له بلهجة تدل على نفاد صبرها : قل اذن مع من كانت ؟

ـ انها كانت مع فتاة قالت لي ان حبي لحنة قد أصبح يعد جريمة منكرة •

فقطبت حاجبيها وقالت : اني لم افهم ما تقول •

ـ انها كانت يا اماه مع ابنة عمي اورور •

فتنهدت عند ذلك تنهد المنفرج وقالت : لقد عبثت بك ابنة عمك فقد حملتها الغيرة على الاختراع والتلفيق وفوق ذلك فما يهمك من كلامهـــا الست حرا بان تحب حنة دون سواها •

فاطرق لوسيان برأسه وقال : ان حنة اختها يا اماه •

فاصفر وجه والدته وقالت له : اتعرف ذلك •

ـ بـــل اعرف ان الاختين بنتا كريتشن التي قتلتهــا بالسم ••• الوداع يا اماه وهو وداع الابد فانك لا تريني بعد الان •

ثم خرج دون ان يلتفت الى امه فصاحت امه صيحة منكرة وسقطت مغميا عليها • فلما عادت الى رشدها لـــم تجد ابنها بل وجدت ام المكان تنوان تنشقها بالروائح وتحاول ايقاظها من اغمائها •

فقالت لها: الم تعلمي يا تنوان ان لوسيان رأى اورور •

قالت : لقد عرفت • ـ وان حنة واورور تعلمان انهما اختان • ـ وبعد ذلك ؟

ـ ان لوسيان يعلم اننا قتلنا كرتشن بالسم •

فاجابتها ببرود : ان ذلك امر لا بد ان يعلمه ولكن

يوجد امر لا يستطيع ان يعلمه • — ما هو ؟

— انه لا يعرف اين يوجد الصندوق •

— تقصدين صندوق الاوراق المالية •

— نعم • — العلك تعلمين انت اين يوجد ؟

— نعم • وعند ذلك اخرجت من صدرها خيطا حريريا كان معلقا وفي اسفل هذا الخيط خاتم يبدو لاول وهلة انه من الحديد وهو خاتم داغوبير المحتوي على ورقة يمكن بعد قراءتها الاهتداء الى موضع الكنز وقد كان بيد داغوبير وبات الان بيد تنوان واليك بيان السبب في وصوله اليها•

٢٣
خاتم داغوبير

يذكر القراء ان تنوان النورية امتطت جوادا وذهبت لاستقصاء خبر لوسيان لما رأته من قلق امه عليه •

وقد توغلت في الغابة وهي لا تدري اتسير الى منزل الشفاليه فتقف فيه على حقيقة ما جرى للوسيان ام تذهب الى داغوبير فتستطلع من دكانه الاخبار •

وكان الطريق الى المنزلين واحدا في الغابة لا يفصل بينهما الا عند آخرها فسارت تنوان في الطريق الذي نصب

فيه الفخ لداغوبير اذ لم يكن من طريق سواه في الغابة ٠

وكانت واقفة علــى خط الشفاليه فلما وصلت الــى الموضع الذي نصب فيه الفخ ارادت ان تتحقق اذا كــان داغوبير قد سقط فيه فبدأت بافتقاد الاشجار فرأت غصنا مكسورا ورأت قطعة جبل ملقية على الارض فايقنت ان المكيدة قد تمت وان داغوبير قد بات في قبضة الشفاليه ٠

وفيما هي تبحث في ذلك الموضع قرب قطعة الحبل اضطربت وصاحت صيحة فرح اذ رأت قطعة سوداء فوق الثلج علمت لاول وهلة انهــا خاتم داغوبير فأسرعت الــى التقاطه فكاد يقع من يدها لفرط اضطرابها وقد كان الخاتم اسود يبدو للناظرين انه من الحديد فأخذت تنوان شيئا من العشب وجعلت تدعكه حتى ذهب اثر السواد وبان الذهب فظهرت فوقه اشارة اسرة دي مازير ورأت النورية ان للخاتم فصا ضخما يفتح فينكشف عــن وعاء يسع حجم الفولــة فعالجته حتى فتحته فوجدت فيه ورقة مطوية طيات كثيرة ففتحتها فوجدتها بيضاء لا اثر للكتابة فيها ٠

غير ان تنوان كانت تعرف اسرار الحبر الخفي لا سيما وانه كان كثير الشيوع في ذلك العهد فاخذت عودا مــن عيدان الثقاب الشمعية فانارتهــا وعرضت الورقة للنــور فظهرت الكتابة ظهورا جليا فوق الورقة وقرأتها كما قرأها الاب جيروم من قبلها فعلمت موضع الصندوق في باريس وهو موضح في تلك الورقة غاية الوضوح كما بسطناه في

رواية ربيبة الدير •

فلما وقفت على هذا السر الذي طالما تاقت الى معرفته كادت تجن سرورا لهذا الاتفاق الغريب فان الخاتم كان قد سقط من يد داغوبير دون ان يشعر بسقوطه حين كان يحاول الافلات من الفخ ويقاوم خدم الشفاليه بشهامة اليأس فكان من نصيب تلك النورية التي لو لم يساعدها الاتفاق على نيل الخاتم لنالته بالجريمة •

ثم وضعت الخاتم في جيبها وقالت : لنبحث الان عن لوسيان في دكان داغوبير فانه اسير دون شك •

غير انها لم تسر قليلا حتى قالت في نفسها : اي شأن بقي لي مع هؤلاء القوم واية فائدة لي من وجود لوسيان فقد ظفرت بضالتي المنشودة ووقفت على سر الكنز دون سواي فلماذا لا اذهب الى باريس فاستولي عليه واسافر به الى بلادي فاكون ملكة النور بفضل ذلك المال •

ولكن هذا الخاطر لم يكد يخطر لها حتى تراجعت عنه فجأة ولا تدري اكان ذلك مبالغة في الحذر لخوفها من ان تجد مصاعب في باريس تفضح امرها او انها ابت الاستئثار بالمال دون والدة لوسيان لما بينهما من صلات المودة فأثرت ان تقتسم واياها الكنز وتعيش معها على صفاء او انها رأت من الحكمة ان تساعدها في الاستيلاء على الكنز بعد ان عرفت موضعه وبعد ذلك لا يصعب عليها سرقته منها بطريقة مضمونة العاقبة ، ولعل ذلك الارجح انها كانت آية

الآيات بدهائها وحكمتها وتفننها في الحيل والاستنباط ٠

وغاية ما عرف عنها انها اقرت علـى اخبار والـدة لوسيان بسر الكنز وعولجت علـى البحث عـن لوسيان والعودة الى امه بالخبر اليقين ٠

وفيما هي سائرة في الغابة سمعت عن بعد وقع حوافر جواد فاوقفت جوادها واصغت فسمعت اصواتا مختلفـة فبالغت في الاصغاء فسمعت صوت امرأة وصوت رجـل عرفت لاول وهلة انه صوت بنوات الاحدب ٠

وعند ذلك وقفت بجوادها في ظـل شجرة فكانت الاصوات تدنو منها وبعد هنيهة رأت على مسافة مائة خطوة الكونتس اورور ممتطية جوادها ورأت على جانبها بنوات الاحدب وداغوبير الحداد ٠

فاجفلت حين رأتهم واضطربت في امرهـا فلم تعلم كيف نجا داغوبير وكيف اتفق وجوده مع اورور ٠

اما الثلاثة فانهم استمروا فـي سيرهم دون ان يروا النورية ٠

وقد عرف القراء كيف كانت نجاة داغوبير فان الاحدب نزل الى القبو بعد قتل الخادمين فقطع قيود داغوبير وانقذه وهو يوشك ان يجن من يأسه فانه علم السبب في نصب الفخ له وانهم لم يسجنوه الا بغية ابعاده كي يخلو لهم الجـو لاختطاف حنة ٠

فلما انتزع الاحدب الكمامة من فمه قال له : لقد جئت

بعد فوات الآوان وآسفاه .

ـ لماذا فانهم لم يظفروا بقتلك ولست جريحا كما أظن ؟

ـ ولكن حنة ؟ ـ نجت فاطمئن .

فصافحه داغوبير والدموع تسيل من عينيه وقال : من انقذها انت ؟ قال تعالى معي وسوف تعلم .

فصعد الاثنان حتى خرجا من القبو فرأى داغوبير الكونتس اورور واقفة عند الباب والمسدس لايزال في يدها فابتسمت له وقالت : انك مدين لي بالحياة ايها الصديق فلو لم احسن الرماية لكان قتلك هذا الشقي .

فانذهل داغوبير لهذا الاتفاق وجعل يتمتم كلمات شكر لا تفهم وقد اشكل عليه كيف ان الكونتس اورور وهي ابنة عم لوسيان تتولى انقاذه على ما اشتهرت به من الصلف والكبرياء واحتقار طبقة العامة من الشعب .

وكأنما اورور قد علمت ما جال في خاطره فابتسمت له ووضعت يدها المترفة البيضاء فوق كتفه وقالت: انت منذهل يا داغوبير لمبادرتي الى انقاذك ؟

فنظر اليها نظرة المنذهل دون ان يجيب فقالت : ان انذهالك سيكون اشد حين تعلم انه بينما كنت اسيرا في القبو كان ابن عمي لوسيان يتأهب لاختطاف حنة وقد كاد يظفر بها لو لم ابادر الى انقاذها .

فقال داغوبير : ماذا ارى يا سيدتي وماذا اسمع ألعلي من الحالمين .

فاجابه الاحدب : كلا ايها الصديق فان ما قالته لك هو الحقيقة وازيد علــى قولها انــي قتلت ذلك الشفاليه الشقي فانتقمت لك منه بالموت •

وقالت له اورور : يجب ان نعــود الان الى دكانك فقد تركت حنة بحراسة الاب جيروم والان يا داغوبير اذا اردت ان تعلم لماذا انقذت حنة وانقذتك فذلــك لان امي هي ام حنة •

فاندهل داغوبير اندهالا لا يوصف وعاد الى الاعتقاد انه حالم فجعل يجيل نظره بين الاحدب وبين اورور وهو لا يفقه شيئا من الحديث •

فقال له الاحدب : هلم بنا الى منزلك فلا يجدر بنــا البقاء في منزل تركنا فيه قتيلين •

فخرج الثلاثة وداغوبير لا يزال على اندهاشه فامتطت حنة جوادها وسار الاحدب وداغوبير وراءها فكان داغوبير ينظر اليها نظرات بلاهة فانه طالما رأى هذه الفتاة فكان يفر منها لصلفها ولما اشتهرت به من الاساءة الى الفلاحين وهو الان يضطر الى حبها لانها انقذته فبات مدينا لها بالحياة •

وما زالوا يسيرون حتى وصلــوا الى الدكان فاطمأن داغوبير ووثق كل الوثوق بما قالته له اورور لانه رأى الاب جيروم وراهبين جالسين عند باب الدكان لحراسة حنة كما اخبرته اورور •

فلما دخل الى الدكان هجمت عليه حنة فعانقته ودموع

الفرح تذرف من عينيها ثم عانقت اورور ايضا ودعتها باختها فزال من نفسه كل شك •

وكان الاب جيروم يبكي ويقول :

ـ ان وجه احداهما وجه كريتشن وصوت الاخرى صوتها •

وفيما هم على ذلك صاح داغوبير صيحة منكرة فانه افتقد الخاتم في اصبعه فلم يجده •

فقال له الاب جيروم : ماذا اصابك ؟

ـ لقد سرق الاشقياء الخاتم •

فقالت اورور : اي خاتم ؟

ـ الخاتم الذي يدل على ثروة حنة •

فابتسم الاب جيروم وقال : اطمئن يا بني فان الضرر اخف مما تظن فاني جيد الذاكرة ولا ازال اذكر المكتوب في الورقة •

فقال داغوبير بلهجة القانط : ولكن اولئك اللصوص يعرفون ايضا بعد ان سرقوا الخاتم وسيذهبون الى باريس•

فقال له الاب جيروم : كلا بل نحن سنصل قبلهم بشرط ان تكون جئتني باذن من الرئيس العام •

فاخرج داغوبير جواب الرئيس من جيبه ودفعه اليه ففتحه الاب جيروم وقرأه فعلم ان الرئيس يأذن له بالتغيب عن الدير ثمانية ايام فقال : اذن سنصل قبلهم دون شك فتأهب للسفر يا داغوبير •

فقالت اورور : وانا ذاهبة معكم .

وبعد ساعة كانت اورور راكبة جوادها وعائدة الى منزلها فلما دنت من القصر اسرع الخدم وقالوا لها :

ـ اسرعي يا سيدتي ان المصاب عظيم لو تعلمين .

فاصفر وجه اورور وقالت : ماذا حدث ؟

قال : بنيامين يا سيدتي .. بنيامين . ـ اين هو ؟

ـ انه مات بالسكتة القلبية . ـ وابي كيف حاله ؟

ـ انه على شر حال يا سيدتي حتى اننا خشينا عليه في هذه الليلة .

فنزلت عن جوادها واسرعت الى الغرفة التي وضعوا فيها بنيامين فوجدت ذلك المنكود مسجى على السرير ولا تزال هيئته على ما كانت عليه قبل الموت فان الموت كان سريعا فلم يغيره فاخذت اورور يده الباردة فقبلتها وجعلت تسمع حكاية موته من فم الخدم .

وبعد ذلك قبلت يده ايضا باكية ودخلت الى غرفة ابيها فوجدته كأنه مشرف على النزع .

اما ابوها فانه حين رآها نظر اليها بعين المحتضر وتظاهر كأنما رؤية بنته قد اعادت اليه رشده فقال لها : اجلسي امامي يا ابنتي واصغي الي فاني لا احب ان احمل معي احتقار ابنتي الى القبر .

ـ العلك تبت وندمت يا ابي ان الله يغفر للتائبين .

فرفع الشفالية عينيه الى السماء دون ان يجيب فلم

تشك اورور ان هذا القاتل السفاك قد تاب توبة صادقة ولم يخطر لها في بال انه يمثل الفصل الاول من روايته الشائنة.

• • •

كان الشفاليه دي مازير قد قضى ليلة كلها عذاب وقلق فانه كان يعلم اين ذهبت ابنته اورور ولكنه لم يكن يعلم السبب في تأخرها عن الرجوع •

وقد كان سمع بنيامين وابنته يتحدثان بشأن الفرار الى باريس فراعه غيابها وخشي ان تكون قد هربت وحدها دون بنيامين •

ولبث على هذا الجزع الى الساعة العاشرة من الصباح فسمع وقع حوافر جوادها فبدأ عند ذلك يمثل دوره وهو يقول في نفسه لا بد للبنت ان تنتهي بتصديق ابيها •

وقد سمعها تتأوه لموت بنيامين وسمع الخدم تروي حكاية موته فايقن انها لا تشك بموته الفجائي واطمأن باله.

وقد اعد الخطة التي يجري عليها فلما دخلت اليه اورور قال لها اني شعرت بقرب الاجل يا اورور وانه لم يبق لي في هذه الحياة غير ساعات معدودة •

فاضطربت اورور اشفاقا عليه ونسيت انه قاتل امها فقالت له : انك مخطىء يا ابي واسأل الله ان يمد في اجلك.

فهز رأسه وقال لها : ان دقائقي معدودة يا ابنتي واذا كنت احب الحياة فلا احبها الا لاجلك غير اني لا احب ان افارق الوجود قبل ان اعترف بخطائي واكشف لك اسماء

الآثمين واخبرك بما يجب عليك صنعه بعد موتي .

فصدقت اورور كلامــه وحسبت تقريع الضمير قد دعاه في ساعته الاخيرة الى الندم اذ لم يخطر لها انه سمع حديثها مع بنيامين .

ثم انه كان يقول انه مخطىء لا اثيم وانه يريد اظهار الآثمين مما يدل على انه غير شريك لهم فذهلت اورور لهذا القول وقالت :

ــ تكلم يا ابي فاني مصغية .

ــ انك سألتني مرة يا ابنتي ان اظهر لك السبب فيما تجدينه من النفور بيني وبين امرأة عمك والدة لوسيان .

ــ هو ذاك .

ــ وقد ابيت في ذلك الحين ان اخبرك بالحقيقة لاني لم اكن اعلم ان ساعتي قد دنت امــا الان فلا بد لي مــن الاباحة لك بكل شيء كي لا ارتكب جريمة حمل هذا السر معي الى القبر .

فخفق قلب اورور وقالت : تكلم يا ابي .

ــ اعلمي يا ابنتي ان امرأة عمك شر امرأة ظهرت في الوجود فانها تولعت في عهد الصبا ولعا شديدا دعاها الى ارتكاب جريمة .

وهنا توقف وقد خفت صوته كأنه يخشى الاعتراف بهذا الخبر الهائل ثم قال : انها قتلت امك بالسم .

فوقفت اورور منذعرة غير ان اباها سألها ان تعــود

الى الجلوس فجلست وعاد الى الحديث فقال : ان امرأة عمك واخا لي لم تعرفيه من قبل اتفقا على خديعتي والعبث بي . وذلك ان اخي الكونت مازير اغوى فتاة فاولدها بنتا .

وانا كنت عاشقا ايضا لهذه الفتاة وكنت اجهل زلتها فلم يخبرني احد بامرها بل جعلوني آلة لاصلاح خطأ اخي وزوجوني تلك الفتاة وهي امك يا اورور .

وقد كان عام سعادة وهناء فان الكونت تزوج البرنسيس هيلانة ولدتنبرج فتبنت بنت امك الاولى وكتم الاثنان ذنب امك عني فلم يكشفه لي غير امرأة عمك .

ولقد قلت لك ان امرأة عمك كانت تحبني حبا لا يوصف فكانت تكره امك كرها عجيبا وهي تتظاهر لها بالمودة والاخلاص .

فبينما انا في المنزل ذات ليلة وردني كتاب عرفت انه من امرأة عمك وهو يتضمن جميع ما جرى لامك مع اخي الكونت فجننت ليأسي وحاولت في البدء قتل امك ولكنها انطرحت على قدمي والتمست مني الصفح عن زلتها فيأست من الحياة وبرحت مونيخ في اليوم نفسه تاركا امك مع بنيامين فسحت ثلاثة شهور وانا احسب اني اكره امك ولكني كنت لا ازال احبها فعدت اليها فلقيتها وا اسفاه على حالة الهزال حتى انني كدت لا اعرفها فقد اصفر وجهها حتى باتت كالاموات وباتت غير قادرة على السير لفرط ما اصابها من الوهن .

وعند ذلك دعوت لها اعظم اطباء تلك العاصمة فثبت لي بعد فحصها انها مسمومة .

وقد احضرت اعظم اطباء اوروبا فبذلوا جهد ما بلغ اليه العلم في سبيل انقاذها فلم يبلغوا من شفائها غاية الى ان انطفأت كما ينطفىء المصباح اذا فرغ منه الزيت وماتت وهي تلعنني لاعتقادها اني قاتلها انا الذي احببتها وبكيتها اشد بكاء .

ولما وصل الشفاليه بحكايته الى هذا الحد ذرفت من عينيه دمعتان كاذبتان خدعت بهما اورور وبكت لبكائه واية فتاة لا تريد تصديق براءة ابيها مما يتهم به من الشائنات ؟

وقد اكد لها ابوها ان امها ماتت مسمومة ولكنه اقسم لها بتربتها ان الجريمة لم ترتكبها غير والدة لوسيان واعترف لها ان امها ماتت وهي تلعنه على براءته فكان ذلك خير تبرئة له امام ابنته فقالت له : اذن استطيع الان ان ادعوك ابي كما كنت ادعوك .

فتظاهر الشفاليه عند ذلك بضعف شديد فاطبق عينيه وانقطع صوته حتى حسبت اورور انه مشرف على الموت .

وقد بقي بمثل هذا التمثيل نحو ساعة وهو مطبق العينين يتظاهر انه يريد ان يتكلم فلا يستطيع لضعفه حتى اتقن تمثيله وان اورور قد خدعت به كل الانخداع ففتح عينيه فنظر اليها نظرة المتوسل وقال لها بصوت خافت : ان

ابنة كريتشن الاولى لم تمت يا اورور كما يقال ولكني اجهل اين هي الان فاعلمي يا ابنتي ان اقدس واجب عليك من بعدي هو ان تبحثي عنها وان تحبيها وانا اوصيك بها خير وصاية فانها ابنة امك اي انها اختك يا اورور •

ثم عاد الى اطباق عينيه وجعلت شفتاه تتحركان دون ان تستطيعا اخراج صوت ، فحسبت اورور ان الساعة قد دنت وبقي على ذلك الى المساء فكانت ظواهره تدل على ان نزعه قد بدأ ، وكانت اورور راكعة قرب سريره تبكي وتصلي • فلما اقبل الليل اظهر كأنه قد انتعش فجلس في سريره وقال :

ــ اتعدينني يا اورور انك تبحثين عن اختك وتحبينها وتقسمين ثروتك واياها ؟

ــ دون شك يا ابي وازيدك اني عارفة اين هي وها انا ذاهبة لاحضارها فاذا قدر الله ان تنكب بفقدك فلا تموت قبل ان تزود اختي ببركتك الاخيرة •

غير ان الشفاليه تظاهر انه لم يفهم ما قالته له بنته وجعل يهذي بكلامه •

فذعرت اورور وايقنت ان اباها بدأ به النزع فاسرعت الى مناداة الخدم حتى اذا اقبلوا فتح الشفاليه عينيه وقال بصوت لم يكد يفهم : احضروا لي كاهنا في الحال •

فامرت اورور احد الخدم ان يسرع الى مناداة الاب جيروم •

٢٤
حنة ابنة الدير

كان السكون سائدا حول الدير والظلام مخيما وقد فرغ الرهبان من العشاء وصلاة المساء وذهبوا الى غرفهم للنوم .

غير انه بقي بينهم رجل لم ينم هو الاب جيروم فكان راكعا يصلي ويلتمس من الله المساعدة على قضاء هذا الواجب الانساني الذ يانتدب له .

وقد كانت اورور حين غادرت دكان داغوبير قد اخبرت الاب جيروم انها ستعود صباح غد فتذهب معه ومع داغوبير وحنة الى باريس ولم تذكر له شيئا عن ابيها وعن بنيامين .

ولكن الاب جيروم كان من اهل النقد الخبيرين بطبائع البشر فايقن من لهجة اورور انها ابنة كريتشن حقيقة وانها اخت حنة فعدها اعظم مساعد له داغوبير في المهمة التي عزم على اجرائها .

اما حنة فان التعب والسهر كانا قد اضناها فنامت وهي تذكر اسم اختها اورور وكذلك داغوبير فقد نام نوما منقطعا مضطربا فكانت تمثل له اورور طوال مدة رقاده .

ولم يكن قد ارتاح باله الى الان فانه لم يعد يخشى

الشفاليه دي فولون بعد ان نكل به الاحدب ولكنه كان لا يزال خائفا من الكونت لوسيان •

ولذلك نام ووضع قرب سريره مطرقته الهائلة تأهبا لما قد يحدث من الطوارىء وهو عازم على سفك دمه في سبيل الدفاع عن حنة •

وقد كانت احلامه غريبة فقد وردت بخاطره تلك النورية التي تنبأت له انه سيغدو من النبلاء ويلبس ملابس كبار رجال الجندية ويصبح من الاغنياء العظام فتمثل له في الحلم ان تنوان النورية ماسكة بيده وبيد اورور وتعقد لهما عقد الزفاف •

وقد تكرر هذا الحلم فكان يصحو منزعجا لاقل صوت

وفيما هو على ذلك انتبه منذعرا لوقع حوافر جواد فأخذ مطرقته بيده واسرع الى النافذة وهو يحسب لاول وهلة ان الكونت لوسيان اقبل برجاله لمهاجمة الدكان واختطاف الفتاة بالقوة •

وكان الظلام حالكا غير ان داغوبير رأى فارسا قد اقبل من الغابة ووقف عند باب الدكان فصاح به داغوبير : من انت ؟

فأجابه الرجل بصوت لم يعرفه قائلا : اانت داغوبير ؟

ـ نعم ـ اني قادم من قصر بيلباردير •

ـ ماذا تريد مني ؟

ـ ان الكونتس اورور ارسلتني اليك فاني قادم

برسالة الى رئيس الدير وقد قالت لي سيدتي ان استعين بك على البلوغ الى الرئيس فطرقت الباب فلم يفتحوه •

ــ العل في الامر ما يوجب الاسراع ؟ ــ نعم •

ــ اذن انتظرني فاني قادم اليك ثم نزل اليه وقال له : هات الرسالة فسأتولى ايصالها عنك اذ لا يؤذنون لك بالدخول الى الدير •

فاعطاه الرسالة وذهب بها داغوبير الى الاب جيروم وقرأ فيها ما يلي :

سيدي

« انك قد شفيت فيما مر بك من ادوار الحياة وغفرت لمن اساء اليك وقد قلدك الله سلطة العفو عن التائبين فاحضر في الحال لسماع اعتراف ابي المنكود فانه على فراش الموت » •

اورور

فمرت غمامة كثيفة بمخيلة الاب جيروم فان هذا الرجل المشرف على الموت هو الذي تزوج كريتشن تلك الفتاة التي طالما احبها الرئيس في عهد شبابه والتي دعاه حبها الى الدخول في سلك الرهبان والانقطاع لخدمة الله•

غير انه ذكر انه بات الان من رجال الله فنسي الماضي وغفر لمن اساء وقال لداغوبير : اذهب يا بني فأعد لي جوادا وقل للرجل الذي جاء بالرسالة اني متأهب للرحيل •

وبعد ذلك بساعتين كان الاب جيروم جالسا عند سرير الشفاليه دي مازير والد اورور يسمع اعترافه وعلى

وجهه علامات الموت الكاذب •

وقد طال اعترافه فلما انتهى دخلت اورور فرأت الاب جيروم تنهل الدموع من عينيه وقد خدع باعتراف الشفاليه وصدق حديثه الملفق فتأثر منه كل التأثير •

اما الشفاليه فانه كان يقول بصوت خافت : حبذا لو فسح الله في اجلي بضع ساعات فأرى ابنة امرأتي كريتشن•

فتأثر الاب جيروم لهذا التوسل وقال لاورور : تعالي معي فلا يجمل بنا ان نرفض آخر ما يطلبه التائبون ، تعالي معي وعودي الى ابيك باختك حنة •

عندما انصرف الاب جيروم واورور وخلا المكان بالشفاليه نفض عنه غبار الموت وضحك ضحك الساخر وهو يقول اني لا اموت ايها الاب المحترم قبل ان تصبح حنة وثروتها في قبضة يدي •

• • •

ولنعد الان الى قصر بوربير فقد مضت ثمانية ايام على الحوادث التي بسطناها دون ان يغير الكونت لوسيان الخطة التي نهجها بازاء امه •

ولقد تركنا لوسيان يهتم بنقل صديقه الشفاليه الى منزله فان هذا الشفاليه لم تقتله رصاصة الاحدب وقد قرر الاطباء بعد اخراج الرصاصة ان لا خطر على حياته •

بعد ان اطمأن لوسيان على صديقه جعل يضيع اوقاته بالصيد ولم يعد الى منزله فانه هجر امه بعد ان وقف على

سر جريمتها ولم يعد الى القصر •

اما الكونتس فقد كبر عليهـا هذا الفرار وذعرت لما رأته من اصرار ولدها على فراقها واحتقارها فارسلت اليه ام تنوان تستعطفه بغيـة ارجاعه الى امه فطردها اقبـح طرد وابى ان يسمع حديثها •

واما تنوان فانها لـم تكترث لغضبه وعادت الـى القصر تهتم في تدبير الاستيلاء على المال المدفون فكان اول ما فعلته انها جعلت بستاني القصر جاسوسا على الشفاليه دي مازير •

وقد ارسلته الى قصره ثلاث مرات فاخبرها في المرة الاولى ان الشفاليه على فراش الموت وفي المرة الثانية انـه لم يمت وان الرجاء معقود على شفائه وعاد اليها في المرة الثالثة يحمل خبرا اضطربت له تنوان وهو ان ربيبة الدير التي كانت مقيمة عنـد داغوبير باتت تقيم الان فـي قصر الشفاليه مع اورور •

وعند ذلك ادركت تنوان كل الامر واخبرت والدة لوسيان بما جرى فذعرت وقـالت : لا شك ان الشفاليه اشد منا دهاء فانه خدع الجميع مبتدئا بابنته •

فقالت لها تنوان ولكنه لم يخدعنا •

ـ انه لا يخدعنا فقط بل انه يعبث بنا فقـد اعترف للاب جيروم اعترافا كاذبا حمله على المجيء بحنة اليه وبتنا في عرف ذلك الراهب من القتلة الاشرار وهو مـن الابرار

الصالحين •

فهزت تنوان كتفيها وقالت : ماذا يضرنا ان يعتقد الاب جيروم بذلك ؟

ـ ويحك ما هذا الاطمئنان الم تقولي لي ان حنة عند الشفاليه ؟

ـ نعم ولكن الخاتم عندنا وسيكون لنا المال •

ـ ولكننا لم نقبضه بعد •

ـ لا بد من الاستيلاء عليه ما زلنا نعلم محل الصندوق •

ـ ولكن يجب ان نسافر الى باريس •

فأجابتها النورية بملء السكينة : اذن نسافر •

وقد ذهلت الكونتس لما رأته من سكينة تنوان واطمئنانها فقالت لها : اني تعودت ان اثق بك كل الثقة ولكني اخشى ان تكوني مخطئة هذه المرة • ـ كيف ذلك ؟

ـ ذلك ان داغوبير قد سود الخاتم كي لا يستلفت اليه الانظار وهو ما يدل انه واقف على سر ما فيه •

ـ ا نذلك قد يكون •••

ـ اذن من يضمن لنا ان داغوبير لم يسافر الى باريس؟

ـ انا فقد رأيته في دكانه في هذا الصباح •

ـ والاب جيروم ؟

ـ انه لا يزال في ديره وانا اعرف السبب في عدم ذهابه •   ـ ما هو ؟

ـ هو ان الشفاليه قد اتقن تمثيل دوره حتى اعتقد

الاب جيروم وداغوبير واورور انه لا خوف من البقاء الى ان يتعافى وعلى ذلك فلم يبق لنا الا ان نسبقهم الى باريس.

ــ ولكن أنستطيع ذلك ؟

ــ من يمنعنا ؟ ــ ولدي لوسيان .

ــ ان لوسيان لا يعرف شيئا حتى انــه يجهل وجود الصندوق .

ــ ذاك ولكنه قد يتبعني الى باريس متى علــم اني ذهبت اليها .

فابتسمت النورية وقالت : ان الامر على عكس مــا ترينه فليس لوسيان الذي يتبعنا الى باريس بل نحن الذين تتبعه . ــ اني لم افهم ما تقولين .

ــ اذن اصغي الي واتبهي لما اقول فان لوسيان رأى ابنة عمــه اورور فاخبرته ان حنة اختهــا وان امها ماتت مسمومة واننا نحن الذين قتلناها ولذلــك وجب علينا ان تنزع من مخيلة لوسيان هذه الفكرة .

فظهرت علائم السرور على محياها وقالت : اتستطيعين ذلك ؟ ــ دون شك . ــ بأية طريقة ؟

ــ ذلك سر من اسراري ولكن قبل ذلــك يجب ان يبقى لوسيان يحتقر امه .

فارتعدت والدة لوسيان وقالت: ان سكينتك تروعني.

فابتسمت النورية تنوان وقالت : اني لم أتم حديثي بعد فان لوسيان مخلص اشد الاخلاص لصديقه الشفاليه

دي فولون وهو ينتظر شفاءه او موته • ــ لماذا ؟

قالت لانه يأنف ان يغادر صديقه في حالة الخطر وهو انما جرح في سبيله فاذا شفي من جرحه فارقه وسافر لا محالة • ــ الى اين يسافر ؟

ــ الى باريس فينخرط في سلك الجندية •

ــ اتظنين انه ينوي هذه النية •

ــ بل أؤكد فان جواسيسي لا تخفاهم خافية من امره وهو يعتقد الان ان امه مجرمة فلا يقيم معها •

ــ كيف حال الشفاليه ومتى تظنين ان لوسيان يسافر ؟

ــ انه يسافر الليلة او غدا فان الشفاليه نجا من الخطر•

فوضعت الكونتس رأسها بين يديها وقالت : رباه ما هذا المصاب •

فقالت لها تنوان اي مصاب هذا الا تعلمين ان سفره يضمن لنا نجاح مشروعنا • ــ كيف ذلك ؟

ذلك انه اذا سافرت بعد ابنك يعلم جميع الناس ومنهم والد اورور انك مسافرة في اثر ابنك لارجاعه فلا يخطر لهم الشك في بال واما اذا سافرت دون ان يكون لك هذا العذر فان سفرك ينبه الافكار فيسرعون في السفر للبحث عن الصندوق •

ــ انك لست بشر وما انت الا شيطان رجيم •

فانحنت تنوان كأنها تشكرها لهذا الاطراء وعند ذلك طرق الباب ودخل الخادم يحمل رسالة الى الكونتس فاخذتها

منه وفضتها بيد تضطرب اذ عرفت ان الخط خط ولدها وقرأت فيها ما يأتي :

« يرى الاطباء ان الشفاليه دي فولون نجا من الخطر فلم اجد بعد ذلك ما يضطرني الى ملازمته وعولت على مبارحة هذا المنزل الذي نشأت فيه والتخلي عن ثروة لا اعلم مصدرها .

« ان جميع الذين عرفوا ابي يؤكدون لي انه كان رجلا نبيلا شريفا وارجو ان اكون ورثت شيئا من اخلاقه وفضائله فاستطيع الارتزاق بفضل هذه الاخلاق .

« يا اماه اني مسافر الليلة الى باريس وقد اعيش فيها فقيرا ولكني اعيش نبيلا فليس الفقر عيبا من العيوب » .

ولدك لوسيان

فهزت تنوان كتفيها وقالت : ساعيده اليك على ما تريدين متى آن الاوان اما وقد سافر فلم يعد لنا بعد من السفر .

وفي اليوم التالي علمت تنوان ان لوسيان قد سافر في الليل فقالت للكونتس : هلم بنا فقد بات الصندوق لنا .

* * *

ولنذهب الان الى باريس فنقص ما جرى فيها من حوادث هذه الرواية .

ان افكار الفلاسفة ومباديء طلاب الحرية كانت قد انتشرت في ذلك العهد حتى في القرى وسكان الحقول

فشمخ اهلها بانوفهم بعد ان عاشوا اعواما طويلة خاضعين لاستبداد النبلاء ورجال الدين كما رأيت من مقاومة داغوبير الكونت لوسيان وعدم اكتراث ذلك الفلاح بالكونتس اورور •

غير ان تلك الظواهر على شدتها في بلاد الريف لم تكن شيئا مذكورا بالقياس الى ما كان يجري في باريس فان اهل الريف كانوا يدافعون عن نفوسهم فيدفعون الشر بالشر واما اهل العاصمة فانهم كانوا ينفخون روح الثورة فكانت الشوارع تغص كل ليلة بالخطباء ورجال الفتنة فيحتشدون في كل مكان ويهينون الجنود والجندرمة ويشكون الملك والملكة •

ولكن الباريسيين على اتفاقهم في الميل الى الحرية والغاء الاحكام المطلقة لم تعدم الملكية بينهم انصارا من الطامعين بالرتب والالقاب والتقرب من النبلاء الى غير ذلك من الغرور •

وان بين اولئك الطامعين ومعظمهم من الذين اثروا من التجارة امرأة تدعى مدام بليزوت اغتنت حين بلغت الخمسين من عمرها من تجارة الصوف واقتصرت على السعي لجعل ولدها الوحيد في مصاف النبلاء وهو شاب في الثلاثين من عمره يدعى قيصر •

وكانت والدته من اهالي فوكربون ولابيها رئاسة ووجاهة وقد مات عنها بعد ان ذهبت الخسائر بامواله

فتزوجت بيليزوت فمات عنها وعن ولدها وترك لها ثروة عقارية في باريس ٠

وكانت سعيدة مع ولدها عائشة عيش بسطة ورخاء غير انها كانت تقول ان اصلها من النبلاء وان الاقدار جارت عليها فاضطرت الى العيش مع العامة والاختلاط بالتجار فلما بلغت الخمسين من عمرها لم يبق لها في الوجود غير مطمع واحد وهو ان تستبدل اسم ولدها باسم عائلتها لانها من النبلاء وتزويجه من اهل الحسب والالقاب ٠

ولم تكن عارفة بشيء مما يحدث حولها من ثورة الافكار بل كانت تحسب انها لا تزال في عهد الحكم المطلق وسلطة الاشراف ٠

وقد ذهبت الى رئيس الوزارة والى رئيس اليسوعيين والى الوكيل العمومي تتلمس مساعدتهم في استبدال اسم عائلة والدها باسم عائلتها فرفض الوزير مقابلتها وسألها الوكيل مبلغا لا تستطيع دفعه وذكر لها رئيس اليسوعيين كثرة من لديه من الرهبان وحاجتهم الى الاتفاق فرجعت عنهم وجعلت تذهب كل يوم احد الى فراسيل فتقف في طريق الملك عند مروره بموكبه وتصيح بملء صوتها ليحيى الملك ولكن الملك كان يمر دون ان ينتبه اليها ٠

وقد ربت ولدها على مبادئها فلم تؤثر عليه تلك المبادىء الجديدة التي غرستها في نفوس الفرنساويين كتابات روسو وفولتير فكان معروفا بين اخوانه بتشيعه

للملكية حتى ان اصحابه كانوا يقولون لو كان الناس على افكار بليزوت وامه لما خرجت الحرية من عقالها ولكسر الفلاسفة الاقلام .

على انه مع فرط تشيعه لم ينل ما كان طامعا بنيله فلبث ثابتا على مبدأه مع امه باعلال النفس بالآمال .

وكانا يقيمان في منزل كائن في وسط الشارع ازاء قصر قديم مهجور لم يسكنه احد منذ خمسة عشر عاما .

وقد كان هذا القصر لاميرة المانية تدعى البرنسس هيلانة ثم انتقل بالارث الى رجل نبيل من الفرنساويين فورثته عنه سيدة فرنساوية نبيلة لم تكن تقيم في باريس وكان بليزوت يفتح نافذة غرفته في كل صباح فيسرح نظره في حديقة القصر الغناء حتى اذا استقر بصره على باب القصر نفسه عض الحسد قلبه اذ كان يرى اشارة النبلاء مرسومة فوق ذاك الباب فيود لو خسر نصف ماله على ان تكون له مثل هذه الشارة .

وقد علل نفسه بامنية كان يرجو بها ان ينال ما يريد وهي ان صاحبة هذا القصر لا بد ان تحضر يوما اليه وانه شاب جميل فاذا رأته فانها تهواه دون شك وتعينه على ادراك بغيته من نيل القاب الشرف فكان اذا خطر له هذا نظر في المرآة نظرة اعجاب وفتل شاربيه متباهيا بجماله واثقا من سلطانه على قلوب النساء .

فاتفق ذات يوم انه فتح نافذة غرفته في الصباح

حسب العادة فاصفر وجهه واضطربت رجلاه فانه رأى عند باب القصر مركبة سفر ضخمة يجرها ثلاثة جياد فأيقن ان امانيه قد تحققت وان صاحبة القصر قد عادت وانه لا بد ان تعلق في شرك هواه فوقف في نافذة غرفتـــه لا يفارقها رجاء ان يرى صاحبة القصر •

وقد لبث واقفا عدة ساعات لا يمل ولا يصرف نظره عن القصر دون ان يرى احدا الى ان دنت ساعـــة ارتياحه وفتحت نافذة في احدى غرف القصر فدهش ورجع خطوة الى الوراء •

ذلك انه رأى امرأة قد برزت من تلك النافذة وعلم من ملابسها انها من الخادمات ولكنه قال في نفسه : انـــه متى وجدت الخادمة وجدت السيدة ولا بد ان اراها •

وعاد الى الصبر والانتظـــار حتى انتصف النهـــار فانفرجت كربته وفتحت نافذة اخرى فظهرت له امرأة تبلغ الاربعين من العمر وهي بملابس تدل على انها صاحبة القصر فسر سرورا لا يوصف وقال في نفسه : لقد بدأت آمالي تتحقق •

ولكنه عاد الى التفكير فقال : اني لا ادرك رجائي الا بشرطين احدهما ان تحبني هذه المرأة الحسناء والثاني ان تكون ارملة اما انها تحبني فذلك لا ريب فيه فان النساء النبيلات يعشقن الجمال وقد شهد لي نساء الحي اني اجمل رجاله ، واما انها ارملة فذلك ما ارجوه فاني لا ارى معها

رجلا .

اما تلك المرأة فانها وقفت هنيهة في النافذة لتستنشق الهواء ثم اقفلتها واحتجبت عن انظار قيصر فذهب توا الى امه فاخبرها بعودة صاحبة القصر وذكر لها اوصافها ومطامعه فيها فقالت له : لا ريب عندي يا ابني انها ستهواك فانهيئتك تدل على انك من الامراء وانت تشبه اجدادك النبلاء .

. . .

لا بد ان يكون قد عرف القراء ان هـذه المرأة التي رآها قيصر انما كانت الكونتس دي مازير والدة لوسيان فانها قدمت تلك الليلة الى باريس مع ام المكائد تنوان .

وكان سبب سفرها الظاهري التفتيش عن ابنها وقد اذاعت هذا الخبر قبل سفرها كي تحمل الشفاليه دي مازير على الاقتناع بهذا السبب المعقول فلا يسيء بها الظن ولا يدرك شيئا مـن مقصدهـا الخفي وهو الاستيلاء علـى الصندوق .

وقد سافرت مع النورية وكان دخولهما باريس بعد منتصف الليل فذهبتا الى ذلك القصر الذي ولدت فيـه كريتشن بنتها حنة وهذا القصر كان للاميرة هيلانة فانتقل بالارث الى زوجها الكونت مازير ثم كان من بعد وفاته من حصة لوسيان .

وكانت والدة لوسيان قد هجرته منـذ خمسة عشر عاما فلم يكن فيه غير حارسين وقد ذهلا حين رأيا سيدتهما

عادت الى القصر بعد ذلك الغياب الطويل •

اما والدة لوسيان فانهـا صعدت الى سريرها حين وصولها بغية الاستراحة وقالت لتنوان : غدا نبدأ الاعمال•

وفي اليـوم الثاني فتحت الكونتس عينيهـا فرأت النورية جالسة عند سريرها فقالت لهـا : اين كنت العلك الان صحوت ؟

ــ كلا فقد برحت القصر منذ الفجر ولم اعد الا الان•

ــ واين كنت ؟ ــ كنت استطلع اخبار لوسيان •

ــ العلك وقفت على شيء منها ؟

فابتسمت تنوان وقالت : دعي الان يا سيدتي حنوك على ولدك ودعينا نقتصر على البحث في شأن الصندوق •

ــ ليكن ولكني احب ان اعلم كيف وقفت على اخبار لوسيان وماذا علمت منها •

ــ ان الامر سهل فان لكل مقاطعة فندقا في باريس يقيم فيه القادمون منها وكنت اسمع الناس في المقاطعة التي جئنا منها غير فندق الاشجار فقلت في نفسي لا بد ان يكون لوسيان مقيما في هذا الفندق وقد اصاب ظني •

ــ اكان مقيما فيه ؟

ــ لقد كان فيه حين قدومه واما الان فانه ذهب الى فرسايل وهناك نجده حين نشاء •

فقالت لها الكونتس : ما هذه القسوة كأنك لا تعرفين عواطف الامهات ام لعل بعدك عن ولدك اضعف في قلبك

هذه العاطفة ؟

ـ بل قربي الصندوق والذي اراه انه يجب ان يقتصر حديثنا الان على المهمة التي جئنا من اجلها فقد اتينا للبحث عن الصندوق ويجب ان نجده •

ـ ان الامر سهل في الظاهر ولكنه في الحقيقة غير سهل • ـ انك مخطئة •

ـ كيف اكون مخطئة والعقبات ظاهرة فان راوول لم يخبر الاب جيروم في الورقة التي اودعها في الخاتم الا عن امر واحد وهو ان المنزل الموجود فيه الصندوق كائن في شارع اباي ، اي الشارع الذي نحن فيه ، ولكن كيف لنا ان نعرف هذا المنزل ؟

ـ اننا لم نكن نعرفه بالامس ؟ ـ وكذلك اليوم •

ـ انك انت لا تعرفينه اليوم •

ـ كيف ذلك العلك تعرفينه انت •

قالت : ان الذاكرة قد تصل احيانا ولكنها لا تلبث ان تسترشد ألا تذكرين انه حين كانت كريتشن مقيمة في هذا القصر الذي نحن فيه كان الحارسان وهما راوول والذي يدعى اليوم الاب جيروم مقيمين في هذا المنزل المقابل للقصر

ـ ولكن يوجد منزلان بازاء القصر ففي ايهما كانا ؟

ـ في المنزل الايمن • ـ في اي دور منه كانا يقيمان ؟

ـ في الدور الثاني ولم يكن لغرفتهما غير نافذة واحدة •

ـ ولكن لا يكفي ان نعرف الغرفة بل يجب ان ندخل

اليها • فقالت لها بلهجة الواثقة : ان ذلك سهل ميسور •

ــ اوضحي يا تنوان فاني لا افهم ما تقولين •

ــ اني بحثت في هذا الصباح وانت لا تزالين نائمة عن هؤلاء الجيران فوقفت علـى حقيقة احوالهم فان هذا المنزل الموجود فيه الصندوق كان مـن قبل فندقا فكان الحارسان يقيمان فيه ثم اشترته امرأة تدعى مدام بليزوت•

ــ من هي هذه المرأة ؟

ــ هي امرأة لا هم لها في الوجود الا ان يكون ابنها في مصاف النبلاء فهي تبذل الجهد للتقرب من اهل النبل بحيث لا يمضي هذا اليوم حتى ترينها قادمة لزيارتك •

وكانت الكونتس قد فتحت عنـد ذلك نافذة الغرفة واتكأت عليها في حين ان النورية كانت جالسة في الزاوية تحدثها •

وكان قيصر ينظر الى الكونتس في ذلك الحين فقالت تنوان : انظري انظري اليه يا كونتس فهذا هو •

فاقفلت الكونتس النافذة بعـد ان نظرت الى قيصر وقالت لتنوان : من هو هذا ؟

ــ ابن مدام بليزوت وقد تذكرت الان ذكرى بعيدة وهي ان كريتشن ولدت حنة في هذه الغرفة التي نقيم فيها الان •

ــ هو ذاك •

ــ وقد ذكرت الان انه بعد ولادتها امر الطبيب ان تفتح جميع النوافذ لتجديـد الهـواء فلما فتحناها رأيت

راوول واقفا في هذه الغرفة نفسها التي يقيم فيها الان ابن بليزوت •

ـ اتظنين ان الصندوق في الغرفة ؟ ـ بل أؤكد •

فابتسمت الكونتس وقالت : اني لو كنت اصغر مما انا الان بعشرين عاما لدخلت المنزل كما اشاء •

ـ ولكنك من النساء اللواتي لا يذهب العمر بجمالهن • انظري الى مرآتك تجدي انك لا تزالين في نضارة الجمال وانا الضامنة انه لا يمضي يوم حتى يصبح هذا الشاب مفتون بك اذا اردت ان تفتنيه •

ـ اتظنين انه يقع في شركنا ؟

ـ دون شك فلا ننال الصندوق الا بفضله الم ترى كيف كان ينظر اليك ؟

ـ لقد اصبت يا تنوان فان نصب الشرك لهذا الفتى المغرور اقرب الطرق الى الصندوق •

ـ ونيل الصندوق اقرب الطرق الى مسألة ابنك فابديء بمغازلة هذا الفتى وعلي البقية •

• • •

على ان اماني قيصر لم تتحقق كما كان يتوقعه فان تلك الحسناء التي رآها من النافذة لم تجن بهواه كما كان يتوقع فقد مضى النهار كله دون ان تظهر له من النافذة او ترسل اليه رسول غرامها فصبر الى منتصف الليل وهو جالس عند النافذة يتوقع في كل حين ان تبرز له من خدرها ولكنه لم ير

نورا في القصر ولم تفتح النافذة .

وقد بقي على هذه الحال الى الساعة الثانية بعد منتصف الليل حتى غلبه النعاس فنام ولم يجل غرامه دون نومه كما يقول الشعراء :

ولما اصبح الصباح عاد الى النافذة فلم يرى احدا ولم ير تلك المركبة في الفناء فجمد الدم في عروقه وخشي ان تكون الحسناء قد سافرت .

وقد اعياه الامر فذهب الى امه وشكا لها حاله فقالت له بملء السكينة ، لا تيأس يا بني فانك اذا لم تظفر بهذه الحسناء ظفرت بسواها فانه يوجد كثير من ربات الجمال تتمنين ان يقعن في شرك غرامك والان ارجو ان تتعزى فاني سأخبرك بنبأ سار فاعلم انهم اذا لم يأذنوا لك ان تستبدل اسم ابيك باسم امك النبيل فقد اجد اسما نبيلا ادعوك به بالرغم عن الحكام وعن الملك نفسه .

فدهش قيصر وخشي ان يكون قد اختلط عقل امه فقال لها :

ـ كيف يكون هذا يا اماه ومن يستطيع ارغام الملك ؟

فابتسمت وقالت له : اصغ الي يا بني فاني سأحدثك بامر قديم يتصل عهده منذ عشرين عاما .

ذلك ان اباك كان في ذلك العهد لا يزال يشتغل بالتجارة .

وكنا قد اشترينا هذا البيت فكان الدور الاول يقيم

فيه احد القضاة وقد جعلنا الثاني غرفا متفرقة يقيم فيها الضباط والحراس .

ـ ما دخل هذه الحوادث يا اماه بما نحن فيه .

صبرا يا بني فاني لم اتم حديثي بعد فانه كان بين اولئك الضباط الذين يقيمون عندنا حارس جميل كنت اعتني به عناية خاصة .

وشهد الله انه لم يكن بيني وبينه ريبة فقد كنت من اوفى النساء لعهد ابيك غير اني كنت اتأثر لنظرات هذا الشاب الجميل فان عينيه كانتا تدلان على حزن عميق ولعله كان يتأثر لحالي حين علم انني تزوجت برجل من العوام .

وكان تأثري شديدا فاني والحق يقال لم اكن احتمل ان ادعى باسم بليزوت وانا ابنة دي فوكرسون .

فتألم قيصر لما رآه من احتقار امه لابيه وقال لها :

ـ لنعد الى قصة هذا الرجل الجميل .

ـ ان هذا الحارس اقام في منزلنا ستة اعوام وكان يقيم في الغرفة التي تقيم فيها انت الان .

ويظهر ان هذه الغرفة قد طابت له او ان له فيها ذكرى من ايام شبابه فانه يريد ان يعود اليها .

ـ كيف عرفت ذلك ؟ ـ انه كتب لي .

ـ متى ؟ ـ اليوم فهذا كتابه بيدي فخذ واقرأ .

فأخذ قيصر الكتاب منها وقرأ ما يأتي :

سيدتي العزيزة .

دخلت الى ارض فرنسا وبلغت الوطن العزيز منذ ساعة بعد غيابي عنه خمسة عشر عاما .

اني اكتب اليك الان من الهافر بعد ان عدت من الحرب الاميركية فلم اعد بثروة من تلك البلاد النائية بل عدت بحسامي وهو كل ثروتي .

انه سيعين لي راتبا يكفيني دون شك لاني لست من الاشراف واظن انك لا تزالين تؤجرين الغرف في منزلك للضباط .

فاذا كان ذلك وكنت لا تزالين في منزلك القديم في شارع اباي فارجو ان تخصصي لي غرفتي القديمة فاني سأصل اليكم بعد عشرة ايام .

وفي الختام اقبل يديك وارجو ان اراك قريبا بخير وعافية . راوول دي موليير

فلما قرأ قيصر الكتاب نظر الى امه وقال لها : اظن يا اماه انك ستجيبين هذا الضابط النبيل انك اعتزلت الاعمال فلا تؤجرين الغرف في منزلك .

— بل سأفعل عكس ذلك فاعد له تلك الغرفة وانقل اثاثها القديم .

فدهش قيصر وقال لها : كيف يكون ذلك يا اماه ؟

— ان راوول دي موليير سيعود بعد عشرة ايام فأستقبله بكل ترحاب . — ولكن ..

فاعترضته قائلة : بل سأدعوه الى الاشتراك معنا

بالمعيشة فانه فقير ونحن اغنياء وهو قد تجاوز عهد الشباب فلا بد ان تغره العيشة العائلية وتستغويه •

ـ اني لم افهم بعد ما تقولين •

ـ ان راوول يعلم اني ابنة دي فركسون اي اني من اهل النبل فمتى علم ان اباك قد مات واني بت ارملة غنية اعرض عليه ان يتزوج بي •

فدهش قيصر وقال :

ـ اهو يتزوجك ؟

ـ دون شك •

ـ وماذا تقصدين بالزواج وقد بلغت الخمسين ؟

ـ اني متى تزوجته وتسميت باسمه واشترطت عليه ان يتبناك فيصبح اسمك قيصر دي موليير وتبيت نبيلا بالرغم عن الملك نفسه فان الملك لا يستطيع منع راوول من ان يتبناك •

فسر قيصر سرورا لا يوصف بهذا النبأ وقال :

ـ بقي علينا يا اماه ان يرضى راوول بهذا الزواج •

فابتسمت وقالت : ان للمال يا بني السلطان المطلق فهو يقضي كل امر ويحل كل عويص •

على ان هـذا الرجاء الذي غرسته الارملة في نفس ولدها لم يعزيه عن احتجاب تلك الحسناء التي رآها من النافذة فعاد اليها واقام طول ذلك النهار فلم تظهر له وبقيت نوافذ القصر مقفلة •

وعند المساء ذهب الى قهوة في جوار منزله تدعى قهوة « ملك بروسيا » وهي قهوة يجتمع فيها اصحابه

فجعل يسلي النفس بلعب البلياردو ومنادمة اصحابه ترويحا لهمه فان والدة لوسيان شغلت فؤاده اكثر مما شغلت امه عقله بما كانت ترجوه من راوول •

وقد بقي في تلك القهوة الى منتصف الليل فخرج منها بعد ان تفرق الناس وسار في طريق منزله وهو مفكر مهموم مطرق برأسه الى الارض لا ينظر الى شيء •

وما زال يسير حتى دخل في شارع اباي وهناك نظر الي القصر نظرة الفاحص فاختلج واضطرب لانه رأى نورا ينبعث من خلال ستائر تلك النافذة التي كانت والدة لوسيان واقفة فيها حين رآها •

وعند ذلك وقف في نصف الطريق وهو مضطرب القلب لا يجيل نظره عن تلك النافذة •

وكان الشارع مقفرا وجميع السكان نيام منذ ساعة ففحص الطريق وايقن انها مقفرة فجعل يسير ذهابا وايابا تحت تلك النافذة فيرى من حين الى آخر خيالا يبدو له من خلال الستائر فيضطرب قلبه ويقول انها هي بعينها يخال لي انني اراها •

وبينما هو على هذه الحال سمع وقع اقدام خفيفة الوطء من ورائه ثم شعر ان يدا لمست كتفه •

فالتفت فرأى امرأة وهي تلك المرأة التي رآها اول مرة من النافذة قبل ان يرى الكونتس دي مازير فحسبها من خادمات القصر •

وكانت هـذه المـرأة تنـوان فابتسمـت لقيصـر ابتسام الابالسة وقالت له : ارى ايها الفتى انك من العشاق .

فاحمر وجه قيصر وتمتم بكلمات لا تفهم بعيدة عـن الجواب اما النورية فانها لبثت تبتسم فقالت له :

ـ العلك ممن يكتمون الاسرار ؟

فتشجع قيصر لقولها اذ كان يعتقد انها خادمة مـن يهواها وقال دون شك :

ـ اذن عد الى منزلك ونم الليلة وفي الغد اذهب الى القهوة التي تعودت ان تذهب اليها كل ليلة أي الى قهوة ملك بروسيا .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ انك تجد فيها كتابا باسمك فاذا جريت بالتدقيق على ما يكتب لك فيه تصبح سعيدا بنيل ما تبتغيه .

وعند ذلك حيته ثم افترقت عنـه فدخلت الى القصر واقفلت الباب .

* * *

٢٥

فرح قيصر

اما قيصر فانه دخل الى منزله والفرح ملء قلبه ولولا ما اوصته به النورية من الكتمان لايقظ امه واخبرها بما اتفق له فان الفرح كاد يضل صوابه .

فلما دخل الى غرفته اسرع الى النافذة ففتحها ونظر الى نافذة غرفة القصر فوجد ان النور قد احتجب عنها وانها اقفلت فقال في نفسه انها صعدت الى سريرها وهي الان تفتكر بي دون شك .

ثم خلع ثيابه وهو في كل مرة ينظر الى المرآة معجبا مبتسما لما وهبه الله من الجمال ثم يفتل شاربيه مترنحا من الاعجاب ويقول في نفسه : لله دري ما اقدرني على اجتذاب قلوب النساء .

وبعد ان فرغ من خلع ملابسه صعد الى سريره وبحث بحثا طويلا فيما سيفضي اليه امره فاستنتج بعد التفكير ان هذه المرأة النبيلة باتت متولهة به وانها ارملة وانه اذا احسن التصرف تزوجها قبل ثلاثة اشهر فانه قرأ مائة قصة غرام فما قرأ حكاية عاشقين الا رأى انها تنتهي على ما يرومان .

وهنا جعل يعيد في ذاكرته كل ما قرأه من سير اهل

الغرام فذكر العذال والمزاحمين وما يحول دون العشاق ومكر اهل الشر غير انه كان يذكر ان الشر لم يكن يحيق الا بأهله وان العاشقين يخرجان من معارك الغرام بالنصر المبين .

ولذلك راعه انه لم يجد مزاحما في من يحب ولم يلق عثرة في سبيل هواه فلم يرق له هذا الحب وتمنى لو تخلله شيء من الصعاب فجعل يفكر عله يصادف مشكلة فخطر له راوول وقال في نفسه ان هذا الرجل بات شيخا وهو اذا تزوج امي عاش بيننا فنغص علي غرامي وكدر عيشي وربما كان السبب في التفريق بيني وبين من أهواها .

وفي الاقوال السائرة ان الحب والكره لا بد ان يمتزجا في كل نفس وقد اتفق ذلك لقيصر فانه أحب الكونتس دون ان يكلمها او يسمع صوتها حبا شديدا فتولد عن هذا الحب الغريب في نفسه كره شديد لراوول في حين انه لم يره بعد ولم يسمع به قبل الان .

على انه بالرغم عن غرامه وعن ذلك السرور الذي كاد يذهب بعقله تغلب النوم عليه فنام ولم يحلم بمن يحب فلما استيقظ خجل من نفسه اذ يعهد بأهل الغرام ان لا يشغلوا عمن يحبون ولو في المنام .

وكان اول ما فعله انه اسرع الى النافذة واطل منها فوجد نافذة الحسناء لا تزال مقفلة ولكنه رأى نافذة مفتوحة في غرفة اخرى من القصر ورأى منها تلك النورية التي كلمته بالامس وهي واقفة تنظر اليه .

فحياها قيصر وابتسم لها الطف ابتسام فكان رد التحية انها وضعت اصبعها على فمها اشارة الكتمان وانصرفت .

وكان من عادته ان يذهب كل يوم قبل الظهر الى تلك القهوة ليقرأ كل ما فيها من الجرائد ثم يعود بعد الظهر فيلعب كل ما تحتويه من الالعاب لانه كان يعتقد ان اصله من الاشراف ومن كان من اهل النبل لا يخلق به ان يشتغل .

فذهب توا الى تلك القهوة ولما وصل اليها حيا صاحبها ووقف امامه على رجاء ان يكون ورد اليه كتاب باسمه ولكن صاحب القهوة حياه حسب العادة ولم يعطه شيئا فذهب الى قاعة الجرائد وجعل يقرأ الى الظهر وهو يذهب من حين الى حين الى صاحب القهوة ويسأله عن بعض اصحابه دون ان يجسر على سؤاله عن الكتاب فلا يدفع له الرجل شيئا فيعود الى القراءة حتى قرأ تلك الجرائد اربع مرات وانصرف الى البيت قانطا من ذلك الكتاب .

اما امه فان سرورها لم يكن ينقص عن سرور ابنها فانها كانت تعلل نفسها بالزواج براوول وتقول انه كان من حراس الملك فلم يكن يذكر حقيقة لقبه ولكنه دون شك كونت او مركيز على الاقل فاذا تزوجته اصبحت كونتس او مركيزة وغفرت للدهر اساءته الي بتزويجي رجلا من العوام .

وجلس قيصر مع امه على مائدة الطعام وقد احتفظ بما اوصته به النورية فلم يبح لامه بشيء كذلك امه فقد رأت ان ولدها لم يرق له هذا الزواج فلم تحدثه بأمانيها وأتم الاثنان

طعامهما دون ان يتكلما •

ولما فرغا من الطعام عاد قيصر توا الى القهوة فالتقى بصاحبها ولم يدفع له الكتاب المنتظر •

وكان اصحابه قد اخذوا يتوافدون الى القهوة فعرضوا عليه العابا مختلفة ولكنه كان يعتذر متعللا بالقراءة فقرأ الجرائد التي قرأها في الصباح خامس مرة دون ان يذكر شيئا مما قرأه لانشغال باله بذلك الكتاب •

وما زال على ذلك وهو ينظر الى الباب من حين الى حين حتى دقت الساعة الخامسة فعيل صبره وخشي ان تكون تلك النورية هازئة به فعول على الانصراف •

وعند ذلك رأى موزع البريد قد دخل وذهب توا الى صاحب القهوة فدفع اليه كتابا •

فنادى صاحب القهوة قيصر وقال له :

ـ هذا الكتاب لك يا مسيو بيلزوت •

فكاد قيصر يطير من فرحه واسرع الى صاحب القهوة وهو على اشد حالة من الاضطراب حتى انه قلب المنضدة دون ان ينتبه اليها • حتى اذا وصل الى صاحب القهوة اخذ منه الكتاب بيد ترتجف وخرج لفوره من القهوة فذهب الى عطفة مقفرة وفض الكتاب فقرأ فيه ما يأتي :

ان التي تكتب اليك هذا الكتاب هي تلك المرأة التي كلمتك ليلة امس فاعلم ان سيدتي من أعظم النبيلات جاها وقد رأتك فراقها جمالك واحبت ان تظهر لك اعجابها بجمالك من

فمها الى فمك ولكن اين وكيف؟ ان سيدتي على كونها ارملة حرة فانها لا تخلو من الظلم والمراقبة فانه لا يوجد لقصرها غير باب واحد والبواب لا يفارقه لا في الليل ولا بالنهار •

« وفوق ذلك فانها لا تريد ان يقف احد من خدم القصر على شيء من اسرارها •

« اما انا فاني وصيفتها وكاتمة اسرارها وقد علمت بعد البحث الدقيق ان امك تنام في الساعة العاشرة وانها تبيت في الدور الاول من المنزل كما انك تبيت في الدور الثاني وان لديكما خادمتين تبيتان مع امك وتنامان حين تنام وان لديك مفتاحا خاصا فلا يشعر بك احد حين تدخل الى منزلك متأخرا في الليل • فاذا كنت من اهل الظرف والكياسة والادب كما نعتقد بك تقبل ما اقترحه عليك •

« اما اقتراحي فهو ان تذهب الى فندق السراي الملكية وهو من فنادق العاصمة فتوصي فيه على عشاء فاخر وخمر معتقة يرسلان اليك في الساعة الحادية عشرة • « ثم تضع المائدة في غرفتك دون ان يشعر احد بما تصنع وتنتظر •

« وعند منتصف الليل تقف مركبة عند باب منزلك وتكون سيدتي الكونتس فيها عائدة من الاوبرا فتسرع وتفتح لها باب المنزل » الامضاء

التي لمست كتفك ليلة امس واوصتك بالكتمان

فلما أتم قيصر تلاوة الكتاب لم يسر به ولم ييئس منه اما عدم سروره فلانه كان يرجو ان يسفر هذا الغرام عن

الزواج فرأى ان هذه المرأة تريد ان تسري به واما عدم ابتئاسه فلانه راق له ان يتعشى مع امرأة نبيلة حسناء وكان عزاؤه ان تلك الحسناء قد هامت بجماله فكانت البادئة في مقابلات الغرام .

ولذلك رأى انه لا بد له ان يجري على ما اوصى به في هذا الكتاب فصبر الى ان نامت امه وخادمتاها فذهب الى الفندق واحضر العشاء والخمر الى غرفته .

ثم وقف في نافذة وجعل ينتظر دنو الساعة المعينة .

ولبث في موقفه الى ان انتصف الليل فسمع صوت عجلات مركبة تدوي فوق بلاط الشارع ثم رآها قادمة الى جهة القصر .

اما والدته فقد كانت نائمة وهي تحلم دون شك انها باتت مركيزة امرأة مركيز .

حتى اذا وقفت المركبة عند باب المنزل جعل قلب قيصر يخفق خفوقا شديدا ونزل ليفتح الباب والمصباح يكاد يسقط من يده لاضطرابه .

وكانت المركبة قد وقفت عند الباب كما قدمنا فلما فتحه رأى ان امرأتين قد نزلتا من المركبة وهما الكونتس وتلك الوصيفة النورية التي لم تكن تفارقها .

وقد استاء حين رأى تلك الوصيفة قادمة معها اذ كان يعتقد ان الكونتس تجيء اليه وحدها .

وكانت الكونتس متشحة برداء كبير يستر معظم وجهها

فاتكأت على ذراعه وشعر قيصر ان يدها تضطرب فاستنتج من تلك انها تهواه هوى أكيدا •

اما النورية فانها قالت له : أرأيت كيف وفينا بالوعد ؟

فقاطعتها الكونتس وقالت لها بصوت يتهدج : اسكتي فاني أخشى ان يستيقظ النيام •

وكانت تقول هذا القول بلهجة تشف عن الخوف الاكيد ثم ارادت اثبات خوفها فنفخت في مصباح قيصر واطفأته •

وعند ذلك ساد الظلام فتظاهرت بالاضطراب الشديد وقالت : رباه اني خائفة ثم التصقت بقيصر وتمسكت بذراعه كما يتمسك الطفل بأمه عند الخوف وقالت له : سر بي الى غرفتك ولا تترك يدي •

فسار بها قيصر حتى وصل بهما الى المكان المعد لسكناه في المنزل •

وكانت والدته بعد ان امتنعت عن تأجير الغرف في منزلها اصلحت ذلك المنزل اصلاحا كبيرا وخصصت الدور الثاني منه بولدها كما ابقت تلك الغرفة التي كان يقيم فيها راوول على حالها فلم تغير فيها غير اثاثها فكان قيصر ينام فيها •

غير ان قيصر لم يذهب بالكونتس الى تلك الغرفة بل دخل بها الى غرفة تجاورها كان قد جعلها قاعة للاستقبال فبسط فيها المائدة ووضع عليها العشاء وما جاء به من فاخر الخمور •

فلما فتح باب تلك القاعة ظهر النور عليها من مصباحين من الفضة كانا فوق المائدة فدخلت تنوان في اثرها واقفلت

الباب • أما قيصر فقد كان مضطربا اضطرابا شديدا حتى ان لونه قد امتقع واصفر وكذلك الكونتس فقد تظاهرت بمثل هذا الاضطراب فسقطت على كرسي وقالت : رباه ماذا صنعت وما هذا الجنون ؟

وكانت يد قيصر لا تزال في يدها فضغطت عليها وعند ذلك لم يجد ذلك الفتى كلاما يعرب عما كان يخالج فؤاده سوى كلمة قالها وهي : أحبك •

فأزالت الكونتس نقابها ورفعت وشاحها فظهرت لقيصر كأنها الهة الجمال فقد كانت تأنقت كل التأنق وزينتها تنوان أبدع تزيين حتى باتت تبدو للنواظر انها بنت ثلاثين وهي قد تجاوزت الخامسة والاربعين •

وقد كان الشيب خط شعرها غير ان تنوان صبغت شعورها البيضاء وكحلت عينيها وصبغت شفتيها بصباغ قرمزي فكانت تبدو في تلك الساعة لهذا الفتى المفتون كأنها افرغت في قالب الجمال • ومما زاد في جمالها لديه تأنقها في ملابسها فانها كانت عارية الساعدين الى الكوع منكشفة الصدر الى أعالي الثديين فكانت تبدو بشرتها الناصعة بعيني قيصر فيكاد يجن بجمالها ولا يجد كلاما يفصح به عن مكنونات فؤاده فينظر اليها واجما مأخوذا كما يجثو الكاهن امام رسم معبوده فيعبده دون ان ينطق لسانه بحرف •

وقد رأت الكونتس ان الرهبة الجمته وعقدت لسانه فوضعت يدها على رأسه وهو راكع امامها وجعلت تعبث

بشعره ثم نظرت اليه نظرة دلال وقالت : ما عساك تظن بي يا سيدي بعدما رأيت من تهوري ؟

فخفق فؤاده خفوق أجنحة الطائر وقال :

ــ اني لا احبك حبا يا سيدتي بل اعبدك عبادة .

فتداخلت تنوان عند ذلك بينهما وقالت : ان خير أحاديث الغرام ما كان على موائد الطعام بين كؤوس المدام فقوما الى المائدة اذا أحببتما .

فقالت لها الكونتس : أصبت يا تنوان ثم نهضت وانهضت قيصر الراكع عند قدميها فقدم لها ذراعه واجلسها على المائدة .

وبقيت تنوان واقفة للخدمة من ورائهما وقد اغتنمت تلك الفرصة فأخرجت من تحت ردائها صندوقا صغيرا وضعته في زاوية القاعة دون ان يراها قيصر فان جمال الكونتس ولطف حديثها شغلاه عن كل أمر .

وكان قيصر على فرط اندهاشه وانشغاله بجمالها خطر له خاطر استاء له بعض الاستياء وهو ان هذه المرأة النبيلة الحسناء لم تفعل هذه الفعلة للمرة الاولى ولا بد ان تكون قد استغوت قبله كثيرين من اهل الصبى والجمال غير انه تعزى عن ذلك ان اختيارها قد وقع عليه وانها عرفت قدر جماله فاختارته دون سواه من الشبان .

وكانت تنوان تملأ لهما الكؤوس وتحثهما على الشراب فكان قيصر يشرب ممتثلا وكلما شرب كأسا حلت عقدة لسانه حتى أزالت الخمر ما كان بفؤاده من الرهبة فلثم بعد الكأس

الاول يدها وبعد الثاني كتفها ودفعت الثالث الى تقبيل خدها فكانت الكونتس تدافع دفاعا ضعيفا يزيده جرأة الى جرأة بقدر ما كانت تزيد جرأته الخمر ؟

وما زالت تنوان تفتح الزجاجة تلو الزجاجة وتميل عليه بالشراب حتى تورد خده واحمرت عيناه فسقته كأسا وتوارت عن الانظار فذهبت الى الغرفة المجاورة للقاعة وتركت ذلك الفتى المغرور في خلوة مع الكونتس وقد بلغ الشراب منه كل مبلغ . وعند ذلك حاول ان يضمها الى صدره وهو يقول بلسان لعثمه السكر : احبك فدفعته عنها بلطف فركع وجعل ينظر اليها بعينين تتقدان سكرا وغراما .

اما الكونتس فانها ضحكت وقالت له :

ـ يظهر انك تحبني حقيقة ؟

فعقد لسانه ولم يجبها الا بعينيه .

وقد حاول ان يقف فلم يستطع فدنت الكونتس عند ذلك منه وقبلت جبينه فكان ذلك آخر ما شعر به هذا المنكود فانه أطبق عينيه وسقط على الارض لا يعي .

وعند ذلك فتح الباب وظهرت منه تنوان فقالت أقضي الامر ؟

فأجابتها الكونتس : لا ادري وأظنه نام من السكر .

ـ بل من المخدر ــ اتظنين انه لا يستفيق ؟

ـ دون شك فقد افرغت في الكأس الاخير الذي اسقيته اياه ما كانت تحتويه هذه الزجاجة .

وقد أرتها وهي تقول هذا القول زجاجة صغيرة فقالت لها الكونتس : ماذا كان يوجد في هذه الزجاجة ؟

ــ افيون وهو سينام ست ساعات علــى الاقل اذا اطلقت المدافع عند أذنيه لا يستفيق •

ــ ان هذه المدة تكفينا فيما أظن ثم اخرجت من جيبها دفترا ومن ذلك الدفتر تلك الورقة التي كانت في خاتم داغوبير وقالت : اني ارجو ان لا تخطيء ونجهد انفسنا عبثا•

أقرائي هذه الورقة تجدي الادلة صريحة •

فقرأت الكونتس بصوت منخفض هذه العبارة الخاصة بمحل الصندوق وهي : « ان صندوق الاوراق المالية ضمن الجدار وراء المستوقد في الغرفة التي كنا نقيم فيها » •

ثم نظرت الى تنوان وقالت : أهذه هي الغرفة التي نحن فيها أم التي تجاورها ؟

ــ بل التي تجاورها وهي التي ينام فيها هذا الفتى •

ــ اذن هلمي بنا فقد دنت ساعة العمل •

وعند ذلك تعاونت الاثنتان على حمل قيصر فوضعتاه فوق مقعد واخذت تنوان ذلك الصندوق الصغير الــذي احضرته معها وهو يحتوي على كثير من الآلات الصغيرة المتينة كالمبارد وغيرها وذهبتا الى غرفة قيصر وكانت النار حامية في الموقد بحيث لم تستطيعا العمل به فأخذت تنوان ابريق ماء فصبته فوق النار فأطفأتها وقالت للكونتس : لنبدأ العمل الان اذ يجب ان نفرغ قبل ان يستفيق هذا الابله •

٢٦
الكونتس

وعند ذلك اخرجت صندوقها وما كان فيه من العدات وبدات تمتحن ذا لك الجدار بالنقر عليه في مواضع مختلفة كي تعلم من الصوت المكان الخاوي فيه .

وقد فعلت ذلك بصبر عجيب فلم تدع مكانا في الجدار دون ان تنقر عليه حتى وصلت الى اسفله من وراء الموقد سمعت ان الصوت بان رنانا فابتهجت وقالت : هوذا بعينه .

ثم جلست على الارض وأخذت عدتها فبدأت بمعالجة حجر فانتزعته من الجدار وادنت مصباحها فظهر لها سبع سلاسل من الحديد معقوده بعضها ببعض كالزرد فقالت : ان الصندوق دون شك وراء هذه السلاسل ولكن دون قطعها مصاعب جمة فانها من الحديد الصلب .

فقالت لها الكونتس : ألا تعمل بها تلك المبارد ؟

ــ دون شك ولكني اخشى ان يطول الزمن ويستفيق هذا الابله قبل فراغنا . ــ اذن على ماذا عولت ؟

على العمل من قبيل التجربة فأما نفوز واما نعود بالخيبة .

ثم شمرت عن ساعدها واخذت مبردا دقيقا فادخلته بين الزرد وجعلت تبرد الحديد بهمة ونشاط فتمكنت بعد الجهد

العنيف قطع سلسلة واحدة من السلاسل السبع ونظرت في ساعتها فرأت ان هذا العمل قد استغرق ساعة وانه يستحيل عليها اتمام قطع السلاسل قبل ان يستفيق قيصر •

فتشاورتا في الامر واتفقتا على ان تتعاونا على قطعها فتشتغل كل منهما بمبرد بحيث تقطعان السلاسل الست الباقية بمدة ثلاث ساعات •

وكانت تنوان احضرت معها كثيرا من المبارد فأخذت الكونتس مبردا وجعلت تعاون تنوان على قطع السلاسل فكانت اذا اعياها التعب تركت المبرد وذهبت الى الغرفة الثانية لتفتقد قيصر وتعود الى العمل •

وقد لبثتا على هذا الجهد المتواصل اربع ساعات متوالية فلما قطعت آخر سلسلة صاحت الكونتس صيحة فــرح وصاحت تنوان صيحة يأس ذلك ان هذا الحاجز من السلاسل قد انكشف عن حاجز آخر وهو باب من الفولاذ لم تره الكونتس لاول وهلة • اما تنوان فانها ادنت المصباح من ذلك الحاجز وفحصته فحصا دقيقا فأيقنت ان كسره محال دون احداث دوي شديد •

ورأت الكونتس ما رأته فكادت تجن من يأسها وقالت :

ــ لقد اسقط في يدنا وذهبت امالنا ادراج الرياح •

وكانت تنوان قد قنطت قنوطها في البدء ولكنها كانت من أهل الدهاء والحيلة ففكرت مليا في الامر ثــم قالت للكونتس : ان سعينا الليلة في فتح هذا الباب محال اذ لا بد

لنا ان نفتحه بمفتاح خاص يدخل في ثقب قفله .

ــ ولكن اين نجد هذا المفتاح؟ ــ عند صانع الاقفال.

فذعرت الكونتس وقالت : ويحك يا تنوان أتمزحين في مثل هذا الموقف واين نجد الآن صانع اقفال؟ ــ نجده غداء.

وكيف نستطيع ان نعود غدا بعد ان خدرنا هذا الرجل في منزله وانتزعنا السلاسل والحجر من الجدار ؟

ــ اما السلاسل فيغطيها الحجر واما الحجر فنرده الى موضعه كما كان فلا يفطن له احد وراء الموقد .

ــ ولكن كيف أعود الى هذا المنزل غدا ؟

ــ انك لا تعودين اليه لانك ستلبثين فيه فاذا عملت بنصيحتي نلنا الصندوق في الليلة القادمة .

ــ اوضحي ما خطر لك فاني لم أفهم الى الآن ماتريدين.

اما تنوان فانها لم تجبها بل أخذت شمعة مضاءة واما لتها فوق صحن فسال الشمع فيه فأخذت ذلك السائل ووضعته فوق قفل باب الفولاذ حتى اذا جمد انتزعته وقد طبعت عليه صورة القفل .

وكانت الكونتس تنظر اليها دون ان تكلمها فأخذت تنوان قطعة الشمع فوضعتها في جيبها وقالت: سأنال المفتاح غداء.

ولكنك لم تخبريني كيف ابقى هنا وكيف نجتمع غدا ؟

فابتسمت النورية وقالت : سوف ترين ثم أخذت الحجر الذي انتزعته من الجدار فردته الى موضعه باتقان بديع بحيث لا يشك من ينظر اليه ان يدا قد عبثت به .

وعادت الى الكونتس فقالت لها : سوف ترين ان ما خطر لي صالح مفيد فاني ذاهبة الان من هذا المنزل • — وانت؟

— تبقين فيه • — ومتى استيقظ الفتى النائم ؟

— ان من ينام اثر سكره نوم تخدير يصدق كل ما يقال له وقد ابتسمت لها حين قالت هذا القول وغمزت بعينها فادركت الكونتس قصدها وقالت لها : لقد فهمت •

ان هذا الفتى يعلم يقينا ان سيدة لها منزلتك لاتستطيع الخروج من منزل شاب في رائعة النهار •

فقالت لها الكونتس : كفى يا تنوان لا تسهبي بالايضاح فقد ادركت كل القصد وهلمي الان تتعاون على نقل هذا الفتى الى سريره • فذهبت كلتاهما الى القاعة فحملتا قيصر الى غرفته ونزعتا ثيابه ثم وضعتاه في السرير •

ودنت تنوان بعد ذلك من الكونتس فعبثت بشعرها ونبشته وهي تضحك وتقول : ان هذا الابله سيحسب نفسه بعد ان يستفيق ويراك منبوشة الشعر انه بات من اعظم الرجال والان فان الفجر قد انبثق ولا بد لي من الانصراف •

اذن ستعودين هذه الليلة ؟

— دون شك • — ويكون معك المفتاح ؟

— ذلك لا ريب فيه فاني لا اعدم صانعا حاذقا امنحه ما يشاء من المال فيصنع المفتاح أتقن صنع •

— ولكن ماذا نصنع بعد ان تعودي ؟

— ما صنعناه الليلة أي اننا نسكر الفتى ونخدره ونبحث

عن الصندوق باطمئنان .

ــ كلا فاني ارتأي رأيا آخر.   ــ ما هو ؟

ــ هو ان أدع لوالدته مجالا للشك فادعه يتعشى معها.

ــ وبعد ذلك ؟

ــ وبعد ان يتعشى مع امه يذهب الى القهوة حسب العادة فيقيم فيها ساعتين او ثلاثا وهذا الوقت يكفينا للاستيلاء على الصندوق اذا كان المفتاح معك فنأخذه ونمضي .

انه رأي حسن وها انا ذاهبة الان .

ثم تركتها وانصرفت اما الكونتس فلما رأتها قد خرجت من المنزل دخلت الى القصر فأقفلت باب الغرفة من الداخل وقالت : يجب الان ان امثل دور امرأة تلم شرفها .

اما قيصر فان المخدر أثر به تأثيرا عظيما وبلغ منه فوق ما كانت تتوقعه تنوان فانه ظل نائما نحو عشر ساعات ولم يفتح عينيه الا بعد ان تعالى النهار وملأت الشمس غرفته .

فصحا ولكنه بقي بضع دقائق لا يعلم اين هو ولا يدري كيف حدث له كما يجري عادة للسكارى حين يستفيقون بعد سكر شديد . وقد جعل في البدء ينظر نظرات بلاهة الى ما حوله ثم أخذ يتذكر شيئا فشيئا ما جرى له في الليل فذكر ليلته وانه كان على مائدة واحدة مع الكونتس في الغرفة المجاورة لغرفة نومه .

وعند ذلك تنهد واستوى جالسا في سريره فرأى في زاوية الغرفة تلك الكونتس وهي منبوشة الشعر خالعة بعض

ملابسها وهي تعض يديها وتبكي بكاء شديدا .

فدهش قيصر لما رآه ثم سمعها تقول بصوت خنقته العبرات دون ان تنظر اليه : رباه ماذا صنعت وما هذه الهفوة التي هفوتها !

فوثب عند ذلك من سريره اليها وركع امامها فجعل يقبل يدها ويقول : ما انت بشر يا سيدتي بل انت ملاك كريم .

اما الكونتس فانها ابعدته عنها برفق وغطت وجهها بيديها فقالت : ما صنعت بي وماذا عسى ان يكون مصيري ؟

وكان قيصر قد حلم طول ليله ان الكونتس كانت من حظه فلم يبق لديه شك ان الحلم كان حقيقة وانها كانت له في اليقظة لا في المنام .

ومما زاده يقينا بكاء الكونتس اذ لو لم يكن الامر كذلك فما يدعوها الى البكاء .

وعند ذلك رأى انه يكاد يكون عاريا فخجل واسرع فلبس رداءه وعاد اليها يقبل يدها ويناجيها الطف مناجاة .

اما الكونتس فانها مسحت دموعها وقالت له : رباه ما عسى ان يحل بي ؟

فلم يجبها على كلامها وقال لها بلطف أحبك .

ــ لا انكر ذلك ولكن كيف يتيسر لي الخروج من هنا قبل الليل

ــ تبقين

ــ وامك

ــ ان امي لا تأتي ابدا الى غرفتي

ــ والخادمات ؟

ــ اني امنعهن من الدخول اليها .

فتظاهرت الكونتس كأنها قد اطمأنت وتمت خطةتنوان على ما وضعتها فان الكونتس نفذتها بالتدقيق .

اما قيصر فانه شعر انه بات للكونتس نفوذ عظيم عليه فكانت تعبث به كما تشاء وهو طائع راض يوافقها في كل ما تريده .

وعند الظهر صعد الى امه لمناولة الطعام معها واكتفت الكونتس بما بقي من فضلات العشاء .

وكانت قد أتت الخادمة لاصلاح المنزل فقال لها من داخل الغرفة انه يقرأ روايةتشوقه ولا يحب انتزعجه بدخولها .

وقد حاول مرارا ان يعيد حلم الليل ولكن الكونتس كانت تقول له ان الاحلام لا تكون الا في الليل .

وعند المساء قالت له :

ــ يجب ان تتعشى مع امك. ــ كما تشائين .

ــ ثم تذهب حسب عادتك الى قهوة ملك بروسيا .

فنظر اليها نظرة حنو وقال : لماذا تريدين ابعادي؟

ــ هذا الذي اريده وفوق ذلك فان وصيفتي ستعود الي عند منتصف الليل اي حين عودتك فتسير بي الى القصر .

فتنهد قيصر وقال : كيف ذلك يا سيدتي الا تبيتين هنا الليلة ؟

فضحكت الكونتس وقالت : اني لا استطيع ان ابقى اسيرة هنا .

فلم يعترضها وصعد الى منزل امه فتعشى معها فلا هي سألته عن عشيقته ولا هو سألها عن مطامعها براوول .

ولما فرغ من العشاء اخبرها انه ذاهب الى القهوة فنزل الى غرفته حيث كانت الكونتس فودعها وانصرف •

اما الكونتس فانها وقفت في النافذة تنتظر عودة تنوان بفارغ الصبر •

وفي الساعة العاشرة رأت ان الانوار قد اطفأت في المنزل فأيقنت ان والدة قيصر قد نامت •

ففتحت عند ذلك النافذة التماسا للهواء وجعلت تراقب قدوم تنوان مطمئنة فان قيصر وعدها انه لا يعود قبل انتصاف الليل •

وبعد هنيهة رأت تنوان خارجة من باب القصر فان النورية كانت تراقب المنزل حتى اذا رأت قيصر قد خرج منه وانطفأت الانوار فيه أيقنت ان والدته نامت فخرجت من القصر •

فلما رأتها الكونتس خفق قلبها مسرورا وقالت لها بالاشارة انها نازلة لتفتح لها الباب •

ثم اخذت مصباحها بيدها ونزلت الى باب المنزل الخارجي •

ان هذه القهوة التي يدعونها قهوة ملك بروسيا والتي كان يذهب اليها قيصر كل ليلة كان يختلف اليها اصحاب المبادىء الحرة في ذلك الشارع من طلاب الدستور •

ولاسم هذه القهوة سبب قديم وهو انهم رأوا ان فولتير الفيلسوف الشهير ومؤسس الثورة الفرنسية كان يتردد على هذه القهوة وقد كتب على احدى موائدها اعظم رسائله المشهورة الى فريدريك ملك بروسيا فدعيت القهوة باسم

فريدريك ملك بروسيا اشارة الى رسائل هذا الفيلسوف لشدة اعجاب الناس به في ذلك العهد .

فكان المعجبون بهذا الشاعر الكبير والفيلسوف المصلح يجتمعون كل ليلة في هذه القهوة فتدور مباحثهم على الدين وانبائه ورجاله فيقتدون بهذا المنتقد الملحد بالتهكم على الدين واهله والحملات على الكنيسة حملات منكرة .

وكان أشدهم تحمسا في هذه الابحاث فتى صيدلي هذب عقله العلم وافسدت نفسه تعاليم فولتير فكان له في كل يوم نادرة وفي كل جلسة خطاب فلا يجد بين زبائن القهوة غير الاعجاب لاجماعهم على هذه المباديء .

وكان يدعى شوبوردين فلما رأى اعجاب الناس بأقواله جعل يتخذها سبيلا للكسب فيبالغ فيها ولا يرى بعدها غير اقبال الناس على صيدليته .

ومع تطرفه بهذه المباديء كان مزاحا كثير التهكم وكان اكثر تهكمه على قيصر لما كان يراه من بسطة اخلاقه وتشيعه للملكية على اجماع الباريسيين على السعي في نقضها .

ولكن هذه القهوة على اتفاق معظم زبائنها على تلك المباديء لم تكن تخلو من المتشيعين للملكية وبينهم اربعة من الضباط المتقاعدين كانوا يترددون على القهوة ويلعبون فيها بالشطرنج .

وقد اتفق مرة ان احدهم استاء من مبالغة الصيدلي بتهكمه فترك الشطرنج وجاء اليه وهو يخطب بين رفاقه فقال

له : اننا لسنا في عهد الصبى ولكن لا يزال لنا من القوة ما يعيننا على اقتلاع اذنك اذا عدت الى التهكم والهزء بالملك والملكة .

فخاف الصيدلي وانقطع عن الهزء بالملك فانصرف الى التهكم على الكنيسة والقديسين وفي نفسه من التهكم على الملكة اشياء يحول دون اظهارها وجود هؤلاء الضباط .

وقد اتفق في تلك الليلة التي امتثل فيها قيصر للكونتس وترك المنزل فجاء الى القهوة وان الضباط لم يحضروا ولم يحضر احد من المعجبين بذلك الصيدلي واصدقائه سوى قيصر .

وقد جاء قيصر والصيدلي كاد يقتله الملل والوحدة .

اما قيصر فانه كان باش الوجه مبتسم الثغر وقد دخل الى القهوة وعلائم الاعجاب بنفسه بادية في وجهه فلم يجلس حيث كان يجلس عادة في الحلقة العامة بل ذهب الى مائدة منعزلة وجلس حولها كأنه يريد الخلوة بمناجاة من يحب والتلذذ بذكر ما مضى من اماني غرامه .

غير ان الصيدلي قطع عليه هذه التصورات فانه دنا منه وحياه وقال له بلهجة الاستعطاف حسب عادته :

ـ اراك شديد الاعجاب وكثير التيه ؟

فأجابه قيصر بجفاء : لقد خدعتك عيناك فأنا لم أتغير .

على ان هذا الجفاء لم يؤثر بالصيدلي فانه رجع الى مائدته فأخذ كأس الشراب الذي كان عليها وعاد الى قيصر فجلس قربه وقال له أتعلم أيها الصديق ان ملامحك تدل على

امور خفية يشوقني الاطلاع عليها •

فارتعش قيصر وقال : كيف ذلك ؟

ــ ذلك ان هذا التغيير الذي طرأ عليك لم يبدأ الليلة وهو طاريء عليك منذ امس •

ــ لقد قلت لك انك مخطيء •

ــ وانا اقول لك اني غير مخطيء فان هيئتك تدل على تيه عظيم كأن الملك قد عينــك مارشال القصــر أو كأنك اشتريت باريس •

ــ ما هذا المزاح ايها الصديق ؟

ــ اني لا امازحك ثم غمز بعينه وقال : ألم يرد اليك امس كتاب الى هذه القهوة ولم تكن ترد رسائلك اليها من قبل؟

ــ وماذا يهمك ذلك ؟

فلم يحفل الصيدلي بهذا الاعتراض وقال :

ــ انه كتاب غرام دون شك •

فاحمر وجه قيصر وقال : هب ان ذلك كان اكيدا فانه من شأني وليس من شؤونك في شيء •

فغمز الصيدلي ايضا بعينيه وقال له : من يعلم • ثم ابتسم له وقال : لا تكتم عني امورك يا قيصر فما تعودت معي الكتمان وفوق ذلك فقد أكون عارفا اكثر ما تعرف •

فزاد اضطراب قيصر لهذه الكلمات وهاجت منه عاطفة الخيلاء فقال له : ما الذي تعلمه ؟

ــ اني مثلك من اهل هذا الحي ايها الصديق •

ـ ماذا تريد بذلك ؟

ـ اريد به انك من العشاق وان الكتاب الذي ورد اليك امس كان كتاب لقاء •

فابتسم قيصر وقد هاجت به عوامل الكبرياء فلم يجب•

فقال له الصيدلي : وقد كان غلاف الكتاب مختوما بالشمع وعليهاشارة النبلاء• ـ انكحديد النظر كمايظهر كلا ولكن هذا الكتاب قبل ان يرد اليك ورد الي •

فانذهل قيصر انذهالا شديدا وقال : كيف ذلك ؟

ان امرأة تدل هيئتها انها من قبائل النور لها عينان كأنهما تتقدان بأنوار الكهرباء جاءت الى صيدليتي في صباح امس واشترت افيونا وسألتني اين يوجد صندوق البريد •

وكان الكتاب بيدها فنظرت الى غلافه عرضا •

ـأرأيت اسمي مكتوبا عليه ؟

ـ كلا بل رأيت الختم الشمعي ورأيت اشارة النبلاء ولكني عرفتذلك الكتابحينجاءكبهموزع البريد فيالمساء•

وكان هذا السر قد ضاق في صدر قيصر فبات يتمنى ان يبوح به لمن يأتمنه بالرغم عما وعد به من الكتمان فان ما لقيه من السعادة بقرب الكونتس كبر عليه حتى كاد ينفجر في فؤاده فنظر الى الصيدلي وقد ابتسم له ابتسامة تشف عن موافقته وقال له :

ـ اراك كثير الفضول يا شوبوردين •

ـ اني كذلك مع المخلصين من اخوتي •

ـ ولكني أخاف ان تكون شديد الخطر •

ـ اني ما بحت بسر كاشفني به صديق فاذا اشتهرت بالفضول فقد اشتهرت ايضا بالكتمان ودليل ذلك اني لم اخبر احدا من الاصدقاء بشيء من هذا الكتاب •

ـ أحق ما تقول ؟ ـ اقسم لك بشرفي •

فزاد تيه قيصر واشتد عجبه بنفسه فقال : اني ايهـا الصديق لا أزال في مقتبل الشباب ولا حرج على أهل الصبى اذا تنعموا بالحياة • ـ هو ذاك فان الشباب لا يرد •

وان من كان له مثل مولدي يأنف عشرة المبتذلات من النساء فلا تطمح نفسه الا الى النبيلات •

فقال له الصيدلي : يظهر ايها الصديق انك نبيل حتى في غرامك •

فابتسم قيصر وقد اهتز تيها وقال : لقد اصبت •

ـ ألعلها من النبيلات ؟ ـ هو ذاك •

ـ وقد تكون من أهل البلاط ؟ ـ ربما •

ـ اذن أرو لي حكايتك معها فقد زدتني شوقا الى معرفتها •

ـ معاذ الله اني شريف والشريف لا يهتك اسرار النساء •

ـ ولكن الشريف لا يهتك سر المرأة التي يهواها الا حين يبوح باسمها • ـ أتظن ذاك ؟

ـ بل أؤكده فعليك ان تكتم اسمها بل يجب ان تبالغ في كتمانه ولكنك اذا رويت لي ما جرى لك معها دون ان

تذكر اسمها كنت كمن يقص رواية قرأها في كتاب واذا عرفت حكايتك معهادون ان اعرف اسمها فكأني لم أعرف شيئا •

وقد افحم هذا البرهان قيصر ولكنه بقي مترددا كي يلح عليه الصيدلي بالاباحة فيجد عذرا لنفسه من هـذا الالحاح فانه كان يود ان يبوح بسره للصيدلي اكثر مما كان الصيدلي يود الوقوف عليه •

وادرك الصيدلي قصده فجعل يلح عليه ويقنعه بالبراهين حتى كاد السر ينفجر بصدر قيصر وهم ان يبوح بكل ماجرى له لو لم يحل دون ذلك دخول رجل الى القهوة ولم يكن من زبائنها ولم يكن دخل اليها من قبل •

وكان هذا الرجل طويل القامة ابيض الشعر لابسا ملابس السفر وكان على صدره وسام الشرف وعلى جنبه حسام طويل •

فدنا من صاحب القهوة حين دخوله فحياه وقال له : ارجوك ان تعذر رجلا عاد الى باريس بعد ان فارقها اعواما طويلة فقد كنت قديما من زبائن هذه القهوة وان كان شيء باق على حاله ما عدا صاحبها فقد تغير •

هو ذاك فاني قد اشتريت منه القهوة •

لقد كان لي بين زبائنها اصدقاء من الاخوان بالسلاح منهم اربعة ضباط كانوا يأتون الى هذه القهوة للعب الشطرنج •

ــ انهم لا يزالون يترددون كما كانوا من قبل •

ــ أتعرف بينهم ضابطا يدعى اورميزور ؟

ــ اني اعرفهم جميعا •   ــ متى يأتون عادة ؟

ـ بين الساعة العاشرة والحادية عشرة فاذا شئت ان تنتظرهم فقد دنا موعد قدومهم •

ـ سأنتظرهم فارسل لي كأسا مع احد الخدم وجريدة اطالع فيها الى ان يحضروا •

ثم تركه وذهب الى مائدة بجوار المائدة التي كان عليها قيصر والصيدلي وأخذ الجريدة فجعل يقرأ فيها بالظاهر ولكن فكره كان منصرفا الى غير القراءة •

اما قيصر والصيدلي فقد كانا توقفا عن الحديث حين دخل هذا الرجل فلما رأياه جلس يقرأ عادا الى الحديث فقال الصيدلي : اني انتظر ان تحدثني بأمرك فلم يبق سبيل للكتمان بعد ان اوضحت لك اخلاصي بالبرهان •

ـ أتعدني بكتمان ما حدث ؟

ـ اني اعدك وعد صادق لا يحنث بما وعد •

قال : اذن سوف تعلم اني نبيل حقيقة اذ لو لم أكن شريف المولد لما استطعت ان اظفر بحب شريفة •

فاضطرب الرجل الجالس بجوارهما عندما سمع هذا القول وستر وجهه بالجريدة وأصغى الى الحديث كل الاصغاء •

كان وجه هذا الرجل مستتر بالجريدة فلم ينتبه المتحدثان لاصغائه ولم ير اضطرابه حين بدأ الحديث •

اما الصيدلي فانه قال لقيصر : أحق ما قلته ان التي احببتك شهيرة من الاعيان ؟

ـ بل هي من صفوة الاشراف •

ـ اذن حدثني بكل ما جرى .

ـ اني اول امس .... وهنا توقف فجأة عن الكلام وظهرت عليه ملامح التردد .

فقال له الصيدلي : ما بالك توقفت عن الحديث ؟

ـ ذلك لاني لم افطن لأمر ـ ما هو ؟

ـ هو اني لا استطيع ان اخبرك بأمري .

ـ ولماذا ألم تتفق على كتمان اسم السيدة ؟

ـ هو ذاك لكنني اذا ذكرت لك الحكاية اضطر الى اخبارك انها تقيم في شارع اباي .

ـ ان الشارع طويل .

فاجابه بملء البساطة : هو ذاك ولكنهاتقيم تجاهمنزلي .

فضحك الصيدلي وقال : انك بحت لي بكل شيء وانت تتوهم انك لم تبح بشيء . ـ كيف ذلك ؟

ـ اولا اخبرتني ان هذه السيدة تحبك وانك سعيد بحبها ثم اخبرتني ان منزلها مقابل لمنزلك .

فعض قيصر شفته اذ ادرك خطأه ولم يجب .

فقال له الصيدلي : اما وقد عرفت الان ما عرفته اتفاقا فاني استطيع لو شئت ان اروي هذا الخبر كما اشاء لانك لم تبح لي انت بشيء واما انا مدين لك بالكتمان .

فتنهد قيصر وقال : اذن سأبوح بكل شيء .

قال لقد احسنت ايها الصديق فان الاسرار تدفن بصدري فلا تخرج منه الا مع الروح .

فاستوثق قيصر منه وقال له : اذن فاسمع اني كنت صباح اول امس واقفا في نافذة غرفتي اتنشق نسيم الصباح فرأيت في فناء القصر المقابل لمنزلي مركبة فدهشت لذلك لان هذا القصر هجره أهله منذ خمسة عشر عاما فلم يأت اليه احد .

ــ ألعل اصحاب القصر عادوا اليه ؟

ــ هو ذاك فاني بعد ذلك بهنيهة رأيت امرأة برزت من نافذة القصر وهي سمراء الوجه لها نظرات تحرق القلوب .

فقال الصيدلي : انها المرأة التي رأيتها دون شك .

قال : ربما وقد وقفت تلك المرأة هنيهة في النافذة ثم احتجبت ففتحت نافذة في غرفة اخرى فظهرت امرأة بلغت من الحسن ابعد غاياته حتى كأنها خلقت كما اشتهت .

ــ فعلقت بغرامها لاول وهلة ؟

ــ هو ذاك فوالله لو ابصرها الناسك لهام بها « فان الشاعر العربي كأنما قد عناها بقوله :

اذا ابصرها قلب خلي من الهوى تقول له كن مغرما فيكون

ولكن يظهر اني قد اثرت عليها كما اثرت علي وتلاقت النظرتان رسولي غرامنا فكانتا قلبا الى قلب .

فقال له الصيدلي : لا انكر انك قادرا بجمالك على اجتذاب القلوب ولكن كيف عرفت انها هامت بك هيامك بها؟

ــ ذلك اني في المساء شعرت بيد قد لمست كتفي .

وكنت واقفا تحت نافذتها انظر اليها بعين الخيال وارجو ان تشرف علي من خلال ستائر النافذة كما يشرف القمر من خلال

السحاب فأراهاحقيقة وامتع الطرف بذلك الجمال الفتان .
فالتفت حين شعرت بتلك اليد التي وضعت على كتفي فرأيت تلك المرأة السمراء التي رأيتها اول مرة .
فدهشت لرؤيتها وحييتها اجمل تحية فقالت لي ألعلك من اهل الكتمان ايها الفتى الجميل ؟ — دون شك .
— لا تخبر احدا بأمرك واذهب الان في شأنك فسيرد اليك غدا كتاب الى قهوة ملك بروسيا التي تتردد اليها .
فقال له الصيدلي :
— اذن لقد امتنعت مجالسة اصحابك لانتظارك هذا الكتاب ؟
— هو ذاك فاني لبثت انتظره الى المساء حتى جاء به موزع البريد .
فكان الرجل القادم من السفر يزيح الجريدة عن وجهه من حين الى حين وينظر الى قيصر ولكن قيصر كان منهمكا في حكايته فلم ينتبه اليه .
فقال له الصيدلي : اذن لقد كان هذا الذي ورد اليك نفس الكتاب الذي رأيته مع السمراء حين جاءت الي تشتري مقدارا من الافيون لسيدتها كما قالت .. أتم حديثك ايها الصديق فاني اراه عجبا .
— اني فتحت الكتاب فكان اول ما تلوت به توصيتي بالكتمان ثم تكليفي بشراء عشاء وخمر واحضارهما الى غرفتي في منزلي عند انتصاف الليل وان تلك الحسناء تأتي

الي في ذلك الحين .

ـ وهل أتت في الموعد المعين ؟

ـ دون شك. ـ اذن كنت من اسعد الناس .

فحاول قيصر ان يجيب ولكنه توقف فجأة فقال له الصديق : ـ ماذا اصابك ؟

ـ لا شيء ولكن هذا الافيون قد شغل بالي .

ـ اي افيون وأية علاقة له بحديثك ؟

ـ ألم تقل لي ان تلك المرأة السمراء قد اشترت منك أفيونا ؟ ـ نعم . ـ لماذا اشترت الافيون ؟

ـ لتسكين آلام سيدتها العصبية كما تقول .

فظهرت علائم الانقباض والحزن الشديد على وجه قيصر وقال : ـ ان استشارة اهل العقول من خير الامور وانا غير نادم الان على الاباحة لك بسري ايها الصديق .

ماذا تعني بذلك فاني لم اشر عليك بشيء بعد .

ـ اسمع بقية حديثي فاني بعدما تعشيت مع تلك الحسناء سكرت ونمت فلما صحوت ..

فقاطعه الصيدلي وقال : أرأيتها برحت المنزل ؟

ـ كلا بل رأيتها جالسة فوق مقعد وهي منبوشة الشعر وعيناها غارقتان بالدموع في حين اني كنت في سريري في غرفة رقادي وقد نمت وسكرت في غرفة الطعام اريد بذلك اني لم أدر شيئا مما جرى ولكني وثقت بما قالت لي .

فضحك الصيدلي ضحكا شديدا وقال :

ـ يظهر انك انت الذي شربت الافيون وليس هي •
فقطب قيصر حاجبيه وقال :
ـ اذا كان ذلك قد اتفق كما تقول فالويل لها •
وكان المسافر مصغيا كل الاصغاء الى الحديث فلم تفته كلمة منه •

اما الصيدلي فانه جعل يضحك عليه ويقول له : ارى انها كانت تهزأ بك ايها الصديق •

ـ لكنها كانت تبكي •

ـ ذلك انها كانت تتم تمثيل دورها •

لو كان ذلك كما تقول لكانت برحت المنزل ولم تنتظرني فيه حتى صحوت ـ كيف ذلك أهي الان في منزلك •

ـ هو ذاك ـ ستنتظر الليلة؟ ـ دون شك•

ـ اذن لقد اشكل علي الامر فاني لا افهم شيئا مما تقول وقد سرني منك محافظتك على كتمان اسمها •

ـ الحقيقة ايها الصديق اني لا اعرفه •

ـ ولكني انا اعرفه ـ فانذهل قيصر وقال له : انت؟

ـ نعم فان هذا القصر الذي ذكرته لي صاحبته الكونتس دي مازير •

فلما ذكر الصيدلي هذا الاسم رمي الرجل الذي كان يسمع حديثهما الجريدة فجأة وقام الى قيصر فوضع يده على كتفه •

وكان الصيدلي يحتقر رجال السيف كل الاحتقار ولا

يبالي بهم غير انه حين رأى ذلك الرجل دنا من قيصر ووضع يده على كتفه هلع قلبه وخشي ان يكون هذا الضابط من اقرباء الكونتس وتوقع خصاما وخيم العاقبة .

فرأى من الحكمة ان يدعه مع قيصر ويبتعد .

اما الرجل فانه قال لقيصر بلطف : اني سمعت هذا الفتى الذي كان معك يذكر اسمك في عرض الحديث فهل انت هو قيصر بليزوت المقيم في شاري اباي مع امك ابنة دي فد كرسون ؟ — هو ذاك يا سيدي .

— لا بد ان تكون امك حدثتك عن ضابط قديم يدعى الشفاليه راوول دي موليير وانه كتب لها من الهافر .

— هو ذاك يا سيدي ايضا فان امي تنتظر قدومه بعد ثمانية ايام .

— انا هو الذي تنتظره امك فقد كتبت لها اني اعود بعد اسبوع لاني كنت عازما على السفر الى نورمانديا ولكني رجعت عن السفر فوصلت في هذا المساء الى باريس وقد وصلت متأخرا فنزلت في فندق على ان ازوركم في الصباح .

وكان قيصر قد خاف من راوول في البدء نفس خوف الصيدلي لانه ظن ظنه ولكنه ذهب خوفه حين عرفه فجعل يلاطفه ودعاه الى الجلوس معه .

اما راوول فانه قال له بصوت متخفي يرتج من الاضطراب : كلا يا بني لا استطيع الجلوس فهلم معي الى الخروج من هذه القهوة فاني احب ان احدثك بامور خطيرة .

فعاود قيصر الاضطراب ولكن راوول اخذه بيده وخرج به من القهوة دون ان يعترض فتأبط ذراعه وسار وايـاه •

فلما صارا في الشارع قال له راوول : ألا تزال مع امك مقيمين في المنزل نفسه ؟ — نعم •

— في اي دور تقيم انت من هذا المنزل ؟

— في الدور الثاني • — في اية غرفة تنام ؟

— في الغرفة الصفراء

فاضطرب راوول اضطرابا شديدا وقـال : افي هذه الغرفة تركت الكونتس دي مازير ؟

فرجع قيصر منذعرا خطوة الى الوراء وقال : العلك سمعت الحديث •

— سمعت كل شيء فلنذهب ركضا الى المنزل •

فتوقف قيصر وقال : ولكني لم افهم شيئا مما تقول •

فقال له راوول : ان الوقت غير متسع لافهامك كل شيء فاقتصر على القول ان هذه الكونتس سارقة سفاكة •

فصاح قيصر صيحة دهش ، ولكن راوول اخذ بيده وسار به مسرعا فتبعه قيصر دون ان يتردد حتى اذا وصلا الى المنزل رأى راوول النور ينبعث من غرفة قيصر فقـال له : اسرع وافتح الباب فان هذه الحية لا تزال في الغرفة والحمد لله اليس لديك مفتاح ؟

— دون شك • — اذن اسرع وافتحه •

فأخذ قيصر المفتاح وحاول فتح الباب ولكنه وجده مفتوحا .

فلما رأى راوول ان الباب مفتوح جمد الدم في عروقه وصعد مسرعا الى السلم مع قيصر حتى اذا وصلا الى المنزل اسرع راوول الى الغرفة الصفراء وفتح بابها بيـد ترتجف فلم ير فيها احدا ولكنه لـم يلبث ان نظر نظرة الى الموقد حتى صاح صيحة رعب ووضع يده على رأسه كأنه خشي ان يذهب صوابه .

ذلك انه رأى حجرا ساقطا من الجدار ورأى سلاسل الحديد مقطوعة والخزانة الفولاذية مفتوحة فان الكونتس قد سرقت الصندوق .

٢٧

حنة

اما قيصر فانه وقف جامدا مبهوتا لا يفهم شيئا مما رآه فقد رأى حجرا منتزعا من الجدار عند الموقد ورأى داخل ذلك الجدار سلاسل من الحديد مقطوعة ورأى وراءها خزانة من الفولاذ فراعه كل ذلك لا سيما ما رآه من يأس راوول .

واما راوول فانه اصيب بالبدء بدوار شديد حتى انه

كاد يسقط •

ولكن ذلك لم يطل فانه ما لبث ان زال الدوار حتى اقترب من الموقد وفحص الخزانة فوجد المفتاح لا يزال في قفلها وهو ذلك المفتاح الذي صنعته تنوا نبعد ان بصمت القفل بالشمع كما قدمناه •

فقد بدأ يرتجف من التأثير وفتح ذلك الباب فلم يجد في الخزانة اثرا للصندوق •

وفيما هو ينظر الى ما حوله رأى علـى المائدة كتابا مختوما فنظر فيه فرأى علـى غلافه اسم قيصر فدفعه اليه وقال له : — اقرأ ما كتبته لك هذه الافعى •

وتركه يقرأ الكتاب وذهب الى النافـذة فجعل ينظر الى قصر الكونتس •

وقد رأى نورا ينبعث من نوافذه فاستبشر اذ كـان ذلك دليلا على ان الكونتس لم تهرب بالصندوق وانها غير خائفة من قيصر •

اما قيصر فانه فتح الكتاب وقرأ ما يأتي :

الى قيصري العزيز

الحق انك اجمل ابله عرفته في حياتي فقد مضى بك يوم وليلة وانت تعتقد اني حظية لك واني فتنت بجمالك •

ويسوءني ان اعترف لك بالحقيقة ولكني لا اجد بدا من هذا الاعتراف •

فاعلم الان انـي احببت فيما مضى شابا نبيلا والحب

والحكمة لا يجتمعان فكتبت في ذلك العهد رسائل كثيرة الى من احب ثم انقشعت غمامة هذا الغرام وعلمت اني اخطأت خطأ لا يغتفر بكتابة هذه الرسائل بل خاطرت بنفسي خطرا شديدا اذ لو اطلع عليها من يغار علي لما كان نصيبي غير الموت •

وقد علمت منذ اسبوع ان هذه الرسائل مودعة في صندوق وان هذا الصندوق مودع في خزانة من الفولاذ وهذه الخزانة في داخل الجدار عند الموقد في غرفتك كما تراه حين تنظر الى ما وراء الموقد •

اما السبب في وجودها في غرفتك فهو ان هذا الرجل الذي كنت اهواه وهو قد مات كان يقيم في تلك الغرفة التي تبيت فيها انت الان حين كانت امك تؤجر الغرف في منزلها ولا تطمع نفسها الى مقام النبلاء •

ولا بد الان ان تكون علمت السبب في دخولي الى غرفتك واحتيالي في سبيل الحصول على هذه الرسائل فقد سقيتك امس مخدرا وبينما كنت نائما تحلم ان النعيم قد فتحت لك ابوابه كنت مع وصيفتي نبحث عن الرسائل في الجدار •

والان استودعك الله ايها الصديق واسديك نصيحة تفيدك ولا بد من اسدائها •

اني في منزلة عالية فلا ينالني غضبك ولا يصل الي انتقامك اذا خطر لك الانتقام •

« ونصيحتي اليك ان تكتم ما جرى لك واذا كان لا بد لك ان تعشق فلا تطمع بغير امثالك .

« على انه اذا خطر لك ان تبوح بهذا السر او حملك الغضب لاول وهلة على ان تطرق باب منزلي فاعلم انك تنال من العقاب ما لا ينفع فيه الندم .

« واذا انتفعت بنصحي فكتمت ما جرى توليتك بحمايتي وسعيت لدى ارباب السلطة بتحويل اسمك الى اسم عائلة امك وقد اعذر من انذر والسلام » .

التوقيع : خادمتك المجهولة

فلما اتم قيصر تلاوة هذا الكتاب القاه الى الارض مغضبا وقال تبا لك من شقية محتالة !

اما راوول فانه كان قد عادت اليه سكينته بينما كان قيصر يقرأ الكتاب فدنا من قيصر وقال له : اصغ الي ايها الصديق .

ـ تكلم .

ـ ان هذه المرأة التي تظاهرت بالغرام انما هي كاذبة محتالة .

ـ لم يبق لدي ريب بعد هذا الكتاب .

قال له وان ما رويته لك عن هذه الرسائل التي ادعت انها جاءت للحصول عليها انما حديث مختلق لا اثر له من الصحة .

ـ كيف ذلك الم يكن في هذه الخزانة صندوق .

ـ نعم ولكن الصندوق لم يكن فيه رسائل غرام بل كان فيه مبلغ جسيم من الاوراق المالية تعادل قيمتها

مليوني جنيه .
فذعر قيصر لهذاالمبلغ الطائل وقال : ايمكن ذلك ان يكون .

ــ ذلك اكيد فاني انا الذي خبأت هذا المال في الموضع وقد برحت فرنسا وما كتبت الى امك ان تعد لي هذه الغرفة الا بغية ارجاع الوديعة .

ــ لقد فهمت كل شيء .

ــ كلا لم تفهم بعد فان هذا المال ليس لي ولكنه مهر لابنة يتيمة قتلت هذه المرأة السفاكة امها بالسم .

فذعر قيصر ذعرا شديدا وقال : يا للهول ايقدم النساء على هذه الجرائم ؟

ــ ان هذه المرأة ليست من النساء بل من الابالسة .

ــ والان ماذا تصنع ؟

ــ اريد قبل كل شيء ان اطلب اليك مساعدتي في استرجاع الصندوق فقد كنت السبب في سرقته دون ان تريد .

ــ اذن اصغ الي فان هاتين المرأتين خرجتا من منزلك وعادتا مطمئنتين الى القصر .

ــ دون شك فاني ارى النور ينبعث من غرفة الكونتس

ــ وان هذا الكتاب الذي كتبته اليك يدل على انها مرتاحة البال وهي مصيبة في اطمئنانها فاني لو اخبرك الحقيقة عن هذا الصندوق لما خطر لك في بال انه يحتوي

على هذا المبلغ الجسيم من المال واوثقت بما كتبته لــك كل الوثوق •   ــ هذا لا ريب فيه •

ــ ثم انها لا تعلم بعودتي وربما كانت تعتقد اني بت من الاموات ولذلك فهي تنام مطمأنة كأنها لم تقدم علــى جريمة بل كأنها اتت عملا صالحا وعلى ذلك فلا يجب ان نضيع دقيقة عبثا في سبيل استرجاع الصندوق •

فقال له قيصر بملء البساطة : ولكــن كيف السبيل الى الوصول اليها فاننا لو طرقنا بابهــا الى الصباح لمــا فتحت لنا •

فأجابه راوول ببرود : ولكننا لا ندخل من الباب ايها الصديق •   ــ اذن من اين ندخل ؟

ــ اني تركت باريس من امد بعيــد ولكني لا ازال اذكر شوارعها ومما اذكره انه يوجد زقاق طويل يتفرع من هذا الشارع •   ــ هو ذاك •

ــ وان حديقة القصر تشرف على هذا الزقاق الا اذا كان قد تغير في مدة غيابي وبنيت الابنية فيه •

ــ كلا فانه باق على حاله •

ــ اذن سندخل الى القصر من هذا الزقاق •

ــ كيف ذلك ، اتتسلق الجدار ؟   ــ نعم •

وكان قيصر يلتهب فؤاده حقدا على الكونتس بعد ان سحقت كبرياءه بحيث بات يود الانتقام منها فقال له :

ــ اني طوع امرك في كل ما تريد •

ـ اذن هلم بنا فان الدقائق الان تعد كالدهور •

ثم فتح سترته وارى قيصر غدارتين فقال له : ان كل غدارة منهما ذات طلقين فتسلح بواحدة اذ قد تضطر الى اطلاقها عند الحاجة •

ـ انطلق الرصاص على النساء ؟

ـ انها ليست من النساء كما قلت لك بل هي من الوحوش الكاسرة •

ـ سأفعل ما تشاء ولكن كيف تتسلق الجدار وهو عالي السور ؟ ـ الا تستطيع ان تجد سلما ؟

ـ دون شك فانه يوجد عندنا في الحديقة سلم •

ـ اذن هلم بنا وخف الوطء كي لا يستيقظ النيام •

فخرج قيصر امامه وهو يحمل باحدى يديه مصباحا وبالثانية غدارة وقد تبعه راوول وهو يقول في نفسه ترى كيف عرفت الكونتس موضع الصندوق انها جاءت الى باريس خصيصا لهذه المهمة ولم تصحب معها غير تلك النورية دون شك ورجائي ان لا ارى عندها من يحول دون مأربي•

وسار الاثنان في الحديقة الى حيث كان السلم فتعاونا على حمله لثقله •

وبعد هنيهة كان الاثنان يسيران في شارع اباي بذلك السلم وكان الليل حالكا والشارع مقفرا فدخلا الى الزقاق دون ان يراهما احد •

وعند ذلك وضعا السلم على الجدار وصعد راوول

فركب فوق الجدار ثم صعد قيصر فركب مثله واصعد السلم فوضعاه في الحديقة ونزلا عليه •

ثم تقدم راوول قيصر وهو يقول له : لقد آن لهذه الافعى ان تسحق ، فتبعه قيصر وجعل الاثنان يسيران في الحديقة سير اللصوص •

ولنعد الان الى الكونتس دي مازير حيث تركناها نازلة من غرفة قيصر كي تفتح الباب لتنوان •

فان تنوان كانت قادمة اليها بذلك المفتاح الذي صنعته في النهار عند صانع الاقفال وقد احضرت معها آلات متينة من قبيل الاحتياط حتى اذا لم تستطيع فتح الخزانة بالمفتاح كسرتها بتلك الآلات •

وبعد هنيهة كانت الاثنتان في غرفة قيصر وقد اقفلتا الباب من الداخل وشرعت تنوان بمعالجة الخزانة فوضعت المفتاح في القفل الفولاذي فدخل ولكنها حين حاولت ان تديره لم يدر •

فاضطربت الكونتس وخشيت الفشل غير ان تنوان اخرجت المفتاح وبردته بالمبرد ثم عادت الى فتح الخزانة به فلم تفتح ولكنها شعرت انه بدأ يدور في القفل وانه محتاج الى القليل من الاصلاح فعادت الى اصلاحه وبرده •

وبعد هنيهة سمعت الكونتس صريره في القفل فظهرت على وجهها علائم الفرح والاستبشار واسرعت الى الخزانة بعد فتح بابها لترى ذلك الصندوق •

وكان يبلغ عمق هذه الخزانة ثلاثة اقدام فوجدت في اسفلها صندوقا صغيرا من الفولاذ فمدت اليه يدا ترتجفه من الاضطراب واتتشلته •

وعند ذلك جعلت المرأتان تفحصانه فوجدتا انه مقفل ولا سبيل الى فتحه ثم وجدت النورية انه ثقيل الوزن فقالت : لا بد ان يكون فيه غير الاوراق المالية كثيرا من المجوهرات والاحجار الكريمة •

فقالت الكونتس : ان فتح هذا الصندوق لا يتيسر الا بكسره فلنسرع الان بالعودة الى القصر فاني اخشى ان يثور الغرام في قلب قيصر فيعود قبل الاوان •

ــ لندع هذه الخزانة مفتوحة ونبقي هذا الحجر الذي انتزعناه من الجدار على حاله ؟

ــ دون شك فان اصلاحها يقتضي له زمن طويل •

ــ ولكن ماذا يكون من قيصر متى عاد ورأى غرفته على هذه الحالة ام تريدين اننا نسافر هذه الليلة قبل ان يعود؟

ــ لا هذا ولا ذاك بل يجب ان نبقي الحالة على ما هي وان نقنعه باننا لم نفتح الخزانة الا لغرض نبيل •

ــ ما هو هذا الغرض النبيل ؟

ــ الا تجدين على هذه المائدة كل ادوات الكتابة ؟

ــ نعم •   ــ اذن اجلسي واكتبي ما امليه عليك •

ــ لمن ؟   ــ لقيصر •

فامتثلت الكونتس وهي لا تعلم ما تريد واملت عليها

النورية ذلك الكتاب الذي قرأه قيصر كما تقدم في الفصل السابق •

وبعد ان فرغت من كتابته حملت النورية الصندوق واسرعت تتقدم الكونتس فخرجتا من المنزل ودخلتا الى القصر فاحكمت اقفال الباب الخارجي •

وعند ذلك قالت الكونتس للبواب : لا تفتح الباب لاحد الليلة •

فاعترضت النورية وقالت لذلك البواب :

ـ الا اذا كان القادم الكونت لوسيان •

فذهلت الكونتس وقالت : ـ ولدي ؟

فابتسمت النورية وقالت : نعم ثم اخذت بيدها ودخلت الى القصر وهي تقول : نعم فان ولدك قد يعود اليك هذه الليلة فتظفرين بغنيمتين •

ـ ولكن كيف اتفق ذلك ؟

ـ اني رأيته في الساعة الخامسة من مساء اليوم حين عودتي بالمفتاح من دكان صانع الاقفال •

ـ ولكنك قلت لي انه في فرساي فهل عاد الى باريس؟

ـ نعم وهو الان يود ان ينطرح على قدميك ويسألك الغفران •

ـ ما فعلت معه وكيف تمكنت من اقناعه ؟

ـ انه ذهب الى فرساي فتشرف بمقابلة الملك فمنحه وظيفة قائد في حامية بوفوا ولذلك عاد الى باريس على نية

السفر في الليلة القادمة الى مركز منصبه الجديد فلقيته اتفاقا . — وكيف كانت مقابلته لك ؟

انه حين لقيني ذعر لرؤيتي وقد اصفر وجهه اصفرارا شديدا ثم حاول ان يجتنبني ويسير في طريق آخر ولكني اسرعت اليه فاخذت بيده وقلت له : اني التمس منك ان تصغي الي .

فنظر الي بعظمة وقال : ماذا تريدين ؟

قلت اني ممثلة لك يا سيدي الكونت اقبح تمثيل فانت تحسبني قاتلة سفاكة فتأنف ان تنظر الي ولا تتدانى الى محادثتي .

على اني لا ابالي بذلك فاني اعلم من نفسي اني طاهرة الذيل واكتفي بحكم ضميري ولكني ابحث عنك منذ ثلاثة ايام بحثا مستمرا لتبرئة سواي . — من هو سواك ؟

— امك يا سيدي الكونت فانا ابحث عنك لاخبرك الحقيقة فقد ظلمت امك ظلما لا تحتمله نفسها بما اتهمتها به وهي بريئة من هذه التهمة الفظيعة .

فاثر عليه هذا الكلام اشد تأثير ولكنه بدرت منه اشارة تدل على الانفة والاشمئزاز وقال :

— لا حاجة بي الى البراهين فقد علمت ما علمت .

وكان الليل قد اقبل ونحن وحدنا على الجسر ولا مواج نهر السين هدير تحت اقدامنا فقلت له : اتوسل اليك يا سيدي الكونت ان تصغي الى ما اقول فاذا لم يقنعك

برهاني على تبرئة امك القني في هذا النهر فتبتلعني امواجه .

وعند ذلك شرحت لـه كيف ماتت كريتشن شرحـا مسهبا اثبت في خلاله براءتك بشكل لا ينقض والقيت كل التبعة في موتها على والد اورور .

ثم بسطت له امرك وما تجدينه بفراقه من التأثير الذي قد يفضي الى اليأس وكنت ابالغ في كل ذلك واحدثه بلهجة ملؤها الحزن والاضطراب حتى افضى به الامر الى البكاء والندم توجعا لما اصابك فقال لي : اني اود لـو كان لي اجنحة طائر فأطير بهما الى بوربيير والتمس الغفران مـن امي عن اساءتي اليها .

فقلت له : لا حاجة بك الى السفر فان امك هنا .

فكاد يجن من سروره وقال لي : هلمي بنا اليها في الحـال .

فقلت له : لا يمكن ان تراها الان فانها علمت انك في فرساي فسافرت اليها كي تراك ولكنها ستعود دون شك عند انتصاف الليل .

ثم طلبت اليه ان يذهب الى فندقه وان يأتي اليك في الصباح او عند انتصاف الليل ولذلك اتوقع ان يحضر الليل فان اضطرابه عليك شديد .

فعانقت الكونتس تنوان ودموع الفرح تذرف مـن عينيها وقالت لها : اني لا انسى احسانك الي فقد رددت الي في يوم واحد ولدي وتلك الثروة التي طالما طمعت فيها

فهلم الان الى فتح الصندوق .

ولم يكن في ذلك القصر غير الكونتس وتنوان بحيث كانتا تستطيعان كسر الصندوق دون ان تباليا بما يحدثه من الدوي .

وقد اخذت تنوان الصندوق وجعلت تفحصه فحصا مدققا فما وجدت سبيلا لفتحه بغير الكسر فوضعته على الارض واخذت مطرقة ضخمة من الحديد وضربته ضربة شديدة فرن رنين الاجراس ولم تحدث المطرقة به ادنى تأثير .

فهزت تنوان رأسها وقالت ان المطارق لا تعمل بهذا الفولاذ القوي فلا بد لنا من برده .

فقالت الكونتس : ايستغرق ذلك زمنا طويلا .

ـ ساعة على الاقل .

ـ اذن ابدأي العمل فان الوقت متسع لدينا .

فاخذت تنوان المبرد وهمت بالعمل ثم خطر لها خاطر فقامت الى النافذة واطلت منها ناظرة الى منزل قيصر فرأت خيالا من وراء ستائر غرفته .

فعادت الى الكونتس وقالت لها : يظهر ان قيصر قد عاد الى المنزل .

قالت : ارجو ان يكون قرأ كتابي وتمعن فيه فلا يدفعه الطيش الى القدوم الينا .

قالت : هذا ما اتوقعه وفوق ذلك فلا سبيل الى وصوله الينا فان الباب محكم الاقفال .

ثم وضعت الصندوق بين ركبتها وجعلت تحاول فتحه بالمبرد •

وبعد ربع ساعة ظهرت علائم الفوز فبرقت اسرة الكونتس وتركت تنوان دائبة في محاولة فتح الصندوق فذهبت الى النافذة فرأت انالنور لا يزال منير في غرفة قيصر ولكنها لم تر قيصر فيها فعادت الى تنوان وهي تقول في نفسها : لا شك انه خاف العاقبة بعد ان قرأ كتابي وعول على الرقاد •

اما تنوان فانها لبثت تبرد الصندوق بملء الجهد والسكينة •

وفيما هي تشتغل ارتعشت وتوقفت فجأة عن العمل •

فذهلت الكونتس وقالت لها: ماذا اصابك ؟

ـ ألاتسمعين وقع اقدام ؟ ـ اين ؟

ـ في الفناء • ـ ما هذا الجنون فاني لا اسمع شيئا

فذهبت الى غرفة مجاورة تشرف نوافذها على الفناء فاطلت وكان الظلام حالكا والسكينة سائدة فعادت الى تنوان وقالت : اني لم ار ولم اسمع حسا ولا شك ان الخوف قد حملك على ان تسمعي ما سمعت •

فعادت تنوان الى العمل ولا تزال على وجهها علائم الشك فلم تشتغل هنيهة حتى توقفت ايضا وقالت : ليس الان ما سمعته وهما بل حقيقة راهنة •

فاضطربت الكونتس اذ لم تكن تريد الاهتمام الا

بالصندوق وقالت لها : ماذا تسمعين ؟

ـ اني اسمع وقع اقدام على السلم •

ـ ربما كان القادم لوسيان •

ـ كلا فاني اسمع وقع اقدام كثيرة •

وكانت تنوان تقول هذا القول بصوت مختنق فلم تكد تتم قولها حتى سمعت ان الصوت قد انقطع عند باب الغرفة التي كانت فيها ثم سمعتا كلاهما دوي شديدا اضطربت له اعضاؤهما فان باب الغرفة كسر فجأة فصاحتا صيحة ذعر شديد ذلك انهما رأتا راوول داخلا الى الغرفة والسيف مشهر بيده ورأتا قيصر يصحبه وهو واقف على عتبة الباب •

وكانت الكونتس لم ترى راوول منذ عشرين عاما ولكنها عرفته حين رأته فكان اول ما صنعته انها اكبت على الصندوق وسترته بجسمها كأنها تريد ان تفديه بالحياة •

* * *

٢٨
راوول

مر على هذا الموقف الشديد عشر ثوان لم ينطق في خلالها احد ببنت شفة .

وكانت الكونتس تغطي الصندوق بجسمهالتحميه وتنوان خائفة مذعرة تنظر الى هذين الرجلين نظرات تشف عما داخل قلبها من الخوف .

وقد كان اول من افتتح الحديث بعد هذا السكوت الهائل الكونتس فانها نظرت الى راوول نظرة ملؤها الذعر وقالت كأنما تخاطب نفسها : ماذا ارى الشر من في القبور؟

فدنا عند ذلك راوول منها وقال لها : نعم يا سيدتي الكونتس ان الاموات يحشرون ويبعثون ، بل ان الغائبين يعودون من وراء البحار لتعذيب اللصوص السفاكين .

فاصفر وجه الكونتس وضغطت بيدها على الصندوق كما يضغط النمر على فريسته ونظرت الى راوول نظرة تدل على انها تريد مقاومته دون ان تخشاه ثم قـالت له : ان اللصوص ايها الرجل هم الذين يدخلون في ظلام الليل من غير ابوابها ، اما القتلة السفاكون الذين اشرت اليهم فـي

كلامك فلا اعلم من تعني بهم .

وقد زادها الغضب والجرأة جمالا فـي عيني قيصر فشعر انها عادت الى التأثير على فؤاده وهو انما جاء مـع راوول لقتلها اذا مست الحاجة الى القتل .

اما راوول فانه دنا ايضا من الكونتس وقال لها : اني اريد بقولي القتلة السفاكين اولئك الذين يقتلون الابريـاء من عباد الله بالسموم ولا بد ان تكوني فهمت الذي اعنيه واما اللصوص ..

فقاطعته الكونتس قائلة : اين هم ؟

فمد راوول يده يشير اليها والى تنوان دون ان يجيب.

ولم تكن النورية قد تداخلت في شيء الى الان لما تولاها في البدء من الاضطراب ولكنها لم تلبث ان عادت اليها سكينتها العادية وعادت قريحتها الجهنمية الى الاشتغال فاقبلت لمساعدة الكونتس .

وكان اول ما فعلت انها ضحكت ضحكا عاليا وقالت للكونتس :

ـ اظن ان هذا الرجل الذي لا نعرفه والذي دخل الينا والسيف مشهر بيده لا بد له ان يوضح لنا مما اشكل علينا امره .

ـ اما راوول فانه كان محافظا على سكينته اذ كان مسلحا واثقا من مقدرته على هاتين المرأتين فأنف من مجاوبة تنوان ونظر الى الكونتس وقال : اني يا سيدتي لم ادخل

الى منزلك مع رفيقي هذا من الباب بل وضعنا سلما على الجدار وتسلقناه فاكون حسب الظـاهر لصا لاني دخلت المنازل من غير ابوابها كما قلت •

فنظرت تنوان عند ذلك نظرة ادركت الكونتس معناها وهو اننا قد نستطيع النجاة من هذه الشدة اذا تمكنا من اطالة زمن المناقشات •

وعاد راوول الى الحديث فقال :

ـ ولكني لست انا اللص بل انت كما تعلمين •

فقالت بلهجة الساخر : احق ما تقول ؟

ـ ان هذا الصندوق خير شاهد •

ثم دنا من الصندوق فوضع يده عليه وقال لها : اعطني هذا الصندوق كي ارده الى اصحابه فاعود من حيث اتيت ولا يعلم احدا بما كان •

وكان قيصر لا يزال واقفا في الباب وهو ينتظر اوامر راوول •

اما راوول فقد كان ناويا ان يستعمل ابعـد غايات العنف في سبيل استرجاع الصندوق •

ومع ذلك لم ينتزعه من يد الكونتس فانه كان واثقا من اغتصابه حين يريد فآثر استرداده باللين والمعروف فقال لها : انك يا سيدتي دخلت الى منزل هذا الرجل • واشار الى قيصر •

ـ هو ذاك وبعد ذلك ؟

ـ وقـد نزعت حجرا من الجدار في غرفته وقطعت

سلاسل الحديد وفتحت خزانة من الفولاذ فاخذت هـذا الصندوق الذي كان فيها .

فأجابته بملء السكينة : هذا اكيد .

ـ ولكن هذا الصندوق لي .

ـ هذا غير صحيح . ـ بل هي الحقيقة بعينها.

ـ بل هو صندوقي وهو يحتوي علـى رسائل مني تشبه الرسائل التي كتبتها الى قيصر هذا الرجل الذي جاء معك وقد نظرت الى حين قالت هذا القول نظرة استعطاف فاطرق قيصر برأسه الى الارض وقالت في نفسها ، اني لـم اعد اخاف هذا الرجل فلننظر في امر آخر .

فقال لها راوول : يعز علي يا سيدتي ان امد يدي الى سيدة وان اعاملها بالعنف والقوة كما يسوءني ان استخدم سلاحي ضد من لا سلاح له فهل تردين لي هذا الصندوق .

فأجابته ببرود : انـي ارده دون شك متى اثبت لي انه لك .

فسقط راوول في الفخ وقال لها : ان هذا الصندوق قد ائتمنني عليه الكونت دي مازير شقيق زوجك قبيـل وفاته . ـ احق مما تقول ؟

ـ وانت تعلمين ما فيه كما اعلم . ـ اتظن ؟

ـ بل اؤكد ودليلي على ذلك انك [illegible]ت الى غرفـة هذا الرجل كي تسرقيه ليقينك اني كنت انام في هذه الغرفة حين كنت اقيم في باريس واني خبأته فيها منذ عشرين عاما.

والان فاني لا اعلم كيف عرفت هذا السر ولكني اعلم ان الصندوق عندك ولا بد من استرجاعه •

ـ اني ضعيفة يا سيدي وانت قوي فأنت قادر على ان تنهج معي مناهج الشدة وتأخذ الصندوق بالقوة متى اردت ولكني ارجو ان تسلك معي مسالك الاشراف لانك منهم وتناقشني الحساب في حق ملكية هذا الصندوق الذي تدعي الحق باسترداده •

وكانت تنوان قد غمزت الكونتس مشيرة لها ان تطيل الحديث قدر ما تستطيع فلم ينتبه راوول لهذه النظرة وقال للكونتس : ليكن يا سيدتي ما تريدين •

ـ اني اصدق كل ما تقوله يا سيدي فهل ائتمنت على هذا الصندوق كما قلت ؟

ـ نعم •

ـ وهل الكونت دي مازير دفعه اليك قبل وفاته •

ـ نعم وكان ذلك قبل موته بليلة •

ـ اذن لا بد ان تكون عارفا بما يحتويه الصندوق فقل ماذا يوجد فيه •

ـ ان هذا سر لا استطيع ان ابوح لك •

ـ لابأس ولكن اذا كنت مؤتمنا على هذا الصندوق كما تقول فلا بد ان يكون لديك مفتاحه •

فارتعش راوول لهذا السؤال وقال : كلا اني لا احمل مفتاحه ولكنه فيغرفة المسيو بليزوت وقدخبأته في السقف•

ـ لا يسعني الا تصديقك يا سيدي ولكني ارجوك

ان تأذن لي باعتراض ابديه • — تكلمي يا سيدتي •
— انك لا تجهل يا سيدي ان ولدي له الحق بارث نصف ما تركه عمه • — لا ريب في ما تقولين •
— فاذا كان هذا الصندوق منه وجب ان يعود الي ، اي الى ولدي الا اذا كان هناك وصية خاصة لا علم لنا بها•
— ان الوصية موجودة يا سيدتي• — اين هي
— في هذا الصندوق الذي بين يديك •
— اسمح لنا باتمام كسره فنفتحه ونطلع علـى هذه الوصية •

وعند ذلك نظرت الى تنوان كانها تقول لها : لم يعد في وسعي اطالة الحديث اكثر مما اطلته فانظري في حيلة اخرى •

فقالت لها النورية عند ذلك : لا حاجة يا سيدتي الى كسر الصندوق اذ يوجد طريقة اسهل •

فاجابتها الكونتس ببساطة خدع بها راوول قائلة :
— ما هي هذه الطريقة ؟
— الم يقل هذا السيد ان المفتاح موجود في غرفـة المسيو قيصر ؟

فقال لها راوول : نعم •
— اذن تفضل يا سيدي بارشاده الى موضعـه وهو يذهب الى غرفته ويأتينا به •

فسر قيصر بهذه المهمة لانه كان واقفا وقوف الصنم

لا يدري ماذا يصنع وقال : حبا وكرامة •

ـ سأفعل مـــا تشائين بشرط ان يبقى الصندوق في موضعه •

فقالت له الكونتس : اني امرأة يا سيدي وانت رجل، وانت لديك سلاح وانا لا سلاح لي فلا سبيل الى الخوف على الصندوق ولا سبيل الى الفرار به •

فالتفت عند ذلك راوول الى قيصر وقال له : ان هذا المفتاح موجود في الجهة اليسرى من سقف الجدار فـــوق الموقد وقد وضعته فوق رف عند الزاوية ولففته بورق •

فقال قيصر : سأجده في مكانه واعود في الحال •

ثم هم بالذهاب فقالت له تنوان : اني سأصحبك لقضاء هذه المهمة كي لا يريب البواب امرك فان خروجك من الباب اسلم عاقبة من تسلق الجدار •

فلم يعترض راوول في ذلك لانه كان واثقا من ان المنزل ليس فيه غير هاتين المرأتين وهما لا تستطيعان مقاومة رجل مسلح •

ثم ان احدى هاتين المرأتين ستذهب مع قيصر وتعود معه ولذلك رضي بما اقترحته تنوان وقال للكونتس : ليكن ما تريدين ولكـــن بشرط ان تضعي الصندوق على هـــذه المائدة وان لا تمدي يدك اليه •

فامتثلت الكونتس ووضعت الصندوق على المائـــدة وهي واثقة من دهاء تنوان •

اما تنوان فانها خرجت مع قيصر وبقيت الكونتس مع راوول ينتظران عودة قيصر بالمفتاح وهما على احر من الجمر

غير ان قيصر سقط بين مخالب تلك الداهية فانها اخذت بيده وقالت له وهي تنزل به السلم :

ـ توكأ علي يا سيدي واحذر ان تزل بك القدم .

فسار قيصر معها حتى اذا وصلا الى منتصف السلم وقفت فقال لها : ماذا تصنعين؟ ـ سوف ترى ايها الابله.

ثم استلت خنجرا واغمدته في عنق هذا المنكود قبل ان يجد متسعا للكلام فسقط على درجات السلم مضرجا بدمه دون ان يصيح .

ان تنوان لم تطعن قيصر هذه الطعنة النجلاء بغية قتله لمجرد التخلص منه فانه لم يكن مخطرا الى الحد الذي يحملها على قتله .

ولكنها انما ارادت اراقة دم هذا المنكود لتنفيذ خطة رسمتها لنفسها بغية انقاذ الصندوق من قبضة الذين حاولوا اغتصابه .

ومن المحتمل بل المرجح ان الكونتس دي مازير لم تدرك خطة تنوان بجملتها ولكنهاادركت دونشك انالنورية ارادت بذهابها مع قيصر ان تخلص منه وان تعود اليها بما يقيها ويقي الصندوق .

حتى انها خطر لها وهي في هذا الموقف الحرج ان ابنها

لوسيان قديحضر كما وعد فتكون على يده السلامة .

اما تنوان فانها تركت قيصر صريعا مخضبا بدمائه على درجات السلم وعادت الى المنزل فأخذت مصباحا وجاءت به الى ذلك المكان الذي غادرت فيه هذا المنكود وريث بيت دي فدكسون النبيل .

وكان قيصر لا يزال ينتعش ولكنه لم يكن يستطيع الكلام وكانت عيناه تدلان على النزاع الاخير .

فنظرت اليه تلك الداهية دون ان يتأثر قلبها الجهنمي وقالت في نفسها : مهما يكن من الامر فان هذا الرجل لم يعد يخشى منه ان يقول الحقيقة .

ثم جعلت تشاور نفسها فيما يجب ان تصنع فكان اول ما خطر لها الكونت لوسيان فقالت في نفسها : ان هذا الفتى قد تمكنت من الفوز عليه باقناعه انه اساء الى امه وبات يود لو كان له اجنحة طائر فيأتي الى امه ليعتذر لها .

ثم اني اخبرته ان امه ستعود من فرساي عند منتصف الليل ونحن الان في هذا الوقت فلا بد اذن ان يحضر الى شارع اباي فاذا وجد النور في غرفة القصر علم ان امه قد عادت فيصعد اليها دون شك .

ولكنه قد يتأخر عن الحضور بل انه قد لا يحضر الا عند الصباح فيكون الفوز مضمونا لراوول اذ انه يقنط من عودة قيصر فيستولي على الصندوق بالقوة فماذا اصنع في هذا الموقف ؟

أأنتظر عودة لوسيان وهو ينتقم من راوول ولكنه قد لا يحضر ؟

أم أعود الى راوول فاقتله غدرا ان ذلك ممكن ولكني قد لا اوفق الى غدره .

ام اذهب الى البوليس وهو قريب من هنا . ان السلم المنصوب على جدار الحديقة وجثة قيصر وتلوث ثيابه بالدم كل ذلك يخدع فيعتقد لاول وهلة ان راوول من اللصوص فيقبض عليه .

ولكن انخداع البوليس لا يطول فان جميع اهل الشارع يعرفون قيصر حق العرفان ويشهدون له خير شهادة بحسن السلوك ثم ان راوول يوضح الامر في مثل ذلك الموقف ويثبت ان الكونتس قد سرقت الصندوق فيكون اول ما يجريه البوليس انه يضبط الصندوق ويفتحه امام قاضي التحقيق .

وعلى ذلك فان اخبار البوليس والالتجاء اليه خرق في الرأي غير محمود العاقبة .

ثم انه لا يوافق ايضا ايقاظ البواب فان هذا البواب قديم العهد في هذا القصر وهو يعرف قيصر كما يعرفه اهل الشارع فلا يخطر له في بال انه دخل الى القصر قصد السرقة .

وعلى هذا فلا يوجد غير رجل واحد ينخدع لقولنا وهو الكونت لوسيان .

وقد رددت تنوان هذه الافكار بمخيلتها بسرعة التصور

ونظرت الى قيصر بملء السكينة كأنها لم ترتكب منكرا فوجدته ضائعا عن الرشاد لفرط ما نزف من دمائه •

وقبل ان تتم رسم خطتها التي صورتها حين طعنته سمعت صوتا ارتجفت له ونظرت الى مصدره فان هذا الصوت كان رنين جرس باب القصر الخارجي •

وانما ارتعشت سرورا واستبشارا فانها وثقت ان طارق الباب في هذه الساعة لم يكن غير لوسيان •

وعند ذلك اسرعت فوضعت مصباحها على احدى درجات السلم فوق جثة قيصر ولم تنزل لاستقبال لوسيان بل ظلت واقفة قرب الجثة والخنجر مجرد في يدها •

ثم سمعت ان الباب قد فتح فاقفل وتلا ذلك حديث قصير بين الداخل وبين البواب تلاه وقع اقدام سريعة •

فلم يبق لديها شيء من الشك بعد هذا وايقنت ان القادم هو الكونت لوسيان فان البواب لا يفتح الباب لسواه بعدما صدرت اليه أوامر الكونتس •

وعند ذلك تنهدت وقالت : لقد سلمنا وسلم الصندوق بشرط ان اقنع الكونت ان راوول من اللصوص •

وقد كان في ذلك العهد لص اشتهر في باريس شهرة عظيمة وقد عجز عنه البوليس وباتت العائلات تخشاه وتحترس من كيده كل الاحتراس •

وان هذا اللص كان يدعو نفسه الشفاليه دي كمبروز وقد شغلت احاديث جرأته الاندية وملأت الافواه فانه كان

يدخل الى المنازل وهو بملابس كبار الضباط وعلى صدره وسامات الشرف فيبلغ من اموال تلك المنازل ما يريد بجرأة جعلت لاسمه رهبة في القلوب .

وهو مع ذلك قد تجاوز سن الكهولة وكذلك راوول وكان هذا الرجل يدخل الى المنازل بملابس الضباط وعلى صدره الوسامات وكذلك راوول فانه كان بملابس الضباط وعلى صدره وسام ولا بد ان يكون لوسيان سمع بهذا اللص الذي لا يخفي امره عن احد من اهل باريس .

وبينما كانت تنوان تحدث نفسها بهذه الاحاديث كان الكونت لوسيان قد تقدم في فناء القصر حتى وصل الى السلم ورأى النور على السلم فنظر فلم ير في البدء غير النورية . .

وكانت تنوان منبوشة الشعر مضطربة الوجه وثيابها ملطخة بذلك الدم البريء الذي سفكته وهي تهز الخنجر بيدها .

فلما رآها لوسيان حاول ان يصيح منذعرا ولكنه رأى تنوان قد وضعت اصبعها فوق فمها تشير اليه بالسكوت فسكت .

وكانت واقفة امام الجثة بحيث كانت الجثة وراءها فلم يرها لوسيان ولكنها مالت بعد ان اشارت اليه بالصمت فرأى لوسيان تلك الجثة وجمد الدم في عروقه .

وعند ذلك نزلت تنوان اليه فاخذت بيده وقالت له

بصوت منخفض : احذر ان ترفع صوتك فتعرض امك لاشد خطر •

فنظر اليها لوسيان منذهلا وقال : من هو هذا الرجل الصريع ؟ — هو لص وقد قتلته كما ترى •

فاضطرب لوسيان وقال : وامي ؟

— انها فوق ••• فيغرفتها تحت رحمة لص آخر •

فوضع لوسيان يده على قبضة سيفه وهم ان يصعد درجات السلم اربعا اربعا غير ان تنوان اوقفته وقالت له بصوت مختنق : اصغ الي • — ماذا ؟

— ان هذا اللص المقيم الان في غرفة امك هو الشفاليه دي كمبروز الشهير فاصفر وجه لوسيان وقال : كيف وصل اليكم ؟

— انه تسلق سور الحديقة ولا بد ان تكون قد سمعت نوادر هذا اللص الشهير فاحذر ان تنخدع بتمويهاته وتصدق شيئا من اقواله وانقض عليه وسيفك مشهور بيدك •

— اهذا كل ما تريدين قوله ؟ — نعم •

فتركها لوسيان وصعد السلم راكضا فكانت تنوان تتبعه على مهل •

اما الكونتس دي مازير فانها لم تدرك من غاية تنوان بذهابها مع قيصر غير انها تحاول التخلص منه والتماس نجدة ولذلك رأت انه يجب عليها ان تحتال بالحديث مع راوول كي تطيل زمن المحادثة والمناقشة الى ان ترد تلك

النجدة فان عيني راوول لم تكن تفارقان الصندوق •

فلما ذهبت تنوان مع قيصر وبقيت وحدها مع راوول قالت له : اننا سنفتح الصندوق يا سيدي فاذا كان موجودا فيه وصية بخط الكونت دي مازير يوصي فيها بان نسلمك الصندوق امتثلت لارادته اما اذا لم تكن موجودة •

قال انها موجودة كما قلت لك •

ــ كما تعلمين انت • ــ اني لا اعلم شيئا من هذا•

فهز راوول كتفيه دون ان يجيب •

وعادت الكونتس الى الحديث فقالت : لنفترض ان هذا الصندوق يحتوي على امـوال فبأي حق يوصي لك الكونت بهذه الاموال ؟

فارتعش راوول لهذا السؤال وقال : ان الكونت حر يتصرف بماله كيف يشاء •

ــ تريد انه حر يجعلك قيما عليها •

وقد قالت الكونتس هذا القول بلهجة تهكم لم تخف على راوول فلم يبق لديه شك انها عارفة بكل شيء •

اما الكونتس فانها ابتسمت وقالت لـه : قل لي يا سيدي الم تمر في صباح يوم منذ خمسة عشر عاما بديـر ابناء الله ؟

فاصفر وجه راوول ولم يجب •

قالت : الم تضع فتـاة صغيرة في منزل حداد يدعى داغوبير •

فعلم راوول عند ذلك ان الكونتس واقفة على كل سره ورأى انه لم يعد بد من الجلاء والتصريح فقال لها : هو ذاك يا سيدتي وهذا الصندوق لتلك الفتاة .

فأجابته ببرود : اني اعرف ذلك ولهذا اتيت خصيصا الى باريس بغية الاستيلاء على الصندوق وارجاعه اليها .

فقال لها بلهجة الانف من الكذب والنفاق ، انت تريدين ارجاعه اليها ؟

وعند ذلك سمع دق جرس الباب الخارجي ثم سمعا صوت فتح الباب واقفاله فقال راوول في نفسه : هو ذا قيصر قد عاد بالمفتاح .

وقالت الكونتس في نفسها : هوذا ولدي لوسيان قد عاد .

ثم التفتت الى راوول وقالت له : نعم اني حاولت الاستيلاء على هذا الصندوق لرده اليها فان هذه الفتاة قد شبت وترعرعت فاحبها ولدي وهو يريد الزواج بها .

فارتعد راوول وقال : كلا ان هذا لن يكون .

ـ ولماذا ان ولدي ظريف نبيل ؟ ـ ولكنه ولدك .

وقبل ان يتم كلامه فتح الباب فجأة بعنف شديد ودخل منه لوسيان والسيف مشهر بيده وهو يقول : لقد اتيت ايها الشقي في حيني . وقد هجم على راوول هجوما عنيفا وباغته بحيث لم يستطع الوقوف في موقف الحذر الا بعد الجهد الشديد .

اما الكونتس فانها صاحت بصوت خنقه السرور : الي يا ولدي الحبيب فقد اتيت في حين الاوان . ان هذا الرجل لص سفاك .

ــ اني اعرف منه ما تعرفين يا اماه ، ثم انقض على راوول وعيناه تتقدان بنار الغضب .

وكان لوسيان في العشرين من عمره وقد تجاوز راوول الستين فكان احدهما في مقتبل الشباب وفي اشد حالات القوة والآخر مبيض الشعور وقد احدودب ظهره بحيث كان يبدو لاول وهلة ان هذا الفتى سيفوز على هذا الشيخ فوزا هينا .

غير ان راوول كان جنديا قديما خدم الجندية اربعين عاما في اقاليم مختلفة وقد كان له شأن خطير في فرساي في عهد المبارزات الشهيرة حتى انه نال شهرة بعيدة في فنون البراز .

وكذلك لوسيان فانه كان على حداثة سنه من الماهرين في قتال السيف فلما التقى السيفان ادرك لاول وهلة ان خصمه شديد .

اما الكونتس فقد رأت ان الاغماء موافق في هذه الساعة فصاحت صيحة وسقطت على مقعد .

وكانت تنوان قد دخلت الى الغرفة فاسرعت الى الصندوق فخبأته تحت ثيابها وهي توهم انها منهمكة بايقاظ الكونتس .

وكان الاثنان يتقاتلان دون ان يفوه راوول بكلمة الى ان بدأ راوول الحديث فقال له :

ــ انك ترى يا سيدي انك لا يمكنك قتلي بسهولة •

ــ اعلم انك بارع في القتال كما انت بارع في النصب•

ــ اني لم اكن في عمري من اهل النصب •

ــ بل انت لص يدعونه الشفاليه دي كمبروز •

ــ بل انت مجنون كما يظهر •

ثم ضحك ضحكا عاليا وقال : ارى الان جليا ان هذه المرأة النورية بل هذه الحية القاتلة قد لفقت لك ما لفقت اليست هي التي قالت لك اني ادعى الشفاليه دي كمبروز ؟

ــ نعم وقد صدقتها •

وعنــد ذلك انقض عليه وضربــه بسيفه ضربة خالها القاضية •

ولكن راوول خلا منها وكان لا يزال الى الان واقفا في موقف الدفاع وقال له : اني يا سيدي ادعى الشفاليه دي موليير من حراس الملك القدماء وانا الان قادم من اميركا اذ كنت فيها ضابطا بقيادة الجنرال لافاييت •

ــ اني لا اصدق حرفا مما تقول •

وكانت الغرفة ضيقة ولم يكن راوول يريد قتل لوسيان بل كان يريــد ان يتولى خطة الدفــاع الى ان يتمكن من اخباره عن السبب في قدومه الى هذا القصر •

وكان في تلك الغرفة مائدة فما زال يحتال حتى جعل

هذه المائدة بينه وبين خصمه بحيث كانت تقيه ضربات سيفه.

فكانت تنوان تصيح صيحات مزعجة وهي تتظاهر بمحاولة ايقاظ الكونتس على علمها انه لم يكن مغميا عليها.

اما راوول فانه لما آمن لوسيان قال له : انك يا سيدي سواء اعتبرتني الشفاليه دي موليير او سواء كنت لديك من اللصوص او كنت من الاشراف فاني اقاتلك قتال النبلاء لاني تمكنت منك مرتين ولو شئت قتلك لقتلتك وفي مقابل ذلك يحق لي كما ارى ان تصغي الي .

وكانت لهجة راوول تدل على الصدق وقد ايقن لوسيان انه وجد منه مقتلا مرتين وعفا عنه كما قال فكبرت عنده شهامته وخامر الشك قلبه بما روته له النورية .

ولكنه لبث يقاتل راوول قتالا عنيفا وهو يحاول الاسراع في انهاء هذه المبارزة .

وعاد راوول الى الحديث وهو يدافع فقال : ايليق بنا يا سيدي ان تتقاتل في هذه الغرفة الضيقة وامك امامنا مغمى عليها في حين انه يوجد حديقة متسعة تتبارز فيها على ما نريد .

ـ ليكن ما تريد فلنذهب الى الحديقة ولكن سر امامي اليها واحذر ان تهرب او قتلتك غدرا .

فمشى راوول وتبعه لوسيان حتى خرج من الغرفة فوجد لوسيان مصباحا في الرواق وهو المصباح الذي كان مع تنوان فاخذه وقال لراوول : سر امامي فاني في اثرك .

فسار راوول حتى انتهى من الرواق ونزل في السلم فلم يبلغ الى وسطه حتى وقف مذعرا وجمد الدم في عروقه اذ رأى قيصر المنكود صريعا مخضبا بدمه •

فالتفت الى لوسيان وقال له :

ــ ما هذا الذي فعلته وكيف قتلت هذا المنكود ؟

ــ لست انا الذي قتلته بل تنوان وانما قتلته دفاعا عن نفسها فانه لص مثلك •

فاجفل راوول وقال له بلهجة القانط : انهـا لم تقتله دفاعا عن نفسها بل انها اغتالته اغتيالا •• ان هذا الرجل ليس من اللصوص وهو ابن صاحبة هـذا المنزل المقابـل لقصركم فلتسقط تبعة دمه الزكي المسفوك علي وعليك ، اما علي فلأني كنت السبب في قتل هذا البريء دون ان اريد، واما عليك فلأنك لا تريد ان تصدق ما اقول •

ثم نزل السلم وهو يكاد يجن من يأسه حتى انتهى الى آخره وعطف الى الحديقة •

وقد انقطع عن الكلام بعد ان رأى فظاعة مقتل قيصر وكبرت عليه تلك الجريمة وانف شر الناس حتى انف الحياة فمشى توا الى شجرة فوقف في ظلالها وقال للوسيان : اني رهن امرك •

فوضع لوسيان المصباح فوق العشب فكان ينير ساحة القتال وبدأت المبارزة بين الاثنين •

وطـال البراز بينهما فكان العرق ينصب مـن جبين

لوسيان وهو يرى ذلك الشيخ يدافع عن نفسه دفاع الابطال وينهج في اهل الذوق والنبل •

ثم انه كان يرى من عينيه ما يدل علـى السلامة وقد طبع اليأس على وجهه علائم الشهامة وارتسمت فوق جبينه مخائل النبل فاضطرب لوسيان في امره وقال في نفسه اما ان تكون تنوان منخدعة او هي كاذبة فلا يمكن ان يكون هذا الرجل من اللصوص •

غير ان لوسيان وجده عند امه في ظـلام الليل وقد تسلق الجدار فبلغ الى غرفتها خلسة وسمع امه تستغيث به منه فعاد الى الحكم عليه بانه من اللصوص وجعل يهاجمه بملء العنف والشدة •

وكذلك راوول فانه كان يدافع عن نفسه خير دفـاع ولكنه لم يحاول ان يجرح خصمه •

وطال القتال بينهما حتى يئس لوسيان وقال له :

ـ يظهر انك لا تغلب •

فاجابه راوول بلهجة دلت علـى سويدائه : اني كما وصفت يا سيدي الكونت والفرق بيني وبينك بعيد فقد اصبت منك مقتلا عشر مرات على الاقل •

ـ ولماذا لم تقتلني ؟

ـ لاني غير حاقد عليك ولا اكرهك •

ـ ولكن لماذا اتيت الى هنا ؟

ـ للاستيلاء على حقي ومالي •

ـ انت لك هنا اموال ؟ ـ نعم .

ـ اني لا افهم ما تقول ؟

ـ أأنت حقيقة يا سيدي ابن مدام دي مازير ؟

ـ لقد سمعتها تدعوني بابنها فيما اظن ؟

ـ هو ذاك اذن فاعلم يا سيدي الكونت ان امك قد سرقت هذه الليلة صندوقا .

فهاج لوسيان وقد كبرت عليه اهانة امه فقال له بصوت مختنق :

ـ لقد كذبت فدافع عن نفسك ان كل دمك لا يروي غليلي فقد اهنت امي .

ثم انقض عليه انقضاض الكواسر وربما كان في قلبه صوت سري في ذلك الحين يقول له ان هذا الشيخ غير كاذب فيما قال ولكنه سمع اهانة امه باذنه فلم يعد يسعه غير الانتقام .

وعاد القتال بين الاثنين الى اشد ما كان عليه فكان لوسيان هائجا مغضبا لا ينفك عن الهجوم وكان راوول هادئا لا يتولى غير الدفاع ولا يحاول ان ينال لوسيان باذى حتى تأثر لوسيان من هذه المروءة الظاهرة فلم يرجع عن خطة الهجوم .

وكانا يتقاتلان في الحديقة وفي ارضها كثير من الحجارة فاتفق ان رجل راوول عثرت بحجر فالتوى جسمه وانكشك لخصمه .

وكان لوسيان قد طعنه في ذلك الحين قبل ان يرى عثرته فاخترق سيفه صدر راوول فصاح هذا الشيخ الكريم صيحة الم وهوى الى الارض •

فوقف لوسيان وقفة المضطرب وقد ذعر لهذا الانتصار الذي لم ينله الا بالصدفة والاتفاق •

ثم هبت فيه عاطفة المروءة والكرم ورجا ان لا يكون قد قتل هذا الشيخ الذي عفا عنه مرارا بعد المقدرة فاخذ المصباح وأسرع الى خصمه يفحص جرحه فوجده لا يزال يتنفس ولكن الدم قد تدفق من فمه •

وقد كاد يجن ليأسه فطرح سيفه بعيدا وحمل الشيخ بين ذراعيه وجعل يناديه بأعذب الالفاظ ويتلمس منه العفو والغفران •

ثم حمله وسار الى اقرب شجرة فاسنده عليها •

ولم يكن راوول قد مات ولكن الدم كان لا يزال يتدفق من فمه وكان ينظر الى لوسيان نظرة حنان كأنه يقول له ان القضاء قد قتلني فلك ما طلبته من السماح •

ثم رفع يده ووضعها على صدره فادرك لوسيان قصده واسرع الى فك ازرار ثوبه فانكشف موضع الجرح ورأى لوسيان مدالية معلقة في عنقه تنتهي عند الجرح •

فنظر لوسيان الى هذه المدالية على نور المصباح فرأى فيها رسما يشبه ذلك الرسم الذي وجدته اورور حين بحثت في اوراق امها وهو رسم المنكودة كريتشن التي هام بها

راوول والاب جيروم وهذه الصورة كتلك تشبه حنة ربيبة الدير شبها عجيبا .

فذعر لوسيان حين رأى تلك الصورة ذعرا شديدا وتوهم انه قتل والد حنة وانه بات بينه وبينها هوة عميقة لا يدرك لها غور .

. . .

بينما كانت الكونتس دي مازير وتنوان النورية تشتغلان في سرقة الصندوق وبينما كان ذلك المنكود راوول قد عاد الى فرنسا وقد كتب له في لوح المقدور ان يسقط صريعا بسيف لوسيان كانت حوادث اخرى تجري في تلك الغابة التي افتتحنا بحوادثها هذه الرواية .

ذلك ان سكان القرية المجاورة لتلك الغابة بلغ منهم الانذهال مبلغا شديدا حين علموا ان حنة تلك الفتاة ، التي كانوا يلقبونها بربيبة الدير ، قد غادرت منزل داغوبير الحداد

وكان الجميع يهزون رؤوسهم حين يتحدثون بأمرها اشارة الى الريب لا سيما حين علموا ان هذه الفقيرة قد انتقلت الى قصر بيليادير عند والد الكونتس اورور وان هذه الكونتس كانت تناديها باختها .

ثم اخذت هذه الاشاعة تذاع في القرية حتى صدقها الاكثرون وايقنوا ان حنة اخت اورور .

وقد اتفق في ليلة ان زعيم الفلاحين في تلك القرية ، وهو ذلك القروي الذي قتل ايل الكونتس اورور

فاختصمت بسببه مع ابن عمها لوسيان ، كان يجتمعا في خمارة مع بنوات الاحدب وقد تقدم لنا وصفهما في الفصول السابقة من هذه الرواية فكانا يتحدثون بما يأتي :

قال القروي : اذا كان كل ما رويته لي اكيدا يا بنوات فلا شك ان النبلاء بدأ الخوف يسري الى قلوبهم •

فقال له الاحدب ببساطة : مما يخافون ؟

ــ يخافون من الشعب •

ــ لا افهم كنه ما قلته ايها الصديق ولكن الذي قلته لك اكيد لا شك في صحته •   ــ احق ما تقول ؟

ــ دون شك فان الشفاليه دي مازير قد تغير تغيرا عظيما وانت تعلم انه منذ شهر في اشد حالات المرض بل كان مشرفا على الموت •

فهز القروي رأسه وقال : امثل هؤلاء الناس يموتون انهم لا يستحقون الموت بل القتل •

ــ انك مخطيء ايها الصديق فقد قال عنه الطبيب حين اشتداد الازمة انه سيموت قبل الفجر •

ــ ولكن الطبيب كان مخطئا كما ترى •

ــ هو ذاك غير ان الشفاليه حين بلغ هذا المبلغ من الخطر دعا اليه الكاهن فاعترف بذنوبه واحله الكاهن منها•

ــ المهم انه لم يمت •

ــ بل المهم انه ندم وتاب فاصبح على عكس ما كان عليه من قبل وبات من اهل الشفقة والاحسان بعد ان كان

لا يريد خيرا لانسان ودليل ذلك انـه تبرع علـى فقراء القرية بخمسمائة جنيه •

ــ ولكن ذلك لا يمنع الفلاحين متى نضجت ثورتهم واحرقوا قصور النبلاء ان لا يبقوا على قصر هذا التائب •

فلم يحفل الاحدب بهذا الانذار ومضى في حديثـه فقال : وان ابنته اورور قد اقتدت به وتابت توبته فباتت من اهل الخير والمعروف •

فدهش لقوله وقال : ايمكن ان تكون كما وصفت ؟

ــ هي الحقيقة رويتها لك فانهـا رجعت عن الصيد وامتهان الفلاحين فصارت لا تخرج للنزهة الا مع اختها حنة وبات احب امر لديها الاحسان الى الفلاحين ومؤانستهم بعد ذلك الصلف والامتهان •

ــ احق ان ربيبة الدير اختها ؟

ــ لم يبق شك في ذلك •

فشرب القروي جرعة من كأسه وقال : اني لا افهم شيئا من هذه الالغاز ثم خفض صوته وقال : اذا كان الامر كما تقول فان الله قد انعم عليهما بهذا الانقـلاب لحسن حظهما وان حظهما يشبه حظك •

فارتعش الاحدب وقال : كيف ذلك ؟

ان ما اتفق لك لو كان قد حدث منـذ عشرة اعوام لكانوا شنقوك دونمحاكمة ولكن العهد قد تغير بحمد الله •

فاضطرب بنوات وقال له : اخفض صوتك •

ــ ليس من يسمعنا وفوق ذلك فلو سمعوا ما اقوله عنك فلا تجد هنا من يخونك اذ ليس بيننا من يكرهك ويريد لك الشر • فزاد اضطراب الاحدب وقال :

ــ مهما يكن من الامر فأخفض صوتك •

فامتثل القروي وقال : انك اخذت بندقية في ليلة واطلقتها على الشفاليه دي فولون ، نعم انك لم تقتله ولكن ذلك لم يكن خطأ منك او سوء ارادة •

فقال له الاحدب بلهجة المتوسل :

ــ ارجوك ايها الصديق ان تقطع هذا الحديث •

غير ان القروي مضى في حديثه فقال : انهم حملوا الشفاليه في البدء الى قصر دي بورببير ثم نقلوه الى منزله•

وفي خلال ذلك اجرى رجال الحكومة التحقيق فوجدوا خادمي الشفاليه قتيلين في قبو القصر ووجدوا القصر مسروقا •

ثم وجدوا السرقة مع الخادمين فاستنتجوا من ذلك انهما قتلا سيدهما ونهبا القصر ثم اختلفا على المسروق فقتل احدهما الآخر •

فقال له الاحدب بلهجة المضطرب :

ــ لقد اصاب رجال الحكومة اذ هذه هي الحقيقة •

فابتسم القروي وقال : اننا لو كنا في غير هذا العهد لتوسع رجال الحكومة بالتحقيق فاتضح لهم انك انت القاتل لشنقوك على الفور ايها الصديق وفجعنا بك ولكن

اليوم غير امس وقد تغير كل شيء حتى بات النبلاء يخشوننا كما كنا نخشاهم وبات دم النبيـــل يذهب هدرا كما كانت تذهب دماؤنا ، اذ قد زالت دولتهم وقامت دولتنا نحـــن الفقراء •

فلم يجبه بنوات ولم يشاركه في هذا الرأي •

وعاد القروي الى قصة جنة فقال :

ـ اذن لقد بات داغوبير وحده الان ؟

ـ نعم ولـكنه غير مسرور بهذه الوحدة •

ـ لماذا ؟ ـ لانهم سلبوه حنة •

ـ ولـكن له عليها التربية ؟

ـ هو ذاك فانهم طلبوا اليه في البدء ان يقفل دكانه ويعيش بينهم مع حنة وقد توسلوا اليه حتى ان حنة عانقته وطلبت اليه ان لا ينفصل عنها والدموع تذرف من عينيها فقبل بذلك •

ـ احق ما تقول ؟

ـ ولـكنه لم يقم في قصر بلياردير غير ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع لم يجدوه• ـ ماذا صنع اعاد الى دكانه؟

ـ انه عاد توا اليها وهو من ذلك العهد يشتغل الليل والنهار بهمة اليأس وانقطع عن الغناء فقد كان صوت غنائه من قبل يرتفع على صوت مطرقته •

ـ وماذا اصاب هذا المسكين ؟

ـ انه انقلب فجأة اتم الانقلاب واستحالت اخلاقـــه •

الى ضدها فبعد ان كان لا يلقى غير باش الوجه طلق المحيا حلو المنادمة بات منقبض الصدر مقطب الجبـين لا تعرف شفتاه الضحك ولا ينطق لسانه الا بالكلام الوجيز كأنما قد اصابه مس من الجنون بعد عودته من قصر بلياردير .

ــ اتظن ان ذلك لسبب فراقه حنة ؟

ــ هذا ما يتبادر الى الاذهان واما انا فارى لانقباضه سببا آخر . ــ ما هو ؟ ــ هو ان قلبه قد ملىء غراما .

ــ الا يحب حنة ؟ ــ كلا .

ــ بمن اذن هام هذا الهيام ؟

فدنا الاحدب من القروي وقال له هامسا في اذنه : اظنه هائما بالكونتس اورور .

فدهش القروي وقال : ما هـذه الظنـون ان ذلك يستحيل ان يكون . ــ لماذا تراه مستحيلا ؟

ــ لاني حادثت داغوبير مرات كثيرة فما جرى بيننا مرة ذكر هذه الكونتس حتى اظهر لي من كبريائها وشدتها على الفقراء ما يدل دلالة على كرهه اياها فكيف يعشقها بعد ذلك الكره ؟ ــ لا انكر انه يكرهها بل كان يحتقرها .

ــ ارأيت كيف توافقني على ما اقول ؟

ــ هو ذاك ولكن الكونتس اورور قد تغيرت الان وهو انما كان يكرهها بسبب اخلاقها قبل ان تتغير .

وقبل ان يتمكن الاحدب من اتمـام رأيه فتح بـاب الخمارة ودخل منه داغوبير .

وقد كان داغوبير مقطب الوجه منقبض الصدر تظهر عليه علائم التفكير والانشغال حتى انتبه لصديقه الاحدب والقروي فجلس حول مائدة معتزلة وضرب الطاولة بيده يستدعي صاحبة الخمارة •

فاسرعت اليه صاحبة الخمارة وقالت له : ماذا تريد ان تشرب يا داغوبير اتريد خمرا ؟ — كلا بل اريد عرقا•

ثم وضع رأسه بين يديه وتاه في مهامة التفكير •

فقال بنوات للقروي بصوت منخفض : ارأيت هذا المنكود كيف تغير فان الدمع يكاد يجول في عينيه •

غير ان داغوبير لم يرهما ولم يسمع حديثهما فظل يشرب الكأس تلو الكأس كمن يشرب ليتداوى بالخمر من همه لا كمن يشرب ليطرب •

وقد اقام في تلك الخمارة نحو ساعة لا ينظر الى احد من الناس وهو اذا فرغ الكأس ملأه واذا ملاه شربه وكان كلما شرب زاد انقباضا •

ثم دفع على المائدة التي كان عليها ثمن الشراب وخرج من الخمارة دون ان يحي احدا من الذين كانوا فيها •

وكان جميع اصحابه يرون انكماشه ويحسبون ان السبب هو بعده عن ربيبة الدبر فلم يجسر احد على محادثته او سؤاله اين ذاهب •

اما الاحدب فانه حين رآه خرج من الخمارة ودع رفيقه القروي وهم بالانصراف فقال له القروي : الى اين

انت ذاهب ؟

ـ اني ذاهب لانام فقد دنت ساعـة الرقاد ثم تركه وانصرف . وكانت الليلة ممطرة مظلمة غير ان الاحدب كان يرى خيال داغوبير يبتعد .

وما زال في أثره حتى رآه يسير في طريـق مناقض لطريق منزله فعجب لامره وقال في نفسه : الى اين يذهب في هذا الظلام فلا بد ان يكون له مأرب خفي ولعلي اقف على سبب انقباضه اذا تعقبته .

ولم يكن يجسر ان يستوقفه ويناديه حذرا مـن ان يصبه بما رأى من ظواهر يأسه فجعل يسير في اثره علـى مسافة قريبة بحيث كان يراه وداغوبير يسير دون ان يلتفت الى ورائه فلم يخطر له ان صديقه الاحدب في اثره .

وما زال داغوبير سائرا حتى وصل الى آخر طريـق سولي فوقف عنده .

وكان هذا المنزل لرجـل يدعى فريمون وهو التاجر الوحيد في قرية سولي وجميـع ضواحيها فكان منزله او دكانه يشبه المعرض لكثرة ما فيه من البضائع المختلفة من كل ما يحتاج اليه سكان تلك النواحي فكان فيها القماش على اختلافها والخيوط والابر وما يكثر من الطعام والحبال وادوات الصنائـع الى غير ذلك مـن كل ما يحتـاج اليه القرويون .

فلما رآه الاحدب وقف عند بابه وقال في نفسه : لا

شك انه محتاج الى مسامير ثم اختبأ وراء شجرة كي يرى ما يكون منه •

ولم يكن فريمون قد نام بعد ففتح باب دكانه لداغوبير والمصباح في يده فأصاب نورالمصباح وجه داغوبير ونظر اليه الاحدب فرأى انه يشبه وجوه الاموات •

وقد دخل داغوبير الى الدكان واقفل بابها فلم يعد يرى الاحدب شيئا •

ولكن الفضول دفعه الى التجسس فدنا من احدى نوافذ الدكان وقد كان زجاجها مكسورا وقد وضع في محله قطعة من الورق المغموس بالزيت •

فاصغى الى ما دار بين الاثنين من الحديث فسمع الرجل العجوز صاحب الدكان يقول لداغوبير ، ماذا تريد يا ابني العلك في حاجة الى مسامير وكم اقة تريد ؟

قال له داغوبير ، كلا لست في حاجة الى مسامير •

ـ اذن ماذا تريد ؟ ـ اريد حبلا •

فدهش صاحب الدكان وقال له : ما عسى يصنع البيطري بالحبال ؟ قال : ان حبل المنفاخ قد انقطع وهرأ فأردت استبداله بسواه •

ـ كم تريد ان يكون طول الحبل ؟

ـ من ستة الى ثمانية اقدام •

ـ ولكن ذلك اكثر مما تحتاج اليه ؟

ـ لا بأس فاعطني ما طلبته اليك •

فجاءه الرجل بالحبل وفحص داغوبير متانته ثم قال له اقطع لي القدر المطلوب •

فقطع له طلبه فلف داغوبير الحبل ووضعه في جيبه •

فقال له صاحب الدكان : اهذا كل ما تريده يا بني ؟

ـ اريد ايضا قطعة من الصابون •

ـ العلك تتولى انت غسل ثيابك بعد ان بت وحدك ؟

فأجابه داغوبير بصوت مختنق : نعم •

فاعطاه ما طلب ودفع له داغوبير الثمن ثم خرج من الدكان وقال له صاحبها : الوداع يا سيدي فريمون •

فاجابه فريمون : الى اللقاء •

قال : لا لقاء بعد هذا الوداع ثم خرج دون ان يسمع الرجل كلماته الاخيرة ومشى بخطوات غير موزونة لفرط اضطرابه فمر الاحدب دون ان يراه •

اما الاحدب فقد عجب لشرائه الحبل وصابون وزاد في عجبه انه بدلا من ان يعود الى منزله توغل في طريق الغابة • فقال الاحدب في نفسه : لا بد ان اعلم قصده ولو اضطررت الى السير كل الليل •

وجعل داغوبير يوسع الخطى فكان الاحدب يقتفي به كي لا يفوته اثره ولكنه كان يسير جهة منحرفة عن الطريق متواريا بين الاشجار حتى اذا التفت داغوبير لا يستطيع ان يراه •

ولبث داغوبير يسير نحو ربع ساعة حتى وصل الى

منعطف في الغابة يندر دخول الناس اليه لانحرافه عن الطريق العام فدخل فيه وتوغل في الغابة •

وكان الاحدب مجدا في اثره فاذا وقف توقف وتوارى بين الاشجار واذا مشى سار في اثره •

غير ان داغوبير كان شديد الانشغال بنفسه حتى انه لو اطلقت البنادق من ورائه لما التفت •

ولبث سائرا وهو يحسب نفسه وحيدا في الغابة حتى انتهى الى شجرة مقطوعة بقي بعضها في الارض فكان شبه كرسي وقد كانت الليلة ممطرة كما قدمنا وقد تجمعت الامطار في كثير من الحفر والاراضي المنخفضة في الغابة فكانت تشبه البحيرات •

فجلس داغوبير فوق جذع الشجرة المقطوعة فجعل الاحدب يراقبه فرأى ما دهش له وهو انه اخرج الحبل من جيبه فحله وعقده عند طرفه •

ثم اخرج قطعة الصابون فبلها بالماء وجعل يمر بها على الحبل • فجمد الدم في عروق الاحدب اذ ادرك بغية داغوبير ولكنه بقي واقفا في موضعه لا يتحرك •

اما داغوبير فلما اتم عمله جعل ينظر الى ما حوليه نظرة المراقب فلم ير الاحدب لاختبائه •

اما الاحدب فكان يرى كل ما يصنعه داغوبير فانه رآه وقف هنيهة موقف المتردد ثم ظهرت عليه علائم العزم

الاكيد فمشى والحبل بيده الى شجرة عالية كثرت اغصانها فتسلق تلك الشجرة حتى بلغ الى اعلاها فركب فوق غصن غليظ من غصونها •

ثم ربط احد طرفي الحبل بذلك الغصن الذي كان يمتطيه ولف الطرف الآخر المعقود حول عنقه •

وكان الاحدب قد دنا حتى صار عند اسفل الشجرة فسمعه يقول الوداع يا حنة انك غير محتاجة الي الان فليس ما يمنعني عن الموت •

ثم ترك داغوبير الغصن وبقي معلقا بيد واحدة والحبل في عنقه بحيث انه اذا افلت الغصن التف الحبل على عنقه وبات معلقا في الفضاء •

ولكنه قبل ان يفلت الغصن سمع صوتا يناديه فيقول: اي داغوبير انك تريد الانتحار شنقا ولكني سأدركك قبل اتمام قصدك •

وعند ذلك وثب الاحدب وتسلق الشجرة بخفة النمر وقد وضع السكين في حزامه كي لا يعيقه حملها عن التسلق •

فذهل داغوبير لما سمعه وبقيت يده ماسكة بالغصن •

٢٩

الاحدب وداغوبير

ان المرء مهما اشتدت عزيمته على الانتحار ومهما بلغ من صدق نيته فيه وجراته عليه فانه لا يلبث ان يتردد فيه حين يجد شاهدا عليه يباغته عند الانتحار كما باغت الاحدب صديقه داغوبير •

ولذلك توقف داغوبير عن افلات الغصن حين سمع صوت الاحدب وقد كاد يهم بافلاته •

اما الاحدب فكان يتسلق الشجرة ويتكلم في حين واحد كي يشغل داغوبير بحديثه فكان يقول له : اقسم انه لو قيل لي منذ ساعة انك تحاول الانتحار لما صدقت ويحك يا داغوبير اجننت ؟

فزاد ضغط داغوبير على الغصن •

وعاد بنوات الى الحديث فقال : ما هذا الذي تفعله يا داغوبير امثلك ينتحر وقد عرفت بالبسالة والصبر على الشدائد واي فضل لك اذا عجزت عن تحمل نكبة واردت التخلص منها بالانتحار بل اية ثقة بقيت لك بالله ؟

وكان يقول هذا القول وهو يتسلق الشجرة حتى

وصل الى الغصن الذي كان معلقا فيه الحبل فاسرع الى خنجره فاستله وقطع به الحبل بسرعة التصور •

وعند ذلك تنفس داغوبير تنفس الارتياح كانما مداخلة بنوات ذكرته بالحياة فتمسك بها •

ولما رأى بنوات قطع الحبل افلت هو الغصن الذي كان متمسكا به فسقط الى الارض ولم يصب باذى فان الارض كانت رطبة لسيل الامطار وكثرة العشب فيها •

اما الاحدب فانه القى بنفسه على الفور ايضا فادرك داغوبير قبل ان ينهض من سقوطه •

فجلس بقربه وقال له بلهجة الحنو الصادق :

ـ يظهر يا داغوبير ان حزنك الشديد حملك على هذه الجريمة • فلم يجبه داغوبير بل ستر وجهه بيديه وجعل يبكي بكاء الاطفال • فسر الاحدب لبكائه فان الدموع تذهب اليأس وقال له :

ـ ماذا اصابك ايها الحبيب العلك قانط لفراق حنة ؟

ـ كلا فاني استطيع ان اراها متى شئت حتى اني استطيع ان اترك عملي واقيم معها بقية العمر في بلياردير •

ـ تعال معي يا داغوبير نجلس في ظل هذه الشجرة ونتحدث قليلا فان نصائحي قد تفيدك •

ثم اخذ بيده وسار به الى جذع الشجرة الذي جلس عليه داغوبير حين دخوله الى الغابة فجلس واياه عليه وقال له : اني اعلم يقينا ما اصابك واعرف ما يثور في قلبك من

٢٩

الاحدب وداغوبير

ان المرء مهما اشتدت عزيمته على الانتحار ومهما بلغ من صدق نيته فيه وجراته عليه فانه لا يلبث ان يتردد فيه حين يجد شاهدا عليه يباغته عند الانتحار كما باغت الاحدب صديقه داغوبير .

ولذلك توقف داغوبير عن افلات الغصن حين سمع صوت الاحدب وقد كاد يهم بافلاته .

اما الاحدب فكان يتسلق الشجرة ويتكلم في حين واحد كي يشغل داغوبير بحديثه فكان يقول له : اقسم انه لو قيل لي منذ ساعة انك تحاول الانتحار لما صدقت ويحك يا داغوبير اجننت ؟

فزاد ضغط داغوبير على الغصن .

وعاد بنوات الى الحديث فقال : ما هذا الذي تفعله يا داغوبير امثلك ينتحر وقد عرفت بالبسالة والصبر على الشدائد واي فضل لك اذا عجزت عن تحمل نكبة واردت التخلص منها بالانتحار بل اية ثقة بقيت لك بالله ؟

وكان يقول هذا القول وهو يتسلق الشجرة حتى

وصل الى الغصن الذي كان معلقا فيه الحبل فاسرع الى خنجره فاستله وقطع به الحبل بسرعة التصور •

وعند ذلك تنفس داغوبير تنفس الارتياح كانما مداخلة بنوات ذكرته بالحياة فتمسك بها •

ولما رأى بنوات قطع الحبل افلت هو الغصن الذي كان متمسكا به فسقط الى الارض ولم يصب باذى فان الارض كانت رطبة لسيل الامطار وكثرة العشب فيها •

اما الاحدب فانه القى بنفسه على الفور ايضا فادرك داغوبير قبل ان ينهض من سقوطه •

فجلس بقربه وقال له بلهجة الحنو الصادق :

ـ يظهر يا داغوبير ان حزنك الشديد حملك على هذه الجريمة • فلم يجبه داغوبير بل ستر وجهه بيديه وجعل يبكي بكاء الاطفال • فسر الاحدب لبكائه فان الدموع تذهب اليأس وقال له :

ـ ماذا اصابك ايها الحبيب العلك قانط لفراق حنة ؟

ـ كلا فاني استطيع ان اراها متى شئت حتى اني استطيع ان اترك عملي واقيم معها بقية العمر في بلياردير •

ـ تعال معي يا داغوبير نجلس في ظل هذه الشجرة ونتحدث قليلا فان نصائحي قد تفيدك •

ثم اخذ بيده وسار به الى جذع الشجرة الذي جلس عليه داغوبير حين دخوله الى الغابة فجلس واياه عليه وقال له : اني اعلم يقينا ما اصابك واعرف ما يثور في قلبك من

العواطف •

فقال له بصوت اجش : استحلفك بالله ان لا تحدثني بشيء من هذا •

ـ بل يجب ان احدثك كي ابرهن لك انه لا يجب ان تموت •

فهز داغوبير رأسه وقال : ماذا تريـد ان يصنع فقير مثلي كتب له في لوح المقدور ان يحب ابنة نبيلة وبرح به الهوى وهو لا يستطيع ان يتزوجها •

ـ ان هذا يتفق لكثير من الناس ولكنه ليس بالسبب الداعي الى الانتحار • انك تكلمت الان عن الله وانه قدر لك ان تصاب بهذا الغرام الا تعلم ان الله اراد ان يجرب بسالتك •

ـ لم يبق لي بسالة ولا اقدام بعد هذا الغرام •

ـ اصغ الي يا داغوبير فانك اذا اتبعت نصائحي قد تستريح مما انت فيه •

وكان داغوبير لا يزال يبكي فمسح عينيه وقال للاحدب:

ـ اي نصح تعني وماذا تريد ان اصنع ؟

ـ اريد ان تذهب الى الاب جيروم •

فارتعش داغوبير لهذا الاسم ونهض فجأة من مكـانه دون قصد كانما هذا الاسم قد ذكره ما كان ناسيا فانه كان قد انقطع عن العمل ولم يعد يكترث للزبائن وبات يهرب من دكانه فيهيم في الغابة ولذلك احتجب عن الاب جيروم فلم

بعد يراه .

وراى الاحدب ان اسم الاب جيروم قد اثر عليه تأثيرا حسنا فقال له : نعم يجب ان تذهب الى هذا الراهب الجليل وتعترف له بامرك وتسترشده فعساه يعينك برأي يكون فيه السداد .

ففكر داغوبير هنيهة ثم قال لقد اصبت يا بنوات وسأذهب اليه .

ــ هذا ما كنت ارجوه منك ايها الصديق فان من كان له عقلك وحزمك لا يرتكب ما ارتكبته من الخطأ ولكني لا أفارقك الان فاني اخشى ان يعود الى قلبك ذلك اليأس .

وعند ذلك اخذ الاحدب الحبل الذي كان لا يزال على عنق داغوبير ورماه بعيدا ثم تأبط ذراعه وقال له :

هلم بنا نبرح هذا المكان فان تذكاره بات يؤلم نفسي.

فسار داغوبير معه دون مقاومة كالطفل وقال له :

ــ الى اين تريد ان نسير ؟ ــ

ــ الى الدير اذ لا ارى بدا من مقابلة الاب جيروم ويقيني انك تجد في مقابلته كل الخير .

وقد علم الاحدب انه لا يضر داغوبير في هذه الحالة مثل السكوت فجعل يحتال عليه بالكلام وينتقل معه من حديث الي حديث الى ان انتهى الى ذكر الاسفار فقال له :

ــ الم تكن عازما على السفر مع الاب جيروم ؟

فتنبه داغوبير من غفلته عند هذا السؤال وقال : نعم.

ــ ولكنك لم تسافر ؟ ــ هذا اكيد • ــ لماذا ؟

ــ لا اعلم فاننا قررنا في ليلة ان نسافر في صباحها الى تأجيل السفر غير ان الشفاليه قد شفي من دائه بعد ذلك • ان الشفاليه دي مازير مشرف على الموت وانه يريد الاعتراف فلم يجد بدا من الذهاب اليه •

وقد بقي هذا الشفاليه ثمانية ايام يحسب من حوله انه في حالة النزع فكان الاب جيروم مضطرا الى عيادته •

فقال له اذن لقد اتضح السبب فان الاب جيروم اضطر الى أجيل السفر غير ان الشفاليه قد شفي من دائه بعد ذلك•

فلم يجبه داغوبير •

فقال الاحدب : الم يكن هذا السفر الى باريس من اجل حنة • ــ نعم وكيف عرفت ذلك ؟

فابتسم الاحدب وقال : اني اعرف كل شيء •

فقال داغوبير : ان الاب جيروم لم يقل لي شيئا بعد ذلك عن هذا السفر ولكني اظن انه لم يبق حاجة اليه بعد ان باتت حنة تقيم في قصر بلياردير •

ولبث الاثنان يسيران وهما يتحدثان حتى وصلا الى الدير •

وكانت السماء مقتمة والنجوم محتجبة بالضباب فقال بنوات : اننا لا نستطيع معرفة الوقت الان من النجوم ولكني اظن اننا في منتصف الليل •

ثم نظر الى الدير وقال : اني ارى نورا في احدى غرفه

اما هي غرفة الاب جيروم ؟

ـ دون شك فان هذا الاب الصالح يحيي كل ليله بالصلاة .

ـ اذن اطرق باب الدير وادخل اليه فانهم يؤذنون لك بالدخول متى اردت .   ـ وانت ماذا تصنع ؟

ـ اعطيني مفتاح دكانك فانتظرك فيها .

ـ انه تحت العتبة في موضعه الذي تعرفه .

وهنا افترقا فذهب الاحدب الى دكان داغوبير وذهب داغوبير الى باب الدير فطرقه فانتبه البواب منذعرا وقال من الطارق ؟

ـ انا داغوبير .   ـ ماذا تريد في هذه الساعة ؟

ـ اريد ان ارى الاب جيروم في الحال لشأن خطير .

فامتثل البواب وفتح الى داغوبير وصعد توا الى غرفة الاب جيروم فلقيه راكعا عند سريره وكتاب الصلاة بيده .

اما الاب جيروم فانه حين رأى اصفرار وجه داغوبير واضطرابه وثيابه الملوثة بالوحل ايقن بحدوث مصاب .

اما داغوبير فانه ركع امام الاب جيروم وقال له : انك تنظر الان يا سيدي الى رجل مجرم اثيم فاني اوشكت ان اقتل نفسي منذ ساعة وقد جئتك اتوسل اليك ان تسمع اعترافي .

. . .

عندها امر الاب جيروم داغوبير ان ينهض وقال له : اني احلك من الخطيئة التي ارتكبتها ، كان داغوبير يبكي امامه بكاء الاطفال .

فقال له الاب جيروم : ان الله يا بني قد اراد لك ما اراد فقد خلق الانسان للمصائب وجربه بانواع البلايا .

ولكنه جعل لكل شقاء دواء ودواء الاشقياء قضاء واجب اذا عدوه مقدسا ووافوا به هان عندهم كل ما يجدونه من الشقاء .

اما واجبك انت فهو خدمة حنة والحرص عليها ورد الكيد عنها . اما انا فلا يسعني بصفتي كاهنا ان اشك بصدق ندامة هذا الرجل الذي دعيت اليه لاسمع اعترافه الاخير وهو الشفاليه دي مازير .

ولكن الرجل بصفته انسانا لا يخلو قلبه من الشك في هذه المواقف .

ولقد يخطر لي بعض الاحيان اننا اخطأنا خطأ لا يغتفر بارسال حنة الى الشفاليه دي مازير فاننا قد رأيناه يحتضر دون شك ولكنه لم يمت بل انه سيعيش عمرا طويلا .

فنظر داغوبير الى الاب جيروم نظرة شفت عما داخل قلبه من الحزن والشك وقال : ماذا تريد بذلك يا ابي ؟

ــ ان المرء حين يرى نفسه على ابواب الابدية يندم ندامة صادقة ويتوب توبة لا ريب فيها ولكنه حينا يتماثل ويتعافى وتعود اليه الصحة تعود اليه المطامع التي ولدتها

في نفسه الفطرة وينسى انه تاب واستغفر •

اما انا فلا انسى ان الشفاليه دي مازير قاتل والدة حنة

فضم داغوبير قبضتيه مهددا وقال : الويل لهذا السفاك اذا خطر له ان ينال حنة بسوء •

ــ وهذا ما اريده منك يا بني فاني اصبحت شيخا وباتت ايامي معدودة في هذا الوجود فاذا مت فانت المسؤول امام الله عن هذه الفتاة •

فوضع داغوبير يده على جبينه كأنه يريد ان يطرد تذكارا مؤلما وقال : اذن لقد كنت مجنونا بل كنت من الاشرار •

ــ كلا يا بني بل كنت ضعيفا واي انسان لا يضعف فيما يمر به من الصعاب فلا يلومك على ضعفك غير الذين لم يعرفوا الشقاء •

فاخذ داغوبير يد الكاهن فقبلها •

وبعد هنيهة قال له فجأة :

ــ الا تسافر يا ابي الى باريس كما اتفقنا ؟

ــ كلا يا بني •

ــ ولكنك تعلم ان الخاتم قد سرق مني •

ــ الا تزال تفتكر بثروة حنة ؟ ــ نعم •

فابتسم الاب جيروم وقال له : اصغ الي يا بني الا تذكر في اليوم الذي تلا ذهابي الى الشفاليه دي مازير لاول مرة حين كنا ننتظر وفاته للسفر الى باريس ان موزع بريد

اورليان طرق باب الدير •

ــ نعم اذكر ذلك لا سيما واني لم ار هذا الموزع منذ خلقت جاء قبل هذه المرة •

ــ ذلك لان موزع البريد لا شأن له مع رهبان هذا الدير لانقطاعهم عن العالم فلا يردنا غير بريد الاديرة •

ولكن هذا الموزع جاءني بكتاب سأطلعك عليه فاذا قرأته عرفت السبب الذي امتنعت لاجله عن السفر •

ثم قام الى درج ففتحه واخذ منه ذلك الكتاب فقال لداغوبير :

ــ انه ورد الي من ذلك الرجل الذي سلمك حنة •

ــ من • اهو راوول الذي كنا نعتقد انه مات ؟

ــ نعم فخذ واقرأ •

فاخذ داغوبير الكتاب وقرأ ما يأتي :

ايها الصديق القديم

اني دخلت الى فرنسا منذ ساعة بعد ان هجرتها خمسة عشر عاما في البلاد الاميركية فكان اول مـا بدأت بـه كتابتي اليه •

ولا اعلم اذا كنت باقيا في قيد الحيـاة ، واذا كانت ابنة كريتشن لا تزال بحراستك •

ان هذين الامرين يقطعان قلبي ولكنني لا ازال ارجو ان تكون حيا فاني لقيت من العناء والشدائد ما لا تحتمله الاجسام ومع ذلك لا ازال شديدا ورجائي ان تكون مثلي

في ذلك الدير الذي تقيم فيه منذ دهر طويل بعيدا عن مكايد الناس .

ثم ارى بعين الخيال تلك الطفلة التي تركتها نائمة في دكان الحداد قد شبت فتاة جميلة وان الله قد وهبها من السعادة والهناء ما يعامل ما لقيته امها من المصائب والشقاء.

اني سأصل الى باريس بعد بضعة ايام وستراني بعد ذلك اقرع باب ديرك .

وانك لا بد ان تكون عرفت ذلك الخاتم وقرأت الورقة التي فيه وعرفت موضع الصندوق الذي ائتمنني عليه الكونت دي مازير .

ولكني لا اعلم اذا كنت احضرت هذا الصندوق او انك لا تزال تنتظر رجوعي .

على انه في كل حال يستحيل على سوانا ان يعلم موضع الصندوق وسأعرف كل ذلك حين وصولي الى باريس

وقد كتبت ايضا الى تلك المرأة التي كنا نقيم عندها وهي مدام بليزوت وسألتها ان تخصص لي تلك الغرفة التي كنا نقيم فيها ورجائي ان تكون باقية في ذلك المنزل .

الى اللقاء القريب ايها الصديق فاني سأعود اليك بعد ان اعثر على الصندوق .

اخوك القديم بالسلاح

راوول دي موليير

فلما قرأ داغوبير هــذا الكتاب رده الى الاب جيروم وقال له :

ـ ان هذا الكتاب قد ورد اليك منذ شهر ؟

ـ هو ذاك . ـ وفي خلال هذا الشهر ؟

ـ اني لا ازال انتظر راوول .

ـ اني اخشى ان يكون اصيب بمكروه والا فما علة هذا الابطاء ؟

فتنهد الاب جيروم وقال : لقــد خطر لي مثلك هذا الخاطر ولكن خطر لي ان راوول قد عاد مــن الحرب في اميركا ولا بد ان يكون قد جاء من غير مال وانه كتب الى احد اصدقائه في باريس يطلب منه ما يحتاج اليه من المال لاتمام سفره فاطمئن وقد يكون اقام بضعة ايام في فرساي بغية مقابلة الملك فان معظم الضباط الذين عادوا من هذه الحرب قابلوه .

ـ اذن إلا ترجح انه اصيب بمكروه ؟

ـ انه اذا لم يمت موتا فجائيا فاي مكروه يصيبه ؟

ـ اما انا فاني خائف . ـ من اي شيء ؟

ـ الا تعلم يا ابي ان الكونت لوسيان قد سافر الى باريس ؟ ـ نعم وماذا علينا من سفره ؟

ـ ولكن امه قد سافرت في اثره ؟

ـ واذا سافرت ايضا فمما نخاف ؟

ـ كيف ذلك يا سيدي الا تذكر ان الخاتم ما فقد مني

الا في تلك الليلة التي نصب لي فيها الشفاليه دي فولون ذلك الفخ ؟ — نعم اذكر ذلك •

— الا يمكن ان يكون الذين سرقوا هذا الخاتم اعطوه للوسيان ؟

فاجابه الاب جيروم : كل ذلك ممكن •

— انك يا سيدي عهدت الي بحراسة حنة وقلت لي انه واجب مقدس يجب علي ان اقضيه اذن فاعلم انه يجب ان نسافر الى باريس فان قلبي يحدثني ان حنة في خطر اشد مما هي فيه الان •

وكان داغوبير يتكلم بلهجة الواثق كأنما هذا الوحي قد هبط عليه من السماء فكان الاب جيروم ينظر اليه مذعورا وقد خاف على الفتاة خوف داغوبير •

* * *

٣٠
جيروم الاب

اما بنوات فانه لم يدخل الى الدير كما قدمنا ولم يذهب الى دكان داغوبير ولكنه جلس على حجر ضخم عند باب الدير كان يجلس عليه الفقراء الذين يقدمون اليه لالتماس الصدقات .

وقد مرت به ساعتان دون ان يعود داغوبير فاضطرب في امره وقال في نفسه ما هذا الابطاء في الرجوع انه لا يمكن ان يكون قد عاوده اليأس ولو اتفق ذلك فانه لا يجد سبيلا للانتحار في داخل الدير . بقي ان الاب جيروم يحادثه ولكن الحديث قد طال فما هذا الحديث ؟

ثم سمع ناقوس الدير بدأ يدق داعيا الى صلاة الفجر فقال في نفسه لا بد له ان يخرج فان الاب جيروم سيحضر الصلاة مع الرهبان .

وبعد هنيهة رأى با ب الدير قد فتح وخرج منه داغوبير فاسرع اليه الاحدب وقال له : ما هذا الابطاء فقد شغلت بالي ؟

فدهش داغوبير حين رآه وقال له : كيف ذلك الا تزال

هنا تحت المطر ؟ — اني انتظرك •

— وانا كنت احسب انك دخلت الى الدكان وانك نائم في سريري ؟ — لم انم لاني لست نعسان •

وكان يحدد نظره به بالرغم عن الظلام كي يعلم من ملامح وجهه تأثير نصائح الاب جيروم عليه •

ولم يستطع ان يرى شيئا يستدل به ولكنه سمع صوت داغوبير فاستدل منه ان السكينة قد عادت الى قلبه وقال في نفسه لقد احسنت كل الاحسان بنصحي له ان يلجأ الى الاب جيروم •

اما داغوبير فانه اخذ بيد الاحدب وقال له :

— اذن انت غير نعسان في هذه الليلة ؟

— بل في كل ليلة فاني اشبه الحيوانات الضارية فأؤثر النوم في النهار والتنقل من غابة الى غابة في الليل •

— اتذهب الى قصر بوربيير اي الى قصر لوسيان ؟

فارتعش الاحدب لهذا الاسم وقال : مسكين لوسيان فانه كان من خير الناس قبل ان يعاشر هذا الشقي الشفاليه دي فولون •

وكان داغوبير لم ينس بعد اساءة لوسيان فقال له بلهجة شفت عن الحقد : اراك بت مشفقا عليه الان •

— انه اذا كان من النبلاء فلا يدعو ذلك لاحتقاره اذ يوجد بينهم رجال خير •

فهز داغوبير كتفه وقال :

ــ اني لا اريــد ارسالك الى هــذا القصر من اجل لوسيان •

ــ دون شك فانه مسافر ثم تنهد وقــال : بل انه لا يعود وقلبي يحدثني انه سيصاب بمكروه في سبيل حنة فانه يحبها حبا لا يوصف •

فقاطعه داغوبير بجفاء فقال له : قل الان الا تريــد الذهاب الى القصر ؟

ــ دون شك •   ــ ان اصحابه ليسوا فيه •

ــ انك مخطىء ايهــا الصديق فان لوسيان لم يعد واما الكونتس فقد عادت منذ ثمانية ايام •

ــ احق ما تقول ؟   ــ دون شك فقد رأيتها •

ــ اذا كان ذلك فلا بد اذن من ذهابك الى القصر •

ــ ماذا اصنع فيه ؟

ــ انك تعودت التردد على هذا القصر فلا يعجبون اذا رأوك فيه •   ــ هو ذاك •

ــ وانك كثير الحيلة فلا يصعب عليك تجسس الاخبار والتقاطها من الخدم ؟   ــ ان ذلك قد يكون •

ــ اني منذ هنيهة كنت اريد ارسالك الى قصر بوربيير كي تعلم الى اين ذهبت الكونتس •

ــ قد كنت اعتقد انها ذهبت في اثر ابنها للبحث عنه•

ــ والان ؟   واما الان فاني اقول لك ذلك دون ان اذهب الى القصر فقد اخبرني البستاني •

ـ ماذا اخبرك ؟

ـ اخبرني انهـا ذهبت الى باريس لارجـاع ولدها فوجدته قد انتظم فـي سلك حراس الملـك ولا يستطيع الرجوع .

ـ ارى ايها الصديق انه يجب ان اخبرك بكل شي اذا كنت اريد ان تنفعني وتنفع حنة والاب جيروم .

ـ اذن قل ما تشاء .

ـ اتذكر انه كان يوجد في اصبعي خاتم غليظ ؟

ـ نعم .

ـ اني فقدت هذا الخاتم في تلك الليلة التي اراد بها الكونت لوسيان والشفاليه دي فولون قتلـي واظن انهما سارقا الخاتم . ـ اترجح ذلك ؟

ـ المهم ان الخاتم فقد مني وارجح انـه بات عنـد لوسيان او عند امه . ـ اذن تريد ان تسترجع الخاتم ؟

ـ اننا لا نهتم بالخاتم نفسه بل بالسر الذي يحتويه .

فعجب بنوات وقال أي اسري يتضمن ؟

ـ ان فيه ورقة تشير الى موضع خبيء فيه صندوق يحتوي على ثروة طائلة . ـ ولمن هذه الثروة ؟

ـ لحنة . ـ واذا عثرت الكونتس بهذا الخاتم؟

فاجابه بصوت ابح : انهـا تعرف موضع الصندوق وتريد ان تختلسه وهي لم تسافر الى باريس للبحث عن ابنها بل للبحث عن هذا الصندوق اعلمت الان ؟

فزاد انذهال الاحدب وقال : اواثق انت مما تقول يا داغوبير ؟ — اقسم لك بحنة ان ماقلته لك لا ريب فيه .

— اذا كان ذلك كذلك وكان الصندوق في قصر بوربيير فاني سأقف على اخباره .

— اذن اتذهب الى القصر ؟ — اني ذاهب لفوري .

ثم نظر الى السماء وقد كانت منذ حين ممطرة ملبدة بالغيوم فرأى ان الهواء قد بدد الضباب وانقطع المطر فقال لداغوبير : — كن مطمئنا ايها الصديق فاني ذاهب في الحال وثق اني لا اعود اليك الا بالخبر اليقين .

وهنا صافح داغوبير بيده وافترق عنه فسار بضع خطوات وعاد اليه فقال : اكان جميع ما قلته لي صادقا ؟

— لماذا اكذب عليك ؟

— لتتخلص مني فقد يكون اليأس عاد الى قلبك وعادت اليك افكار الانتحار .

— كلا ايها الصديق الصادق فقد اعترفت بضعفي للاب جيروم فجرأني على احتمال الشدائد وقد زادت واجباتي بعد هذه المقابلة وهي مقدسة عندي فلا بد لي من الحياة لقضائها .

فوثق الاحدب بقوله وذهب مطمئنا عليه فسار في البدء بطريق الحقول ثم دخل الى الغابة حتى وصل الى قصر بوربيير وقد استنارت السماء باشعة الفجر .

وكانت الساعة الخامسة من الصباح وجميع من في

القصر نيام • على ان بنوات نظر اليه فرأى نـور مصباح ينبعث من نافذة الدور الاول •

وكان الاحدب يعرف جميع غرف القصر فعلم ان نور هذا المصباح منبعث من غرفـة تنوان النورية وقـد عرف القراء انها تقيم في غرفة ملاصقة لغرفة الكونتس •

فقال الاحدب في نفسه لا شك انها مبكرة هذا التبكير لشأن هام الا اذا كانت نائمة وقد نسيت ان تطفيء المصباح•

فدخل عند ذلك الى فناء القصر فلم ينبح عليه كلابه لانها كانت تعرفه بل جعلت تلاعبه فرحة به •

وكان لهذا القصر شرفة بارزة تطوقه من كل صوب وتحدق به •

فقال الاحدب في نفسه اني اذا تمكنت من البلوغ الى هذه الشرفة فقد اعرف ما يجري داخل غرفة تنوان •

ولو خطر هذا الخاطر لغير بنوات لعده مستحيلا غير ان هذا الاحدب كان كما وصفناه شديد الهمة خفيف الحركات الف الغابات حتى اصبح كحيواناتها خفة ونشاطا •

وكان في الجدار مزاب ممتد مـن الارض الى فوق الشرفة تنزل منه مياه الامطار المتجمعة فوق السطح •

فتسلق الاحدب هذا الميزاب بخفة القطط وهو عرضة في كل حين للسقوط •

ولكنه وصل بعد الجهد الشديد سالما الى الشرفة •

وكانت الشرفة فوق النافذة فانبطح بنوات على ارضها

وادلى رأسه الى النافذة فرأى من خلال زجاجها المقفل ان تنوان لم تكن وحدهـا فـي تلك الغرفة بل كانت معهـا الكونتس دي مازير .

ولم يكن الاحدب يستطيع ان يسمع كلمة من حديثهما لبعد المسافة بينه وبينهما فانهما كانتا جالستين قرب الموقد وبسبب اقفال النافذة لم يكن يصل اليه الصوت .

غير ان الذي شغل الاحدب انه رأى تنوان ماسكة بيدها جريدة تقرأ فيها بملء الاهتمـام والكونتس جالسة بجانبها تصغي اليها كل الاصغاء .

فتنبهت فيه عاطفة الفضول وقال في نفسه لا بد لي ان اعلم ما تحتويه هذه الجريدة .

. . .

ان بنوات ولد في الغابـة ونشأ وعاش فيهـا يألف الحيوانات اكثر مما يألف الانسان ولكنه كان يعرف القراءة.

وكانت معرفـة القراءة نادرة في ذلك العهـد لدى الفلاحين ولا سيما من كان يعيش بينهم عيشة همجية كهذا الاحدب .

اما كيفية تلقيه التعليم فهي انه حين كان في الثانيـة عشرة من عمره كان من مشاهير صيادي القرقدان .

وكان في قرية الغراق كاهن جليـل يخرج كل يـوم متنزها الى الغابة وكتب الصلاة في يده .

فكان اذا رأى الاحدب في الغابة اشفق عليه فأعطاه

بعض دريهمات وذهب به الى منزله فاطعمه •

وكان الاحدب همجيا كما تقدم ولكن احسان هـذا الكاهن اثر فيه اجمل تأثير ولم يكن يهتم الا بمكافأته عن جميله • فاتفق يوما انه اصطاد قرقدانا جميلا دون ان يقتله فاسرع به الى الكاهن واهداه اليه •

فسر به الكاهن ووضعه في قفص جميل •

غير ان القرقدان لم يطل عهد حبسه حتى بدأ ينحل ويرق فاشفق عليه الكاهن واستشار الاحدب في امره فقال له : ان السبب في نحوله عزلته ولو كانت معه انثى فـي قفصه لتعزى بقربها عما يجده من الهم في السجن •

ومن ذلك الحين جعل الاحدب يبحث عن انثى يقيمها مع هذا القرقدان •

وقد اتفق له بينما كان يطارد تلـك الانثى وقد تسلق شجرة في اثرها وقف على غصن ضعيف فانكسر وسقط على الارض فكسرت رجله •

فمر به الحطابون وحملوه الى منزل كاهن القرية فلما علم الكاهن انه كسر رجله بسببه جعل يهتم به اهتمام الاب باولاده واقام في منزله ثلاثـة اشهر لا يستطيع الخروج فعلمه الكاهن في خلالها القراءة وقد تعلمها بهذا الوقت القصير لذكائه •

فلما رأى بنوات ان تنوان النورية تقرأ في الجريدة بما تقدم وصفه من الاهتمام قال في نفسه لا شك ان الامر

خطير ولا بد لي من الاستيلاء على هذه الجريدة .

وكان يتوق ايضا الى سماع ما تتحدثان به فخطر له ان يصعد الى السطح حين رأى ان السماع متعذر من الشرفة فتسلق الميزاب المتصل من الشرفة الى السطح حتى اذا وصل اليه خطر له خاطر وهو انه رأى مدخنة الموقد فعلم انها متصلة بموقد غرفة تنوان .

وكان يعلم انه كلما سكن الهواء زاد اتصال الصوت وان في الموقد بقية من نار يجذب الهواء الى الداخل فيذهب الصوت صعدا .

فدنا عند ذلك من المدخنة ووضع اذنه فوقها فسمع صوت تنوان باتم جلاء . وقد علم عند ذلك انها فرغت من قراءة الجريدة فاصغى اصغاء تاما وسمع ما يأتي :

قالت الكونتس : ان كل ما فعلناه حسن وقد فزنا بكل ما نريد ولكني كنت اود ان لا نفوز فقد ابعد عني ولدي وبات يحتقرني .

قالت تنوان : انك مخطئة فان لوسيان لم يعلم شيئا مما كان . — كيف لا يعلم شيئا ؟

— اريد انه لم يعلم بسر الصندوق .

— ولكنه يعلم غير ذلك .

— انه يظن ان راوول والد حنة وهذا كل ما يعلمه وقد قال لك انه يلعنك ويحتقرك ولا يعتبرك امه ولكن لم يدفعه الى هذا القول غير اليأس ولا بد ان يسكن لاعج

غرامه فيعود الى امه .

اما نحن فقد ظفرنا بالملايين وهذا المهم في كل ما جرى .

ثم الم اقل لك يا سيدتي الحبيبة مرارا انك لا تزالين في ابان جمالك كأنك في نضارة الصبى وما يمنعك الان بعد ان ظفرت بهذه الملايين عن التمتع بملاذ الحياة .

هلمي بنا نسافر الى ايطاليا فنشتري قصرا على ضفاف ارنو قرب فلورنسا ونعيش فيه عيش سعة فلا يمر بك شهر حتى تجدي اصحاب التيجان عند قدميك .

ـ لقد جننت يا تنوان فاني قد تجاوزت عهد الصبى .

ـ ولكنك لا تزالين حسناء .

فلم يفهم بنوات شيئا من هذا الحديث سوى ان لوسيان قد هجر امه وان الكونتس حزينة لبعد ولدها وانها باتت كثيرة الملايين وان تنوان تشير عليها بمبارحة فرنسا .

فلم يشغل فكره باستخراج النتائج مما سمع وقال في نفسه يجب علي ان احفظ كل ما اسمعه من حديثهما وانقله كما سمعته الى داغوبير والاب جيروم وعليهما ان يستنتجا منه ما يشاءان .

وساد الصمت هنيهة بين الكونتس وتنوان ثم عادت الكونتس الى الحديث فقالت : ان هذه الجريدة قد نقلت الحادثة بشكل لا يستطيع رئيس البوليس نفسه ان يفهم منها شيئا ولا شك انك من البارعات في الانشاء .

فقالت لها تنوان بلهجة الساخر : لقد تعلمت الصحافة

في مدرستك . — اتظنين ان راوول قد مات ؟

— اذا لم يكن قد مات فهو يحتضر .

— احق ما تقولين ؟

— دون شك فانه مات او سيموت دون ان يستطيع الاباحة بحرف لانه كان في حالة النزع منذ اصيب وعلى ذلك ارجو ان توافقيني على السفر الى ايطاليا .

— انسافر قبل ان نقف على اخبار ولدي ؟

— سنقف على اخباره متى شئنا وسوف ترين انه سيعود اليك فان المال لا بد ان يجذبه .

فاستنار بنوات من هذه المحادثة الجديدة اذ علم ان الجريدة التي كانت تقرأها تنوان متضمنة تفصيل حادثة سرية اشتركت فيها المرأتان فزادت رغبته في الاستيلاء على هذه الجريدة ولكنه لم يجد طريقة تمكنه منها .

وفيما هو يصغي سمع الكونتس تقول :

— ان الساعة بلغت الان الخامسة ولم ننم بعد .

— اننا في كل يوم نحيي الليل بالسهر وذلك يضنيك اذا طال .

— اذن تعالي الى غرفتي واعدي لي ملابس النوم فقد عزمت على الرقاد .

ثم سمع بنوات وقع اقدامهما فايقن انهما دخلتا الى غرفة الكونتس وانه لا بد وان تكون تنوان تركت الجريدة التي كانت تقرأ فيها على مقعد او على كرسي في غرفتها .

وعند ذلك عول على امر لا يقدم عليه سواه وهو انه صعد الى المدخنة ودخل في جوفهـا ثم ترك نفسه يهوي فسقط في الموقد ولم يسمع بسقوطه صوت فانه سقط فوق الرماد • وقد اصاب بنوات فيما توقعه فان تنوان كانت في غرفة الكونتس وقد تركت الجريدة فوق الكرسي •

فاخذ الجريدة فوضعها في جيبه ثم عـاد الى الموقد فخرج منه الى السطح من المدخنة كما نزل •

وكان الفجر قد انبثق ولكن جميع من في القصر نياما فنزل على الميازيب الى البستان وتسلق السور فخرج منه الى الشارع دون ان يراه احد •

وبعد ربع ساعة كان يعدو في تلك الغابة المتسعة وفي جيبه تلك الجريدة التي كان يرجـو ان يقف منها على سر المرأتين •

• • •

يوجد بين قصر بوربيير الذي كان عائدا منه بنوات وبين داغوبير غابة متسعة تدعى مازيك •

وبينما كان بنوات يجتاز تلك الغابة ركضا رأى نورا ينبعث من خلال الاشجار فايقن انه منبعث من خيمة يقيـم تحتها الحطابون •

وقد هاجت عنـد ذلك رغبته بقراءة الجريدة التـي سرقها من غرفة تنوان حتى انه لم يطق الصبر الى ان يصل الى دكان داغوبير بعد ما رى ذلك النور •

ولذلك ذهب توا الى تلك الخيمة فوجد فيها جماعة من الحطابين يطبخــون طعامهم وينتظرون طلــوع الشمس ليبدأوا بالاحتطاب .

وكان جميع اولئك الحطابين يعرفونه ويعرفون عاداته فلم يندهلوا لقدومه وقالوا له : العلك قادم للصيد يا بنوات؟

ـ هو ذاك ولكن البرد شديد في هذه الليلة .

ـ تعال واصطلي فان النار موقدة .

وقال له آخر : وستأكل معنا متى نجز الطعام .

فشكرهم بنوات وجلس قرب النار ثم اخرج من جيبه الجريدة . فعجب الحطابون منه وقال له احدهم : العلك تعرف القراءة يا بنوات ؟

ـ نعم فقد تلقيتها عند كاهن القرية .

ـ اذن انك سعيد وسنتسلى بقراءة هذه الجريدة .

ـ لا اقرأها للتسلية ولكن قيل لي ان اسعار العلف قد تصاعدت فاحببت ان اعلم الحقيقة .

ثم فتح الجريدة وجعل ينظر في موادها .

ولم تكن الجرائد في ذلك العهــد كما هي الان فان الجريدة من جرائد اليوم تتضمن مواد كتاب بجملته ، اما جرائد ذلك العهد فلم تكن تتضمن غير اليسير من الاخبار بحيث يستطيع مطالعها ان يتصفح كل ما فيها في مدة لا تزيد عن ربع ساعة .

فبعد ان قرأ بنوات بحثا فلسفيا لم يفهمــه واخبار

ذهاب الملك والملكة الى كنيسة فرساي غير ذلك من الاخبار التي لم يكترث لها قرأ وهو يرتعش هذا الفصل التالي :

« ساد الرعب والقلق في حي سانت جرمين في باريس فانهم يبحثون منذ ثلاثة ايام في حادثة دموية جرت في شارع اباي » .

وكان بنوات لزم سكان قصر بوربيير زمنا طويلا فعلم ان لوالدة لوسيان قصرا في شارع اباي في باريس فلم يبق لديه شك ان المقالة التي كانت تقرأها تنوان هي هذه المقالة.

فاخذ عند ذلك يقرأ بملء الامعان فقرأ ما يأتي :

واليك تفصيل الحادثة :

« يوجد في شارع اباي قصر كان من قبل لاميرة المانية تدعى البرنسيس هيلانة ودي كارلو تنبرج .

« وكان يتولى حراسة هذا القصر خادم من اهالي سويسرا وزوجته فأقاما في هذا القصر خمسة عشر عاما دون ان يأتي اصحابه اليه .

« فمنذ يومين رأى سكان ذلك الشارع نورا ينبعث من غرفة هذا القصر فاستدلوا من ذلك على ان سكانه قد عادوا اليه وانه يوجد تجاه هذا القصر منزل تقيم فيه امرأة فاضلة مع ولدها وهي تدعي مدام بليزوت .

« فبينما كانت تلك السيدة نائمة صحت لوقع اقدام في غرفة ابنها فرابها ذلك ونزلت الى غرفة ابنها فلم تجده فيها ولكنها وجدت الغرفة مبعثرة الاثاث ورأت ان الجدار

المقابل للموقد منقوب وقد نزعت منه الحجارة فانكشفت عن خزانة من الفولاذ في داخل الجدار •

« وقد عاشت تلك السيدة زمنا طويلا في ذلك المنزل فلم تكن تعلم شيئا من امر هذه الخزانة •

فأقامت تنتظر عودة ولدها على احر مـن نار الجمر فاشرقت الشمس دون ان يعود ولدها •

« وفي الساعة السابعة مـن الصباح رأى البوليس سلما منصوبا على سور حديقة القصر فأيقن ان اللصوص قد وضعوه فصعد مـع رجاله ذلك السلم وهبط منه الى البستان •

« وكان بواب القصر وامرأته لا يزالان نائمين او هما يتظاهران بالنوم •

« فمشى رجال البوليس بضع خطوات في البستان فرأوا فتى راكعا في ظل شجرة يعالج رجلا شيخا كان مضرجا بدمه وعليه ملامح الاحتضار • كما رأوا قربهما سيفين يدلان على حدوث مبارزة بين الرجلين وكان صدر الشيخ مخروقا وقد نفذ فيه سيف خصمه فاخترقه •

« انهم وجدوا عند منتصف السلم جثة وكانت جثة ابن مدام بليزوت فكان هذا المنكود مصابا بجرح في عنقه ولم يعلم اذا كان جرح خنجر او جرح سيف اي اذا كـان مات من يد اثيمة او على اثر مبارزة •

« فلما سئل البواب وامرأته قالا : ان اصحاب القصر

قد سافروا في الليل •

« اما ذلك الفتى الذي كان يعالج الشيخ فقد ابى ان يقول عن اسمه وقال البواب وامرأته انهما لا يعرفانه •

« وقد جاءت مدام بليزوت فعرفت جثة ولدها وكانت تقطع القلوب من الاشفاق ثم سئلت عن الشيخ الجريح فقالت انها تعرفه وانه يدعى الشفاليه راوول دي موليير وانه كان يقيم عندها منذ عهد طويل وقد كتب اليها من الهافر •

فنقل الشيخ الى مستشفى قريب اما الفتى فلم يعرفه احد لانه ابى التصريح باسمه فقبض عليه وسيق الى السجن •

وكان يقول انه تبارز مع الشيخ مبارزة قانونية وعلائم اليأس بادية بين عينيه •

فلما سير به الى قاضي التحقيق استنطقه في جلسة سرية ثم امر باطلاق سراحه •

ولا يزالون يعجبون كيف ان ابن بليزوت جاء الى هذا القصر ولقي حتفه فيه وكيف وجدت خزانة الفولاذ في جدار غرفته •

ان هذا السر لا يستطيع ايضاحه الا راوول دي موليير ولكنه في حالة يحمل على اليأس فانه لا يزال منذ دخل الى المستشفى ضائع الرشاد لا يتكلم •

حتى لقد قال بعضهم ان رئيس البوليس واقف على حقيقة هذا السر الغامض ولكنه لا يبوح به لاسباب سرية ايضا فعسى ان تنجلي هذه الغوامض فنبسطها للقراء •

وهنا انتهت مقالة الجريدة ولكن بنوات لم يفهم منها شيئا غير امر واحد وهو ان خزانة الفولاذ قد تكــون تلك الخزانة التي اودعت فيها ثروة حنة ربيبة الدير •

وكان بنوات يقرأ والحطابون ينظرون اليه نظرة اعجاب فلما انتهى من قراءته قال له احدهم : لا بد ان يكون في هذه الجريدة امور خطيرة كما يدل اهتمامك •

فاجابه الاحدب بجفاء قائلا : نعم ثم وضع الجريدة في جيبه دون ان يزيد شيئا على ما قال •

وكان الطعـــام قد نجز فدعوه اليـــه غير ان الاحدب شكرهم معتذرا وقال لهم : اني كنت شديد الحاجـة الى الدفء وقد دفئت بفضلكم ولست بجائع •

ثم تركهم وسار يقطع الارض نهبا بغية الوصول الى داغوبير فقد كان يعلم انه ينتظره على احر من الجمر •

٣١

اورور

والان فلندع بنوات يعدو عدو الظبي النافر في تلك الغابة للاجتماع بداغوبير ولنعد الى قصر بلياردير لنرى ماذا جرى فيه بعد ان ذهبت الكونتس اورور باختها حنة الى ذلك القصر .

عرف القراء مما بسطناه من حوادث الكونتس اورور انها كانت فتاة حازمة فقد قطعت علائقها مع ابن عمها لوسيان دون ان تستشير اباها وتولت حماية اختها حنة وقد اقسمت ان تسهر على مراقبتها الليل والنهار .

وقد مضى اسبوعان والشفاليه دي مازير ، اي والد اورور عاكف على الخديعة يظهر للناس انه بين الموت والحياة ويمثل دور الاحتضار ابرع تمثيـل حتى ان الاب جيروم نفسه خدع به .

اما اورور فقد رأت اباها يبكي وسمعت حديثه الملفق وهو مشرف على الموت فوثقت بصدق توبته وندمه وذهبت دموعه بما خلفت رسالة امها في قلبها من الآثار .

غير ان للنساء نظرا في مثل هذه الشؤون ابعد من نظر الرجال فانه حين اخذ الشفاليه دي مازير يتماثل وقد امن الخطر قال طبيب القرية انه لم يشف الا بفضل دوائه وقال

الاب جيروم ان شفاءه عجيبة من عجائب الله •

اما اورور فقد رأت ان هذا الشفاء الفجائي بعد ذلك النزاع فوق حدود الطبيعة فطالما تماثل ابوها عادت الى ذكر ما حدثها به بنيامين ذلك الخادم الامين الذي قتله الشفاليه بالسم ، وعادت ايضا الى ذكر رسائل امها وهي تلك الرسائل التي كتبتها وهي مشرفة على الموت تتهم زوجها فيها تلك التهم الهائلة •

وقد حاولت مرارا ان تطرد هذه الذكرى من مخيلتها وتعود الى تصديق ابيها ونفي التهمة عنه ولكن الشك كان يخامر قلبها في كل حين تجد الى طرده سبيلا •

اما الشفاليه فكان يلاطف حنة ويجاملها كل المجاملة •

غير ان اورور كانت تشك في كل ما يبدر منه لا سيما وقد علمت انه يوجد صندوق مخبوء يحتوي على اوراق مالية وان هذا المال مهر حنة فكانت تقول في نفسها الا يمكن ان يكون ابي عارفا بهذا الصندوق ؟

وكانت كلما زاد ابوها في ملاطفة اختها زادت هي ريبا به وخشيت ان يكون كل ذلك خديعة منه لا يريد بها غير سلب تلك الاموال ثم تتجسم لديها رسائل امها واقوال بنيامين فيصبح ريبها يقينا وتعود الى كره ذلك الاب والحذر منه •

اما الشفاليه فقد كان من اهل الدهاء والصبر والحيلة فلم يقل كلمة تشير الى انه يعرف شيئا من امر هذا الصندوق

وقد كانت مطمئنة خلال مرضه فلم تدفع الاب جيروم الى السفر للبحث عن الصندوق •

فلما تعافى ظهر انه يريد ان يغير نظام معيشته ولم يكن يتحدث الا بامر السفر الى باريس والاقامة فيها مع البنتين•

فزاد قلق اورور واستنتجت من الحاحه بالسفر الى باريس انه عارف بسر الصندوق وانه لا يريد بالسفر الى تلك العاصمة الا للاستيلاء على الصندوق فجعلت تفكر بطريقة تحفظ اموال اختها من الاختلاس •

وقد نهضت يوما من رقادها مهتمة لهذا الخاطر كل الاهتمام فامتطت جوادها وذهبت توا الى الدير •

فلما وصلت كان داغوبير لا يزال في دكانه فاضطرب اضطرابا عظيما حين رآها خارجة من الغابة حتى انه اقفل باب دكانه وصعد الى منزله •

وقد رأت اورور ان باب دكانه مقفل فارتبكت لاعتقادها انه غائب وان النساء لا يستطعن دخول الدير •

ولكنها رأت راهبا كان عائدا من الحقول الى الدير فحياها اذ عرفها فسألته ان يخبر الاب جيروم انها في حاجة شديدة لرؤياه •

فابلغه الراهب الرسالة وبعد هنيهة اقبل الاب جيروم للقائها فقالت له : إني تمكنت من مغادرة ابي لانه شفي من علته وجئت ارجوك ان تهتم للسفر الى باريس للبحث عن الصندوق فقد آن الاوان فيما اراه •

فابتسم الاب جيروم وقال لها : اظن انه لم يبق حاجة الى السفر • ثم اراها الكتاب الذي ارسله اليه راوول من الهافر فعادت اورور الى قصر ابيها وهي مطمئنة •

ومن الغريب انها لم تسيء الظن الا بأبيها فلم تخطر لها الكونتس دي مازير والدة لوسيان ببال مع انها كانت قد سافرت الى باريس اذا كانت تعتقد انها سافرت لارجاع ابنها كما تبادر الى جميع الاذهان فان هذه الكونتس اوهمت جميع معارفها ان ابنها يائس لاختصامه مع ابنة عمه فسافر الى باريس دون ان يعلم احد بقصده •

اما ابوها فكان يخاف تلك الكونتس ويحذرها حذرا شديدا وقد اتفق يوما انه سمع خادمين يتحدثان بسفر الكونتس وابنها لوسيان الى باريس وتنبه لامرها وبدأ ريبه منذ ذلك اليوم •

ولم يكن هو نفسه يعلم اين توجد اموال حنة ولكنه كان واثقا من وجودها ، ولذلك كان يرجو منْ وجود حنة في منزله ان يقف يوما على هذا السر فيستولي على الاموال •

وكان مطمئنا صابرا الى ان علم بسفر الكونتس الى باريس فجأة فتولد في نفسه الشك وخشي ان تكون عارفة بموضع الصندوق •

ولذلك لم يعد يجد بدا من السفر العاجل فتظاهر انه دخل دور النقاهة •

وفي اليوم التالي برأ فجأة من علته وجعل يطوف

متجولا في القصر وفي الثالث امتطى جواده وسار عليه متنزها في الضواحي ثم جعل يذكر امام ابنته عزمه على تمضية الشتاء في باريس •

وكان في كل يوم يركب جواده ويسير الى الضواحي يتبعه خادمه حتى يصل الى قصر بوربيير فيسأل هناك الفلاحين عن الكونتس وعما يعلمون من امر رجوعها •

ففي ذلك اليوم الذي رأينا فيه داغوبير خارجا من الخمارة ينوي الانتحار كان الشفاليه دي مازير خرج من قصره حسب عادته واتجه الى نواحي قصر بوربيير •

فكان اليوم يوم احد وقد لبس الفلاحون ملابس الاعياد وذهبوا الى الكنيسة فكان الشفاليه يراهم في طريقه افواجا •

وقد اتفق انه لقي بستاني قصر بوربيير وهو رجل ساذج القلب بسيط الاخلاق وكان هذا البستاني يعرف الشفاليه حق العرفان لان لوسيان كان يبعثه برسائل الى اورور فعرف القصر وسكانه •

فلما رأى الشفاليه حياه بملء الاحترام فقال له والد اورور : ــ العلك ذاهب الى الكنيسة ؟

ــ نعم يا سيدي ولو لم يكن امتناعي عن الذهاب خطيئة لما ذهبت • ــ لماذا يا بني ؟

ــ لاني مشغول جدا في القصر فان سيدتي الكونتس قد عادت من السفر •

فارتعش الشفاليه وقال : اعادت مع ابنها ؟

ـ كلا فانه بقي في باريس حتى اني سمعت تنوان تقول لخادم الصيد لم تبق حاجة اليك فان الكونت لوسيان لا يعود .

ـ اذن لا بد ان الكونتس حزينة ؟

ـ كلا يا سيدي فما رأيت عليها شيئا من ملامح الحزن

ـ احق ما تقول ؟

ـ بل اني رأيتها اليوم مع تنوان وعليها مظاهر الفرح الشديد . فتولد الشك في قلب الشفاليه وترك ذلك البستاني فدفع جواده ولكنه بدلا من ان يتم نزهته عاد الى قصره .

وكان اضطرابه شديدا اذ بات موقنا ان الكونتس قد استولت على الصندوق . فلما وصل الى قصره دخل الى غرفته واختبأ فيها يمعن الفكر في طريقة تمكنه من الاجتماع بالكونتس والوقوف على هذا السر .

على ان الصدفة خدمته فانه كان مشتركا بتلك الجريدة التي قرأتها تنوان وسرقها الاحدب فان جميع نبلاء الريف كانوا مشتركين فيها في ذلك العهد . وقد جاءه موزع البريد بذلك العدد الذي قرأه الاحدب ففتحه الشفاليه دون اكتراث وجعل يقرأ ما فيه وهو يفكر بطريقة تمكنه من مصالحة الكونتس دي مازير .

وفيما هو يقرأ دون عناية بدرت منه بادرة انذهال اذ قرأ شارع اباي فاستلفت ذلك نظره وقرأ جميع تلك المقالة

التي تقدم لنا ذكرها عن تلك الحادثة التـــي جرت في قصر الاميرة هيلانة في شارع اباي •

فتمزق حجاب شكه وعلم للفور كل ما جرى فايقن ان الصندوق بات في قبضة الكونتس دي مازير •

وعند ذلك طرح الجريدة في النار حذرا من ان تطلع عليها ابنته وغضب غضبا شديدا فقال : الويـــل لك ايتها الكونتس سوف ترين لمن يكون المال •

٣٢
السفر

لنعد الان خطوة الى الوراء الى حيث تركنا الاحدب نازلا من المدخنة الى الموقد كي يصل الى غرفة تنوان ويسرق الجريدة •

ويذكر القراء ان تنوان قد دخلت في تلك الساعة مع الكونتس الى غرفتها كي تعينها على خلع ملابسها اذ كانت عازمة على النوم • وكان بنوات في خـــلال ذلك قد سرق الجريدة وعاد من حيث أتى •

اما تنوان فانها عـــادت الى محادثة الكونتس بذلك الحديث الذي سمعه الاحدب فقالت لها : اننا لم نجهد منذ اعوام في سبيل الحصول على الثروة كي نخزنها بل لنتمتع

بها فانك ضحيت كل نفيس في هـذا السبيل حتى محبة ولدك لوسيان •

فتنهدت الكونتس وقالت : انها تضحية لا يعادلها مال•

ـ اننا لم نفعل كل ذلك كي نعيش هذا العيش •

ـ ماذا تريدين ان اصنع ؟ ـ الم تتفق على السفر؟

ـ نعم •

ـ اننا نسافر الى ايطاليا فنشتري قصرا في فنيسيا على تلك الترعة العظيمة يكـون مبنـي بالمرمر موشى بالذهب ونضع فيه من النقوش وآثار كبار المصورين ما يعادل الملايين ونقيم الحفلات كل ليلة في هذا القصر فيتزاحم عليك اهل الجاه والجمال لانك لا تزالين في نضارة الجمال •

فابتسمت الكونتس ابتسامة حزن وكبرياء وقالت :

ـ اني افضل ان يحبني ولدي •

فاجابتها النورية بجفاء :

ـ ان المرء لا يستطيع ان ينـال كل امانيه في هـذا الوجود • فقالت لها الكونتس : اذهبي عني الان يا تنوان ودعيني انام فان نفسي حزينة حتى اني اود البكاء •

فانارت لها تنوان مصباح الزيت وهي تقول :

ـ الى اللقاء يا سيدتي وغدا نهتـم باعداد معدات السفر •

وكان الاحدب قد خرج من الغرفة وبات خارج القصر فلم تنتبه لاختفائها لا سيما وانها كانت مهتمة في غير ذلك

من المشاغل .

وكان الفجر قد بدأ ينبثق ولكن السماء لم تزل مظلمة متجهمة . فوقفت تنوان في شرفة غرفتها المشرفة على البستان وجعلت تناجي نفسها فتقول :

كنت في ما مضى من عهدي شريدة طريدة ارتزق بالتمويه على العقول الساذجة وتضليل البسطاء من الناس الى ان اتاحت لي الاقدار الالتصاق بهذه الكونتس ولقيت منها روحا مائلة الى الشر فنفخت فيها من روحي وملكت قيادها بما قيدتها به من الآثام وصبرت على عشرتها وكبريائها صبر الشهداء الى ان ظفرت بهذا المال بفضل دهائي وحسن حيلتي واراها الان تحسب انها صاحبة الحق بهذا المال لا شريك لها فيه ونعم انها باتت تركن الي كل الركون وتحبني حبا صادقا ولكني ما صبرت هذا الصبر الشديد لبلوغ هذا الحب وهذا الاخلاص بل للظفر بهذا المال .

ان هذه الكونتس قد تنعم علي ببعض المال مكافأة لي عن خدمتي ولكني لا اريد البعض بل اريد الكل وهي قد وقعت الان في الشرك الذي نصبته لها ورضيت بالسفر معي الى ايطاليا وهي غريبة عنها لا تعرف احدا من قومها فاذا تعذر علي نيل المال في قصرها بين قومها وخدمها فلا اعدم وسيلة لنيله في تلك البلاد .

وجعلت عند ذلك تفكر في انجح الوسائل المؤدية الى ادراك بغيتها فكان وجهها يستنير بنور الامل من حين الى

حين مما يدل على وثوقها من الفوز وانها وجدت تلك الحيلة .

وما زالت على ذلك وهي تائهة في مهامة التفكير حتى طلعت الشمس وتعالت فانتبهت من تفكيرها حين سمعت وقع اقدام في البستان فرأت ذلك البستاني الذي رآه الشفاليه دي مازير وسأله عن الكونتس .

اما ذلك البستاني فانه دنا حتى صار تحت شرفة تنوان فناداها وقال لها : اتريدين يا سيدتي ان تنزلي الى البستان؟

فعجبت تنوان لامره وقالت له : لماذا ؟

ــ لدي رسالة اليك . ــ ممن ؟

ــ من الشفاليه دي مازير والد اورور .

فاضطربت تنوان وقالت في نفسها ما عسى يريد مني؟

ثم نزلت الى البستان وهي تقول : اني سأعرف هذا الرجل حق العرفان فانه من اشد الناس اقداما على الشر ولعل جهنم ارسلته معينا لي في ما ابتغيه .

فلما وصلت الى البستاني قال لها : اني ذهبت اليوم الى الكنيسة فلقيني الشفاليه في الطريق وسألني عن الكونتس وابنها . ــ وما اجبته ؟

ــ قلت ان الكونتس عادت الى القصر وان ابنها بقي في باريس . ــ وبعد ذلك ؟

ــ لم يقل لي شيئا بل تركني وانصرف فذهبت الى الكنيسة ولما انتهى القداس وجدت عند باب الكنيسة احد خدم الشفاليه . فقال لي : ان الشفاليه محتاج اليك فاذهب

اليه في قصره فذهبت فوجدته ينتظرني في الحديقة فقال لي:
ــ ماذا تؤثر ادينارين ام عشرة سياط تجلدها ؟
فضحكت وقلت : اني أؤثر الدينارين دون شك .
ــ اذن اني سأعهد اليــك بايصال هذه الرسالة الى تنوان بشرط ان لا يراك احد فاذا فعلت نلت الدينارين واذا بحت بما قلته لك لاحد من الناس فلا تنال غير السياط .
ثم اخرج البستاني الرسالة مــن جيبه ودفعها لتنوان ففضتها وقرأت ما يأتي :
« قابليني في الساعة التاسعة صباحا في الغابة عنــد آبار الملوك .
« ان الامر خطير يتعلق بحنة واعطي حامل رســالتي دينارين اردهما لك حين المقابلة » .
ولم يكن الشفاليه قد وقع على الرسالة غير ان تنوان كانت تعرف خطه فنظرت الى البستاني وقالت له : ألم يطلع احد على هذه الرسالة ؟ ــ كلا يا سيدتي
ــ الم تقل لاحد انك لقيت الشفاليه دي مازين ــ كلا
فأخرجت تنوان الدينارين من جيبها فدفعتهما اليه وقالت: اتريد المحافظة على مركزك في القصر . ــ دون شك يا سيدتي
ــ اذن فاعلم انك اذا فهت بما جرى لاي كان رجوت الكونتس لان تطردك اقبح طرد واذا حافظت على الكتمان اعطيتك دينارين ايضا .
ــ سأفعل يا سيدتي كل ما تأمرين به .

ثم افترقا فذهب البستاني في شأنه وعادت تنوان الى غرفتها فجعلت تفكر في سبب هذه المقابلة •

وقد خطر لها خاطران احدهما ان الشفاليه عرف سر سفر الكونتس الى باريس وهو يريد قسمه من الغنيمة •

والثاني وهو الذي رجحته ان هذا الشفاليه يريد قتل حنة والاستعانة بالكونتس وتنوان علـى ذلك كما استعان بهما من قبل على قتل امها •

فقالت في نفسها : انه في كل حال يجب ان اكتم ذلك عن الكونتس الى ان ارى ما يكون •

وفي الموعد المعين خرجت من القصر وسارت في الغابة حتى وصلت الى آبار الملوك •

وكـان يوجد هنـاك منزل مقفر فرأت تنوان جوادا مربوطا عند الباب فايقنت ان الشفاليه قد سبقها مع انها اتت قبل موعد اللقاء المعين •

فدخلت الى المنزل فوجدت الشفاليه فيـه فاستقبلها خير استقبال وحياها كما يحيي كبار السيدات ثم اخذ بيدها فأجلسها بجانبه وقال لها : كيف حال الكونتس ؟

ــ لقد تركتها نائمة •   ــ اعلمت انك اتيت لمقابلتي ؟

فحدقت تنوان به تحديق الفاحص وقالت له : لقـد علمت انك لا تريد ان تعلم فما اخبرتها •

ــ لا شك عندي انك من اهل الذكاء والان فلنتحدث

ــ كما تريد •

فشد الشفاليه على يدها وقال لهـا : تنوان اني قـد مللت العيش وقد خطر لى خاطر غريب .

فتظاهرت بالاندهال وقالت له : ما هذا الخاطر ؟

ـ انه لو تيسر لي الزواج لما احجبت عنه .

فابتسمت وقالت له : ماذا يمنعك عن الزواج .

ـ ادني مني يا تنوان كي اخبرك بالسر .

وكانت يده لا تزال في يدها فجذبها اليه وقال لهـا : اني اتزوج بملء الرضى فتاة ذكية الفؤاد تأتيني بمهر جزيل .

فضحكت تنوان وقالت : احق ما تقول ؟

ـ نعم ولا سيما اذا كان هذا المهر مودعا في صندوق .

فارتعشت تنوان وقالت : ماذا تعني بما تقول ؟

ـ اصغي الي يا تنوان فان كلا منا يعرف الآخر منذ عهد بعيد بحيث بتنا نفهم مرادنا بالاشارة .

ـ هذا لا ريب فيه .

ـ انك ذهبت مع الكونتس الى باريس .

ـ اننا ذهبنا للبحث عن لوسيان .

ـ بل لسرقـة الصندوق الذي طالما بحثنا عنه منـذ خمسة عشر عاما ، والآن فاعلمي انـي قرأت الجريدة التي نقلت تلك الحادثة الدموية التي جرت في شارع اباي .

فاضطربت تنوان وقالت : اتعرف ذلك .

ـ نعم فلنتكلم الان بجلاء . ـ هذا الذي اريده .

ـ هل اعطتك الكونتس حصتك من الغنيمة ؟

فابتسمت تنوان متهكمة وقالت : ايــة حصة لي في ثروتها فان الكونتس تعتبرني خادمة مخلصة لها ويكفيني منها برهاني •

ــ اني كنت اتوقع منك هذا الجواب يا تنوان فاني اعلم انك من اهل الذكاء ولا اثق بما تقولينه عن اخلاصك للكونتس بل انك تكرهينها اشد الكره •

ــ هو ذاك فان الفاتحين تدخل الاحقــاد الى قلوبهم اثر النصر •

ــ اتريدين ان تصبحي مدام دي مازير ؟

ــ ايكون ذلك مقابل سرقة الصندوق مرة ثانية ؟

ــ دون شك •

ــ اني اقبل وارفض •

ــ ما هذا الجواب المبهم ؟

ــ بل هو في اتم الوضوح كما سيظهر لك فاني من اهل التشاؤم والتفاؤل كما تعلم فانا اعتقــد اني اذا اسأت أقل اساءة الى الكونتس لا يكون لي بعد ذلك غير الشقاء ولكني ادعك تفعل •

ــ كيف ذلك ؟

ــ انك اذا تزوجتني كما تقول فلا نقيم في هذه البلاد كما اظن •

ــ دون شك فاننا نذهب الى المانيا او الى ايطاليا •

ــ اذن افترض اني اقــول لك (ان الكونتس تنــام وتضع الصندوق تحت مخدتهــا في سريرهــا فــلا يمكن الحصول عليه الا بعد قتلها ولكن ذلك ليس صعبا ما زال الدخول الى غرفتها ممكنا من غرفتي التــي ادعها مفتوحة

فاني مهملة بعض الاحيان) •

فعانقها الشفاليه بملء الحنو وقال : ولكنك ذكية على الدوام •

بعد ذلك بساعة عـادت تنوان الى القصر بينما كان الشفاليه في الغابة وكانت تحدث نفسها فتقول ان الشفاليه من اعظم الدهاة دون شك ولكني هذه المرة فاني لا اريد ان اكون مدام دي مازير بل اريد ان اكـون صاحبة تلك الملايين وان يكون الصندوق لي وحدي •

وكانت الكونتس لا تزال نائمة فلم يعلم احد بخروج تنوان من القصر غير البستاني •

• • •

لم يكن الشفاليه دي مازير وحده قد عرف بسر هذا الصندوق فانه حين كان مختليا مع تنوان كما تقدم كان الاب جيروم يقرأ مع داغوبير الجريدة التي سرقها الاحدب مـن غرفة تنوان •

وقد علم كل شيء فايقن ان هذا الشيخ الذي جرح جرحا قاتلا في المبارزة لم يكن الا راوول وان خزانة الفولاذ التي وجدت مفتوحة في الجدار لم يكن فيها غير الصندوق•

وزاده وثوقا بصحة اعتقاده ما رواه له الاحدب من حديث الكونتس وتنوان فتولاه اليأس اذ فقـد صديقـا مخلصا وسرقت ثروة تلك الفتاة التي كان وصيا عليها •

اما داغوبير فانه كاد يجن وقال : ان هذه السارقة لم

تحذرنـي ولكنـي سأحرق القصر بساكنيـه او ترد المال المسروق •

فقال له الاحدب : بل انا اوصلك الى القصر ولا ادع احدا يراكِ • ثم بسط له مشروعه وهو انـه يذهب به في الليلة القادمة الـى قصر بوربير فيتسلق الاحدب الميازيب الى الشرفة المحيطة بالقصر وهنـاك لا بد ان يجد نافـذة مفتوحة فيدخل منها اليه ثم ينزل فيفتـح لداغوبير فيصعد الاثنـان الى غرفـة تنوان فيقيدانها ويكممانها ويفعـلان بالكونتس كما فعلا بتنوان او يقتلانهما عند الاقتضاء ثـم يعودان بالصندوق •

غير ان الاب جيروم لم يوافق على هذه الخطة وقال : لا يذهب احد منا الى قصر بوربيير بـل تذهب الكونتس اورور •

وقد فكر الاب جيروم عند ذكر اورور بابيها الشفاليه وعاوده الشك بصدق توبته ولكنه قـال في نفسه ان هذا الشفاليه يؤثر ان تعود الثروة الى حنة وهي مقيمة عنده على ان تكون بيد الكونتس ثم انه يحب ابنته اورور حبا بالغا وهي قد تولت حماية اختها فلا يخالفها فيما تريد •

وعند ذلك خرج من الدير فامتطى جوادا وسار الى قصر بلياردير فوصل اليه بعد ان ذهب الشفاليه الى آبار الملوك لمقابلة تنوان •

وقد دامت محادثتهما نحو ساعة فاتفقا على خطة عجب

بها الشفاليه كل الاعجاب ووثق باخلاص تنوان •

اما هذه الخطة فهي ان الشفاليه يحضر في الساعة التاسعة من المساء بعد ان تدخل حنة واورور الى غرفتهما وتنوان تتفق مع البستاني فيعد اخف مركبات القصر واسرع جياده وينتظر بهما عند آبار الملوك ثم ان الشفاليه يدع جواده مع البستاني ويأتي الى تنوان فتذهب به الى غرفتها وتخبئه بها الى ان يحين الزمن الذي يجب ان يدخل فيه الى غرفة الكونتس •

وبعد ان يقتل الكونتس ويستولي على الصندوق يسرعان ركضا الى آبار الملوك وهناك يركبان المركبة ويسيران بها في اقرب طرق الغابة الى بتهافر فيصلان اليها قبل طلوع الفجر •

وعند ذلك يستأجر مركبة من مركبات البريد ويسافران توا الى باريس •

وفي باريس يختبئان بضعة ايام ثم يأخذ الشفاليه جوازا المانيا ويسافر مع تنوان بالثروة المسروقة •

والغريب في امريهما ان تنوان كانت تنوي الفتك بالشفاليه واستخدامه آلة في سبيل نيلها الصندوق وكذلك الشفاليه كان ينوي الذهاب بها الى ايطاليا والزواج بها اذا اضطر الى الزواج ولكنه كان مصمما على قتلها بعد ادراك بغيته كل التصميم •

وقد كان عازما على ان يدع كتابا الى ابنته اورور قبل

سفره ينتحل فيه عذرا شريفا وهو انه مسافر للانتقام لامها وكان واثقا انها تصدق هذا العذر لاعتقاده انها تجهل امر الصندوق فلا يخطر لاحد في بال انه ذهب الـى فينيسيا للتزوج بتنوان •

وكان الشفاليه قد تصور هذه المشروعات وهو عائد من مقابلة تنوان الى قصره فلما وصل الى القصر رأى عند بابه جوادا عليه سرج ضخم وكان هذا الجواد جواد الاب جيروم •

فلما دخل الى المنزل جاءه خـادم واخبره ان ابنتـه اورور تنتظره في القاعة فذهب اليهـا فكان اندهاله عظيما حين رأى معها في تلك القاعة داغوبير والاب جيروم •

فقالت له اورور بعد ان حيا ضيفيه ، انك تحب اختي حنة يا بي اليس كذلك •

ــ الديك شك في ذلك يا اورور اني احبها كما احبك ولا فرق عندي بينها وبينك حتى اني عزمت علـى قسمة ثروتي بينك وبينها على السواء •

فقالت له : اذا كان ذلك فاعلم اذن يا ابي ان حنة كان لها ثروة طائلة منذ شهر •

فتظاهر الشفاليه بالاندهال العظيم وقال لهـا : كيف ذلك ؟ ثم اضطرب وقال في نفسه : يظهر انهم عارفون بسر الصندوق •

فقالت له : ولكن هـذه الثروة شبيهة بالحلم وقـد

سرقت منها •

ــ ما هذه الثروة التي تكلميني عنها فاني لا افهم شيئا من هذه الالغاز •

فتولى الكلام عند ذلك الاب جيروم فقص عليه حكاية الصندوق حتى اذا اتمها اراه الجريدة التي كتبت تفاصيل الجريمة فيها •

ولما قرأها قالت له اورور : لا يستطيع احـد سواك يا ابي ان يرد هذا المال لحنة •

فقال : لقد اصبت يا اورور فانا وحدي استطيع رده اذ يوجد بيني وبين الكونتس اسرار تجعلني الحاكم المطلق عليها • ثم قـال للاب جيروم : اني اتعهـد بارجاع هـذا الصندوق على شرط ان اتصرف كما اشاء ولا يعترضني احد فيما افعل •

فقالت اورور : ماذا عزمت ان تصنع ؟

ــ اني سأذهب الليلة الى قصر بوربيير •

ــ اتذهب وحدك ؟

فابتسم وقال : نعم وحدي فاطمئني اذ لا خطر علي مع الكونتس فانها تضطرب امـامي اضطراب العصفور امام البازي •

ــ ولكن لديها امرأة داهية جديرة بالاقدام على كل جريمة • ــ اتريدين بها تنوان ؟

قالت : نعم •

قال : انـــي لا اخشاها وهي تخافني ايضا كما تخافني سيدتها فاعلمي اني لا اعود هذه الليلة • قالت : لماذا ؟

ــ لي بذلك مأرب وبغيره لا استطيع الحصول علـــى الصندوق فسأنام في قصر بوربيير واقضي فيه ايضا طول النهار • ــ اتبقى الى المساء ؟

ــ نعم ثم رفع عينيه الى السماء وقال : ارجو ان يغفر الله لي اساءتي الى كريتشن بما سأصنعه في سبيل خدمـــة ابنتها وكان يقول هذا القول بلهجة تدل على تأثر شديد حتى ان الدموع سالت من عينيه •

وفي الساعـــة التاسعة من المساء برح الشفاليه القصر بعـــد ان ودع ابنته وقبلها بملء الحنـــان ثم انصرف وهو يقول : عدمت هـــذا الكاهن وهذا البيطري ان كنت اعلم ايهما الابله •

* * *

٣٣

الصندوق

اما تنوان فانها بعـد ان عزمت عزمها الاكيـد علـى الاستئثار بالصندوق ومهدت له الحيلة تولد في قلبهـا كدر شديد لهذه الكونتس لا سيما وقد رأت انها استبدت بالمال وهي التي كانت يدها اليمنى في نيله ولم تجد عليها بشيء منه بل ان هذه الثروة الجديدة اعادت اليها كبريائها القديمـة فنسيت ان تنوان قـد نعمت عليهـا وباتت تعاملها معاملـة الوصائف بعد تلك الصداقة فعولت على الانتقام منها انتقاما يشفي ذلك الحقد الكامن في قلبها واعدت خطة هائلة لا تدور الا في مخيلة من بلغ مبلغها من الشر .

وقد كان خطر لها في البدء ان تقتلها فتسرق الصندوق وتفر به غير انها رأت في ذلك خطرا لا تحمل عقباه فاقنعتها على السفر الى ايطاليا كي تبلغ هناك مأربها منها كما تشاء .

ثم تعرض لهـا الشفاليه دي مازير فادركت قصـده وايقنت انها اذا تركته وشأنه استولى على الصندوق وذهبت آمالها ادراج الرياح فخطت لها قريحتها الجهنمية خطة هائلة تبلغها مرادها من الاثنين فتظفر بالصندوق وتفر آمنة .

وفي اليوم الذي اتفقت فيه مع الشفاليه على الزواج وسرقة الصندوق خدعت ذلك البستاني الساذج بدهائهـا المعروف وارسلته بمركبة الى آبار الملوك وامرته بان ينتظرها

الى ان تعود .

ثم عـادت الى القصر فجعلت تنادم الكونتس وتفتح لها ابواب الاماني وقد جلستا على المائدة فجعلت تسقيها من افخر الخمور وتحدثها بأطيب الاحاديث والكونتس تبتسم لها ابتسام سويداء تشف عما داخل نفسها مـن الانقباض لفراق ولدها .

غير ان تنوان ما زالت تستعين عليها بالخمر والحديث حتى ذهب عنها الانقباض وعادت الى البشاشة والتعلل بما ستلقاه من غبطة العيش في البلاد الايطالية .

وكانت تنوان تسقيها الخمر بيدها وقد وضعت فيه ذلك المخدر الذي سقته الى قيصر .

فلما فرغتا من العشاء تثاقلت عينا الكونتس ثم سقطت على الارض لا حراك بها فضحكت تنوان ضحك الابالسة وقالت :

ــ لقد تم الفصل الاول من هذه الرواية وباتت هذه الكونتس في حالة لا تستطيع معها مقاومة الشفاليه .

وعند ذلك حملت الكونتس الى سريرها ووضعتها فيه وضع النائم نومه الطبيعي ثم اخذت الصندوق وعلقت في عنق الكونتس مفتاحا صغيرا لخزانة كانت في تلك الغرفة .

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة فعـادت تنوان الى غرفتها فاخرجت جميع ما كان في الصندوق مـن الاوراق المالية والمجوهرات النفيسة فوضعتها في جيوبها ونزلت الى

البستان .

وكان في ذلك البستان عدا عـن كلاب الصيد كلب ضخم الهيئة هائل الخلقة يفعـل فعل الوحوش الضواري فكان هذا الكلب اعظـم حارس للقصر وقـد تعودوا ان يطلقوه في الليل داخل البستان فلا يجسر احد على الدخول اليه الا اذا كان هذا الحارس راضيا عنه .

فنـادته تنوان باسمه فاسرع اليهـا يداعبها ويلاعبها فسارت به الى مربضه وقيدته فيه وخرجت مـن البستان لمقابلة الشفاليه .

وكان الشفاليه قد واعدها على اللقاء قرب آبار الملوك فجاء قبل الموعد المعين واقام ينتظر تنوان على اجر من الجمر وقد اعد خنجرا مرهف الحد للفتك بالكونتس ومهد لنفسه سبيل الغدر بتنوان وهو آمن مطمئن لا يعلم ما كتب لـه الدهر في لوح مقدوره .

ووصلت تنوان فوجدته ينتظرها فحياها تحية العشاق وضمها الى صدره فقبلها قبلـة حنو ثم سألها ماذا حدث فقالت له : لقد اعددت كل شيء فقد ربطت الكلب في مربطه كي لا يوقظ النائمين بنباحه وتركت الباب الموصل بين غرفتي وغرفة الكونتس مفتوحا وعرفت موضع الصندوق .

ـ وانا قد اعددت الخنجر فهلمي بنا .

فتظاهرت تنوان بالاضطراب وقالت له بلسان يتلعثم :

ـ اني لا ازال خائفة . ـ مما الخوف ايتها الحبيبة؟

ـ انـي اخشى ان تغـدر بي متى استوليت علـى الصندوق وترجع عما وعدتني به من الزواج •

ـ معاذ الله ان احنث بوعدي تعلمين اني من النبلاء ومن الاشراف يا تنوان وفوق ذلك فاني احبك •

فضحكت تنوان في سرها لهذا الشرف ولهذا الحب فقالت : ـ احق ما تقول ؟

ـ اقسم لك بشرفي انك ستصبحين زوجتي وتكونين من اسعد الزوجات •

وكانا يتكلمان وهما يسيران الى القصر فتوقفت تنوان فجأة وقالت : ويلاه ماذا اصابني اني كنت في هذا الصباح اكره سيدتي الكونتس اشد الكره ولكني اشعر الان اني احبها • ـ ما هذا الجنون يا تنوان ؟

فعـادت تنوان الى الاضطراب كأنما صوت ضميرها يؤنبها فاستعمل الشفاليه عند ذلك كل ما لديه مـن فنون الفصاحة ووسائل الاقناع حتى اقنعها ان قتل الكونتس لا بد منه وانه عمل محمود وان قتل هذه المرأة الناكرة الجميل لا يحمل على الندم •

فلم تجبه تنوان فاستدل مـن سكوتها علـى اقتناعها وسارا حتى وصلا الى القصر فصعدت به توا الى غرفتها •

وعند ذلك دنت وهي تضطرب من باب غرفة الكونتس فمدت رأسها من الباب واصغت هنيهة وعادت الى الشفاليه فقالت له همسا : انها نائمة • ـ اذن لقد آن الاوان •

ثم استل خنجره وحاول الدخول فقالت له : صبرا الى ان ادلك فان الكونتس معلقة في عنقها مفتاح خزانة تجدها في الغرفة تجاه السرير وقد وضعت اليوم الصندوق في هذه الخزانة .

فاتقدت عينا الشفاليه وهز الخنجر بيده فذعرت تنوان ذعرا شديدا وتعلقت بعنقه فقالت له : اصبر بربك اصبر فاني خائفة .

ــ ماذا يفيد الصبر ؟

ــ اذن بقي لي ملتمس ارجوك ان تجيبني اليه .

ــ ما هو ؟

ــ هو ان تدعني اخرج من هنا فانزل الى البستان وابتعد عنك حتى اذا ضربت هذه المنكودة الضربة القاضية وصاحت متألمة لا يصل صوت تألمها الى مسمعي .

ــ ولكني لا ادعها تصيح فاني سأطعنها في القلب .

ــ مهما يكن من ذلك فاني احب ان اكون بعيدة .

ــ ليكن ما تشائين .

فنظرت تنوان الى الساعة المعلقة في الجدار وقالت له : بقي ان تقسم لي يمينا انك لا تضربها هذه الضربة الا بعد نزولي الى البستان بعشر دقائق على الاقل .

ــ اني اقسم لك .

فتظاهرت تنوان بالاضطراب الشديد وخرجت من الغرفة باقدام مرتجفة تاركة فيها الشفاليه دي مازير وبيده الخنجر .

وبعد ثلاث دقائــق كانت في البستان ففكت الكلب واطلقته في البستان وقالت في نفسها انه سيبحث ربع ساعة على الاقل في الخزانة عن الصندوق بعد قتل الكوتتس ثم ينزل بعد ساعة من عدم ايجاده الى البستان كي يسألني عنه فيجد الكلب المفترس فيلقى من انيابه ما ستلقاه الكوتتس من خنجره فيتسع لي الوقت .

ثم خرجت من البستان وهي تعدو الى تلــك المركبة التي كان ينتظرها البستاني فيها .

وبعد عشر دقائق سارت بها تلك المركبة تقطع الارض نهبا في طريق بتهافر وهي تحمل ملايين حنة ابنة كريتشن .

٣٤

نكبة النبلاء

مالت الشمس للغروب واشتد البرد في يوم من ايــام يناير وبدد الهواء ضباب السماء المتكاثف فانقشعت الغيــوم وقد تساقطت اوراق الشجر وفرشت الارض بالثلوج الناصعة البياض فكان فصل الشتاء يظهر بملء جلاله .

وان رجلا وامرأتين كانوا يسيران في طريق اتمب الى باريس وقد تجاوزوا مونتاري وبلغوا ابواب انطوني ، وهي

قرية جميلة الرواء في الصيف كريهة المنظر في الشتاء لقحلها واستبدالها العشب الاخضر بالثلج المتكاثف •

وكان الرجل فتى والمرأتان في مقتبل الشباب ، بل هما فتاتان فكانوا جميعهم يسيرون وهم بملابس الفلاحين وقد بدت عليهم ملامح الجهد والتعب الشديد مما يدل على انهم يمشون منذ ايام •

وكان هذا الشاب ينظر من حين الى حين نظرات حنو الى الفتاتين وكلما رأى عن بعد منزلا يقول لهما : هوذا قد وصلنا وسنستريح •

ولكنه حين يصل الى ذلك البيت الذي يقول لهما : لنواصل السير فيمشون وهو يتنهد وهما يتظاهران بالصبر على المشاق وقد اعياهما التعب •

ذلك انهم كانوا في زمن صعب نزعت فيه الرحمة من القلوب فبات الاخ لا يثق باخيه والاب لا يعتمد على بنيه فان العاصفة التي كانت تنذر فرنسا في بدء هذه الرواية قد ثارت ودوت في ارجائها فزعزعت اركانها واضطرمت نار الثورة فاحرقت القصور واعدم النبلاء واقفلت الكنائس وسقط مقام النبلاء وديس بالاقدام كما يسقط الخريف اوراق الشجر •

اما هؤلاء المشاة الثلاثة فقد عرفهم القراء من فصول هذه الرواية السابقة فان الفتى كان بنوات الاحدب والفتاتين كانتا اورور ابنة الشفاليه دي مازير وحنة ربيبة الدير او

ربيبة داغوبير البيطري •

اما الشفاليه دي مازير والد اورور ، فقد اختفى في تلك الليلة التي هربت تنوان النورية باموال حنة ابنة كريتشن وعبثت بذلك الرجل الذي اراد ان يخدعها فكانت السابقة الى خداعه وقد اخفى امره عن جميع الناس حتى عن ابنته اورور •

وقد حدث انه في اليوم التالي لفرار تنوان وجدوا الكونتس دي مازير والدة لوسيان غارقة في دمائها وهي في سريرها وقد طعن صدرها بخنجر الشفاليه خمس طعنات قاتلة فماتت دون ان تفوه بكلمة او تصيح صيحة بل ماتت دون ان تستفيق للطعنات فان النورية كانت قد خدرتها كما تقدم •

وقد وجدوا بعد التحقيق ان جميع مجوهرات الكونتس مفقودة وتنوان هاربة فايقنوا انها قتلت سيدتها بغية سرقتها واركنت الى الفرار •

واما الشفاليه القاتل الحقيقي فلم يذكره احد بلسان ولم يخطر في بال احد •

وقد عاد لوسيان الى قصره بعد ان علم بمقتل امه فباع القصر وسافر دون ان يرى حنة او اورور فاختلفت الاقوال فيه من قائل انه عاد الى باريس وقائل انه مسافر الى البلاد الاميركية •

وبعد ذلك بعام نشبت تلك الثورة الهائلة التي حل

يعدها الدستور مخل الحكم المطلق ووقف العدل والحرية موقف الرق والاستبداد .

وكانت اورور تقيم في قصر ابيها مع اختها حنة بحماية الاب جيروم .

ثم ثار الشعب على الاديرة فأحرقوا دير الاب جيروم وتفرق رهبانه فلجأوا الى اهلهم واصدقائهم وبقي الاب جيروم عند اورور .

وقد بقي من رجال قصتنا داغوبير فانه برح ايضا منزله الذي ولد فيه ولم يكن ذلك لخوفه من الثورة ، فان ابن الشعب لا يخاف هياج الشعب ، ولكن الذي حمله على مهاجرة وطنه يأسه من الحياة فانه حين نفخت ابواق تلك الثورة الهائلة وصاح رجالها يقولون ، ان الوطن في خطر ذهب وانضم تحت لواء الجمهورية وهو يقول : اما الاقي الموت فاستريح او اغدو يوما من كبار القواد .

ثم اشتد ضرام الثورة فجاء يوما رجال البلدية الى الاب جيروم وقادوه دون ان يقولون له الى اين يذهبون به .

ولكنه ايقن انه ذاهب الى ساحة الاعدام فتمكن قبل الذهاب من مقابلة بنوات الاحدب فحثه على حماية اورور وحنة واستوثق من وفائه فسار آمنا الى الموت .

وفي اليوم التالي رأى بنوات ان الفتاتين في خطر فسار بهما هاربا الى باريس كما رأيناه .

وانما سار بهما الى باريس لأن الثورة قد بدا نشوبها

من تلك العاصمة وانه ليس فيهـا من يعرف البنتين فكان يرجو ان يتمكن من اخفائهما فيها الى ان تنتهي هذه الفتن •

وكانتا تلبسان ملابس الفلاحين مثله فكان من يراهما يحسب انهما اختاه •

وقد اجتاز مقاطعة اورليان وغاباتها وسهولها دون ان يلاقي شيئا مـن الخطر حتى اذا دنا من باريس بـات قلقه شديدا وجعل يسير بهما بملء الحذر والحكمة • وكـان يحمل بين كتفيه عصا طويلة ضخمة وفي طرفها صرة ملابس فاذا نزع الصرة كانت العصا خير سلاح لضخامتها •

وقد ستر تحت ملابسه غدارتين محشوتين وتمنطـق بحزام حشوه الدنانير ، ولما وصل الى بالبنتين الى قريـة انطوني قال : اني احذر من هـذه القرية واهلها واخـاف المبيت فيها •

فقالت له اورور : ولكن حنة قـد اعياها التعب ولا اراها تطيق مواصلة السير فاعترضتها حنة قائلة : بل امشي•

فقالت اورور : ولكن لا بد لنا من الوقوف والمبيت •

ــ دون شك ولكننا قد نجد خيرا من هذا المنزل فان هيئة اهله لم ترق لي •

ــ كما تريد •

ثم دار بهما دورة عظيمة في الحقول حتى انتهى الى فندق رأى مكتوبا على بابه « هنا مأوى الوطنين » •

وقد كانت امرأة عجوز واقفة علـى عتبة الباب غير مكترثة للبرد فتكلف بنوات هيئة البساطة التامة وقال لها :

ايكلف المبيت عندكم غاليا يا اماه ؟

ـ ان هيئتكم يا بني لا تدل على انكم من اهل اليسار

ـ هو ذاك فاننا من اشقى الفلاحين حالا •

ـ من هما هاتان البنتان ؟ ـ انهما اختاي •

ـ ارى ان البرد قد اثر بهما تأثيرا شديدا فادخل بهما يا ابني انكم ستأكلون وتبيتون وتدفعون قدر ما تستطيعون•

ـ انك من خيرة النساء ايتها الوطنية الصادقة •

فضحكت العجوز وقالت : لقد تغير كل شيء حتى لم يعد لنا اسماء فبات الرجل يدعي بالوطني والمرأة بالوطنية • لا بأس فان زوجي يريد ايضا ان ادعي بهذا الاسم الجديد وهو لا شك معتوه •

• • •

كان الفلاحون يختلفون كثيرا ا لى هذه الخمارة غير ان بنوات لم يجد فيها احدا عند دخوله اليهـا وذلك لان صاحبها كان غائبا في ذلك اليوم •

وكـان صاحب الخمارة يدعى كوكليس خدم في بد عهده سائقا عند الدوقة دي مونتبازون وكانت امرأته احدى خادمات الدوقة دي فيلروا فلما نشبت الثورة انضم الزوج الى حزب الثائرين وبقيت المرأة بالسر من حزب النبلاء •

غير انها على شدة تكتمها كانت تبدو منها احيانا بوادر تدل على تشيعها للاعيان فكان الثائرون يعفون عنها مراعاة لزوجها •

وكانوا حين يعترضونه يقول لهم : اني لا انكر ان امرأتي ليست صادقة في وطنيتها مثلي ومثلكم غير ان لهـا كثيرا من الصفات الحميدة فلا اسمح لاحد ان ينالها بسوء •

وكان كوكليس هذا جبارا شديد البطش يخافه جميع اهل تلك القرية فكان يذهب في كـل اسبوع الى باريس فيعود منها الى خمارته ببعض الثائرين الاشداء ويملأون تلك النواحي ذعرا •

فلما دخل بنوات بالبنتين الى الخمارة تبعتهم العجوز وجعلت تلاطفهم وتؤانسهم خير مؤانسة حتى ازالت ما كان لدى بنوات من الشك •

وبعـد ان تدفأوا قالت العجـوز لبنوات : هل انتم قادمون من مكان بعيد ؟

ــ من مسافة تبعد عن هـذه القرية خمسا وعشرين مرحلة •

ــ العلكم ذاهبون الى باريس •

ــ نعم فقد تغيرت الأعمال في قريتنا ولا بد لنا مـن العمل لنعيش •

فهزت العجوز رأسها وقالت : احذر يا ابني ان يكون ذهابكم الى باريس لغير هذا الغرض •

قال ماذا تريدين بذلك يا خالتاه ؟

ــ ان الاعمال قد تعززت ايضا في باريس بعد ان نزع الحكم من يد الملك وبات في يد الشعب فهل الفتاتان اختاك كما قلت •

ــ نعم •

ـ وماذا تطمعان ان تشتغلا في العاصمة ؟

فقالت اورور : اما انا فلا اعرف شيئا من الاشتغال وارجو ان اخدم في احد المنازل غير ان اختي ماهرة بالخياطة وهي لا بد ان تجد عملا ٠

فنظرت العجوز الى اورور نظرة الفاحص وقالت : ان يديك جميلتان ناعمتان لا تحتملان مشاق الاعمال ٠

فارتعش بنوات وجعل العرق البارد ينصب من جبينه٠

وكانت العجوز تكلمهم وهي تعد لهم مائدة الطعام غير ان اورور وحنة ذعرتا لملاحظة العجوز حتى انهما لم تستطيعا تناول الطعام ٠

واما بنوات فانه قال للعجوز هل تعدين هذه الخمارة لمبيت المسافرين ؟

ـ ان ذلك يتعلق بحالة المسافرين ٠

ـ قال : ان اختاي قد اضنهما التعب ولا تستطيعان مواصلة السير الى باريس ٠

فأجابته بلهجة المضطرب : انه ليس لدي سوى غرفة واحدة في الدور الاول وسرير واحد ٠

قال انهما ينامان فيها واما انا فأنام على هذا الكرسي٠

فقالت العجوز : ولكن زوجي سيعود الليلة من باريس وهو لا يعود وحده دون شك ٠

ثم نظرت نظرة مضطربة الى ساعة معلقة بالجدار فرأت ان الساعة قد بلغت السابعة فوقفت هنيهة موقف المتردد ثم

زال ترددها كأنها وجدت حلا لهذه المشكلة فقالت : اصغ الي يا ابني اني سأصعد بكم بعد العشاء الى تلك الغرفة فتنام الاختان في السرير وتنام انت على كرسي ولكني انصحك ان تسافر بعد ان تناموا ثلاث او اربع ساعات اي عند انتصاف الليل •

فعاود الشك قلب بنوات وعادت العجوز الى الحديث فقالت ان زوجي ليس من اهل الشر ولكنه حين يعود في الليل من باريس يأتي معه جماعة من زعانف تلك العاصمة فيسكرون ويعربدون ويقدمون على كل شيء منكر •

فنظرت حنة الى اختها نظرة ملؤها الذعر واتمت العجوز حديثها فقالت : ان زوجي وهؤلاء السكارى يعدون جميع الناس من النبلاء حين تدب الخمرة في رؤوسهم ولا شك ان ظواهركم تدل على انكم فقراء مثلنا ولكن السكر قد يمثلكم اغنياء نبلاء فلا تجدون حيلة لاتقاء شرهم •

فقال لها بنوات : ولكن الدخول الى باريس في الليل محال •

ــ محال على من كان له ظواهر الغنى والنبل واما من كان مثلكم فانه يدخل اليها آمنا دون ان يعترضه احد •

ــ اتعرفين الطرق الى باريس ؟

ــ لا يمكن ان تضل عنها فاذا سرت دون ان تعطف بلغت اليها بعد اربع ساعات •

ــ اشكرك يا اماه وسأنتصح بنصحك فنسافر بعد ان

تستريح اختاي بعض الاستراحة .

فتنهدت العجوز كأنها فرجت من ضيق وقالت : حسنا تفعل يا بني .

وفيما هم على العشاء وأعين حنة واورور لا تكاد تفتح من النعاس سمعت صيحة من الخارج فذعرت الاختان وقطب الاحدب حاجبيه وقامت العجوز الى الباب ففتحته لتنظر من القادم .

وكان الليل قد ارخى سدوله فلم تر احدا ولكنها كانت تسمع اصوات جماعة ينشدون نشيد الثورة وتعلم من اصواتهم انهم قادمون الى الخمارة فايقنت العجوز انهم زوجها ورفاقه وقالت في نفسها : انهم جاءوا مبكرين وسيشربون كل ما عندي من الخمر هذه الليلة ثم نظرت الى الاحدب والفتاتين نظرة تشف عن القلق .

. . .

وقد خطر لها عند ذلك ان تفتح بابا في الخمارة يشرف على الحديقة وان تشير على ضيوفها بالفرار منه الى الحقول غير ان زوجها ورفاقه كانوا قد دنوا من المنزل وكانت الصحون على المائدة فلا تستطيع كتمان امرهم فيدركونهم ويكون فرارهم شر من بقائهم .

اما بنوات فانه سمع اناشيدهم فايقن بقرب الخطر ووضع يده على غدارته واما اورور فقد كانت باسلة فانها نظرت الى بنوات نظرة معناها اننا سندافع عن حنة الى الموت .

غير ان قلق العجوز لم يطل فانها عادت اليهم فقالت لهم : كلوا مريئا فان زوجي يعربد حين الشرب ولكنه ليس من اهل الشر كما قلت لكم •

وبعد هنيهة وصل الثائرون الى الخمارة ودخلوا اليها دخول الفاتحين يتقدمهم كوكليس زوج العجوز •

وكان يصحبه ثلاثة فتيان يدعى اكبرهم بوليت والاثنان الآخران اخوان وكلا الثلاثة من شارع انطوان في باريس وهم من الذين اشتركوا في الغارة علــى سجن الباستيل والتغلب عليه •

كان بوليت هذا يقضي بعض ليله في التجول ويذهب في الصباح الى ساحة الاعدام فيتسلى بقتل النبلاء ويهتف للجلاد مع الهاتفين ويقضي هناك بقية اوقاته •

واما الاخوان فقد استبدلا اسميهما باسمين رومانيين كما فعل صاحب الخمارة ولم يبق بينهم من احتفظ باسمه غير بوليت •

وكان كوكليس صاحب الخمارة يظهر كأنه والد اولئك الثلاثة فان اكبرهم لم يكن يتجاوز خمسة وعشرين عاما •

وكانوا كلهم يتفاخرون بما يرتكبون من الشرور فان بوليت كان يقول معجبا انه من اصدقاء الجلاد وكان الاخوان يذكرون مفتخرين انهم قتلوا عشرة كهنة وعشرين نبيلا من كونت ومركيز •

وكان السبب في مودتهم لكوكليس انهم جاءوا يوما

الى خمارته وهم سكارى فطردتهم امرأته فاتهموها انها من الاعيان وتوعدوها بالقتل فانتصر لها زوجها وحدث بين الفريقين معركة هائلة كان الفوز فيها لكوكليس فعفا عنهم بعد المقدرة وسامحهم على برميل من الخمر شربوه في خمارته فعقدت الخمر بينهم صلة الحب ولم يفترقوا بعد ذلك الحين .

فلما دخل كوكليس في مقدمة اولئك الرفاق قال لامرأته : أرى عندنا ضيوفا فمن هم ؟

ــ انهم فقراء اعياهم التعب والبرد والجوع فدخلوا كي يأكلوا ويستريحوا .

فدنا بوليت من الاحدب وقال له : ارى ان لصاحبنا حدبة . وقال احد الاخوين : انها حدبة جميلة فجعل الجميع يضحكون بملء اشداقهم .

اما بنوات فانه لم يغضب لهذا المزاح وقال : ليس الذنب ذنبي في هذه الحدبة ولو خلقت نفسي لجعلتها كما اشتهي وتشتهون .

فقال له بوليت : لقد سرني منك هذا الجواب فهو يدل على انك لست حيوانا ثم نظر الى البنتين فاعجب بجمالهما وقال : اذا كنت قد عجزت عن ان تخلق نفسك فهذه الحسناء قد خلقت نفسها كما اشتهت .

وقد اشار الى اورور ونظر اليها نظرة منكرة فارتعش قلبها واصفر وجهها من الخوف .

ثم عاد بوليت الى الاحدب فقال له : اني اخاف ان تكونوا من النبلاء فان جمال هاتين البنتين لا يشفع بهما •

فضحك الاحدب وكشف عن ساعده فقال : ايكون لي مثل هذا الساعد واتهم اني من النبلاء ؟

ــ لقد اصبت ولا شك انك فلاح •

ــ اني افتخر بذلك • ــ من اين انت قادم ؟

ــ اني قادم من محل بعيد مع اختاي •

ــ اهما اختاك ؟ ــ نعم •

ــ اذن لا شك انكم لستم من اب واحد فان من يلد هذا القرد لا يلد هذين الملاكين •

ــ لقد قال لي غيرك هذا القول ولكن ما قلته لك هو الحقيقة وسأوضح لك السبب في ذلك اذا سقيتني كأسا من الخمر •

وقد سرت العجوز ما سمعته ورأته فقد رأت ان زوجها رضي الاخلاق وان الثلاثة الذين معه لا يقصدون غير الهزء بالاحدب فاطمأنت •

أما بوليت فانه جلس مع رفاقه حول المائدة فصب للاحدب خمرا في كأسه وقال له حدثنا الان قصتك •

فشرب بنوات الكأس جرعة واحدة وقال : ان امي ولدت في قرية من اعمال لورا عند غابات اورليان •

ــ اهذا هو السبب في كونك خلقت احدبا •

ــ كلا ايها المواطن العزيز فانك اذا اصررت على

مقاطعتي في حديثي لا تعلم كيف خلقت قبيحا وكيف خلقت اختاي جميلتين . — اذن قل فاني مصغ اليك .

— ان كل انسان في هذا الوجود يحتال على الارتزاق بما يستطيع فان امي كانت تسرق الاخشاب من قصور الاعيان وكان ابي يسرق ارانبهم .

فضرب بوليت المائدة بيده وقال : ان حديثك يعجبني ايها الاحدب فامض به .

— قال كنت جنينا في بطن امي حين شاهدها ابي قبل ان اولد عاكفة على منكر مع باكيليت .

— من هو هذا الرجل ؟

— هو احد حراس الغابة وكان احدبا مثلي فجئت مثله .

— وابوك ماذا صنع ؟

— انه اشبع امي ضربا ثم قادها الى الحبس فولدت في السجن وكان ابي قد شنق في خلال سجنها لارتكابه جريمة قتل فلما خرجت امي من السجن تزوجت فتى جميلا فولدت منه هاتين البنتين . — وانت ذاهب بهما الى باريس؟

— نعم فاني ارجو ان اجد فيها وظيفة سائس في الاصطبلات . — واختاك ؟

— ان احداهما تشتغل بمهنة الخياطة والثانية لا حرفة لها فهي تستخدم في احد المنازل .

وعند ذلك نادى بنوات العجوز وكانوا قد فرغوا من الطعام فقال لها : كم بلغ حسابنا ؟

ثم اخرج من جيبه كيسا من الجلد فيه بعض قطع من النقود النحاسية فاعترضه كوكليس وقال له : الق نقودك في كيسك فانكم فقراء وانتم ضيوفي فانكم لا تستطيعون السفر هذه الليلة .

فاضطرب بنوات اذ كان يريد التخلص منهم وقال له : لماذا ؟ — لان الليلة حالكة السواد .

— ذلك عندي سيان فقد الفت السير في الظلمات .

— ثم ان البرد شديد .

— انا نمشي مسرعين فيخف الم البرد .

— وفوق ذلك فانكم لا تستطيعون الدخول الى باريس فان ابوابها لا تفتح في الليل .

فاعترضت العجوز وقالت : كلا بل انها تفتح للفقراء .

— ولكن لماذا لا يبيتون هنا ويسافرون في الصباح ثم نظر الى امرأته فرأى علائم القلق قد ارتسمت على وجهها .

اما بنوات فانه نظر الى حنة نظرة المشفق لانه رأى ان التعب قد انهكها بحيث لم تعد تستطيع الوقوف .

٣٥

بنوات يتسلح

وكذلك العجوز قد اشفقت على البنتين وقالت للاحدب:
ارى ان تبيتوا هنا يا ابني فلا طاقة لاختيك على تحمل السير.

وكانت قد اطمأنت اذ تبودلت بينها وبين زوجها نظرة دعتها الى الاطمئنان فقالت للاحدب ، لقد اصاب زوجي بدعوتكم الى المبيت هنا الليلة فاصعدوا الى الغرفة التي اخبرتكم عنها وناموا الى الصباح .

فنظر الاحدب اليها نظرة الفاحص فرأى علائم الاطمئنان بادية بين عينيها .

اما رفاق كوكليس فقد كانوا يشربون حتى بلغوا بشربهم الى حد لا يمكن التفريق فيه بين جيدالخمر وفاسده.

واستأنفت العجوز حديثها فقالت : انكم اذا بتم الى الصباح رافقتكم الى باريس فتركب اختاك معي في مركبتي وتسير انت ماشيا لان المركبة لا تسع اكثر من ثلاثة وفي ذلك راحة لاختيك فقد برح بهما التعب .

وكان بنوات مترددا في البقاء غير انه رأى من لهجة العجوز واطمئنانها ما حمله على قبول الدعوة فقبلها شاكرا.

وعند ذلك انارت العجوز شمعة وقالت لهم : اتبعوني

وقد تبادلت نظرة اخرى مع زوجها فنزل الزوج الى القبو لاحضار النبيذ وصعدت العجوز سلما الى الغرفة العليا فتبعها الاحدب واختاه .

ولم يكن في تلك الغرفة غير سرير واحد ومائدة حولها ثلاثة كراسي فوضعت الشمعدان على المائدة وقالت لهم : اننا في زمن يجب فيه الحذر الشديد فان زوجي لو كان سكران لمهدت لكم سبيل الانصراف غير انه من اهل الوفاء وقد اشار الي اشارة حملتني على الاطمئنان فلم اعد اخشى رفاقه الاشرار وفوق ذلك فانهم قد افرطوا في الشرب ولا يمضي ربع ساعة حتى تصرعهم المدام فناموا اذن مطمئنين الا اذا كنتم من الاعيان فلا اضمن لكم السلامة .

فذعرت اورور واختها وعادت العجوز الى الحديث فقالت : اني لا احب الجمهورية ولكني لا استطيع المجاهرة بأفكاري وكذلك زوجي فانه قد يكون ميالا الى الملكية ولكنه يخشى التصريح اما انتم فكونوا كما تشاؤون ولكن احذروا ان تبدر منكم بادرة تدل على انكم من الاعيان وهنا ودعتهم وانصرفت فلما خلا بنوات بالاختين جعل كل منهم ينظر الى الآخر فقالت حنة : رباه اني خائفة فأجابتها اورور على ما الخوف اننا لا خطر علينا الا من رفاق صاحب الخمارة واما كوكليس وامرأته فهما من انصارنا فاذا خطر لهم ان ينالونا بسوء تغالبنا عليهم ونحن اكثر منهم عددا .

وفتح بنوات سترته ورأى حنة الغدارتين فقال لها :

انهما تضمنان قتل الاخوين ثم اخرج خنجرا وقال : هذا الخنجر يكفي لقتل بوليت •

فقالت له اورور : ان هذا الرجل الذي تدعوه بوليت هو الوحيد الذي خفته بين الجماعة — لماذا ؟

— لانه لم يكن ينفك عن النظر الي فان هؤلاء المواطنين كما يدعونهم لا يحجمون عن ارسالنا الى المشنقة ولكنهم لا يأنفون قبيل ذلك من حبنا •

وكان لباب الغرفة قفل من الداخل فأحكم بنوات ايصاده ثم وضع الطاولة وراء الباب مبالغة في الحذر وصعد عليها فاضجع وقال : هذا سريري •

وقد اخرج الغدارتين والخنجر فوضعها قربه وادار ظهره كي تصعد الاختان الى السرير دون ان يراهما •

فشكرته حنة لاخلاصه ودموع الامتنان تجول في عينيها فقال لها : لا تشكريني يا سيدتي ان شكرك يخجلني فاني لم اسفك شيئا من دمي بعد في سبيل خدمتكما •

اما كوكليس فقد كان جالسا في الخمارة يشرب مع رفاقه فكان يشرب قليلا ويملأ لهم الكؤوس حتى دارت الخمرة في رؤوسهم ما خلا بوليت فانه لم يسكر وظهرت عليه علائم التفكير •

وكان احد الاخوين قد بلغ به السكر ورابهامر الاختين فقال لكوكليس : أرى ان هاتين الاختين من النبيلات وقد تنكرتا بملابس القرويات اخفاء لحالتهما ألا ترون انه يجب

ان اخبر البوليس بشأنهما ؟

فقال له كوكليس : اذا اردت ان اقتلك فافعل .

فعجب السكير مما سمعه وقال : انت يا كوكليس المدافع عن الاغنياء

ــ كلا فاني اصدق منك وطنية وميلا الى الفتك باولئك اذا اردت الذهاب الى البوليس .

ــ اية مشاكل هذه ما زالت الاختان من النبلاء ؟

ــ لقد قلت لك انهما قرويتان حقيقة وفي كل حال اذهب ونم اتريد ان تحدث لي مشاكل مع البوليس .

ثم حاول الوقوف فلم يستطع المشي فقال كوكليس :

ــ اذا كان كما تقول فدعني ابلغ البوليس النبلاء .

ــ اني احمل نفسي فالمكان قريب .

فقال له: لقد بلغ منك السكر اقصى غاياته فمن يحملك فان دخول الجنود الى خمارتي يمس بسمعتها ويتوهم الناس اني حليف النبلاء وموضع الشبهات فاذا كنت قادما على الشرب فاشرب او فاذهب فنم .

فقال بوليت : لقد أصاب كوكليس ايها الصديق مهما يكن من الامر فلا يخلق بنا ان ندع الجنود تدخل الى خمارته.

وكأنما السكران قد اقتنع فقال لكوكليس ايوجد قش في الاصطبل انام فوقه ؟ ــ دون شك .

ــ اذن انا ذاهب فاشربوا عني فلا اطيق الشراب.

وقال بوليت : وانا ذاهب معك فقد تثاقلت عيناي •

فقام كوكليس ففتح لهم الباب وخرج الثلاثة الى الاصطبل فأوصلهم كوكليس اليه وبسط لهم اسرة القش والتبن ينامون عليها •

وبعد هنيهة عاد الى امرأته وهو مجهم الوجه مقطب الحاجبين فقال لها : ماذا صنعت بي ايتها العجوز ؟

ــ ماذا صنعت بك ؟

ــ اني ليس لي غير عين واحدة ولكن العين الباقية قوية البصر ــ ماذا تريد بذلك ؟

ــ اريد اني انظر الاشياء كما هي •

ــ اهنئك بسلامة نظرك •

ــ بل يجب ان تعزيني فاني لم انخدع • ويحك اتدخلين النبلاء الى خمارتنا الا تعلمين انه لا يكون لنا بعد ذلك غير الشنق

ــ كفاك مشقة ولا تعترضني فيما افعل فان الامر على غير ما تظن

ــ اني واثق من ظني واحب المحافظة على حياتي ولذلك يجب ان تسافر الاختان قبل الفجر مع هذا الرجل الذي يحميهما •

وقبل ان يتم جملته فتح الباب ودخل بوليت فقال : ان الاخوين قد ناما فلا توقظهما اصوات المدافع اما انا فأني لم استطع الرقاد فعدت اليكما كي تتحدث قليلا •

وكان يقول هذا القول وهو يبتسم ابتسامة تدل على

مقصد سيء اجفل له كوكليس وامرأته .

• • •

كان كوكليس هذا ميالا كامرأته الى النبلاء لفرط اتصاله بهم قبل عهد الثورة غير انه كان يتظاهر بالميل الى الشعب وينضم الى الثائرين حذرا من العاقبة فكان اذا انشد معهم الاناشيد الثورية او حضر مقتل نبيل عاد مصفر الوجه وقد بلغ منه التأثر اشد مبلغ .

ولا ندري اذا كان قد عفا عن اورور واختها من قبيل الاشفاق عليهما او من قبيل المراعاة لامرأته غير انه نظر الى امرأته حين دخول بوليت نظرة تدل على صدق عزيمته في حماية الاختين .

ولما دخل بوليت وقال له انه عاد لمحادثته ومنادمته قال له: أتريد ان تعود الى الشراب ؟

كلا فلا جد مع الشراب وقد اتقدت عيناه ببارق نفذ الى قلب كوكليس.

وقد كان هذا الفتى في مقتبل العمر وهو جميل الوجه خفيف الحركات غير ان الخمول والسكر قد اثرا في وجهه فانقلب جماله الى قبح وبقيت له همة الفتيان .

وكانت الجرأة بادية بين عينيه وعلائم الغلظة ظاهرة فيه ولذلك كان يفتخر بقتل النبلاء والاجهاز على الجرحى كأنه اتى امرا محمودا .

اما كوكليس فقد عجب لامره ولا سيما لرفضه الشراب

والعهد به ان يصل الليل بالنهار على مائدة المدام •

فقال له : كيف ذلك أتأبى الشراب •   ـ نعم •

ـ ولكني اذا قلت كلمة طلبته من تلقاء نفسك ـ ما هي

ـ هي انه وردني برميل من افضل خمور نورمانديا لم يشرب منه احد من زبائني بعد • ثم أشار الى امرأته ان تحضر له زجاجة من الخمر فأسرعت الى تلبيته •

اما بوليت فانه جلس بازائه حول المائدة وقال له : اني اريد ان احدثك بأمر ذي شأن •

فذهل كوكليس وقال : بماذا يتعلق هذا الحديث ؟

ـ بمصلحة الجمهورية ؟

فصاح كوكليس قائلا : لتحي الجمهورية ولتسقط الملكية•   ـ هو قول تقوله وانما العبرة بالاعمال ايها الصديق•

ـ ماذا تريد بذلك ؟

وكانت امرأة كوكليس قد عادت بالزجاجة فقال بوليت: اني لا احب التحدث بالامور الخطيرة امام النساء فاصرف امرأتك عنا •

قال كوكليس لامرأته : لقد تقدم الليل ايتها الحبيبة فاذهبي الى مضجعك واشار اليها اشارة لم ينظرها بوليت ثم قال لها : احذري السلم •

فانصرفت العجوز وهي تقول لا تخف فقد اصلحت الدرجة الساقطة •

فلم ينتبه بوليت لهذه الكلمات التي تبودلت بين الزوج

والزوجة • ولما خلا المكان بالاثنين شرب بوليت كأسا من الخمر وقال لكوكليس : لقد اصبحنا وحدنا الان فلنتحدث •

ــ ليكن ما تريد •

فقال له بجفاء : انك يا كوكليس تخون الجمهوريةوهي خيانة لا ارضاها لك ولا يسعني الاغضاء عنها •

فتظاهر كوكليس بالاندهال العظيم وقال : انا اخدع الجمهورية• ــ نعم فانك تأوي النبلاء في منزلك •

ــ ومن اوحى لك هذا النبأ الغريب •

ــ لا تتكلف خديعتي يا كوكليس واعلم اني مننت عليك الان منة عظيمة ومنعت صديقنا عن ان يبلغ الجنود •

فبقي كوكليس على تكلفه الاندهال وقال له : لماذا تريد ان يبلغ الجنود امرهما ؟ ــ للقبض عليهما •

ــ أيقبض البوليس على اختي الاحدب ؟

فهز بوليت كتفيه وقال : ان هذا الاحدب خادم الاختين واما الاختان فهما من النبلاء •

ــ الحق ان ذلك لم يخطر لي في بال •

ــ بل انك تعلم ذلك كما اعلمه ولكنك اردت مراعاة امرأتك • ــ انك مخطيء يا بوليت •

ــ كلا وفوق ذلك فقد راق لك جمال البنتين

ــ ما هذا الغرور •

ــ ليس هذا غرور بل حقيقة فقد راق لك جمالهما كما راق لي ولا سيما احداهن ذات العينين الزرقاوين والشعر

الاسود وقد خطر لي بشأنها خاطر — ما هو ؟

— هو ان المرأة تكون كما يريد الرجل ان تكون .

— كيف ذلك ؟

— ذلك اننا نستطيع ان نجعل النبيلة وطنية فقد قلت في البدء في نفسي اني اذا تركت صديقنا يبلغ البوليس امر البنتين لا يمضي ثلاثة ايام حتى يشنقا غير اني تمعنت في الامر فخطر لي خاطر دعاني الى ان اما نع في تنفيذ هذا القصد.

— ما هو هذا الخاطر

— هو اني اريد ان اجعل الصبية مدام بوليت .

— احق ما تقول ؟ — نعم وانما اريد مساعدتك.

— كيف تريد ان اساعدك .

— اننا نصعد معا الى الغرفة التي تبيت فيها — وبعد ذلك

— ندخل تلك الغرفة ونبدأ بالقاء الاحدب من النافذة وبعد ذلك يسهل الامر فتختطف انت الصبية الشقراء وانا اختطف السمراء فقد راق لي جمالها .

— ولكن اذا لم تكونا من الاعيان كما توهمت .

— اني واثق مما اقول — ما هو برهانك ؟

— الم تر ايديهما الناعمة ومتى كان لايدي القرويات هذه النعومة .

— ليس هذا ببرهان .

— انه يقنعني على ان هذه الفتاة سواء كانت من النبيلات او القرويات فقد حسنت في عيني واريد ان اتزوجها

واجعلها من خير الوطنيات .

فظهرت على كوكليس علائم التردد فقال له : انك صديق لي ولا احب ان اكدرك .

ــ يسرني ادعائك ايها الصديق فان مثلنا لا يختلفون.

ــ هو ذاك غير اني اود ان تفعل ما نريد فعله دون مساعدتي .

ــ كيف ذلك ؟

ذلك انه لا حاجة بك الى مساعدتي فان هذا الاحدب ضعيف هزيل تستطيع القاءه من النافذة دون مساعدتي.

ــ اذن لا تريد ان تشترك معي ؟

ــ كلا ولكني لا اعترضك وهذا السلم امامك فاصعد اليهما متى شئت وانا اتعامى عنك .

ــ وامرأتك ؟

ــ اني اضمن لك ايضا سكوت امرأتي .

ــ فأخذ بوليت خنجره وقال : ان هذا الخنجر لقتل الاحدب .

فقال له : اتعرف الغرفة وكيف تصل اليها ؟

ــ نعم .

ــ اذن اذهب في شأنك وافعل ما تشاء.

ــ ثم سكب خمرا في كأسه وقال وهو يضحك : اني احب ان ارى رأيك بالنبيلات بعد ظفرك بهذه الحسناء .

فلم يجبه بوليت وصعد السلم وهو يتمايل لسكره وجعل يصعد درجاته ببطيء .

اما كوكليس فقد اصفر وجهه ووقف يصغي الى وقع اقدامه فكان يسمع ليعلم ان بوليت يصعد درجة فدرجة ثم سمع فجأة صوتا هائلا تلاه صوت سقوط جسم فظهرت علائم

البشر على وجهه وقال : نجحت المكيدة وادركت امرأتي ما اردت •

• • •

ولقد اصاب كوكليس فان بوليت سقط في فخ اوقعه فيه الطيش والغرور •

ذلك انه كان يوجد في تلك الخمارة سلم يصعد به الى الغرفة التي باتت فيها اورور واختها وكان القبو تحت هذا السلم ولاحد درجاتهلولب اذا ادير انزاحتالدرجةوانكشفت عن هوة عميقة تنتهي عند ارض القبو •

وحكاية هذا البيت انه كان يسكنه قبل كوكليس جماعة من اللصوص جعلوه فندقا فوضعوا هذا اللولب واستنبطوا هذه الحيلة كي يغتالوا بها من يقع فيشراكهم•

وقد اشتراه كوكليس حين بدأت الثورة ووقف على سر هذا اللولب مع امرأته فابقياه على ما كان عليه ليس لاستخدامه في ما كان يستخدمه اللصوص بل ليجعلاهسبيلا للدفاع عند الاقتضاء •

وقد كان كوكليس عول على حماية الاختين في تلك الليلة بعد ما رآه من ميل امرأته اليهما فحمل بالشراب على رفاقه الثلاثة حتى اسكرهم وتوهم انه اكتفى شرهم •

غير انه رأى بوليت عاد اليه ولاحظ انه لا يريد الشراب وانه كان يوهمه انه يشرب ويصب ما في كأسهخلسة على الارض فاوجس منه شرا وادرك مقاصده السافلة حين

باح له باقتنائه باورور ٠

فلما رأى ذلك منه ورأى امرأته تنظر اليه نظرة المتوسل عزم عزما اكيدا على قتله لوقاية البنتين ٠

ثم ان كوكليس كان حاقدا على هذا الفتى يخشى كيده في كل حين فانه قال مرة : اني اعلم يقينا انك من حزب النبلاء وانك تتظاهر مظاهرة كاذبة بالانضمام الينا غير اني اعفو عنك لما بيننا من الصداقة ولا ابوح بأمرك للجنود ما زلت تسقيني ما اشاء من الخمر وتعطيني ما احتاج من النقود ٠

فوجد كوكليس انه لم يبق له بد من اغتيال هذا العدو المتلبس بلباس الصديق وجعل يترقب الفرص حتى حدثت حادثة الاختين فرآها خير فرصة تغتنم لبلوغ مأربه من الانتقام وأمن الاخطار ٠

فلما ذهبت امرأته لتنام قال لها : احذري السقوط عند صعودك السلم وغمزها بعينه فادركت قصده وقالت له : اصلحت الدرجة فلم يبق ثمة مجال للخوف ٠ فعلم كوكليس بان امرأته ادركت قصده واجابته بمثل كلامه المعمي ولم يدرك بوليت شيئا من قصدهما ٠

اما العجوز فانها صعدت السلم حتى وصلت الى الدرجة التي كان تحتها اللولب فادارته بحيث انفتحت الدرجة وصعدت العجوز ٠

فلما سمع كوكليس صيحة بوليت ايقن انه سقط الى الهوة واسرع للاستكشاف فرأى امرأته واقفة عند تلك

الدرجة وهي مصفرة الوجه اذ لم تكن من نساء الشر ولكنها كانت تبتسم لاعتقادها انه ما وراء هذا الا الخير وان وقاية الاختين خير شفيع عند ضميرها لدى هذه الجناية.

فقال لها كوكليس : اتظنين انه مات ؟

ـ اني لا اسمع له حسا .

ـ الا انزل الى القبو فأرى ما كان منه .

ـ سننقذه بعد سفر الاختين فاني اخشى ان يستفيق هؤلاء السكارى فنلقي خطرا جديدا .

ـ لقد اصبت ولكن الم تقولي انك ستذهبين بهما في المركبة الى باريس ؟

ـ هو ذاك غير اني اؤثر ان تذهب انت فان حراس ابواب المدينة يعرفونك وفوق ذلك فان رفيقي بوليت متى صحوا ولم يجدوك ايقنا انك ذهبت مع رفيقهما ولم يبق مجال للظنون .

ـ لقد اصبت فاصعدي الى غرفة الاختين وانا ذاهب لاعداد المركبة .

ـ فصعدت العجوز الى الغرفة فقرعت بابها وقالت : افتحوا فاني من الاصدقاء .

وكان بنوات لم ينم لفرط حذره وقد سمع كل ما دار من الحديث بين الزوجين وكذلك اورور فانها لم تنم لاشفاقها على اختها حنة التي اعياها التعب فنامت بالرغم عن مخاوفها. فلما سمع بنوات صوت العجوز ازاح الطاولة وفتح

الباب فقالت : لقد نجوتم باذن الله من خطر شديد فاسرعوا بالسفر فان الخطر لا يزال محدقا بكم •

فقال لها بنوات : ما هذه الصيحة التي سمعناها ؟

قالت صيحة ذلك الرجل الذي كان يريد التنكيل بكم فاسرعوا فان زوجي ذهب ليعد المركبة •

فقامت اورور ايقظت اختها فقالت لهما العجوز : لقد اتضح لكما الان اني عارفة حقيقة اصلكما وانكما ذاهبتان الى باريس للاختباء فيها ولكن يجب ان تسودا ايديكما دلالة على انكما من العاملات ثم ان هيئتكما لا تدل على انكما من القرويات واخاف ان يفتضح امركما في باريس فهل تعرفان احدا فيها ؟

فقال لها بنوات : كلا •

ففكرت العجوز هنيهة ثم قالت : ان لي اختا في باريس تكره مثلي هذه الثورة وتميل الى الملكية غير ان الثائرين لا يشكون بها لانها تتظاهر مثلنا بالانتصار للجمهورية فهل تريدون ان تقيموا عندها •

فتشاورت اورور واختها بالنظر للعجوز : اننا نقبل منك بالشكر فان ثقتنا بك عظيمة •

وعند ذلك سمعوا صفيرا خارج المنزل فقالت العجوز: ان هذا الصفير اشارة من زوجي الى ان المركبة قد اعدت وانه في انتظاركم فهلموا بنا •

فخرج الاربعة عند ذلك من الغرفة وخرجوا من

الخمارة الى حيث كان كوكليس بمركبته فقالت له امرأته : ارجوك ان تذهب بهم الى منزل اختي •

ــ لقد احسنت فانهم سيكونون عندها بمأمن •

فصعدت الاختان الى المركبة ودعا بنوات الى الصعود فأبى وفضل السير على الاقدام •

وعند ذلك جلد كوكليس حمار المركبة بسوطه فسارت بهم في طريق باريس وعادت العجوز الى المنزل وهي تبكي حنوا على الاختين •

٣٦

جريمة

ولما عادت العجوز الى منزلها اقفلت الباب من الداخل واحكمت ايصاده ثم فكرت ان تنزل الى القبو كي ترى ما جرى لبوليت غير انها لم تجسر على ذلك فان المراة مهما بلغت من الجراة لا تجسر على رؤية جثة قتيل •

فوقفت فوق الهوة وجعلت تصغي فلم تسمع شيئا فقالت في نفسها انه مات دون شك ولو بقي حيا لسمعت انينه •

وعند ذلك تنهدت لانها لم تقدم غير مكرهة على قتل هذا الفتى وصعدت الى سريرها كي تنام ولكن الرقاد لم يجد سبيلا الى عينيها فانها كانت تفتكر تارة ببوليت وتارة بالاختين فتخشى ان يشي بهما واش فيحكم عليهما بالاعدام.

ولبثت على ذلك الى ان اشرق الصباح .

اما الاخوان اللذان كانا نائمين في الاصطبل فانهما استيقظا عند بزوغ الفجر فعجبا في البدء كيف ان بوليت لم يكن معهما ، ثم رأيا ان الحمار غير موجود في الاصطبل فذكرا البنتين وما جرى لهم في جلسة المساء فقال احدهما : اظن ان بوليت قد عبث بنا .

فقال له اخوه : كيف ذلك ؟

ـ اذكر ان بوليت كان نائما امس بقربي وقد انسل وانصرف ففرك اخوه عينيه وقال : ماذا تستنتج من ذلك ؟

ـ استنتج ان بوليت ذهب لمقابلة كوكليس .

ـ وبعد ذلك ؟ ـ ان الاثنين قد اتفقا على القسمة.

ـ اني لم افهم شيئا مما تقول .

ـ وان الحمار غير موجود فجميع ذلك يدل على ان بوليت وكوكليس قد سافرا بالبنتين الى باريس .

ـ اي غرض لهما بذلك ؟

ـ انهما يقتلان الاحدب على الطريق ويتمتعان بالبنتين ثم يدفعان بهما الى الجنود لانهما من الاعيان .

ـ واذا كانا قد فعلا ذلك ؟

ـ يكون كوكليس قد خاننا وليس هـذا من شروط الرفاق وعلى ذلك فلا بد لي من فضيحة امره فانه من اعظم انصار النبلاء •

فاتقدت عينا اخيه ببارق من الفرح الوحشي وقال له : انه خير انتقام وسنشنق الاربعة •

هلم بنا الى الخمارة لنرى ماذا حدث عسانا نقف على الحقيقة •

فخرج الاثنان من الاصطبل ودخلا الى الخمارة فلقيا العجوز فيها وسألاها عن بوليت فقالت لهما انه مسافر مع زوجي الى باريس •

قال احدهما : وماذا جرى للبنتين النبيلتين ؟

ـ اي نبيلتين ؟ ـ البنتان اللتان كانتا هنا بالامس •

ـ انهما ذهبتا مع زوجي وبوليت •

فالتفت الفتى الى اخيه وقال : الم اقل لك انهما خدعانا ولكني سأنتقم منهما شر انتقام •

ثم التفت الى العجوز فقال لها : متى سافروا ؟

ـ منذ ربع ساعة •

ـ اذن اذا اسرعنا ندركهم في الطريق •

ـ دون شك فانهم ساروا بمركبة يجرها حمار •

ـ فتركهـا الاخوان وهرولا مسرعين في اثر بوليت وكوكليس والاختين وهما لا يعلمان ان العجوز قد خدعتهما بقولها انهم قد سافروا منذ ربع ساعة بغية ابعادهما في حين

انهما كانوا في باريس عند بزوغ الفجر •

اما كوكليس فانه سار بالاحدب والبنتين الى باريس فلم يعترضهم الحراس وذهب بهم الى اخت امرأته فأوصاها بهم خيرا واقام يومه في باريس ثم عاد الى امرأته فأخبرها بما صنع فاطمأنت على الاختين وشكرت زوجها اجمل شكر •

وبعد ذلك عادا الى البحث في شأن بوليت اذ كانا يعتقدان انهما سيجدان بوليت محطما •

وكان يحمل مصباحا فما لبث ان دخل الى هذا القبو الضيق ونظر فيه نظرة الفاحص حتى صاح صيحة منكرة وجف لها قلب امرأته وقالت : ماذا جرى ؟

ــ انظري كما نظرت •

فنظرت العجوز فعلمت السبب في ذعر زوجها لانها لم تجد في ذلك القبو اثر لبوليت •

اما كوكليس فانه اوشك ان يجن من رعبه فقال : انه لم يمت ••• انه نجا ••• إنتها المرأة الفرار الفرار فاذا بقينا يوما هنا قضي علينا بالهلاك •

وعلى ذلك فان بوليت لم يمت كما كان يتوهم الزوجان مع انه سقط من علو شاهق يبلغ خمسة وعشرين قدما •

وذلك انه حين سقط خطر له خاطر سريع وهو يهوي الى الارض فبسط يده فعلقت بحديد النافذة قبل ان يبلغ الارض ولكنه لم يستطع الامساك بها فسقط الى ارض القبو وقد نجا من الموت لتعلق يده في تلك النافذة بحيث بات سقوطه يعتبر من النافذة لا من اعلى الهوة •

ولكنه مع ذلك اغمي عليه وجرح رأسه وصدءت رجله

وقد طال اغماؤه ساعتين ثم صحا لشدة البرد ونفوذ الهواء الى القبو من النافذة فوجد الظلمات حالكة تكتنفه من كل صوب وعاد اليه رشده فذكر ما مر بــه وايقن ان كوكليس قد نصب له هذا الفخ للتخلص منه •

ثم حاول الوقوف فصاح صيحة الم ، لم تصل الــى مسمع العجوز فعلم ان رجله مصدوعة وشعر بمادة تسيل على وجهه فوضع يده على رأسه فعلم انه جريح •

وعند ذلك فكر في امره وانقطع عن الانين اذ قال في نفسه (ان كوكليس اراد قتلي والتخلص منــي فهو الان يعتقد اني مت فاذا صحت او وصل اليه صوت انيني اسرع الى القبو واجهز علي ولا يستطيــع صديقي نجدتي لان السكر قد بلغ منهما اشد مبلغ ولذلك يجب ان اسعى الى الخروج من القبو وابتعد عن المنزل وسيرى هــذا الرجل وامرأته ما يكون مني •

وقد عزم عزما اكيدا على البطش بهما واعدامهما شنقا فلما اعد وسائل انتقامه جعل يفكر في طريقة الخروج مــن ذلك القبو فذهب الى بابه فوجده مقفلا مــن الخارج ولا سبيل الى فتحه ولكنه شعر بالهواء البارد يسري اليه من النافذة •

ولم تكن النافذة عالية ولكنه يستطيع الوصول اليها لانها كانت ارفع من قامته فوضع برميلا كبيرا من براميل

الخمر تحتها وصعد فوق البرميل بالرغم عن انصداع رجله ومد يده فبلغت الى حديد النافذة) •

وكان القبو قديم البناء وقد تخلخلت النافـذة لقدم عهدها وكاد الصدأ يأكل حديدها ولم يكن فيها غير قضيبين رفيعين فما زال يعالجهما حتى ظفر بكسرهما ففتح له ممر من النافذة •

وعند ذلك تسلق اليها فتدلى منها والقى بنفسه الى الارض فشعر بألم شديد لانصداع رجله ولكنه تجلد وعض على شفته فأدماها كي لا يصيح صيحة الم تفضح امره •

ثم نهض وقد اصبح حرا طليقا فكان اول ما نظر اليه نافذة الغرفة التي باتت فيها الاختان فرآها مفتوحة فأيقن انهما برحتا المنزل •

فسار الى جهة الاصطبل حيث بات صديقـاه فسمع غطيطهما وخطر له في البدء ان يوقظهما ويستعين بهما ولكنه خشي ان يستيقظ كوكليس فيسرع ويجهز عليـه وهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه لانصداع رجله ولكنه كان موقنا ان السكر قد بلغ من صديقيه اشد مبلغ فلا رجاء بهما •

وعند ذلك عول على الفرار حذرا من العاقبة وارجأ الانتقام الى وقت آخر •

وكان الم رجله قـد اشتد بحيث لم يعـد يستطيع الوقوف ولا المشي فجلس على الارض وجعل يزحف زحفا ويسير سير المقعدين حتى ابتعد عن المنزل •

وفيما هو يزحف عثرت يده بمادة قاسية باردة فحسب في البدء انها قطعة نقود لانها كانت مستديرة فجعل يفحصها باللمس لشدة الظلام فعلم انها مدالية فوضعها في جيبه وعاد الى الزحف . فسار نحو ساعة وهو يزحف ويتجلد على الالم حتى خانته قواه فأغمي عليه مرة ثانية .

ولكن اغماءه لم يطل هذه المرة اذ كان معرضا للهواء الطلق فلما صحا عاد الى الزحف حتى وصل الى حفرة تجمعت فيها مياه الامطار فغسل جرحه بهذه المياه وشرب بعد ان كاد يقتله الظمأ فاستراح بعض الراحة وعاد الى الزحف .

وفيما هو يزحف في طريق ضيق سمع صوت مركبة قادمة من ورائه فصاح صيحة خوف بلغت الى مسمع سائق المركبة فصاح به يقول : احذر .

غير ان بوليت لم يستطع الانحراف عن الطريق فاضطر السائق الى ايقاف المركبة فجأة حذرا من ان يدهسه .

وكان في هذه المركبة امرأة فأطلت منها وقالت بلهجة تدل على الرعب : ماذا حدث ولماذا وقفت المركبة ؟

فقال لها السائق : ان رجلا سكرانا قد اعترض في الطريق . فصاح بوليت بلهجة القنوط : كلا انا جريح .

ففتحت المرأة باب المركبة واسرعت الى بوليت .

فلما رآها بوليت قادمة اليه قال لها : احمي ايتها الوطنية وطنيا صادقا كسرت رجله وجرح رأسه في خدمة

الوطن لا يستطيع المسير •

فنادت المرأة امرأة كانت معها في المركبة وهي خادمتها غير انها كانت تناديها بلقب الوطنية اذ منعت الجمهورية في تلك الثورة استخدام الناس واعتبار الشعب بجملته اخوانا في الانسانية فكان من يقتني خادما يتخذه بصفة صديق •

فحملت المرأتان بوليت الى المركبة •

وعند ذلك قالت لها الخادمة : الى اين نسير به ؟

ـ نذهب به في البدء الى المنزل •

فشكرها بوليت وامرت المرأة السائق بدفع الجياد •

وكان نور المصباح يصل الى المركبة فاخرج بوليت من جيبه المدالية التي لقيها وجعل يتمعن فيها •

وكانت هذه المدالية قد سقطت من اورور حين فرارها مع كوكليس وهي تلك المدالية التـي رسمت فيها صورة كريتشن على ما تقدم في الفصول السابقة •

اما المرأة فانها اخذت تلك المدالية من يد بوليت ولم تلبث ان رأت الرسم والنقوش حتى صاحت صيحة دهش ونظرت الى بوليت نظر الفاحص •

* * *

٣٧
رسم الاختين

جرت هذه الحادثة قبل قتل الملك بشهر اي حين كانت الثورة في اشد حالاتها وكان كل فرنساوي يضطرب خوفـــا ويخشى ان يشي به احد اعدائه فيتهمه انه من الاعيان اذ لم يكن بعد هذه التهمة غير الشنق .

فكان كل غني يخفي غناه وكل ذي نعمة يتنكر بزي اهل الفقر خلافا لهذه المرأة التي حملت بوليت الى مركبتها فانها كانت في حالة تدل على انها من كبـــار اهل الثروة والجاه فقد كانت مركبتها من افخر المركبات وجيادها مــن اجمل الجياد حتى ان كل من رآها كان يتساءل كيف يمكـــن ان تطوف مثل هــذه المركبــة الدالة علــى نبل اصحابها في الشوارع العامة .

غير ان هذه المرأة لم يكن يبدو عليها شيء من علائم القلق كانها لم تكن تكترث لشيء من هــذه الاخطار التي كانت تراها تنبعث شرارا من اعين الناظرين .

وكانت بين العمرين غير انها كانت اقرب الى الكهولة منها الى الصبى وهي قصيرة القامــة سمراء الوجه سوداء الشعر ولها عينان براقتان تدلان على مزيج من اللين والشدة

والظرف والقسوة والسكينة والخداع .

وقد لبست في اذنيها قرطين من افخر انواع الماس كانا يضيئان في الليل كالنجوم وتختمت بخواتم من انفس الحجارة الكريمة ولبست ثوبا من الحرير يدل على الثروة والسعة واظهرت للناس انها دون شك من اولئك النبلاء الذين قامت عليهم قيامة الشعب ونكبوهم نكبة لا تذكر معها نكبة البرامكة .

ومما يزيد الناس عجبا بهذه المرأة انها ارادت الخروج من باب باريس وطلب السائق الى الجنود ان يفتحوا الباب بلهجة ملؤها القحة والاستصغار لشأن هؤلاء الجنود .

فخرج ضابطهم وهو مقطب الحاجبين ورأى هذه المركبة الفخمة وحاول تفتيشها وايقاف صاحبتها واستنطاقها غير ان هذه المرأة سخرت به وقالت له : يسوءني ايها الضابط انك تجهلني وتقدم على تفتيش مركبتي على ان جهلك هذا خير شفيع لك ثم اخرجت من جيبها ورقة مكتوبة عليها ختم كبير وأرته اياه فلم يكد الضابط يراه حتى اضطرب وتلعثم لسانه فلم يعد يعلم كيف يعتذر ولكنه:اسرع الى الباب ففتح مصراعيه بنفسه وعاد الى تلك المرأة القادرة يلتمس منها العفو ويسألها ان يرسل معها حراسا .

فقهقهت المرأة ضاحكة وقالت له : لا حاجة الى ذلك فاني لا اخاف احدا وفوق ذلك فاني ذاهبة الى قصري في بلازو وهو قريب من هنا فعد يا بني الى مركزك فان البرد

يؤذيك ٠

ثم واصلت المرأة سيرها مـع وصيفتها حتى وصلت الى ذلك المكان الذي لقيت فيه بوليت ٠

ولنعد الان الـى سياق الحديث فقـد تركنا بوليت يتمعن في تلك المدالية التي لقيها في الطريـق وهي تمثل كريتشن والدة حنة واورور ٠

ويذكر القراء في ما بسطناه قبلا ، ان حنة كانت تشبه امها شبها عجيبا حتى ان اورور نفسها حين وجدت هـذا الرسم في الصندوق الذي خلفته لها امها لم تشكك ان هذه الصورة صورة حنة الملقبة بربيبة الدير ٠

فبينما كان بوليت منشغلا بالنظر الى هذه المدالية عن شكر تلك المرأة التي انقذته اخذت المدالية من يده وقالت : ما هذا ؟

ــ انها مدالية لقيتها في الطريق ولكني اعلم من اضاعها

فاضطربت المرأة وقالت : كيف تعلم ؟

ــ نعم فانها صورة احدى الاختين ٠

فزاد اضطراب المرأة وقالت : من هما هاتان الاختان ؟

ــ انهما فتاتان من اهل النبل انقذهما كوكليس ولكنه لا يستطيع ان يتمتع بانقاذهما مليا وانا في اثره ٠

وكأنما تلك المرأة قـد اهتمت اهتماما عظيما لهـذه الحكاية فأخرجت دينارين من جيبها فدفعتهما الى بوليت وقالت له : صف لي هاتان البنتين ٠

ـ ان احداهما تجدين رسمها في هذه المدالية وقد فقد منها دون شك او من اختهـا حين فرارهما فلقيتها في الطريق ، واما الثانية فهي سوداء الشعر كبيرة العينين ، لها جمال فضاح ولولا هذا النذل كوكليس لجعلتها مدام بوليت

فابتسمت له المرأة وقالت : قل لي من هو كوكليس هذا؟

ـ هو صاحب هذه الخمارة القريبـة منا وقد كانت الاختان عنده فكان يصحبهما فتى احدب يدعي انهما اختاه ولكني لم اخدع بهذا القول اذ قد علمت لفوري ان البنتين من النبلاء ولو لم ترق لي احداهما لما اعترضت صديقي في تسليمهما الى الجنود •

ثم قص عليها جميع ما جرى له في تلك الخمارة على ما عرفه القراء فلما اتم حديثه قالت له : انك سعيد البخت دون شك لاني عثرت بك وسأغنيك •

فدهش بوليت لقولها وحملق عينيه فقالت لـه : نعم سأذهب بك الان الى قصري فتعالج فيه حتى يتم شفاؤك •

فقال لها بوليت وقد حسب ان كل الثروة بهذا الشفاء وبعد ذلك ؟

ـ وبعد ذلك اخبرك بما يجب ان تصنع لترضيني ، فأكافئك بما يرضيك •

ثم ، وكأنها تريد ان تؤكد له صدق ما قالت ، اخرجت من جيبها دينارين آخرين ودفعتها اليه •

فكاد بوليت يطير سرورا بما ناله من انعامها فقال لها :

انك خير من رأيت من النساء وقد ملت اليك كل الميل حتى انك لو كنت من النبيلات كما تدل ظواهرك لما بحت بامرك لاحد •

فابتسمت المرأة وقالت : اني لــو كنت نبيلة لكنت اتنكر او اختبيء • — لقد اصبت فهو برهان سديد •

وبعد ان سكتت هنيهة قالت له فجأة : ماذا تريد ان تصنع بهذه المدالية ؟

— اني ابيعها من احد الجوهرجية فهي تساوي عشرين فرنكا على الاقل • — واذا اعطيتك اربعين ؟

— اني اقبل شاكرا ثم اخذ المدالية منهــا وعاد الى فحصها فقال لها : ارى انها مرصعة بالماس فهي تساوي اكثر من ذلك •

— اذا كان ذلك فخذ ثمانين فرنكا •

ثم دفعت اليه المال فاخذه شاكرا ممتنا واضافه الى ما قبضه منها قبلا فبات يعد نفسه من اعظم الاغنياء اذ لم ينل مثل هذا المبلغ في عمره •

وجعل يتأمل تلك المرأة الغريبة الاطوار فقال لها : اني ارى لك جراءة نادرة لم تعهد بالنساء • — لماذا ؟

— لانك تسيرين في مركبتك دون حراس وانت لابسة من الحلي ما يسوى مليونا الا تخشين الا[illegible] ؟

فأجابته بلهجة شفت عن الاحتقار : ولماذا اخافهم ؟

— انهم شنقوا امرأة في الاسبوع الماضي لسبب اوهى

من هذا السبب . — من هي هذه المرأة وكيف ذلك ؟

— انها امرأة نجار رآها المواطنون في شارع سانت جرمين وهي لابسة قرطين من الماس فقالــوا ان امرأة نجار لا يكون لها مثل هذين القرطين وهي لا شك قد آوت عندها احدى النبيلات فوهبتها القرطين ولذلـك قبضوا عليهــا وحسبوها من اعداء الجمهورية . — وهل اعدموها ؟

— دون شك فان وجود القرطين في اذنيها كان خير دليل على صحة التهمة .

ثم جعل يضحك ضحكا عاليا كأنما ذكر الاعدام هام فيه عوامل الضحك .

ولبثا يتحدثان والمركبة سائرة بهما حتى وصلت الى القصر فوقفت وخرجت المرأة بملء الجلال من تلك المركبة فرأى بوليت ان الخدم قد اصطفوا لاستقبالها وهم وقوف بملء الاحترام .

فقالت لهم خذوا هذا الفتى مــن المركبة الى احدى الغرف وعالجوه فهو جريح ثم مرت بينهــم مرور الملكات وصعدت الى القصر .

٣٨
المحامي

وكان هذا القصر بديعا مفروشا باجمل الرياش فصعدت المراة الى قاعة الاستقبال وقالت لوصيفتها : تعالي واعدي لي ملابسي فنحن الان فيإنتصاف الليل وقد دنا حضور اصحابي ولكن اذهبي في البدء الى رئيس الطباخين وانظري اذا كان كل شيء قد اعد كما ينبغي .

وكانت الوصيفة صبية بارعة الجمال فانحنت امام سيدتها وانصرفت .

اما المرأة فانها وقفت امام مرآة فنظرت اليها نظرة رضى وقالت : اني وان كنت سمراء اللون وقد تجاوزت الاربعين فاني لا ازال جميلة في جميع العيون لا في عينيه وماذا يعوزني بعد ذلك .

وقد كانت هذه المرأة عائدة من الاوبرا وهي تنتظر اضيافها للعشاء في قصرها ولكننا قبل ان نذكر ما يتوق القراء الى الوقوف عليه من شأن هذه المرأة .

انه قبل هذه الليلة بثلاثة اشهر ورد الى المحامي الشهير د. وهو الصديق الحميم لروبسبير هذا الكتاب الآتي :

« قبضوا امس على امرأة قادمة من ايطاليا ليس لها اوراق جواز ولكن لديها اموال كثيرة من النقد واوراق مالية نمساوية وهي تأبى ان تذكر اسمها الا للمحامي د.

« ثم انها تدعي انها ليست فقط غير عدوة للشعب بل انها تستطيع خدمة الجمهور خدمات جليلة » .

اما هذا المحامي فقد كان من اشد الناس نفوذا في ذلك العهد لشدة اتصاله بروبسبير ولما اشتهر به من الزلاقة والصدق في خدمة الجمهورية .

واصله قروي قدم الى باريس فعلقت به المركيزة دي ب. وفتنت بجماله فانفقت عليه كل مالها حتى اذا شبت نار الثورة وهي من الاعيان اضطرت الى الفرار .

وكان هذا المحامي كثير الانفاق لكثرة ميله الى الملاهي ولشدة افراطه في الملاذ ولكنه كان مع هذه العيوب قوي العارضة زلق اللسان شديد الحجة فكثرت ديونه بقدر ما زاد احترامه في النفوس ولكنه كان يخشى افتضاح امره ما تراكم عليه من الديون .

فلما وصلته هذه الرسالة الواردة اليه وعلم ان هذه المرأة التي تدعوه اليها كثيرة المال اسرع اليها وقد ملء قلبه املا .

وقد خطر له في البدء ان هذه المرأة هي المركيزة فلما وصل اليها دهش دهشة عظيمة اذ رأى انه لا يعرف هذه المرأة التي لا تريد ان تبوح باسمها الا له .

اما المرأة فانها بادرته بقولها له : دعني اخبرك اولا كيف عرفت اسمك فاني كنت في برلين وعرفت فيها المركيزة دي ب• وهي التي اشارت علي ان الجأ اليك اذا اتيت الى باريس واصبت فيها بنكبة •

فكأنها اخبرته بهذا القول انها تعرف جميع ما جرى له مع تلك المركيزة •

ثم قالت له : والان ارجو ان تأذن لـي بمحادثتك فاني محدثتك بشؤون خطيرة والحديث يطول :

ـ تكلمي فاني مصغ اليك •

ـ ان اسمي لا يفيدك شيئا فلنفترض اني ادعي انطونيا ولنبحث في شؤون اخرى •   ـ وبعد ذلك ؟

ـ ان لي دخلا سنويا يبلغ مائتي الف جنيه في العام •

فلم يهتز المحامي لهذه الثروة الطائلة ولبث مصغيا اليها كأنها تحدثه بامور عادية فقلقت لسكينته ثم عاودتها السكينة فقالت : انهم قد يحكمون علي بالاعدام ولكن الجمهورية لا ترث مني شيئا فان جميـــع ثروتي فـــي الامبراطورية النمساوية وليس لدي الان غير قليـــل من المال فاذا اردتم قتلي فافعلوا •

فاضطرب المحامي لما رآه من قوتها وايقن انها شديدة المعارضة وانه قد يستفيد من مالها قدر ما يستفيد من ذكائها اذا احسن التصرف ولذلك نظر اليها نظرة الفاحص وقال لها: الم تقولي انك تستطيعين نفع الجمهورية ؟

ــ نعم ولا ازال اقول • ــ بماذا تنفعينها ؟

ــ استطيع ان اخبركم بكل ما يفعلـه الهاربون في النمسا والمانيا •

ثم ابتسمت ابتسامة شفت عن قصدها كانها تقول له : لقد وجدنا سببا فلنتخذه ذريعة للاتفاق ولنعمل يدا واحدة•

فأدرك المحامي مرادها واجابها بمثل ابتسامها ثم خلا بها نحو ساعـة فلم يعلم احد علـى اي محور دار بينهما الحديث غير انه بعد انفارقها اطلق سراحها وفي اليوم التالي عرفها المحامي بروبسبير وهو رئيس الحكومة فيذلك العهد•

وكان روبسبير يود الوقوف علـى ما تفعله احزاب الملكية في البلاد الخارجية فكتب ثلاثـة سطور على ورقة ودفعها لهذه المرأة وهي كما يأتي :

« ان المواطنة انطونيا هي وطنية ومن اصدقاء فرنسا فعلى الجنود ورجال الحفظ ان يعتبروا هذه السطور جوازا قانونيا وان يساعدوها في كل ما تريد عند الاقتضاء » •

مكسيمان روبسبير

وبعد ذلك ببضعة اسابيع كان الناس يرون هذه المرأة في الاوبرا وفي تياترو الجمهورية وفي المنتزهات والشوارع تركب افخر المركبات وتتزين بابدع المجوهرات فاذا حاول احدهم الاعتراض يهمسون في اذنه قائلين انها خليلة المحامي ده صديق روبسبير وان روبسبير نفسه يزورها في منزلها فيذعر المعترض ويخشى عاقبة فضوله •

ففي تلك الليلة التي لقيت فيهـا بوليت في الطريق كانت قد دعت بعض رجال السياسة الى العشاء عندها •

فبينما كانت وصيفتها مهتمة بمراقبة الطعـام اخرجت من جيبها تلك المدالية التي اشترتها من بوليت وهي تمثل صورة كريتشن فنظرت اليها وابتسمت ابتسام الابالسة ثم قالت : ان الشبه يفيد في بعض الاحيان فان هذه الصورة ترشدنا الى حنة ومتى وجدنا اورور ثم نبحث عن الشفاليه راوول اذ لا يهدأ لي بال الا بعد ان اقضي عليهم جميعا •

وعنـد ذلك اعادت المدالية الى جيبهـا وقالت : ان الكونتس دي مازير المنكودة لو قامت من قبرها لجنت من دهشتها حين تراني وانـا خادمتها تنوان قد صرت اديـر فرنسا بيدي •

وفيما هي تناجي نفسها هذه المناجاة وتبتسم ابتسام الظافر سمعت وقوف مركبات عنـد باب قصرها وبعد حين رأت المحامي ده دخل الى غرفة زينتها دون كلفـة فبادرته بقولها : ايها الصديق ان الاعمال قبل كل شيء •

فاستاء المحامي وقال : قبحت هذه الاعمال فاني وقفت اليوم ادافع ست ساعات متوالية حتى سئمت الحياة •

ــ ولكن الشأن الذي سأحدثك به خطير فان البنتين جاءتا اليوم الى باريس من فينا وهما قادمتان لمخابرة اللجنة الملكية بمهمة سرية •

ــ اذا كان ذلك فقد اصبت فان الامر خطير •

ـ وهذه صورة احداهما . ثم اخرجت من جيبها رسم كريتشن الذي يشبه حنة وارته اياه .

وقد عرف القراء الان ان هذه المرأة هي النورية ام روكامبول التي عبثت بالشفاليه دي مازير فحملته على قتل سيدتها الكونتس واختلست تلك الاموال الطائلة وفرت بها كما تقدم في الجزء السابق .

. . .

وفي شارع من شوارع باريس الضيقة كان يدعى في ذلك العهد شارع بتي كارو وهو يدعى اليوم شارع مونتجريل يوجد دكان غسالة .

ففي الساعة السادسة من الصباح اي قبل ان يشرق الصباح فتح باب هذا الدكان واخذت صاحبتها تشعل النار ثم جعلت تغسل الملابس بملء الجد والنشاط وكانت تشتغل وحدها حتى اذا اشرقت الشمس اقبلت لمساعدتها فتاة تبلغ الخامسة عشرة من العمر .

وكان في هذا الوقت يصحو زوج هذه المرأة وهو من عمال الميناء فيبدأ حين يفتح عينيه بالصياح لتحيي الجمهورية ثم يخرج الى حانة خمارة قرب الدكان فيشرب كأسا من الخمر يتنقل عليه بشتم النبلاء واسقاط الملكية والدعاء للجمهورية ثم ينصرف الى عمله .

وكانت امرأته تدعى المواطنة جوزفين ومهنتها غسالة وهي اخت كوكليس التي جاء زوجها اليها باورور وحنة .

وقد كانت هذه المرأة على مبدأ اختها تأسف لسقوط الملكية ولنكبة النبلاء فاذا سمعت زوجها يدعو للجمهورية ويشتم الاعيان ابتسمت اذ كانت تعلم ان زوجها ملكي ولكنه يتظاهر للجمهورية لخوفه من الثائرين •

ففي ذلك اليوم الذي وصل فيه كوكليس بالاختين الى باريس ومعهما الاحدب وصل الى تلك الدكان والفجر لم ينبثق بعد •

فذعرت الغسالة حين رأتهم وكان زوجها والخادمة لم يصحوا بعد •

فدخل كوكليس الى الدكان وكلم جوزفين فظهرت عليها علائم الرعب ولكنها حين رأت الاختين انقلب رعبها الى تأثر واشفاق وقالت لكوكليس : انك رجل شريف وسأصنع ما طلبت الي ولكني لا اعلم كيف اكتم امر هذين الملاكين فان من يراهما في دكاني الحقير يعلم لاول وهلة انهما من الاعيان •

وكان زوجها فوق مرتفع من الخشب في الدكان فصحا لحديثهما وبدأ بالصياح قائلا : لتحيى الجمهورية •

فقالت امرأته : اسكت واحذر ان توقظ البومة فاني لا اثق بها والبومة لقب كانت تطلقه على الخادمة التي كانت عندها • فلما سمع امرأته تكلمه بهذه اللهجة علم ان الامر خطير فنزل عن المرتفع دون ان يفوه بكلمة فلما رأى الاحدب قطب حاجبيه وقال : ما هذا يا جوزفين اتريدين ارسالنا الى

المشنقة ؟

ــ اني خفت نفس خوفك ومع ذلك فلم اتردد .

وكان لكوكليس تأثير عليــه فطمأنه بكلمة ولكنـه اعترضه قائلا : اننا فقراء حتى اننا قد نبيت على الطوى في بعض الايام . ــ ان لدى البنتين كثير من المال .

فقالت جوزفين : ليفعل الله ما يشاء فان المرء لا يموت مرتين .

. . .

ولما صحت البومة رأت اورور وحنة في الدكان وهما تشتغلان بالخياطة فنظرت اليها نظرات ملؤها الحسد .

فقالت لهــا جوزفين : انهما بنتا اختي جاءتا لزيارتي من الريف .

فلم تجبها البومة بحرف ولكنهــا شعرت لاول نظرة بعاطفة كره وحسد ملأت قلبها حقدا على الاختين فقد كانت هذه الفتــاة شريرة الطبع عثرت بهــا جوزفين شريدة فــي الشوارع فأشفقت عليها وجاءت بها الى دكانها فربتها ثــم جعلت تستعين بها على الخدمة والغسيل وكانت كاذبة سارقة وهي على حداثة سنها شديدة المكر والحيلة فكانت جوزفين تؤدبها بالضرب وكان زوجها يحاول طردها فتحول امرأته دون قصده اشفاقا عليها فينصرف مغضبا ويقول : ستكون هذه الفتاة شؤما علينا .

وكــانت البومة تتولى ارسال الملابس المغسولة الى اصحابها وتخدم وتغسل وتشتري الطعــام فكانت تختلط

بالناس وتسمع احاديث الثورة دون ان تفهم معناها .

وقد كانت تسمع الناس يتحدثون عن النبلاء وتسمع الجمهوريين يصيحون لتحيي الجمهورية وليسقط الظالمون فلم تعلم حقيقة المراد من هذه الاقوال .

ولكنها كانت تسمع كل يوم باخبار اعدام النبلاء فكانت ترجو ان تشنق الاختان كما كان يشنق اولئك الاعيان اذ كانت تعتقد في نفسها الصغيرة ان هاتين الاختين ستقتسمان زادها وتزاحمانها على عيشتها .

ولقد بالغ التاريخ في وصف تلك الثورة الهائلة التي كانت ناشبة في ذلك العهد مبالغته في عدد قتلاها والحقيقة على ما رواه الثقاة ان عدد الذين قطعت رؤوسهم من النبلاء فيها لم يتجاوز ثمانية عشر في جميع فرنسا ولم يكونوا يقتلون النبلاء لمجرد الوشاية بهم كما كانوا يصفون وانما بعد التثبت بالبرهان على انهم نبلاء .

وكان الشارع الذي تقيم فيه الغسالة لا يسلكه غير الفقراء فلم يتهم احد قومه بالتشيع للملكية ولا سيما زواج جوزفين فقد كان يهتف بالدعاء للجمهورية اينما وجد ولذلك لم يخطر لاحد في بال ان اورور وحنة من النبلاء وصدق الجيران قولها لهم انهما بنتا اختها .

ففي مساء اليوم الذي جاءتا فيه ذهب زوج الغسالة بالاحدب وطاف به جميع حانات الشارع فعرفه باصحابه ووثق الجميع انه من اهله .

وكانت اورور وحنة لابسين ملابس القرويات فلم يسيء الظن احد بهما حتى البومة •

غير ان هذه البومة حقدت عليهما حقدا عظيما وساعدها الاتفاق على الانتقام كما سيجيء •

وفي اليوم التالي امرت جوزفين البومة ان تذهب الى امرأة صاحبة حانة بثيابها المغسولة فأخذت البومة الثياب وذهبت بها •

وكان يجتمع في هذه الحانة اكثر اهل الشارع ولا يتحدثون ليل نهار الا باحاديث السياسة واخبار الثورة •

فلما وصلت البومة بالملابس كان احد زبائن الخمارة يحدث الحاضرين بحديث امرأة نبيلة قطعوا رأسها اليوم •

وكان يصف مقتلها وصفا مؤثرا وجميع الحضور مصغين اليه اتم الاصغاء فأشارت صاحبة الخمارة الى البومة ان تضع الملابس وتنتظر الى ان يفرغ الرجل من قصته فسمعت البومة جميع القصة •

وكان مما سمعته ان احد المعترضين قال للراوي : لقد قلت ان هذه النبيلة كانت متنكرة بملابس العاملات فكيف عرفوها ؟

ــ عرفوها من نعومة يديها فان هذه النعومة لم تكن تنطبق على المهنة التي كانت تتظاهر انها تشتغل فيها •

فارتعشت البومة وقالت في نفسها : لا بد لي من ان ارى ايدي الاختين •

٣٩

بيبي

وعادت البومة وهي مفكرة مهمومة وقد استنار ذهنها بما سمعته من الحديث فجعلت تحدث نفسها فقالت : من هو هذا النبيل ؟ انه الذي يحكم عليه بالاعدام وكيف يعرفونه من نعومة الايدي وعلى ذلك اذا كانت ايدي الاختين مترفة ناعمة فهما من النبيلات وسيقطعـون راسيهما دون شك فاغـدو بالدكان وحدي كما كنت .

ولما وصلت الى الدكان كانت جوزفين تغسل والاختان تعدان الطعام فزجرتها الغسالة لطول غيابها وضربتها فجعلت تبكي وهي تنظر الىالاختين نظرات ملؤها الحقد والضغينة.

وعند المساء صعدت الى المرتفـع لتنام وقد كانـوا قسموه الى قسمين حين جاءت حنة واورور فجعلوه قسمين فجعلـوا قسما خاصا بالزوج وامرأتـه وقسما بالاختـين والبومة ، اما الاحدب فكان ينام على طاولة الدكان .

وقد هاج غضب البومة حين رأت ان الاختين تنامان معها بعد ان كانت مستقلة بذلك القسمَ فاعتبرت نومهما فيه اجحافا بحقوقها .

فصعدت على فراشها وهي تكتم غضبهـا وتقول في

نفسها : لقد رأيت ايديهما وهي ناعمة بيضاء فلا بد اذن من اعدامهما ولكنها لم تكن تعرف وسيلة التنكيل بهما فجعلت تمعن الفكرة في التماس معين •

وكان يوجد بجوار الدكان رجل يدعى بيبي يقيم في منزله وحده ولا يعلم الناس شيئا مــن امره لانه لم يكن يشتغل شغلا معروفا ولذلك اختلفت الاقوال فيه •

غير انهم كانوا متفقين علــى القول انه مــن انصار الجمهورية وانه كان يذهب كل يــوم الى ساحــة الاعدام فيمتع الطرف بقتل النبلاء •

وكان هذا الرجل يحسن الى البومة وهي صغيرة اذ كان يراها كل يوم فيشفق عليها فذكرت البومة هذا الرجل وذهبت اليه وقد ايقنت انه في منزله •

فدهش بيبي حين رآها وقال لها : ماذا تريدين يا ابنتي؟

ــ اريد ان اكلمك • ــ العلك قادمة من قبل الغسالة؟

ــ كلا فقد تظاهرت اني مريضة وانسليت من الفراش اليك وهي تحسبني نائمة •

فأقفل الرجل باب الغرفة وقد عجب لامرها فقال لها : قولي ماذا تريدين ؟

ــ جئت ارجوك ان تأذن لي بالذهاب معك في الصباح فلا ادع احد يراني وانتظرك في عطفة الشارع •

ــ ولكن الى اين تريدين الذهاب معي ؟

ــ الى حيث تذهب كل يوم •

فارتعش الرجل وقال : الى اين اذهب العلك تعلمين ؟
ــ نعم فانك تذهب الى ساحة الاعدام .
ــ وماذا تريدين ان تصنعي هناك ؟
ــ اني ابوح لك بكل شيء بشرط ان لا تخونني .
فزاد عجب الرجل منها وتاق الى الوقوف على سرها فقال لها : قولي ما تشائين فاني لم اخن احدا .
ــ أن تخبر الغسالة اني اتيت اليك ولا تحدثها بشيء مما اقوله ؟ ــ كلا .
ــ فاسمع ألا تعلم ان سيدتي لديها عاملتان غيري ؟
ــ كلا . ــ لديها عاملتان تدعي انهما بنتا اختها وانهما جاءتا من الريف وانا اكرههما اشد كره . ــ لماذا ؟
ــ لا اعلم ولكني اكرهما كرها عظيما .
ــ حسنا وبعد ذلك ؟
ــ اني ذهبت صباح اليوم بالملابس المغسولة فسمعت الناس يتحدثون عن نبيلة متنكرة عرفوها من يديها الناعمتين فلما عدت الى الدكان نظرت في ايدي العاملتين فوجدتهـا ناعمة بيضاء غير اني لم ار بعد تلك المقصلة التي يقتلون بها الاعيان فهل يشعرون بالم شديد ؟ ــ دون شك .
ــ ومن يقتل بها يعود ؟ ــ كيف يعود بعد ان يموت .
ــ هذا الذي اتمناه ولكني احب ان ارى نبيلا يقتل فاصحبني غدا عند ذهابك الى ساحة الاعدام .
ــ لقد اخطأت يا ابنتي من قال لك اني اذهب الى هذه

الساحة والان قولي لي متى اتت البنتان الى دكانكم ؟
ــ في فجر اول امس . ــ اجاءتا في مركبة ؟
ــ لا علم فاني كنت نائمة وعندما صحوت رأيتهما في الدكان . ــ واين ينامان ؟
ــ معي فوق المرتفع. ــ اتظنين انهما نبيلتان ؟
ــ دون شك ما زالت ايايديهما ناعمة .
ــ ان هذا البرهان لا يكفي لاثبات نبلهما .
ــ اذن كيف يعلمون ايوجد غير هذه الطريقة للاستدلال ؟ ــ لو كنت كتومة لكنت اخبرك .
ــ قل ما تشاء يا سيدي فاني لا ابوح بشيء مما تريد ان تكتمه . ــ انهما تنامان معك .
ــ نعم . ــ اتنمن في فراش واحد ؟ ــ كلا .
ــ اذن اجتهدي هذه الليلة ان لا تغفي قبلهما ولكن تظاهري امامهما بالنوم . ــ وبعد ذلك ؟
ــ تصغي الى حديثهما وتأتين الي غدا وتخبريني بما كانتا تتحدثان . ــ وعند ذلك تعلم اذا كانتا من النبلا وتخبرني ؟ ــ دون شك .
ــ فاذا ثبت لك انهما نبيلتين اتخبرني بماذا يجب ان اصنع . ــ لماذا ؟ ــ لاقودهما الى ساحة الاعدام .
ــ سأرشدك الى الطريقة ولكن بشرط ان لا تخبري سيدتك بشيء . ــ كيف اخبرها وهي تأويهما .
ــ هو ذاك واحذري ايضا ان تراك داخلة الى منزلي.

ـ سأكلمك في الشارع حين خروجك من المنزل •
ـ في اية ساعة تخرجين من الدكان لارسال الملابس الى اصحابها ؟ ـ في الساعة العاشرة •
ـ اذن انتظرك في عطفة الشارع • ـ هو ذاك •

ثم انصرفت عنـه وقلبها موعب املا بقتل الاختـين فتسلقت من سلم المنزل الى نافذة الدكان ودخلت منها الى المرتفع الخشبي كما خرجت ونامت في فراشها دون ان يراها احـد •

• • •

كان بيبي هذا معروفا لدى جميع اهل الشارع لطول اقامته فيه وهو محترم من الجميع للطفه وحسن سمعته •

وقد كانوا يعلمون انه يعيش من ايراد امواله ولكن لم يعلم احد منهم من اين جاء بهذه الاموال •

فبعد ان خرجت البومة من عنـده خرج في اثرهـا فاجتاز الشارع التي تقيم فيه وجعل يسير من شارع الـى شارع حتى انتهى الى منزل في شارع يبعد بعدا شاسعا عن منزله فوقف ليراقب الناس كي يعلم اذا كان يوجد بين المارة من يعرفه فلما وثق انه لا يوجد من ينتبه اليه اخرج مفتاحا من جيبه وفتح به الباب ودخل فصعد سلما انتهى منه الى رواق طويل فمشى حتى وصل منه الى غرفة فقرع بابها ثلاثا ففتح ودخل فوجد رجلا جالسا عند مائدة عليها كثير مـن الاوراق •

وكان هذا الرجل في الخامسة والاربعين مــن عمره مثل بيني فلما رآه داخلا اليــه بادره بقــوله : احدث امر جديد ؟

ــ لم يحدث شيء بعد قبضنا على المركيز دي بريفات. ولكن يوجد كثير من النبلاء في باريس .

ــ هو ذاك ولكن لا يوجد احد في شارعي وانت هل حدث عندك امر جديد ؟

ــ كلا غير ان المحامي د. صديق روبسبيير زارني في هذا الصباح .   ــ ماذا يريد ؟

ــ يريد رجلا حازما عاقلا لشأن خطير دقيق فاخترتك لهذه المهمة فهل تعرف هذا الرجل ؟

ــ اني اعرفه كما يعرف نفسه فهو مثقل بالديون لا اجد فائدة من خدمته .

ــ انك مخطيء فان الذهب يمطر من يده كالسحاب .

ــ ومتى فاجأته هذه الثروة ؟

ــ لا اعلم وفوق ذلك فانه دفع القسط الاول. ــ اين؟

ــ هنا فانه دفــع لي الفي فرنك مالا نقديا نقتسمه متى شئت .

ــ اذا كان ذلك فلا بد لي من خدمته فقل ماذا يريد ؟

ــ لا اعلم ولكنه يخبرك عن المهمة . ــ اين اجده ؟

ــ في منزله في شارع سانت اونوريه نمرة ٢٤٣

ــ في اية ساعة ؟   ــ الان فانه ينتظرك .

ـ اذن سأذهب •   ـ اتريد حصتك من المال الان؟

ـ كلا فسأقبضها غدا •

ـ كما تريد فان لك في الصندوق الف فرنك •

ثم عاد الرجل الى فحص اوراقه وخرج بيبي فسار توا الى شارع اونوريه وانما قلنـــا شارع اونوريه لا سانت اونوريه كما كان يدعى لان الباريسيين في عهد الثورة نقموا على الدين واهله كما نقموا على النبلاء فحذفوا من اسماء الشوارع ما كان يضاف اليها من اسماء القديسين •

فلما وصل الى هذا المنزل دخل اليه فاستقبله المحامي د• وهو لا يعرفه وسأله عما يريد •

فقال له : اني انا الرجل الذي تنتظره• ـ من ارسلك؟

ـ المواطن بول •   ـ اذن اجلس بجانبي ولنتحدث •

فلما خلوا قال له المحامي : اتعرف المواطنة انطونيا ؟

ـ كيف لا اعرفها وانا الذي اوقفتها حين قدومها من ايطاليا وقد اطلقتم سراحها لسبب لا اعلمه ولم ابحث عنه لانه لا يعنيني •

فأجابه المحامي ببرود : اننا اطلقنا سراحها لانها تخدم الجمهورية اجل خدمة •   ـ اذا كان ذلك فقد اصبتم •

ـ ما زلت تعرفها فهي المحتاجة اليك •

ـ سأذهب اليها فاين تقيم ؟

ـ في بليزو فاذهب اليها الان في الحال وانا اضمن لك انك لا تكون من الخاسرين فانها لا تقتصد في المكافات

ومتى وصلت الى بليزو يدلك جميع الناس على منزلها •

ـــ حسنا ولكن ألا يمكن ان اعلم شيئا من هذه المهمة؟

ـــ هي مهمة القبض علـــى امرأتين متهمتين بالتجسس والعلائق مع جيش كوندية وقد جاءتا الى باريس بمهمـــة سرية الى اللجنة الملكية اما بقيـــة التعليمات فان المواطنـــة انطونيا تخبرك عنها ولكن يجب ان تذهب اليها في الحال•

ـــ ان المرأتين اذا كانتا في باريس قبضت عليهما اين كانتا ولكن لا اجد سببا يدعو الى سرعة الذهاب •

ـــ لماذا ؟

ـــ لاني اخدم البوليس منذ عشرين عاما ولم يشك بي احد الى الان وجميع الناس يعتقدون اني اعيش من ايراد اموالي • ثم اني اقيم منذ عشرين عاما في منزل واحد وفي شارع واحد وقد تعود سكانه ان يروني في ساعات معينة من كل يوم فاذا لم اتعشى في الخمارة التي تعودت العشا فيها اولوا غيابي تأويلات مختلفة •

ـــ ولكن يجب ان ترى انطونيا •

ـــ سأراها •

ـــ متى ؟

ـــ في هذه الليلة حين تقفـــل دكاكين الشارع وينام قومه•

ـــ افعل ما تشاء فانك تجد انطونيا تنتظرك في اية ساعة ذهبت اليها من الليل لاني سأخبرها •

فتركه بيبي وانصرف وهو يقول في نفسه ، اذا كانت المرأتان نفس البنتين اللتين اخبرتني عنهما البومة كان ذلك

من غرائب الاتفاق وكان التوفيق من خدمي .

. . .

وعاد بيبي الى منزله فمر بدكان الغسالة وكانت لا تزال مفتوحة وجوزفين تشتغل فيها فحياها اذ هي جارته ورأى اورور وحنة معها .

وكان هذا الرجل على ظواهر بساطته التي كان ينخدع بها اهل الحي من احذق رجال البوليس وابعدهم همة ومن صفاته انه اذا رأى انسانا لحظة واحدة طبعت صورته في مخيلته حتى انه ليعرفه بعد اعوام .

فارتسم وجها الاختين في ضميره وعجب لجمالهما فقال في نفسه لا شك ان البومة مصيبة بقولها انهما نبيلتان .

ثم صعد الى منزله فاقام فيه الى الساعة العاشرة ولما ايقن ان جميع اهل الحي باتوا نياما خرج من المنزل وقد لبث شعرا مستعارا بغية التنكر فركب مركبة وسار بها الى منزل تنوان .

وهناك وجد ان المحامي د. قد سبقه فادخلوه الى حيث كانت تنوان .

اما تنوان فانها عرفته للحال فقالت له : انك انت الذي قبضت علي يوم وصولي الى باريس ولكني غير حاقدة عليك بل اني احترمك بل اراك من حذاق الرجال وهذا الذي حدا بي الى الالتجاء اليك في قضاء مهمة .

فانحنى بيبي امامها وقال لها : مري يا سيدتي بما

تشائين •

ـ اريد ان تبحث في باريس عن فتاتين هما جاسوستان لانصار الملكية • فأجابها ببرود ، سأفعل •

قالت انهما كانتا منذ ثلاثة ايام في قرية قريبة من هنا تدعى انطوني وقد نزلتا في خمارة رجل يدعى كوكليس •

ـ اتعلمين يا سيدتي اوصافهما ؟

ـ نعم فان احداهما شقراء والثانية سمراء وقد برحتا الخمارة في الليل يصحبهما فتى احدب •

فاخذ بيبي دفترا من جيبه وكتب فيه ما قالت عنهما •

ولما اتم كتابته قالت له : اني سأصف لـك احداهما وصفا يسهل عليك اكتشافها واريك صورة الثانية •

ـ تفضلي يا سيدتي فاني مصغ اليك •

ـ اما السمراء فهي ممشوقة القد زرقاء العينين تدل هيئتهما على العظمة والجلال ولها يدان صغيرتان وهي في مقتبل الشباب واما الثانية فهذه صورتها فقد ارسلوها الي من فينا •

وعند ذلك اخرجت من جيبها تلك المدالية التي وجدها بوليت في الطريق وهي تشبه كريتشن والـدة حنة شبها غريبا كما تقدم •

فلم يكد بيبي ينظر الى الصورة حتى عرف لفوره ان هذا الرسم رسم احدى البنتين اللتين رآهما عند الغسالة •

ولو كان غيره في موقفه لصاح صيحة دهش او ابدى

شيئا من اشارات الاندهال غير انه تجلد وتظاهر كأنه لم يكن يعرف صاحبة الصورة •

فقالت له تنوان : اتظن انك تستطيع الظفر بها •

ـ دون شك • ـ كم ينبغي لك من الزمن ؟

ـ يومان على الاقل واربعة على الاكثر •

ـ اذا ظفرت بهما بعد يومين اكافئك بستة آلاف فرنك تقبضها نقدا •

ـ سأجتهد ان افعل ما تريدين • ثم وضع المدالية في جيبه •

بينما كان بيبي خارجا من منزله للذهاب الى منزل تنوان كانت البومة متناومة في فراشها تنتظر عودة اورور وحنة كي تسمع ما تتحدثان به وتنقل حديثهما الى بيبي كما اوصاها •

وبعد حين صعدت اورور وحنة واضجعتا في فراشهما فساد السكون هنيهة بينهما ثم تنهدت اورور •

فقالت لها حنة بلهجة المشفق : لماذا تتنهدين يا اختي ؟

ـ اني افكر في ما يحدق بنا من الاخطار ولست خائفة على نفسي بل عليك •

ـ اني باسلة اكثر مما تظنين وفوق ذلك فان هذه الثورة المقوتة لا يطول امرها ولا بد ان تعود الامور الى مجاريها •

فتنهدت اورور ايضا وقالت : من يعلم •

ـ اني كنت خائفة حين كنا في تلك الخمارة واما هنا فان قلبي مطمئن لان هؤلاء الذين خبأونا من اهل الخير كما يظهر من وجوههم •

فتنهدت اورور ايضا ولم تجب •

وعادت حنة الى الحديث فقالت : اننا حين كنا في تلك الخمارة لم أكن خائفة الا عليك من هذا الرجل الذي كان ينظر اليك نظرات تحمل على الرعب فقد رقت في عين هذا الشقي •

ـ ولكننا لم نصل الى هنا الا بفضله فانه لو لم يحاول الدخول الى غرفتنا بالكره لما تولى كوكليس حمايتنا •

ولكن لماذا اتينا الى باريس يا اختي الم نكن في مأمن بقصرنا حيث كنا فان جميع اهل القرية يحبوننا •

ولكن الم يدمروا الدير ويقبضوا علـى الاب جيروم نصيرنا الوحيد •

ـ هذا أكيد فاني كلمـا افكر يرتجف قلبـي ومـن يعلم ما اصابه ولكنهم قبضوا على جميع النبلاء في صولي واحرقوا قصورهم وضبطوا املاكهم ولم يصبنا احد منهم بسو ، ألا تذكرين ان جاك بربرو وهو زعيم الثائرين في تلك القرية قال لنا : انه لا خوف علينا وانه يحمينا •

ـ هو ذاك •

ـ اذن لماذا آثرت المجيء الى باريس ؟

ـ على رجاء ان نجد ابن عمي لوسيان ثم تنهدت ايضا

فذعرت حنة لكثرة تنهدها وقالت لها : ان لديك سرا يا اورور تكتمينه عني ؟

فلم تجب اورور بشيء وانقطعت حنة عن الحديث فلم يمض بهما هنيهة حتى ناما •

اما البومة فانها سمعت كل ما دار بينهما من الحديث وقد استنتجت منه ثلاثة اشياء اولهما ان الاختين ليستا بنتي اخت الغسالة والثاني انهما لقيا خطرا عظيما في الطريق انقذهما منه كوكليس وهي تعلم انه قريب الغسالة والثالث ان البنتين تحدثتا عن قصر واقبال الناس على احترامهما وحمايتهما وفي ذلك اعظم دليل انهما نبيلتان •

فاطمأنت عند ذلك ووثقت انها باتت قادرة على ارسال البنتين الى ساحة الاعدام فيخلو لها الجو وعند ذلك نامت مطمئنة وهي تحلم بالانتقام •

وفي الساعة الخامسة من الصباح صحت الغسالة حسب عادتها وفتحت باب الدكان فصحت حنة واورور لصوت فتح الباب وصحت البومة ايضا ولكنها لم تتحرك•

وجعلت حنة واورور تلبسان وتتحدثان فقالت اورور : اني منذ يومين مهمومة هما عظيما لا اجسر ان اخبرك به فقد اصبنا بنكبة اعدها فادحة •

فذعرت حنة وقالت : ماذا حدث ؟

ــ لقد ضاعت المدالية •   ــ صورة امنا ؟

ــ نعم وا أسفاه فقد بحثت عنها طويلا فلم اجدها

وكنت رجوت ان اكون فقدتها في الخمارة التـــي كنا فيها فاخبرت كوكليس عنها فبحث بحثا مستفيضا وعـــاد امس فاخبرني انه لم يجدها •

أأخبرت بنوات بضياعها ؟ — كلا •

— اذن سليه فربما كانت معه •

— لو كانت معه لكان اخبرنا •

— ألا تذكرين يا اختي مـــا قاله لك مرة وهو انـــك اخطأت بحمل هذه المدالية فانهم اذا قبضوا علينا ووجدوها معك فضحت امرنا واظن انه اخذها وخبأها •

— حبذا لو كان ذلك •

وفرغت الاختان من لبث ثيابهما ونزلتا الى الدكان •

اما البومة فانها انسلت من فراشها ودنت من حافـــة المرتفع المشرف على الدكان وجعلت تصغي الى الحديث • وكان الاحدب قـــد صحا ايضا واقبلت اورور تسأله فرأته البومة قد رفع قبعته وهو واقف امامها بملء الاحترام• ثم سمعت اورور تقول له : ارجـــوك يا بنوات ان تخبرني الحقيقة.فهل المدالية معك ؟

— اقسم يا سيدتي اني لم ارها •

فلما سمعته البومة يقـــول لهـــا يا سيدتي استنتجت استنتاجا رائعا وهو ان الاحدب ليس اخاهما لانه لقبهما بالقاب السيادة •

واقامت البومة ساعة في فراشها ثم نزلت الى الدكان فسألتها جوزفين عن صحتها فقالت لها : اني اصبحت اليوم في عافية واستطيع العمــل •

ــ كلا لا تعملي اليوم واقتصري على ارسال الملابس لاصحابها • ــ متى ؟ ــ في الساعة العاشرة •

ففرحت البومة فرحا لا يوصف لان هذه الساعة كانت نفس الساعة التي واعدت بيبي على اللقاء بها •

٤٠

اعتقال الاختين

ولنعد الان الى بيبي فقد كان هـذا الرجل ذكي الفؤاد شديد المقدرة على اخفاء ما يجول في ضميره حين الاضطراب والمظاهرة في اية حالة ارادها .

فلما اخذ المدالية مـن يـد تنوان وعلم ان الصورة المرسومة فيها صورة احدى الاختين لم يظهر عليه شيء من تأثير الفرح بل اخذ المدالية ووضعها في جيبه بملء السكينة

ولو اتفق ذلك لغيره لقال لفوره : اني اعرف موضع هذه الفتاة واستطيع ان اسلمها متى شئت .

غير انه ادرك لذكائه ان لتنوان مأربا خفيا في القبض على البنتين غير مأرب خدمة الجمهورية فخطر له ان يستفيد من هذه الحادثة .

وقد قال في نفسه : ان هذه المرأة غنية فاذا صدقت ظنوني وكان لها غاية شخصية مـن قتل البنتين نلت منهـا اضعاف ما وعدتني به .

ولذلك اخذ المدالية وانصرف .

وجعل يفكر وهو سائر في الطريـق في ما عسى ان تكون غاية تنوان من قتل الابنتين .

وكان هذا الرجل في خدمة البوليس السري منذ عشرين عاما عرف في خلالها جميع العظماء في ذلك العهد حق العرفان فكان يقول في نفسه عن المحامي ده اني حين قبضت على هذه المرأة يوم قدومها الى باريس اطلق هذا المحامي سراحها وفي ذلك ما يدل على انها رشته بالمال وقد رأيته يتعشى عندها بعد انتصاف الليل وذلك يدل على انه عشيقها •

ثم ان هذا الرجل الداهية كان يعرف اخلاق النساء كما يعرف اخلاق الرجال ويستدل بظواهرهن على البواطن•

وقد رأى تباينا عظيما في الحلقة بين تنوان والمحامي فايقن انها مجنونة بهواه وانها تنفق عليه بملء السخاء •

ثم رأى من بسطة يدها وظواهر غناها ما لا ينطبق على اخلاقها ويدل على انها محدثة النعمة فاستنتج من ذلك ان هذه المرأة كانت خادمة غرفة في بيت احد النبلاء فاختلست امواله ثم استطرد من ذلك الى ان هاتين البنتين قد تكونان سيدتي هذه المرأة التي اختلست اموالهما وانها تريد قتلهما اخفاء لاثر الجريمة •

ولما انتهى بتصوره الى هذا الحد قال في نفسه : ان هذه المرأة غنية دون شك وان البنتين فقيرتان بعد ان اختلست اموالهما فخدمة تنوان افضل من خدمة البنتين •

ثم سار حتى بلغ منزله فخلع ملابسه وصعد الى سريره وهو لا يزال يفكر في امر البنتين فكان يقول في

نفسه : اني لا اغير شيئا من عادتي غدا فاخرج من المنزل في الساعة العاشرة واعطف في منتصف الشارع كي ارى البومة واسمع ما تقوله لي عن الاختين ثم اعود الى منزلي عند الظهر حسب العادة فأغير ملابسي وابرحه ولكني لا اذهب الى ساحة الاعدام بل ازور المواطن بول •

ولنذكر الان بالايجاز من هو بول هذا لشدة علاقته بسياق الحديث فنقول :

انه في بدء الثورة ، اي حين كان الناس جميعهم يبحثون عن النبلاء في كل مكان لتسليمهم الى الجلاد، جاء الى ناظر الحقانية رجل تجاوز الكهولة ولكن لا يزال في عينيه بريق يدل على ان له همة الفتيان فقال له : اني من النبلاء ولكني نبيل فقير لا قصور لي ولا ارض ولا عائلة وقد جئت اخبرك بين امرين وهما اما ان تسلمني الى الجلاد فيقطع رأسي ويريحني من كل هم او تستخدمني فأخدم الجمهورية خدمات جليلة •

فعجب الناظر لحديثه الغريب وقال له : كيف تستطيع خدمة الجمهورية !

ــ بكرهي للنبل والنبلاء فان سقوط الملكية احب ما اشتهيه ولا تسلني عن سبب هذا الكره فهو سر لا استطيع ان ابوح به •

فقال له الناظر : ماذا تريد ان تكون كي تستطيع الوفاء بهذه الخدمة ؟ ــ من عمال البوليس •

فظهرت على الناظر علائم الاشمئزاز غير ان بول لـم يعبأ به وقال له : اني اريـد ان ادخل في سلك البوليس السري في مثل هذه الظروف لمجرد الانتقام ولا اسألك ان تحترمني بعد ان بت الا احترم نفسي فقل اتريد تعينـي في البوليس فأخدم الجمهورية اجل خدمة ام تريد القبض علي ومحاكمتي • انك اذا قبضت علي ظهر للقضاء حقيقة السبب بشكل جلي ثابت لا يحتمل الشك •

فقبل الناظر خدمة هذا الرجل المجهول الذي ابى ان يصرح باسمه وعينه في البوليس السري •

ولم يمر شهر في الخدمة حتى قبض على نحو ثلاثين نبيلا معظمهم من اورليان ثم توفق بدهائه باكتشاف مؤامرة الشفاليه دي فوميرن الذي قدم الى باريس والف لجنـة ملكية وكاد يفوز بانقاذ الملك لويس السادس عشر لولا بول •

فكبر امر بول عند الناظر وجلت خدمته فعينه رئيسا للبوليس •

وقد اتصل حين كان بوليسا بزميله بيبي وكان بـين الاثنين صداقة عظيمة • غير ان بيبي لم يكن من اهل الطمع فلما ارتقى زميله الى منصب الرئاسة وبات خاضعا له لـم يحسده على هذه النعمة بـل هنأه بملء الاخـلاص وبات الاثنان يعملان يدا واحدة في خدمـة الجمهورية وكلاهما كاره لها انما كانا يعملان ليعيشا في ذلك العهد المضطرب الذي سدت فيه ابواب الارتزاق •

ولنعد الان الى بيبي فانــه اتبع الخطة التـــي رسمها لنفسه فخرج في الساعة العاشرة من منزله وانتظر البومة في العطفة التي وافقها عليها •

فلما حانت الساعة العاشرة اقبلت البومة تحمل الملابس المغسولة فلما رأت بيبي ينتظرها اسرعت اليه فقالت بلهجة دلت على سرورها انهما نبيلتان دون شك •

ــ كيف عرفت ذلك ؟

فقصت عليه جميع ما سمعته من حديث اورور وحنة في الليل وفي الصباح وكـــان بيبي جيد الذاكرة غير انــه اخرج دفتره وكتب فيه بعض مذكرات فقالت له البومة بعد ان فرغت من حكايتها ألا تظن ان هذه البراهين كافية ؟

ــ كافية لماذا ؟ ــ لقطع رأسيهما •

فابتسم بيبي وقال : هذا منوط بك •

فعجبت البومة وقالت ، منوط بي انا ؟

ــ نعم يا بنتي ؟

ــ قل ماذا يجب ان افعل فاني افعل في الحال ما تريده•

ــ لا اريد ان تصنعي شيئا بل اريد ان لا تقولي كلمة لاحد اليوم وغدا عن الاختين • ــ واذا كتمت هذا الامر ؟

ــ اضمن لك قتل الاختين • ــ احق ما تقول ؟

ــ دون شك لكن اذا بحت بكلمة فسد الامر ولا اتعهد بشيء • .

ــ سأكتم امرهما كل الكتمان حتى انـــي لا احدث

بشأنهما نفسي ثم تركته وانصرفت فذهب بيبي وهو مفكر الى رئيسه بول .

. . .

فاستقبله بول خير استقبال وقال له ، ارأيت المحامي ؟

ــ نعم. ــ وانطونيا ؟ ــ رأيتها ايضا .

ــ قل ما هي هذه المهمة ؟

ــ مهمة القبض على بنتين لا تزيد عمر الواحدة منهما على عشرين عاما .

ــ اهما اختان ؟ هذا ما ارجحه .

ــ اذن يجب ان نبحث عنهما . ــ لقد بحثت .

ــ العلك قبضت عليهما ؟

ــ كلا لا تستطيعان الافلات من يدي انما يجب ان احتال على انطونيا فانال منها اضعاف ما عرضته علي من الجزاء فانها كثيرة المال .

ــ لقد فهمت قصدك فاين هما البنتان ؟

ــ في دكان غسالة مجاورة لمنزلي .

وعند ذلك قص على رئيسه جميع ما اتفق له وجميع ما سمعه من البومة وعن المدالية التي اعطته اياها ام تنوان فكان يصغي اليه كل الاصغاء .

غير ان بيبي كان يلاحظ ان بول يضطرب حين كان يقص عليه حكاية البنتين وحينما اخبره ان مع البنتين فتى احدب يظهر انه خادمهما قاطعه بول وقال له بلهجة اضطراب

ظاهرة ، العل هذه المدالية لا تزال معك ؟

ـ نعم وهذه هي

ثم اراه اياها فلم يكد بول ينظر اليها حتى صاح صيحة ذعر لها بيبي وتراجع الى الوراء .

فقال بيبي ، ألعلك تعرف هذه الفتاة ؟

فلم يجبه بول على سؤاله وقال له ، صف لي الفتاة الثانية .

ـ انها سمراء زرقاء العينين سوداء الشعر طويلة القامة

فصاح بول قائلا ، اورور

فعجب بيبي لامره وقال ، نعم انها تدعي اورور فهل تعرفها ؟ فوقف بول يتهدد السماء بقبضتيه وقال : انها بنتي فلا تنالها يد الجمهورية .

وقد غضب غضبا شديدا وجحظت عيناه حتى ان بيبي تراجع عنه دون ان يريد لخوفه من هذه الظواهر .

وقد اشكل هذا الاتفاق فان بول كان يخبره انه ليس له أهل وانه لو كان له أهل لسلمهم الى الجلاد .

وكان بيبي خبيرا باخلاق الناس فكان يعلم ان الاب قد ينكر بنيه في بعض الاحوال يدعو اليها القنوط ولكنه على يأسه يبقى في زاوية من قلبه أثر الحنو على اولئك البنين ولا يفتأ يذكرهم من حين الى حين خلافا لبول فانه لم يذكر كلمة امامه تدل على ان له فتاة ولذلك اشكل عليه فهم هذا السر

غير ان بول اسرع الى كشف غوامضه فوقف وجعل يمشي في تلك الغرفة بخطوات غير موزونة مشية المضطرب

ثم دنا فجأة من بيبي فضغط على يده بعنف وقال له، اصغ الي

وكان هذا الرجل من طبعه خشن اللهجة فظ التعبير يدل حديثه على القسوة والغلظة غير انه في هذه المرة جعل يحدث بيبي بلهجة ملؤها الرأفة والحنان فقال له والدمع يجول في عينيه، اصغ الي يا بيبي فأنت أول وآخر انسان سيقف على سري فاعلم ان جميع اهل الشر لم يكونوا الا ملائكة اطهارا بالقياس الى ما ارتكبته من الآثام •

فقد كنت زوجا فقتلت امرأتي وكنت سيدا فقتلت خادمي الشيخ وكنت شرها الى المال فقتلت امرأة لسلب مالها وكنت نبيلا فوشيت بجميع اخواني النبلاء وسلمتهم الى يد الجلاد •

غير ان هذا القلب الوحشي لا يزال فيه بقية من عواطف الانسان فقد تركت ابنتي وهي تحسبني ميتا ولكني احب ابنتي واريد انقاذها من الموت •

وعند ذلك صار الزبد يخرج من شدقيه وكادت عيناه تنفران من وجهه فكان يشبه اللبوة في موقف الدفاع عن اشبالها

وقد عرف القراء دون شك ان هذا الرجل الذي تولى رئاسة البوليس السري في عهد لم يفز فيه غير اهل الفظاظة والشر لم يكن الا الشفاليه دي مازير، والد اورور ذلك الرجل الذي قتل امرأته كريتشن وخادمه بنيامين بالسم وقتل والده لوسيان بالخنجر •

اما بيبي فانه توجع لنكبته فدنا منه وقال له بلهجة شفت

عن اخلاصه، سكن روعك ايها الصديق فان هذه الآثام التي ارتكبتها لا تحول دون ما بيننا من الصداقة واني لا اشك الان ان اورور بنتك فلا حاجة الى القول بوجوب انقاذها ولكنك اخبرتني بشيء من سرك فلماذا لا تطلعني عليه بجملته؟

ــ ماذا تريد ان تعلم بعد ؟

ــ ان هذه المدالية التي اريك اياها تمثل رسما غير رسم بنتك نعم رسم كريتشن ٠

ــ ولكني علمت ان صاحبته تدعى حنة

ــ لقد خدعتك المشابهة فانها صورة امها والشبه بينهما عجيب

ــ اذن هي ليست اخت اورور ؟

ــ بل هي اختها

ــ اني لا افهم ما تقول

ــ ان كريتشن كانت امرأتي وهي والدة اورور ، انها والدة حنة ايضا ولكني لست والد حنة اعلمت الان ؟

وقد اتقدت عيناه ببارق من الحقد حين قال هذا القول فقال له بيبي، لقد فهمت كل شيء ايها الصديق وعلى ذلك فان حنة ليست بنتك ٠

ــ كلا

ــ وانك تكرهها

ــ دون شك

ــ لو سلمتها الى انطونيا لما ساءك ذلك ؟

ــ بل اسر

ــ اذن لقد هان الامر وسهل الاتفاق
ــ كيف ذلك ؟
ــ اننا ننقذ ابنتك ونرسلها الى الخارج
ــ وبعد ذلك ؟
ــ نقبض على الثانية ونسلمها الى الجلاد فتكون انت قد انتقمت لشرفك وانك ارضيت انطونيا .

فانتفض بول فجأة وقال ، ولكن من هي هذه المرأة التي تريد قتل ابنتي ؟

ــ انها خليلة المحامي د.

لماذا تريد قتل ابنتي ؟

لا اعلم

فقال كأنه يخاطب نفسه، ما عسى تريد هذه المرأة وبماذا اساءت اليها اورور وكيف عرفتها ؟

فأجابه بيبي، اني لم اعرف الى الان ولكن لا بد لي من ان اعرف

فجعل الشفاليه دي مازير يمشي في الغرفة ذهابا وايابا ثم خطر له خاطر فجائي فالتفت الى بيبي وقال له : ألعل هذه المرأة جميلة .

ــ كــلا .
ــ وهل المحامي يحبها ؟
ــ يحب مالها وهي تحبه .
ــ اذن هي غنية ؟

ـ ان لها ثروة طائلة •

ـ صفها لي ؟

ـ ان لها حدبة صغيرة وهي تشبه نساء النور ولعلها منهم

ـ أهي سمراء ؟

ـ لقد أصبت •

فاهتز الشفاليه وقال : انها تنوان دون شك•

فقال بيبي : من هي تنوان هذه ؟

ـ انها امرأة نورية عبثت بي وحملتني على قتل الكونتس مازير كي تختلس المال• ويل لها من شقية انها خشيت ان تعود الى الملكية فأرادت قتل ابنتي كي لا تجد من يطالبها بالمال المسروق اذ تعتقد اني مت •

وكان يقول هذا القول بلهجة القنوط فقال له بيبي : سكن روعك ايها الصديق واكشف لي كل شيء فان مثلنا لا تروعه مثل هذه الامور واعلم اني لك من الاصدقاء ثم اخذ بيده وقال له : قل ايها الصديق وابسط لي كل امر •

٤١
الحكم على حنة

ان من كانت له نفس هنا الشفاليه لا يسترسل مليا الى الغضب ولا يلبث بعد حدته ان يعود الى السكينة والتفكير بما يخرجه مما دعاه الى الغضب .

وكان بيبي خبيرا باخلاقه فلما سأله ان يخبره بأمره لم يجبه فلم يعد بيبي الى الحديث وصبر عليه الى ان تذهب حدة غضبه

اما الشفاليه فانه بعد انمشى ذهابا وايابا نحو ربع ساعة في تلك الغرفة وقف امام بيبي وقال له : اعرف احد سواك ما قلتهلي الان ؟

ـ كلا .

ـ انت وحدك تعرف اين تقيم الاختان ؟

ـ انا والبومة غير ان هذه الفتاة تطيعني ولا تفعل الا ما أمرها بفعله .

ـ تقول انهما في امان ؟

ـ دون شك .

فقال له ببرود : اذن لنتحدث .

ـ تكلم فاني مصغ اليك .

ـ ان هذه المرأة التي يدعونها الان انطونيا واصل اسمها تنوان كانت خادمة غرفةوقد سرقت ثروة طائلة وحق هذهالثروة انتعود الي وعلىالاخص لبنتي اورور واختهاحنة

وقد عرف القراء في ما تقدم منالاجزاء السابقة انهذه الثروة لحنة وحدها غير ان الشفاليه أبى ان يقول لبيبي الحقيقة بجملتها •

فقال له بيبي : حسنا وبعد ذلك ؟

ـ اما وقد عرفت هذا فلنتحدث الان فيما يختص بك

فعجب بيبي وقال بي انا !

ـ دون شكوسوف ترى فقل لي الان كم بقي لك في خدمة البوليس• ـ من عهد صباي •

ـ قد خدمت في عهد الملكية فهل اقتصدت شيئا من المال مدة خدمتك الطويلة ؟

ـ ان الحكومة تقتصد في الانفاق علينا ومع ذلك فقد اقتصدت بضعة مئات من الدنانير •

ـ ألعلك فكرت بأمر ؟

قال : ما هو ؟

ـ بهذه الجمهوريةفانها اوسعت الخطى ولا بد لدولتها ان تزول • ـ هذا لا ريب فيه عندي •

ـ اذن أتظن ان دولة الظالمين تعود ؟

ـ بعد شهرين على الاكثر •

ـ أتظن انك تبقى فيمنصبك متى عادت الملكية ؟

ـ دون شك ٠

ـ اخطأت ايها الصديق فانك في عهد الملكية لم تكن تكشف للحكومة غير خفايا الاثام ولا تدفع اليها غير اللصوص والسفاكين واما في هذا العهد فانك لا تدفع اليها غير أهل النبل ٠ ـ هذا لا ريب فيه ٠

ـ ما زلت واثقا فاعلم انه متى عادت سلطة النبلاء خسرت منصبك والان فلنفترض ان دولة الملكية قد عادت واني انا العريق بالنبل الذي لا اذكر اسمي لاحد الآن قابلت الملك في فرساي فلو كنت غنيا ٠

ـ اتطمع ان تكون من أهل الثروة ؟

ـ نعم اني ابغي استرجاع الثروة التي سرقتها تنوان واعطائك قسمامنها أفهمت الان فاذا كنت لا تثق بكلامي تعهدت لك كتابة ٠

ـ اني اثق بك كل الوثوق وان تكن الكتابة خيرا من الكلام غير اني اذا كنت ارى الخطة حسنة فان تنوان قد اتخذت احتياطها لوقاية الثروة التي سرقتها ٠

ـ كيف ذلك ؟

ـ انها اودعت اموالها في الخارج ٠

ـ أهذا كل ما تعترض به ؟

ـ وان ده عشيقها فهي به شديدة الطول ٠

ـ اني اعرف ذلك ٠

ـ اذا كنت تعرفه فكيف تستطيع استرجاع المال ؟

فضحك الشفاليه ضحك المتهكم وقال : انك تمتهن مهنة البوليس منذ عشرين عاما في حين اني ما توليتها غير ستة اشهر ولكن اصغ لما اقول تعلم اني ماغدوت رئيسا عليك عبثا .

ـ اني مصغ اليك .

ـ ان هذا المحامي الذي تعتز بقوته تنوان هو صديق روبسبيير ولا قوة له الا من هذا الزعيم فاذا افترضنا ان سقوط الجمهورية يكون بعد شهرين فلا بد من سقوط روبسبيير بسقوطها وسقوط المحامي بسقوط صديقه .

ـ وعند ذلك لا يبقى لتنوان غير رجاء واحد للنجاة وهو الحصول على جواز سفر والهرب الى البلاد الخارجية .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ نعطيها هذا الجواز بل نرافقها في سفرها .

ـ اني لم افهم بعد مرادك .

ـ افترض انك لزمت هذه المرأة من الان الى سقوط الجمهورية وانها باتت تثق بك .

ـ هذا ممكن .

ـ انك في خلال هذه المدة تستطيع ان تعرف البلد الذي وضعت فيه اموالها .

ـ وهذا ممكن ايضا .

وافرض ايضا ان لديها ورقة مكتوبة بلغة النور واني تحصلت على هذه الورقة .

ـ ما هي هذه الورقة ؟

ـ لا حاجة الى ان تعرفها الان فافترض ايضا اننا قد حصلنا على هذه الورقة وعرفنا موضع المال •

ـ افترضت •

ـ وعند ذلك نهرب معها الى الخارج ولكننا نسلمها الى اللجنة الثورية قبل ان نجتاز الحدود فندفعها الى الجلاد•

ـ والثروة ؟

ـ اقبضها حين اشاء بواسطة تلك الورقة ولا يسعني الان ان اوضح لك كل هذا اذ يقتضي له الوقت الطويل فقل لي اذا كان هذا المشروع يوافقك •

اني اوافق عليه مبدئيا غير اني لا استطيع نيل ثقة تنوان الا اذا خدمتها وقضيت اغراضها •

ـ لقد أصبت •

ـ ولا استطيع ان اسلمها اورور بنتك •

فاتقدت عينا الشفاليه وقال : كلا فاني افديها بنفسي •

ـ ولكن حنة ؟

فارتعش الشفاليه وقطب حاجبيه دون ان يجيب •

فقال له بيبي : تأمل ايها الصديق انها بنت الغرام وفوق ذلك فان لها نصف ثروة كما تقول •

ـ هذا أكيد •

ـ اذن لا يخلق بك الاعتراض على تسليمها فان لك في التخلص منها فائدتين فائدة الانتقام وفائدة الاستئثار بالمال•

فاجابه الشفاليه ببرود : ليس ما يعزيني على نزالتي غير

امر واحد . — ما هو ؟

— هو وانك أشد نذالة مني .

فقال له بيبي : اعلم الان انـك اذا اذنت لي بتسليم حنة ظفرت بثقة تنوان بعد اسبوع .

— اني اتخلى لك عنها اذا كنت تتعهد لي بسلامة بنتي .

— اني أتعهد لك .

— ولكن كيف تفرقهما ؟

— ذلك سهل علي .

— اذن لتسقط تبعة دمها على رأسك وانا بريء من دمها .

ثم افترقا على هذا الاتفاق وقد قضي على حنة القضاء المبرم .

وفي المساء تمكن بيبي من الاختلاء بالبومة ومحادثتها فقال لها : ان غدا موعد الاحتفال الوطني اتشتغل سيدتك غدا

— كلا فانها تخشى ان تشتغل في هذا اليوم حذرا من ان يشوا بها . — اذن ماذا تصنع ؟

— تخرج للتنزه .

— أتعودت ان تصحبك معها ؟

— نعم .

— اذا دعتك غدا الى التنزه معها فتظاهري انك مريضة .

— لماذا ؟

— كي تستطيعي الحضور الي فاني محتاج اليك لمحادثتك .

— اتريد محادثتي فيما وعدتني به بشأن البنتين ؟

ـ دون شك .

ـ ألعلك فزت بالمراد ؟

ـ اني على وشيك الفوز فاطمئني واعملي بما اوصيتك به .

ثم تركها وصعد الى منزله فنام تلك الليلة نوما هادئا وهو يحلم بملايين تنوان .

. . .

تطرف الفرنسيون في خلال ثورتهم تطرفا عظيما فمحوا آثار الدين من البلاد وكانت اشد نقمتهم عليه حتى انهم غيروا اسماء الشهور واستبدلوا نظام الاسبوع فجعلوا ايامه عشرة ايام . ثم جعلوا اليوم الاخير من اسبوعهم يوم عيد يعتزلون فيه الاشغال ويقفلون الحوانيت . كما كانوا يفعلون في أيام الاحاد في عهد الملكية . والويل لمن كان يجسر على العمل . او على فتح دكانه في ذلك اليوم فانهم كانوا يتهمونه بالمروق من الوطنية والتشيع لمبدأ الملكية فلا يكون نصيبه غير الاعدام .

ولذلك كان هذا اليوم في فرنسا يشبه ايام الاعياد الكبرى في لندرا فلا يبقى في منزله غير العليل ويخرج الناس افواجا الى المنتزهات يهنيء بعضهم بعضا بما نالوه من نعمة المساواة والحرية .

ففي ذلك اليوم تأهبت جوزفين الغسالة وزوجها للخروج الى النزهة بالاحدب والاختين وامرت جوزفين خادمتها البومة ا نتسير معهم فتمارضت كما اوصاها بيبي

وأبت الخروج معهم •

فنصحتها جوزفين قائلة : انك اذا بقيت في الدكان اعدموك •

ــ لا خوف علي فاني سألزم الفراش الى ان تعودوا •

ــ ولكن احذري ان تفتحي باب الدكان واذا اردت الخروج فاخرجي من النافذة•

ثم ذهبوا فتأبط الاحدب ذراع اورور وزوج جوزفين ذراع حنة وسارت جوزفين وراءهم •

اما البومة فانها لم تكد تراهم انصرفوا حتى اسرعت الى النافذة ووقفت تنظر منها الى منزل بيبي •

فلم يطل انتظارها فان بيبي ظهر لها من نافذة غرفته ورآها فاشار لها ان تحضر اليه •

وبعد هنيهة كانت عنده فقال لها ، الا يوجد احد الان في الدكان ؟

ــ كلا •

ــ الديك مفتاحها ؟

ــ انها مفتوحة •

ــ حينما حضرت الاختان اليكم الم يكن معهما امتعة؟

ــ نعم فقد احضرت كل منهما حقيبة

ــ اعرفت ما فيهما ؟

ــ نعم فاني رأيت في احداهما ثيابا ورسائل ولكني لسوء حظي ما تعلمت القراءة ؟

ولكني اعرف القراءة اتستطيعين ادخالي الى الدكان ؟

ـ دون شك .

ـ هل الحقيبتان مقفلتان ؟

ـ كلا فانهما قديمتان وقد كسرت اقفالهما

ـ اذن هلمي بنا

وعند ذلك خرج بيبي بها الى الدكان ففتحتها ثم اقفلت بابها من الداخل وصعدت به الى المرتفع الخشبي الموجودة فوقه الحقيبتان ففتحهما بيبي واخرج من احداهما ثلاث رسائل معنونة باسم بنوات ففتح الكتاب الاول فقرأ فيه ما يأتي :

« عزيزي بنوات

« وصلت امس الى الغرفة وانتظمت في سلكها عند الظهر وقد ذهبنا الى جهة الرين . فثق ايها الصديق الوفي اني متأثر لفراقك وان بكاء حنة العزيزة ساعة فراقي اضعف عزيمتي حتى كدت ارجع عن السفر » .

ولم يتم بيبي قراءة الكتاب بل اسرع الى النظر في الامضاء فقرأ هذا الاسم .

(داغوبير . بيطري سابقا)

وقد ورد في هذا الكتاب اسم حنة كثيرا ولم يقرأ فيه كلمة عن اورور ولكن بيبي لو عرف ان يقرأ بين سطوره لعلم ان داغوبير انما كان يحب حنة حب اخاء وانه يحب

اورور بغير هذه العاطفة ولكنه استنتج من قراءته ان لحنة عشيقا وان عشيقها الجندي داغوبير •

ثم فتح الكتاب الثاني وكان تاريخه بعد تاريخ الكتاب الاول بستة اشهر فعلم منـــه ان داغوبير الجندي بات قائدا وان معظم الكتاب كان عن حنة ولا كلمة عن اورور •

اما الكتاب الثالث فقـــد كان ملؤه الرجاء بالمستقبل فان داغوبير ذكر فيه بنوات بنبوة تنوان النورية حين قالت له ، انك ستلبس الثياب المذهبة وتكون من كبار الرجال •

وكان هذا الكتاب كالكتابين السابقين لم يذكر فيه غير حنة فكيف يخطر لقارئه ان داغوبير يحب اورور وانه لا يرجو ان يعدو جنرال الا ارضاء لها •

فلما اتم بيبي تلاوة هذه الرسائل الثلاث قال للبومة ، متى ترجع سيدتك فيما تظنين ؟

ــ انهم لا يرجعون قبل الغروب •

ــ اذن اصغي الى ما اقول فاني اريد ان تبقى هنا •

ــ سأبقى •

ــ اتعدينني انك لا تخرجين من الدكان وتنتظرينني فيها ؟ ــ كيف ذلك العلك تريد الانصراف ؟

ــ كلا لكني ذاهب الى غرفتي •

وكان بيبي قد وضع الرسائل في جيبه فقالت ، وهذه الرسائل ؟ ــ سأرجعها الى موضعها عند عودتي •

ــ العلك محتاج اليها ؟

ــ نعم فسأستعين بها على قتل البنتين •

فسرت البومة بذلك وامتنعت عــن الاعتراض وعاد جيبي الى غرفته فجعل ينسخ هذه الرسائل نسخ المقلد حتى اتقن تقليد خط داغوبير •

وعند ذلك نظر الى تقليده نظرة رضى وقال في نفسه، لا شك عندي الان ان حنة وداغوبير متعاشقان وقد وجدت طريقة لفصلها عن اختها اورور والقائها في قبضة النورية ثم اقفل باب غرفته وعاد الى البومة وهي تنتظره بفارغ الصبر لتعلم متى يصدر الامر باعدام الاختين •

٤٢
وظيفة داغوبير

وفي اليوم التالي لحفلةالعيد ذهب بيبي الى المحامي د. فقال له : لقد باتت احدى البنتين في قبضة يدي .

ــ والثانية ؟

ــ لا تغدو في قبضتنا الا بعد بضعة ايام . ــ لماذا ؟

لا نها ليست في باريس ولا يسعني التصريح لك الان كيف انهما افترقتا بعد ان جاءتا معا ولكن ثق اني سأقبض على الثانية كما ظفرت بالاولى ومرني بماذا يجب ان اصنع بالتي ظفرت بها .

ــ ان ذلك منوط بانطونيا .

ــ اذن انا ذاهب للقبض عليها .

ــ نعم وانما يجب القبض عليها بالحال .

ــ هو ذاك ولكن لا يمكن ذلك قبل الغد اذ يجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لاني منذ توليت خدمة البوليس السري لم افعل شيئا علنا ولم يعلم احد من الشعب الى الان اني من رجال البوليس السري الخفي فانا سأصدر الاوامر بالقبض على الصبية وسيكون الشأن شأنكم بعد القبض عليها والان فاسمح لي ان اتكلم بجلاء . ــ ماذا تعني ؟

ـ اني علمت ان البنتين لم تحضرا من الخارج كما قالت انطونيا وليس لهما اتصال باللجنة الملكية وليس لديهما اوراق تثبت التهمة عليهما •

فظهرت على المحامي علائم الجزع وقال ، ولكننا سنتدارك الامر ونجد براهين التهمة •

ـ ان ذلك شأنكم لا شأني فعلي ان اقبض عليهما وعليكم ان تتهموها بما تشاؤون ثم تراجع بقصد الانصراف وعاد فقال ، لقد بقي امر فانني ان اخبرك به وهو اني لا اتولى هذه الامور وحدي وهناك نفقات لابد لي من دفعها لرجالي •

ففتح المحامي درجا وقال ، لقد توقعت انطونيا هذا الطلب فعهدت الي ان اعطيك ما تحتاج اليه من هذه النفقات ثم اعطاه قبضة من الذهب فوضعها بيبي في جيبه وانصرف •

وقد ذهب من عند المحامي توا الى خمارة في ذلك الشارع لم يكن فيها غير نفر قليل بينهم رجل بملابس العمال فجلس بيبي وطلب كأسا من الخمر ثم نظر الى ذلك العامل واشار اليه اشارة فاسرع الى تلبيته وجلس بجانبه وجعلا يتحدثان •

فقال له بيبي ، أفعلت ما اوصيتك به ؟

ـ نعم فاني اشتغلت في رصيف القلعة في نفس المكان الذي ما كلمت سواه كل هذا اليوم فتغذينا وتعشينا وتنزهنا

في هذا المساء معا •

ــ اذن اصغ لما أقول فانك تجتمع به غدا فتخبره ان رجلا عسكريا يدعى داغوبير قصدك وسألك اذا كنت تعرف الاحدب الذي يشتغل في القلعة فلما اجبته بالايجاب اعطاك هذه الرسالة التي سأكتبها كي تدفعها اليه •

وعند ذلك طلب ادوات الكتابة فجاءه بها فكتب مقلدا خط داغوبير ما يأتي :

« ايها الصديق بنوات

« اعطيت اجازة ثمانية ايام فاحببت ان اذهب في خلالها الى قريتنا ولكني من نافذة غرفة الفندق الذي انا فيه رأيتك مارا فاسرعت بالخروج من الفندق للاجتماع بك فلم استطع ادراكك ولكني لقيت هذا الرجل حامل كتابي وقد رأيتــه يسير معك وهو لا يعرف اين تقيــم غير انه يشتغل معك فعهدت اليه بحمل كتابي •

« انك ما زلت في باريس يا بنوات فلا بد لاختيك ان تكونا معك وانك تعلم انــي احب ان ارى احداهما وهي التي احبها ولا بد ان يدفعنــي غرامي في سبيل التقــدم والارتقاء فاغدو جنرالا في اقرب حين فتعالى ايها الصديق بها غدا مساء الى فندق شامبانيا في شارع سانت اونوريه نمرة ٦٥ وسل فيه عن القائد داغوبير فقد اصبحت الان من القواد •

« ولا تعجب ايها الصديق اذا كنت قد سألتك المجيء

باحدى اختيك دون الاخرى فاننا في وقت يجب فيه الحذر الشديد وهما جميلتان حتى ان الناظر اليهما لا يصدق انهما من القرويات واذا رؤهما معا اتهمتنا بالنبل ولذلك ارجوك ان تأتيني غدا باحداهما وهي التي تعلم اني احبها وبعد غد تأتي باختها واسلم لصديقك القديم داغوبير » •

ثم اعطاه الكتاب وقال له ، سلمه بيدك للاحدب وعند الظهر تظاهر انك مصاب بصداع اليم تتخذه حجة للخروج من المعمل وتوافيني الى هذه الخمارة حيث انتظرك في الساعة الرابعة •

وعند ذلك افترقا فذهب كل في شأنه •

وفي اليوم التالي صدع الرجل بما اوصاه به بيبي واعطى الرسالة للاحدب بعد ان لفق له ما علمه اياه بيبي عن التقائه بداغوبير •

فاهتز الاحدب لهذا الكتاب وفتحه بيد تضطرب فوجد ان الخط خط داغوبير وسر سرورا عظيما لارتقاء صديقه الى مقام القواد •

وفي الساعة السادسة والنصف صدرت جريدة المساء وانطلق الغلمان في الشوارع يبيعونها ويصيحون ذاكرين ما تتضمنه من المواد الخطيرة فكان احدهم يصيح قائلا : « اقرأوا النصر العظيم الذي ناله الجنرال لشياجري على النمساويين » وآخر يقول : « اشتروا هذه الجريدة واقرأوا تفصيل انتصار البطل داغوبير فانه دافع وحده عن جسر

هاجمه الاعداء وصد هجماتهم » .

وقد كان يصيح هذا الصياح وهو مار بدكان الغسالة فسمعت اورور وحنة صياحه فانها صاحت صيحة فرح واما اورور فان وجهها قد اصفر وخفق قلبهـا حتى خشيت ان تسقط على الارض وعند ذلك نادت حنة البومة وقالت لها : اسرعي واشتري لنا عددا من هذه الجريدة .

فخرجت البومة مكرهة ونظرت الغسالة الى الاختين وقد دهشت لاضطرابهما فقالت لها حنة : يظهر انه حدثت معركة عظيمة وان داغوبير قد تكلل فيهـا باكليـل المجد والانتصار .

وكانت الغسالة قد عرفت داغوبير لكثرة ما كانـوا يتحدثون عنه امامها حتى ان البومـة سألت مرة مـن هو داغوبير هذا فأجابها الاحدب : انه ابن عمي وخطيب اختي اورور فاحمر وجه اورور ولم تعترض عليه .

وبعد هنيهة عادت البومة بالجريدة فاخذتها حنة بيد ترتجف وقرأت تلك المقالـة وهي تتضمن تقريـرا ارسله الجنرال ليشاجري عن بسالة داغوبير النادرة وكيف انه صد وحده الاعداء عند مدخل جسر فكانت القنابل تتساقط حوله وهو واقف وقوف الجبال الرواسي لا يتزحزح من مكانه .

ولما اتمت حنة تلاوة المقالة نظرت الى اختهـا فرأتها تشبه الاموات لاصفرارها فألقت الجريـدة وعانقتها وهي تقول : ابلغ الحب منك هذا المبلغ ؟ فاحمر وجه اورور بعد

الاصفرار وقالت لها : اسكتي بالله •

وفيما هما علـى ذلـك دخل سيمون زوج الغسالة والاحدب فقال لهم بنوات : ماذا حدث ولماذا هذا العناق ؟ فاخذت حنة الجريدة وقالت له اقرأ تعلم •

فقرأ بنوات المقالة فلما اتمها تنهد وقال : لقد سهلت علي هذه المقالة مفاجئتكما بالخبر •

فقالت له حنة : العلك عارف بخبر هذا الانتصار ؟

ـ اني لا اعني خبر الانتصار بل خبر وجود داغوبير في باريس وهو قائد حقيقة وسيرقى الى رتبـة جنرال ثم اخذ من جيبه كتاب داغوبير المزور ودفعه الى حنة فلما رأته ابتسمت وقالت : اني موقنة من حبه لي ولكنه لا يعنيني بهذا الكتاب ثم ناولته لاختها •

فأخذته اورور وقرأته ودنا منهـا بنوات وقال لهـا همسا : كفى كتمانا يا سيدتي فاننا واقفون على سرك منذ عهد بعيد وها هو الان سيغدو جنرالا •

فقالت له بصوت مختنق : كفى •

ـ سأمتثل لما تريدين ولكنـك ستذهبين معي اليس كذلك ؟ فسكتت اورور ولم تجب •

فقال لها : اخاف اذا امتنعت عـن الذهاب اليـه ان يأسف لنجاته من معركة الجسر •

فأجابته بصوت يضطرب : اني لا ادعه يأسف وسأذهب واياك • وكانت علائم السرور باديـة على وجوه الجميع

ما خلا البومة فانها كانت تنظر الى اورور نظرات ملؤهـا الحقد وتقول في نفسها لا بد لي من اخبار بيبي بكل مـا جرى فانهم يتحدثون عن قائد يستطيع انقاذهما •

ثم قاموا جميعهم الى العشاء وارسلت الغسالة البومة لشراء زيت فتمكنت اورور من اخفاء اضطرابها وقالت لحنة والدموع تجول في عينيها ، لماذا لا يريد داغوبير ان يراني ايضا ؟

فقال لها الاحدب : انا اوضح لك السبب وهو ان شعر اختك اسود وشعرك اشقر لا يكون الا للنبيلات ولذلك اخشى عليك •   ـ ولكنني استطيع ستر شعري •

فاعترضتها اورور قائلة : كلا يا اختي اذ يجب علينا ان نصنع ما يريده داغوبير وسنعود به الى هنا اليس كذلك يـا بنوات ؟

ـ دون شك فان القواد لا يعترضهـم احـد وهم يصحبون ما يشاؤون •

وعند ذلك عادت البومة بالزيت فقال لهم سيمون : غيروا الحديث واحذروا فقد جاءت البومة •

اما البومة فانها عادت وهي مفكرة مهمومة لانها كانت تخشى ان يفشل بيبي ويفوز القائد بانقاذ الاختين من الاعدام

واما بيبي فلم يضيع الوقت عبثا فانه عاد الى المحامي د• فاخبره انه سيقبض في هذه الليلة على احدى البنتين •

فكتب المحامي الى المدعي العمومي يخبره انهم يقتفون

اثر فتاة نبيلة وانصرف بيبي من عنده الى رئيسه بول ، اي الشفاليه دي مازير •

وكان الشفاليه ينتظره جازعا فقال له : اني لم انم ليلة امس لخوفي على بنتي • — اي خطر على بنتك ؟

— ولكن الاخرى ؟

— الم تأذن لي بالقبض عليها العلك بت تحبها ؟

فتنهد الشفاليه وقال : كلا ولكن بنتي تحبها واخاف ان يقتلها الحزن عليها •

— ان النساء لا تقتلهن الحزن فانهن يبكين والدموع كفيلة بطول العمر •

فلم يجبه ثم قال له بعد سكون وجيز : ولكني ارجو اذ لا تنكث بما اتفقنا عليه بشأن تنوان •

— كيف يمكن ان انكث ونحن شريكان فاني انا ايضا لم انم ليلة امس لما بسطه لي من الآمال بملايين تلك المرأة وارجو ان تظفر بها فنبرح هذه البلاد الى ايكوسيا وهناك نشتري قصرا ونصحب معنا بنتك واتزوج بها اذا كنت تريده•

فعد الشفاليه كلامه ممازحة وسأله كيف احتال في القبض على حنة فأخبره بيبي بالكتاب الذي قلد فيه خط داغوبير وكيف ارسله الى الاحدب •

فاعترضه الشفاليه قائلا : العل صا. ، الفندق من اتباعك ؟ — كلا •

— اذن ألا تخاف ان يذهب الاحدب في البدء الى

هذا الفندق فيسأل فيه عن داغوبير وتنكشف الحيلة •

ـ كلا فان داغوبير في الفندق •

فذعر الشفاليه وقال : اداغوبير في باريس ؟

فضحك بيبي وقال : ان داغوبير الحقيقي لا يزال يقاتل الاعداء ولكني البست احد رجالي ملابس القواد وامرته ان يقيم في الفندق باسم داغوبير •

ـ لقد فهمت الان ولكن بنوات قد يراه •

ـ ان الاحدب قد ذهب منذ ساعة الي الفندق وكانت حدبته خير علامة لمعرفته فخرج الرجل المتنكر باسم داغوبير بعد ان اوصى صاحبته ان تخبر الاحدب متى جاء يسأل عنه انه ذهب في بعض الشؤون وانه ينتظره في الساعة العاشرة•

فقال له الشفاليه : الحق انك امهر رجال الصناعة ثم تنهد وقال : مسكينة اورور ثم وضع رأسه بين يديه وقد بدت عليه ملامح الاسف كأنما ضميره بات يوبخه لتسليمه بقتل ابنة امرأته كما سلم بقتل امها •

اما بيبي فانه تركه وانصرف الى مكان يجتمع فيه رجال البوليس السري فلما دخل عليهم وقفوا جميعا اجلالا له فنادى واحد منهم وقال له بصوت منخفض : خذ اربعة ممن تثق بهم واذهبوا جميعا في الساعة العاشرة الى شارع سانت اونوريه وابقوا هناك في المركبة الى ان يأتي اليك رجل بملابس القواد فيقول لك انا داغوبير وما داغوبير هذا غير زميلك بريبات فاتبعوه الى منزل يدلكم عليه فتقبضون

علي حسناء وفتى احدب وتضعوهما في العربة •

قال : وبعد ذلك نذهب بهم الى السجن •

ــ دون شك غير انك تطلق في الصباح سراح الاحدب اذا شئت •

ــ والفتاة ؟

فابتسم بيبي ابتسامة الابالسة وقال : اما الفتاة فتقدم قربانا لاله الثورة •

ولما القى اليه هذه الاوامر انصرف عائدا الى منزله فسمع بائع الجرائد ينادي ويذكر اسم داغوبير فاشترى نسخة وقرأها فقال في نفسه : ليبلغ ما يشاء من الرقي بشرط ان لا يحول دون القبض على الصبية ثم ذهب الى منزله فنام مطمئنا •

• • •

اما بنوات واورور فانهما ذهبا الى دعوة المتنكر باسم داغوبير فكانت علائم السرور بادية في محيا الاحدب خلافا لاورور فانها كانت مضطربة تقدم رجلا وتؤخر اخرى •

ولم يكن اضطرابها لانها كانت تتوقع مصابا بل لانها نهجت مناهج الطيش والخفة بذهابها الى داغوبير وان ذهابها اليه في مثل هذه الدعوة يعد بمثابة اقرارها بحبه •

ونعم انها كانت تهوى داغوبير على ما كان بينهما من تباين المقام فانها حين عشقته كانت في منزلة النبيلات وكان بيطريا غير انه ارتقى بعد ذلك الى مقام القواد وهي منزلة تعادل منزلتها ولكنه ابن يومه في النبل وهي ابنة مئات

الاعوام •

وللغرام سلطان جائر على القلوب فهو لا يرقى اليه على سلم الانساب فاندفعت اورور في حب داغوبير اندفاعا شديدا ولكنها عولت على دفن سرها في نفسها حتى انها كتمته عن اختها وقد وجدت ان صبرها خانها وسارت الى لقاء داغوبير كأنها تقول له : لقد اتيت اليك لاني احبك •

وكانت تمشي مشية المضطرب وهي تفكر في منهجها الى ان كبر عليها الامر فتوقفت فقال لها بنوات : ما بالك يا سيدتي قد امتنعت عن المسير ؟ — اني خائفة يا بنوات•

فاضطرب بنوات وقال : مما الخوف ؟

قالت لا اعلم ولكن يا بنوات اتجد من اللياقة وحسن السلوك ان اذهب الى داغوبير وعندي انه خير لنا ان تذهب انت الى لقائه وتعود به الينا •

قال : وانت يا سيدتي ؟

— اما انا فاعود وحدي ولا اضل الطريق •

ففكر الاحدب بما يكون من كدر صديقه داغوبير اذا رآه قادما اليه وحده فقال لها : اصغي الي يا سيدتي انك تعرفين حق المعرفة ما يكنه قلب داغوبير من احترامك فلو لم يكن لديه سبب عظيم دفعه الى دعوتك لما دعاك ومن يعلم فقد يكون لديه سر يريد ان يبوح لك به دون ان تعلمه حنة ولا يسعنا استغراب منهجه في مثل هذا الزمن الذي نحن فيه•

فلم تجد اورور ما تدفع به برهان الاحدب وقالت له :

اذن هلم بنا .

فسار الاثنان وقلبها لا يزال يخفق خفوق اجنحة الطائر حتى وصلا الى الفندق المقيم فيه داغوبير .

ولما وصلا اليه استقبلهما البواب. وقال لهما : انتما اللذان ينتظرهما القائد داغوبير ؟

فقال له الاحدب : نعم فهل القائد في غرفته ؟

ـ اصعدوا الغرفة الثالثة .

فصعدا حتى اذا وصلا اليها قرع الاحدب بابها فاجابه صوت من الداخل يقول : ادخل .

فارتعشت اورور وقالت : ليس الصوت صوت داغوبير يا بنوات وقد اخطأنا دون شك ثم همت بالرجوع ولكن باب الغرفة قد فتح في الحال وبرز منها رجل بملابس الجنود فقال لهما : تفضلا بالدخول .

ـ اننا نريد ان نرى القائد داغوبير .

ـ هذه هي غرفته .

فدخل الاثنان وسألاه عن داغوبير فقال لهما : انه سيحضر في الحال وانصرف عنهما الى ايقاد الموقد .

غير انهما لم يطل قيامهما حتى فتح باب الغرفة بدون استئذان ودخل منه رجل بملابس القواد فذعر بنوات اذ رأى انه ليس داغوبير وذعرت اورور اذ ايقنت بحدوث مصاب .

اما الجندي فانه التفت اليهما وقال لهما : هذا هو

قائدي •

فجمد الدم في عروق الاحدب ودنت اورور من هذا القائد فقالت له : يظهر يا سيدي انك مخطىء واننا مخطئان ايضا فاننا قادمان لزيارة القائد داغوبير •

فابتسم القائد وقال : لا حاجة الى فحص يديك يا سيدتي لمعرفة حقيقة مولدك فان حديثك ينم عليك ويثبت انك من النبلاء واعلمي اذن يا سيدتي انك انت السيدة التي انتظرها •

فنسيت اورور موقفها ونظرت اليه نظرة ملؤها الانفة والكبرياء وقالت له : تنتظرني انا ؟

وضم بنوات قبضته ووقف وراءها كي يحميها وهو يحاول الموت في سبيلها •

اما القائد المتنكر فانه ابتسم وقال لها : اسألك العفو يا سيدتي فاني لا ادعى داغوبير بل برينات وما انا من القواد بل عامل من عمال البوليس افهمت الان •• انهم يا سيدتي قد نصبوا لك شركا فوقعت به ويسوءني ان اقبض عليك مكرها فانك اجمل من رأيت بين النساء •

فاصفر وجه اورور وقالت : انهم يا سيد قد عهدا اليك بالقبض علي ولكنهم لم يعهدوا اليك اهانتي •

فصاح بنوات اجفل لها البوليس وقال وهو يتهدد البوليس بقبضتيه ، انهم يقبضون عليك بعد سفك دمي •

ثم حاول ان يهجم عليه ولكنه قبل ان يصل اليه فتح

الباب ودخل منه اربعة رجال مدججون بالسلاح فقال لهم البوليس : اقبضوا على هذا الرجل وفتشوه •

فهجموا عليه والقوه الى الارض فجردوه من سلاحه واوثقوه •

اما اورور فانها كانت واقفة تنظر الى ما يجري حولها بملء العظمة ولم تقل غير كلمتين وهما : مسكينة اختي •

ولما فرغوا من تقييد الأحدب دنا البوليس وقال لها : تفضلي يا سيدتي وتأبطي ذراعي فانـــي لا احب ان تمسك ايدي رجالي •

ــ الى اين تذهب بي ؟

ــ الى الدير ، اي الى سجن النبلاء •

ــ هلم بنا ، ثم تأبطت ذراعه وسارت معه وهي تكرر قولها : مسكينة اختي •

وقد خرجت معه غير مكترثة لما تلقاه فوضعواها مـــع الاحدب في مركبة فسارت بهما الى السجن •

وكـــان الاحدب يئن انينا مزعجا وهو مقيد اليدين والرجلين مكموم الفم لا يستطيع الدفاع عن اورور فكان الجندي الجالس بجانب السائق يسمع انينه فيقول : ان هذا الابله لا يعلم اننا سنطلق سراحه في الصباح وما راعني غير هذه الفتاة فان الجمهورية لم تقتل بعد اجمـــل منها وهي سائرة الى الموت سير الهاديء المطمئن كأنها ذاهبـــة الى حفلة راقصة •

٤٣
غرام بوليت

ولنعد الان الى شخص من اعضاء هذه الرواية تركناه منذ حين وهو بوليت الذي اراد الاعتداء على اورور في خمارة توكلنس فسقط في القبو ثم هرب منه فلقيته تنـوان فـي الطريق واخذته بمركبتها الى منزلها .

وقد تقدم لنا انها اشترت منــه المدالية التي فقدتها اورور ولقيها وعلمت منه حديث الاختين كما انها علمت منه انه فتن باورور فقالت في نفسها ، ان الاحتفاظ بهذا الرجل يفيدني فانه اذا كان يهوى اورور فلا بد له ان يجدها واذا ارسلت من يقفو اثرهــا علم موضع البنتين ولاجل هــذا حفظته عندها .

اما بوليت فانه اقام في منزلها نحو عشرين يوما ففي صباح يوم طلب ان يرى تنوان فقابلها واخبرها انها اثقلت كاهله بجميلها وانه لم يعد له بد من الانصراف .

اما تنوان فانها ادركت قصده فقالت له : الحق انك لا تزال مفتونا باورور وانك تريد البحث عنها .

ــ هو ذاك يا سيدتي ولا بد لي ان اجدها واجعلها

مدام بوليت وان تكن من الاعيان •

وكانت تنوان معتمدة عليه في اقتفاء آثار البنتين كما تقدم غير ان الحوادث اضعفت قوة اعتمادها فان المحامي د• صديق روبسبيير اعتمد على بول اي على الشفاليه دي مازير بدلا من ان يعتمد علـى بوليت والشفاليه عهد الى بيبي بالبحث عن البنتين وبيبي تعهد بايجادهما بعد يومين فلم تبق حاجة الى بوليت •

ولذلك نفحته تنوان بشيء من المال وقالت له : ابق الان عندي فقد عهدت الى قوم اشداء حازقين بالبحث عن البنتين وقد وعدوني بالمجيء الي حين يقفـون على اثرهما فرضي بوليت بالبقاء مكرها •

وفي المساء جاءها المحامي واخبرها ان البوليس ظفر باحدى البنتين وانه يدعي ان الاخرى في باريس •

ـ اي البنتين قبض عليها ؟

ـ على الشقراء صاحبة الرسم •

ولكن كيف اتفق ان الثانية ليست في باريس ؟

ـ لست اعلم ولكن الذي اراه انـه خاب سعيا في البحث عنها فادعى انها في باريس •

فافتكرت عند ذلك ببوليت وقـالت : لدي مساعد يعينه على ايجادها •

وفي اليوم التالي دعت بوليت اليها وقالت له : انك تعرف باريس حق العرفان واريد ان تشترك مع رجالي في

البحث عن البنتين •

ـ كيف ذلك الم يجدوهما بعد ؟

ـ ظفروا باحداهما وهي الشقراء صاحبة الصورة •

ـ اذا كان ذلك فانا سأظفر بالثانية فانها التي اهواها•

ـ هذا الذي خطر لي وسأعطيك كتابا الى احد اعواني وهو يهديك الى الذي يبحث عن البنتين فتنضم اليه وتشتركان في البحث ثم كتبت الى المحامي د• ما يأتي :

« اني مرسلة اليك غلاما من غلمان باريس فاستخدمه في البحث عن الفتاة « واعلموا انه عاشق لها » •

وبعد ان طوت الكتاب وختمته القته الى بوليت وارسلته به الى المحامي فقرأه المحامي ثم اعاد ختمه وارسله به الى بيبي بعد ان ارشده الى منزله •

ولنعد الى دكان الغسالة فانهم صبروا الى منتصف الليل دون ان يقلقوا لعدم عودة الاحدب واورور لاعتقادهم ان داغوبير اخرهما عنده •

ثم دقت الساعة الثانية ولم يحضروا فاضطربت حنة واشتد قلق الغسالة وزوجها واتفقوا على ان يذهب زوج الغسالة الى الفندق يسأل عنهما فيه •

فذهب سيمون الى الفندق وعاد بعد ساعة وهو مصفر الوجه مضطرب الحواس فاخبر امرأته وحنة ان البوليس قبض على اورور والاحدب وذهب بهما الى الدير•

فقالت له حنة : ما هذا الدير ؟

ـ ان الدير يا سيدتي سجن النبلاء .

فذعرت حنة ذعرا شديدا في البدء ثم استرسلت الى البكاء والشهيق وجعلت تصرخ وتنادي اختها فاضطروا الى اقفال الدكان حذرا من ان يسمع الجيران صياحها فينفضح امرهم .

وبقيت على ذلك الى الساعة الثامنة من الصباح فلما رأى سيمون انه لا حيلة له بها قال لها : ان صياحك هذا يدفع بنا جميعا الى المشنقة فهل تريدين ان تكوني السبب في اعدامنا ؟ فهدأ تأثرها عند ذلك وكفت عن الصياح مقتصرة على البكاء بدموع غزيرة .

ولما رأت الغسالة انه لم يبق خطر من صياحها فتحت الدكان وكانت الساعة قد بلغت التاسعة من الصباح فلم تمر بهم هنيهة حتى اقبل الاحدب وهو يشبه المجانين لما اصابه من الاضطراب فحكى لهم جميع ما جرى .

وكانت البومة قد رأت كل ما حدث وسمعت كل ما جرى فقالت في نفسها : لاخبرن بيبي بكل ما اتفق عساه يستفيد من هذه الانباء ولذلك وقفت من النافذة تراقب منزله حتى اذا ظهر لها من نافذة غرفته انسلت اليه دون ان يراها احد فاستقبلها بيبي وقال لها : لقد حدث عندكم حادث جديد اليس كذلك ؟

فذهلت البومة وقالت : العلك عالم بما حدث ؟

ـ الم اعد بانى ارضيك ؟

ـ أأنت هو الذي قبض عليها ؟

فابتسم بيبي وقال لها : اخبريني بما حدث عندكم الا يزالون يبكون اخبريني بكل ما اتفق •

ـ بدء الحكاية ان الاحدب جاءهم ليلة امس بكتاب•

ـ انا هو الذي كتب الكتاب ؟

ـ كلا بل ارسله قائد يدعونه داغوبير فلما اطلعوا عليه سارت احدى البنتين مع الاحدب •

ـ البنت الشقراء اليس كذلك؟ ـ كلا بل السمراء•

ـ انك مجنونة دون شك فان التي ذهبت مع الاحدب ولم تعد هي الشقراء لا السمراء •

ـ لقد قلت لك السمراء •

فصاح بيبي صيحة منكرة وقال : ويحك اجننت ؟

ـ كيف اكون جننت وانا اقول لك الحقيقة ان التـي ذهبت ولم تعد هي السمراء التي يدعونها مدموازيل اورور وان الاخت الباقية تبكـي في الدكان هي الشقراء التـي يدعونها مدموازيل حنة •

فاصفر وجه بيبي حتى اوشك ان يسقط ثم دفع البومة فجأة، وخرج من غرفته خروج لمجنذزقفيغومة

ويلاه ما افظع هذا الخطأ انهم سيقطعون رأس ابنة صديقي بـول •

ثم سار ركضا الى مركز رئيسه بول ، اي الشفاليه دي مازير ، فصعد درجات السلم اربعا اربعا حتى اذا وصل

مكتب رئيسه لم يجده فيه وذلك ان الساعة كانت السادسة وهو لا يحضر قبل السابعة ٠

فكاد بيبي يجن من اشفاقه على اورور ولم يجد وسيلة للقاء الشفاليه كي يسعى في انقاذ ابنته قبل فوات الاوان فان هذا الشفاليه كان يبالغ في التكتم حتى ان بيبي نفسه لم يكن يعرف منزله على ما بينهما من الصداقة فاضطر ان ينتظر في المكتب على احر من الجمر ٠

وبعد هنيهة جاءه بريدات الذي قبض على اورور فاخبره بما فعله في الليل وكان بيبي لا يزال له امل ضعيف بان تكون البومة مخطئة غير ان بريدات وصف له الفتاة التي قبض عليها فزال من قلبه كل شك وايقن انها اورور ٠

فنظر بيبي الى الساعة واقام ينتظر وهو يشبه المجانين ثم خرج ووقف في الشارع ينتظره فرآه مقبلا فتصدى له ، ووقف امامه وقوف البله ٠

فاضطرب الشفاليه وقال له : ماذا حدث ؟

فأجابه بصوت مختنق : اني شقي ابله لا عقل لي ٠

ــ ويحك كيف ذلك ؟

ــ اني اخطأت خطأ فاضحا ، يجب الاسراع بانقاذها وعدم التهاون لحظة ٠

ــ من الذي تريد ان تنقذها ، حنة ؟

ــ كلا بل اورور بنتك ٠

فرجع الشفاليه منذعرا الى الوراء كأنه اصيب بسهم

في صدره وقال : ابنتي !

ـ نعم فقد قبض عليها خطأ بدلا من اختها ولا يجب ان نضيع دقيقة فان محاكمتها ستبدأ .

غير ان بيبي لم يتمم حديثه فان الشيفاليه صعق وسقط على الارض لا حراك به فبذل بيبي جهده في سبيل ايقاظه فلم يفلح .

فازدحم الناس حوله واسرع احدهم فنادى طبيبا فلما فحصه قال : انه لم يمت ولكنه اصيب بسكتة دماغية .

ثم جعل يسعفه وفيما هو يسعفه والناس حوله شعر بيبي ان يدا تلمس كتفه فالتفت فرأى رجلا من اهل الشارع وكانت علائم اليأس بادية على وجه بيبي حزنا على صديقه فقال له الرجل : ان الذي تعالجـونه وتشفق عليه هـذا الاشفاق رئيس البوليس السري .

فانكر بيبي وقال له : اني لا اعرف هذا الرجل .

فقال له : ايها المخادع لقـد فضح امرك فلا تحاول الكتمان .

فلم يكن وقع الصاعقة اشد على بيبي من افتضاح امره لدى سكان الشارع الذي يقيم فيه فنسي صديقه الشيفاليه ونسي ابنته اورور وهرب مـن ذلك المكان وهو لا يلوي على احد .

• • •

ولنتبع الان اورور من حين ساروا بها في المركبة الى

الدير فنقول : ان الاشراف في ذلك العهد كانوا يسجنون في دير حوله اهل الثورة • بعد ان فتكوا برهبانها ؟ الـي سجن فجعلوا يسجنون فيه كل من يعثرون به من النبلاء الى ان يحين موعد محاكمتهم فلا يخرجون الا الي ساحة الموت ومع ذلك كانوا يضحكون فيه ويرقصون ويغنون كأنهم في حفلة عيد على عرفانهم بسوء مصيرهم •

وكان في كل صباح يدخل السجان الى ذلك الدير وبيده قائمة باسماء الذين دنت ساعة قتلهم من اولئـك المسجونين فيتلوها عليهم وهم سكوت حتى اذا فرغ مـن تلاوتها خرج جميع الذين تليت اسماؤهم من صفوفهمفتبعوا السجان دون ان يتذمروا بكلمة بل كانوا يتبعونه مبتسمين وهم يعلمون انهم لا يرجعون فيضعهم في مركبة خـاصة وتسير بهم الى ساحة الاعدام •

وقد كان المسجونون يتألمون لمفارقة اخوانهم وتبدو عليهم علائم التأثر الشديد ولكنهم لا يلبثون ان يتواروا عن انظارهم حتى يعودوا الى ما كانوا فيه من الضحك واللعب•

وقد اتفق في يوم انهم كانوا يتحدثون وبينهم فتى يقص عليهم السيروالاحاديث وهو غير مكترث لما يتوقعه من الموت فقال ضابط من حرس الملك ان الكونت لوسيان لا يهتم لامر كأنما هو في مأمن من الموت •

فأجابه لوسيان : وكان نفس الكونت لوسيان دي مازير ابن عم اورور ، من يخاف الموت ايها الصديق يفاجئه

الموت ومن يسلم الحياة يحيي وقد كان هذا شأني حين قبض علي ودخلت هذا السجن فاني كنت اعتقد اني سأقتل بعد اسبوع وها قد مضت الاسابيع ولا ازال في قيد الحياة •

ـ اتظن انهم نسوك ؟

ـ كلا بل اظن بما تعهدوا به لي انهم وفوا •

ـ من تعني ؟

ـ الذين تعهدوا بانقاذي ؟

ـ فضحكت دوقة كانت تسمع الحديث وقالت : ما هذا المزاح يا كونت ؟

ـ لست بمازح يا سيدتي الدوقة •

ـ اذن كيف تكون من حزب الملكية وكيف تطمع ان ينقذوك ؟ ـ هي الحقيقة يا سيدتي •

ـ اذن لا بد ان يكون لك اتصال باولئك الجمهوريين الثائرين واني أؤثر الف موت على ان يكون لي بهم اتصال •

ـ تم المجلد الاول ويليه المجلد الثاني ـ

والاخير

هذه القصة

على مذبح الشهوات

يوسف

تأليف

الروائي العالمي الفرنسي ميشال زيفاكو

وهي من القصص التاريخية والعالمية الغرامية الرائعة

على مذبح الشهوات

قصة مليئة بالحوادث والمؤامرات والمكائد والدسائس التي حيّرت عقول أبناء الطبقات الراقية والتي كان مصدرها امرأة نورنية تدعى نبوات وكيف سخّرت العشرات من أبطال هذه القصة وفتكت بالكثير من الأبرياء للحصول على مالهم من قصور وأموال ولم يستطيع أحدٌ من رجال الحكم والبوليس في ذلك العهد أن يشتبه في هذه المرأة الداهية التي لعبت أدوارًا هامّة وأبعدت بين الأخ وأخيه والإبن وأبيه بما لديها من مهارة ومقدرة فائقة وهذا مما سيطالعه القارئ بكلّ شغف ونهم لما بها من فصول وحوادث ممتعة وكلها تدلّ دلالة واضحة على مقدرة واضعها بأسلوب روائي شيق وجميل ...

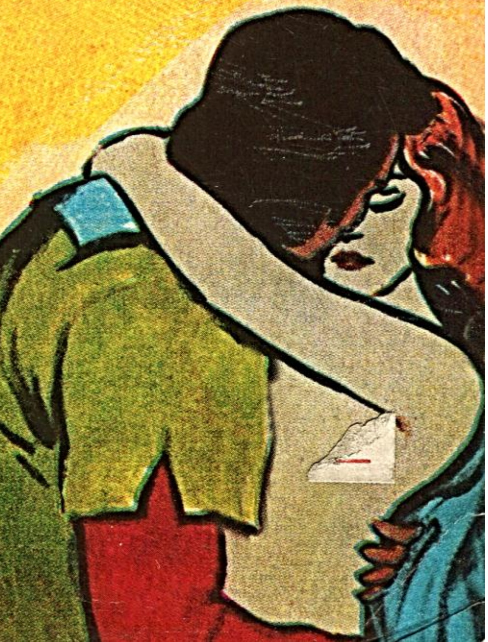

علي مولا